

جامعة سعد دحلب البلدية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مذكرة ماجستير

التخصص : علم الاجتماع الجريمة والانحراف

الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية
تحليل محتوى الأمثال الشعبية الخاصة بالجريمة

من إعداد الطالبة:
غنية دراعي

أمام اللجنة المشكلة من:

رئيسا	أستاذ محاضر أ جامعة البلدية	دروا ش رابح
عضوا مناقشا	أستاذ محاضر أ جامعة البلدية	العابب سليم
عضوا مناقشا	أستاذ محاضر ب جامعة البلدية	بن فرحات فتيحة
مشرفا	أستاذ محاضر أ جامعة البلدية	سعيد عيادي

البلدية، ماي 2011

ملخص

الجريمة ظاهرة اجتماعية، على أساس الآثار السلبية وكذلك الخطيرة التي بإمكانها أن تلحق بالمجتمع، بأفراده أو جماعته أو مؤسساته وتأخذ هذه الآثار طابعا ماديا أو معنويا أو كلاهما معا، كما أنها تمتد على جوانب عديدة ومتنوعة ذات صلة بالحياة الاجتماعية، قد تكون نفسية، أخلاقية، ثقافية، اقتصادية، سياسية، ويرجع ذلك إلى طبيعة الوقائع الخاصة بالجريمة.

ويعد وجود عوامل وأبعاد دافعا مؤثرا يؤدي لارتكاب الجريمة مثل الضغوط الناجمة عن الظروف الشخصية أو البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة بالفرد أو الجماعة، على اختلاف فئاتهم، النوعية والعمرية (الجنس والسن) وقد يبرز أثر المجتمع في حدوث ظاهرة الجريمة بشكل مباشر أو غير مباشر.

وتختلف الجريمة من مجتمع إلى آخر، وترجع الأسباب في ذلك إلى خصائص ومعايير القيم والأحكام التي يضيفها ذلك المجتمع على الفصل والسلوك الاجتماعي، ومنه السلوك الإجرامي، حيث تكون مصدر تلك المعايير والحكام ديني أو ثقافي الخاص بذلك المجتمع، وفي هذا الإطار يتضح أثر ودور الثقافة للمجتمع في إعطاء وتحديد معالم الأنماط الإجرامية التي يرتكبها الأشخاص من الأفراد والجماعات.

كما تعتبر الثقافة صورة تعكس حياة وشخصية وحضارة وصيرورة تطوراته الاجتماعية في المجالات ونشاطاتها المختلفة، وبتفاعلاتها التي تركت أثارها وتأثيرها الإيجابية والسلبية على حياة الفرد والمجتمع وترسخت في الذاكرة الجماعية الشعبية وأصبحت عنصرا ضمن أحد مكونات الثقافة بأشكالها المتميزة بالتعبير الشعبي وتعد جزءا هاما وبارزا في التراث الشعبي الاجتماعي وحملتها الجماعة الشعبية وحافظت عليها وتناقلتها عبر الأجيال المتعاقبة، وهي الأمثال الشعبية، نظرا للخصائص والمزايا التي تميزها عن باقي التعبيرات الشعبية الثقافية.

فأمثال الشعبية بناء على ذلك بإمكانها التعبير والكشف عن الجوانب العديدة المتعلقة بالممارسات السلوكية الاجتماعية، والكشف بذلك عن المعايير والقيم الأخلاقية والثقافية والاجتماعية التي تترجم البناءات الذهنية وأنماط التفكير التي طبعت بها شخصية الفرد والجماعة والكشف والتعبير عن الوقائع والمواقف والحوادث التي عاش أفراد وجماعات المجتمع عبر المراحل والفترات الزمنية المتعاقبة وذلك من خلال السلوكيات والتصرفات الصادرة، حيث يمكن ربطها بوجود ظواهر خلفية أدت إلى صدور تلك الأنماط السلوكية التي منها السلوك الإجرامي الذي تؤدي ممارسته إلى وقوع الأنماط المختلفة للجريمة.

وفي هذا المضمار فقد تمكن التوصل من خلال عملية البحث ومساعدتها في دراستنا الخاصة والمتمثلة في دراسة الظاهرة الإجرامية وعنوان هذه الدراسة هو الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية، التعرف عن وجود ظواهر اجتماعية ميزت الحياة الاجتماعية للفرد الجزائري التي تركت آثارا طبعت سلوكه وأعطت صورة نمطية لطرائق التفكير الايجابية والسلبية وعبرت بذلك وصرحت عن القيم والمثل والقواعد السلوكية التي تدعو إليها وتقرها لتوجيه سلوك الفرد والجماعة لتجنب الوقوع في الجريمة، وتقويما في ذات المعنى للسلوك الإجرامي كما تم التعرف عن الظروف والأوضاع المتنوعة التي تعرض لها المجتمع خلال مراحلها التاريخية الاجتماعية وما ميزها وتخللها من صراعات اجتماعية بين مختلف فئاته وشرائحه المجتمعية كما عبرت كذلك في هذا الإطار عن معايير وأحكام وقيم، ترمز للعادات والتقاليد، النابعة من العرف الاجتماعي، حيث مثلت جانبا للصورة الثقافية والشخصية والأخلاقية العامة للمجتمع الجزائري.

وباعتبار المثل الشعبي نتيجة تجارب وخبرات الفرد مع جماعته والآخرين، يلخص في عبارة موجزة، موقفا أو تصرفا أو سلوكا معينا يحمل دلالات ومعاني متنوعة تترك آثارا في النفس. وتنعكس مظاهرها وصورها في أشكال وأساليب تتعلق باستخدامه في توجيه السلوك الاجتماعي، خاصة في التعامل مع السلوك الإجرامي، حيث يمكن اعتباره منهجا معرفيا علميا، على أساس تلك القيم والمعاني التي تؤدي إلى التكيف والاندماج الاجتماعي من خلال الاتزان والتوافق في التعامل الايجابي، درءا للسلوك الإجرامي وتقليصا وتجنبنا على هذا الأساس للمشكلات و الظواهر السلبية والخطيرة المؤدية للتفكك و الانحراف الاجتماعي والجريمة.

في نفس هذا المنحى بناء على محتوى الأمثال المنتقاة والمشملة للعناصر السلوكية والثقافية الاجتماعية في الاتجاه الفعّال والفاعل للأمثال الشعبية وحسب ما تضمنته وأقرته الأمثال الجزائرية الحاملة لأفكار وآراء وتصورات تترجم تفكيرنا علميا اجتماعيا وثقافيا لجماعة الصفوة الشعبية و يعد تراثا غنيا يحمل رموزا ودلالات عن المعرفة الفكرية العلمية السوسولوجية الثقافية الأنثروبولوجية للشخصية

والثقافة الشعبية الشفاهية الجزائرية يجعلها تتوافق مع المعارف العلمية التي تصب في التراث العلمي البشري الخاص بالفكر الاجتماعي وعلى هذا الاعتبار ، قد يؤهلها إلى أن تكون وسيلة اجتماعية تثقيفية، لها دورها الوظيفي الثقافي الاجتماعي التربوي الأخلاقي في مختلف المؤسسات الاجتماعية التربوية.

شكر

أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ المشرف الدكتور/سعيد عيادي على موافقته ومواصلته للإشراف على هذه الدراسة وتوجيهاته الخاصة بعملية البحث والدراسة
كما أتقدم بالشكر للأستاذة فتيحة بن فرحات والأستاذ جمال معتوق على نصائحهما الخاصة بالبحث.

الإهداء

أهدي هذا العمل العلمي المكمل بالمجهودات المبذولة قصد إثرائه
بالمعرفة الخاصة بالموضوع، وتحقيق الاستفادة العلمية في مجال
البحث العلمي إلى كل الطلبة المقبلين على نفس الخطى الخاصة
والهادفة إلى إيصال منافع وخدمات العلم لخدمة المجتمع وأفراده
ومؤسساته وتحقيق المصلحة العامة

الفهرس

	ملخص
	شكر
	إهداء
	فهرس المحتويات
	فهرس الجداول
14	مقدمة
17	1. المدخل المنهجي للدراسة
17	1.1. أسباب اختيار الموضوع
17	1.1.1. الأسباب الذاتية
17	2.1.1. الأسباب الموضوعية
17	2.1. أهداف الدراسة
18	1.2.1. الأهداف العلمية
18	2.2.1. الأهداف العملية
19	3.1. الإشكالية
21	4.1. الفرضيات
22	5.1. تحديد المفاهيم
25	6.1. الدراسات السابقة
25	1.6.1. الدراسات العربية
28	2.6.1. الدراسات الجزائرية
28	1.2.6.1. الدراسات الأكاديمية
36	2.2.6.1. الدراسات المستقلة
41	3.6.1. مقارنة الدراسة مع الدراسات السابقة
41	7.1. المقاربة السوسولوجية
42	1.7.1. المقاربة البنوية
43	2.7.1. المقاربة الصراعية
46	8.1. صعوبات الدراسة
48	. تمهيد الفصل 2
49	2. الثقافة الشعبية
49	1.2. ماهية ومفهوم الثقافة كمدخل لمفهوم الثقافة الشعبية
51	2.2. مفهوم الثقافة الشعبية
53	3.2. تجليات للثقافة الشعبية الإسلامية
54	4.2. عناصر للثقافة الشعبية
55	1.4.2. العناصر التعبيرية الشفوية السمعية
67	2.4.2. العناصر التعبيرية البصرية
69	3.4.2. السلوك
75	5.2. خصائص ووظائف الثقافة الشعبية
78	6.2. مصادر للثقافة الشعبية الجزائرية
83	3. مدخل إلى الجريمة والانحراف
83	صورة الجريمة في المجال العلمي النظري والإمبريقي
83	1.3. مفهوم الجريمة
83	1.1.3. الجريمة من المنظور الإسلامي

842.1.3. الجريمة من المنظور القانوني
843.1.3. الجريمة من المنظور السيكولوجي
844.1.3. المنظور السوسولوجي
845.1.3. الجريمة من المنظور الأخلاقي
852.3. النظريات العلمية المفسرة لظاهرة الجريمة
851.2.3. النظرية البيولوجية
862.2.3. النظرية الفيزيولوجية (العضوية)
873.2.3. النظريات العلمية النفسية
904.2.3. النظريات السوسولوجية
943.3. مفاهيم مرتبطة بالجريمة
941.3.3. أثر نزعة العدوان وعلاقته بالجريمة
952.3.3. العنف
963.3.3. التعصب
974.3. عوامل الجريمة والانحراف
971.4.3. العوامل البيئية
971.1.4.3. العوامل الطبيعية الجغرافية
982.4.3. -عوامل البيئة الاجتماعية
1002.4.3. العوامل الاقتصادية
1023.4.3. العوامل الثقافية
1044.4.3. العوامل النفسية
1055.4.3. العوامل السياسية
106الانحراف وعلاقته بفعالية السلوك الاجتماعي
1065.3. مفهوم الانحراف
1071.5.3. مفهوم الانحراف في ضوء المعايير الاجتماعية
1073.5.3. مصادر الانحراف
1071.3.5.3. نمط التفاعل الاجتماعي
1082.2.5.3. المعايير والقيم المجتمعية
1093.3.5.3. طبيعة الدور
1094.5.3. وظائف الانحراف
1091.4.5.3. الوظائف الايجابية
112ملخص الفصل 3
113تمهيد الفصل 4
1144. التنشئة الاجتماعية والقيم الأخلاقية
1141.4. تعريفات لمفهوم التنشئة
1151.1.4. التعريف الاصطلاحي
1162.1.4. التعريف السوسولوجي للتنشئة
1183.1.4. التنشئة الاجتماعية في الإسلام والفكر الإسلامي
1182.4. أنواع التنشئة الاجتماعية
1191.2.4. التنشئة الأسرية
1202.2.4. التنشئة التربوية التعليمية
1223.2.4. التنشئة السياسية
1243.3. أهداف التنشئة الاجتماعية
1244.4. مؤثرات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بتشكيل نمط الشخصية

1263.4.4. الطبقة الاجتماعية.
1275.4. عوائق التنشئة وبنشوء الانحراف.
1281.5.4. اضطرابات ومشاكل الأسرة.
1282.5.4. الغياب السلبي لدور المرأة التربوي والاجتماعي.
1286.4. القيم الأخلاقية.
1291.6.4. ماهية القيم الأخلاقية.
1291.1.6.4. التعريف الاصطلاحي.
1302.6.4. معالم للقيم الأخلاقية في الفكر العلمي والاجتماعي.
1323.6.4. حقيقة القيم الإسلامية في الشريعة الإسلامية.
1334.6.4. معالم القيم الأخلاقية في الفكر الإسلامي.
1345.6.4. مراتب القيم الأخلاقية.
1376.6.4. الطابع الشخصي والمجتمعي للقيم الأخلاقية لدى الفرد والمجتمع.
1397.6.4. ضعف معيارية القيم الخلقية وأثرها على السلوك الإنساني الاجتماعي.
141ملخص الفصل 4.
142تمهيد الفصل 5.
1445. الأسس المنهجية التطبيقية المتبعة.
1441.5. المناهج المستعملة.
1441.1.5. منهج تحليل المحتوى.
1462.1.5. المنهج التاريخي.
1472.5. أسلوب جمع المادة واختيار مجتمع البحث.
1483.5. عرض الوثائق الخاصة بالأمثال الشعبية الجزائرية والمتضمنة لمجتمع البحث والدراسة.
1554.5. إطار وحجم العينة وطريقة المعاينة.
1575.5. تقنيات التحليل وتقنيات أخرى مساعدة في التحليل.
1571.5.5. تقنية تحليل المحتوى.
1582.5.5. تقنية دراسة حالة.
1596.5. مجالات الدراسة.
1616. وجود صراعات اجتماعية بين الفئات والشرائح في المجتمع الجزائري (تحليل الفرضية الأولى
1611.6. وجود صراعات اجتماعية عائلية ضمن الجرائم الواقعة في المحيط العائلي.
1621.1.6. اثر التغير التاريخي الاجتماعي الذي تعرض له المجتمع الجزائري في البنية الاجتماعية الاقتصادية.
1692.1.6. العنف الممارس ضد المرأة (الزوجة).
1793.1.6. علاقة طبيعة السلطة داخل الأسرة وتأثيرها في نشوء الصراعات المؤدية للجريمة.
1892.6. تأثير وقوع الجريمة في إثارة العصبية القبلية وخلفيتها الصراعية القبلية.
1893.6. وجود صراعات اجتماعية بين الشرائح الجماعية في إطار الصراع الاجتماعي السياسي وعلاقتها بالجريمة.
2021.3.6. دور شخصية الحاكم التركي (السلطان) في وقوع الجريمة.
2042.3.6. أثر السلوكات الإجرامية للأشخاص في ظهور الصراعات بين فئة الحكام وفئة المحكومين.....
2083.3.6. الصراعات السياسية للثورة التحريرية الجزائرية وأثرها في نشوء الصراعات الاجتماعية السياسية.
2184.6. وجود صراعات اجتماعية بين الجماعات الثقافية الفرعية وعلاقتها بالجريمة.
2181.4.6. أثر النمط الاقتصادي للبناء الاجتماعي للجماعات الثقافية الفرعية في نشوء الصراعات ووقوع.

	الجريمة
220	2.4.6. أثر النمط الاجتماعي الثقافي وعلاقته في نشوء الصراعات الاجتماعية المؤدية للجريمة
225	5.6. بناء الجداول الخاصة بالفرضية الأولى.
229	6.6. تحليل الجداول والنتائج الخاصة بوجود صراعات اجتماعية بين الفئات والشرائح في المجتمع الجزائري (الفرضية الأولى)
231	7.6. الدراسة التحليلية السوسولوجية الخاصة بوجود صراعات اجتماعية بين الفئات والشرائح في المجتمع الجزائري.
	1.7.6. علاقة الصراع في إطار تغير التاريخ الاجتماعي
232	2.7.6. طبيعة الصراعات الاجتماعية وعلاقتها بجريمة الشخصية السوسيوباتية.....
233	2.7.6. ظاهرة العنف الممارس ضد المرأة والعلاقة بين الصراعات المؤدية للجريمة.....
234	3.7.6. الجرائم الواقعة بين الإخوة والأقارب وعلاقتها بالصراعات الاجتماعية.....
235	4.7.6. علاقة الجرائم الواقعة بين الشرائح المجتمعية القبلية بوجود الصراعات.....
236	5.7.6. وجود الصراعات الاجتماعية بين الشرائح المجتمعية في الإطار الاجتماعي السياسي.....
238	6.7.6. وجود صراعات اجتماعية بين الفئات المجتمعية المتميزة في ثقافتها الفرعية وعلاقتها بوقوع الجريمة..
240	ملخص الفصل 6.....
241	تمهيد الفصل 7.....
242	7. وجود محددات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري.....
243	1.7. تحليل محتوى مجموعة الأمثال الخاصة بالفرضية الثانية.....
243	1.1.7. الجرائم الاجتماعية ذات البعد التربوي.....
243	2.1.7. الجرائم الاجتماعية ذات البعد الاقتصادي.....
243	3.1.7. تحليل الأمثال الخاصة بالجرائم الاجتماعية ذات البعد التربوي.....
243	1.3.1.7. جرائم الاعتداءات الفيزيقية (الجسدية).....
252	2.3.1.7. جرائم الاعتداء (العدوان) اللفظي.....
256	4.1.7. الجرائم الاقتصادية (جرائم ضد الملكيات).....
265	4.4.1.7. الجرائم الأخلاقية.....
268	2.7. بناء الجداول وتحليل النتائج الخاصة بالفرضية الثانية.....
270	3.7. الدراسة التحليلية السوسولوجية.....
270	1.3.7. أثر طبيعة العامل البيئي وعلاقته بجرائم العدوان والعنف.....
272	2.3.7. العامل الاقتصادي وعلاقته بالجريمة.....
274	ملخص الفصل 7.....
275	تمهيد الفصل 8.....
276	8. وجود توجيهات أخلاقية إيجابية للتعامل مع السلوك الإجرامي.....
284	3.8. عواقب الانحراف والسلوك الإجرامي.....
290	4.8. بناء الجداول وتحليل النتائج الخاصة بالفرضية الثالثة.....
292	5.8. الدراسة التحليلية السوسولوجية للفرضية الثالثة.....
294	ملخص الفصل 8.....
295	الاستنتاج العام.....
299	خاتمة.....
302	توصيات البحث.....
304	الملاحق.....
310	قائمة المراجع.....

قائمة الجداول

الرقم	الصفحة
01	توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال المحصورة والخاصة بالجريمة وعلاقتها بإمكانية وجود الصراعات العائلية..... 225
02	توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاصة بالجريمة وعلاقتها بإمكانية وجود الصراعات القبلية..... 226
03	توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاصة بالجريمة وعلاقتها بإمكانية وجود الصراعات بين الشرائح الجماعية في إطار الصراع الاجتماعي السياسي..... 227
04	توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاصة بالصراعات الاجتماعية بين جماعات الثقافات الفرعية..... 228
05	توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاصة بالفرضية الثانية..... 268
06	توزيع مضامين الأمثال الشعبية الخاصة بالفرضية الثالثة..... 290

مقدمة

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الجريمة من زاوية اجتماعية ثقافية التي تمثلها الأمثال الشعبية وذلك بالتعرض قدر الإمكان إلى التعمق في هذه الظاهرة ومحاولة الإمام بكل الجوانب المتعلقة بها من عوامل، وخصائص ومميزات تشمل كل من الفرد والجماعات والمجتمع وذلك من خلال القيام بتعليل محتوى مضامين هذه الأمثال، التي تعد من أهم البنيات الثقافية الشعبية للمجتمع التقليدي خصوصا ونظرا لارتباط ظاهرة الجريمة بصلات مختلفة مثل أنماط التفاعل وكذلك في إطار العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات، وكذلك بعوامل متعددة ومتنوعة منها ما يتعلق بالدوافع الذاتية والموضوعية للفرد والجماعات، كما أن لها صلة كذلك بالظروف والأوضاع التي يمر بها المجتمع اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وانعكاس النتائج الواقعة عبر الفترات الزمنية على حياة الفرد والجماعة.

باعتبار الأمثال الشعبية تعد جانبا ثقافيا وتمثل رصيذا ثريا من الأفكار والآراء والتصورات والمعتقدات والقيم والمعايير والأخلاق ونقدها في نفس الوقت ويتطرق للعديد من المواضيع العامة التي تكشف أنواعا عديدة من صور هذه المكونات للأمثال. إما بالدعوة والامتنال أو بالنقد أو عدم التقبل والحكم على ذلك السلوك بالإيجابي والسلبي، وذلك وفق المخيلة الاجتماعية الشعبية والبنية الاعتقادية الذهنية للجماعة في تصوراتها وأنماط تفكيرها. والأحكام الصادرة بذلك عن أنماط السلوك الفردي والجماعي لدى الفئات والشرائح الاجتماعية.

وعليه تبرز أهمية الأمثال الشعبية في إمكانية التوصل إلى معرفة والكشف عن الظواهر والمشكلات الاجتماعية التي عرفها المجتمع عبر المراحل والفترات الزمنية المتعاقبة باعتبار ونظرا لاستمرارية تداول هذا الموروث الثقافي الاجتماعي من جيل إلى جيل، خصوصا تلك الأمثال التي ترمز لقيم ومعايير المثل العليا للمجتمع، وبقيت محفوظة في الذاكرة الجماعية، وهو ما ينطبق على الأمثال الشعبية الجزائرية.

وما أثار الرغبة والإرادة، هي تلك الخصائص والمزايا للأمثال الشعبية، حيث أنها عبارة عن خلاصات واستنتاجات فردية أو جماعية، لحوادث ووقائع تعبر عن تجارب، وخبرات الحياة الاجتماعية وتكشف عن خفايا الفكر والنفوس وأدائها وظائف متنوعة أخلاقية اجتماعية تعليمية وتأثيرها على السلوك بذلك على السلوك الإنساني الاجتماعي، وتكشف نتيجة ذلك عن الممارسة السلوكية للفرد والجماعة: مثل أنماط السلوك الإجرامي الذي تجسده الجرائم المرتكبة من طرف مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية حيث قد رصدت الأمثال التي قمنا بانتقائها سجلات تحمل العديد من الجرائم ذات صلة بجوانب الحياة الاجتماعية، للمجتمع التقليدي الجزائري حيث يظهر أنّ لها خلفيات متعددة السياقات والاتجاهات ولها

علاقة بعوامل وظروف نخضع لها المجتمع وظواهر أخرى ذات صلة مباشرة وغير مباشرة بأنماط الجريمة المصرح بها في الأمثال.

ومنه باستخدام تقنية تحليل محتوى هذه الأمثال الخاصة بالجريمة التي تعد أداة منهجية مناسبة لاكتشاف طبيعة السلوكات والظواهر من خلال أشكال التعامل الاجتماعي ونمط المعاملة الممارسة في أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية المجسدة لها في مختلف التنظيمات والبناءات الاجتماعية للمجتمع، أهمها الأسرة والجماعات الاجتماعية الأخرى المتواجدة والمتمثلة لهذه التنظيمات.

فالدراسات التي تطرقت لإحدى الظواهر والمواضيع التي شملتها وحملت الصور المختلفة تعرضت بالبحث في تلك الظاهرة أو الموضوع الخاص بفرد أو جماعة أو مجموعة من الأشخاص تشترك في مميزات وخصائص منها ما يتعلق بالسلوك ومنا ما يتعلق بالتصورات بنمط معين من السلوك الاجتماعي أو تصور ما اتجاه فرد من الأفراد، أو تناولت جانبا نفسيا اجتماعيا في إطاره الثقافي والشخصي الفردي أو الجماعي الذي يمثل ثقافة وشخصية المجتمع التقليدي الجزائري.

وهذا ما جعل الدراسة التي تتناولها بالبحث والتحليل في المضامين التي تحملها الأمثال من معاني وقيم، وأفكار، وسلوكات، الفرد والجماعة وأنماط للتفكير التي طبعت صورها المخيلة الشعبية التقليدية على أفرادها والجماعات والشرائح والفئات المجتمعية، وهي بذلك تكون رسمت معالم الثقافة والشخصية الشعبية للمجتمع التقليدي خصوصا، من خلال الكشف ومعرفة العوامل المختلفة ذات الصلة يتعرض المجتمع الجزائري للظروف والأوضاع التي أدت إلى وجود ظواهر اجتماعية متنوعة أثرت على كامل البنيات الأساسية والهامة للفرد والمجتمع والانعكاسات الناجمة عن ذلك وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية حيث تعتبر تلك المكونات التي تحملها الأمثال الشعبية من قيم معايير، وأنماط تفكير... مؤشرات على وجود العوامل المؤدية إلى تلك الظروف والأوضاع المميزة للمجتمع والتي بدورها نتج عنها مظاهر متعددة الكيفيات الخاصة بالسلوك الاجتماعي الذي يعتبر المؤشر على وجود تلك الظواهر الاجتماعية السلبية، وعلاقتها بظاهرة الجريمة التي رصدتها لنا الأمثال المدروسة.

-وقد خصصنا لهذا الجهد العملي الممثل لكل جوانب الدراسة ومواضيعها المتعلقة بالظاهرة المدروسة وهي وبقسيمه النظري والتطبيقي.

فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى قسمين، القسم الأول يتضمن الإطار النظري للدراسة والمكون من ثلاثة فصول وقد تم عرضها وتناولها بعد عرض الفصل التمهيدي المنهجي للدراسة وقد حملت هذه الفصول وخضع تناولها وفق الترتيب المنهجي الملائم لعملية البحث والدراسة:

الفصل الأول: خصصنا لـ: "الثقافة الشعبية" وهو نفس عنوان الفصل.
الفصل الثاني: خصصناه حسب العنوان الذي يحمله وهو "مدخل إلى الجريمة والانحراف".
وخصصنا الفصل الثالث لموضوع: "التنشئة الاجتماعية والقيم الأخلاقية"
أما القسم الثاني يتضمن الجانب التطبيقي للدراسة، ويتكون من أربعة فصول وهي:
أولاً- الفصل الخامس بالأسس والأدوات والمناهج المتبعة في الدراسة الميدانية.
ثانياً: ويتمثل في الفصل السادس والذي يخص تحليل الفرضية الأولى.
ثالثاً: الفصل السابع وهو الخاص بتحليل الفرضية الثانية.
رابعاً: الفصل الثامن ويخص تحليل الفرضية الثالثة.

وبعد تقديم عرض مجمل لفصول هذه الدراسة، نتناول النتائج المستخلصة العامة ثم نعرض خاتمه
وبعدها نقدم المراجع يليها الملاحق في الأخير.

الفصل 1

المدخل المنهجي للدراسة

1.1-أسباب اختيار موضوع الدراسة

لكل موضوع دراسي أسبابا تثير في الباحث الرغبة في الغوص فيه قصد معرفة مختلف جوانبه، وهذه الأسباب منها ما هو ذاتي والآخر موضوعي.

1.1.1. الأسباب الذاتية

استخدام الأمثال الشعبية بشكل واسع في الوسط الاجتماعي العائلي لدى الباحثة، خاصة في إطار توجيه السلوك، وهو ما جلب الانتباه والنظر بعين الاعتبار لهذا الموروث الثقافي.

-وبالنظر للتخصص الذي تدرسه الباحثة، أردنا البحث في موضوع الجريمة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية.

2.1.1- الأسباب الموضوعية

-وهو أن (الجريمة) موضوع الدراسة يتناول بالبحث في جانب متميز للظواهر الاجتماعية يتمثل في الجريمة والذي يعد من الموضوعات النادرة وهذا بالنظر إلى الدراسات التي تطرقت إلى موضوع الأمثال الشعبية وامكانية معرفة مختلف الجوانب التي لها صلة بالجريمة لدى أفراد المجتمع بتمايز فئاته وشرائحه.

-إمكانية التوصل إلى معرفة مختلف الأحكام والانطباعات، وأنماط التفكير والقواعد السلوكية المتعلقة بالمعاملة الاجتماعية، والتي تعطي بذلك صورة ثقافية أخلاقية للشخصية الاجتماعية الشعبية في إطار بنيتها الاجتماعية، الثقافية والحضارية.

2.1- أهداف الدراسة

إنّ أي قيمة لأي دراسة تتمثل في تلك الفوائد العلمية والمالية التي يهدف الباحث ويسعى لبلوغها.

1.2.1- الأهداف العلمية

-إمكانية التوصل إلى إبراز سمات وخصائص الشخصية للمجتمع من الأمثال الشعبية الجزائرية من خلال الأشكال التي يطبع بها المجتمع السلوك الإجرامي، آراء، أحكام، أنماط التفكير...

-التعرف عن الظواهر السلبية المتضمنة في الأمثال الشعبية، كون الجريمة تنتج في أحيان كثيرة عن السلوك الانحرافي كالعنف. التعرف على أهم العوامل المؤثرة، والدوافع التي بسببها تقع الجريمة.

2.2.1- الأهداف العملية

-وجوب التمييز بين الأمثال الشعبية التي تحمل مضامينها قيما سامية ترفض من خلالها السلوكات الإجرامية كما أنّها تنتقدها وتشجبها ويقاس مثل ذلك على مختلف الانحرافات الاجتماعية السلبية والخطيرة وبين تلك التي تحوي قيما سلبية تسعى إلى التوصل إلى أهداف ومصالح ضيقة وتكون خطيرة تدفع على ارتكاب الجرائم والعمل على تفكيك العلاقات الاجتماعية وتضعف وحدة المجتمع في مختلف بئاته ونظمه.

-إمكانية إدراج الأمثال الشعبية ذات القيم السامية ضمن المناهج التربوية والتعليمية النظامية باعتبارها أساليب تربوية وثقافية تحمي الفرد من الانحراف والجريمة وتنتقل له قيم وتصورات وتقاليد وعادات المجتمع.

-الاعتناء والحفاظ على هذا النوع من الموروث الثقافي الشعبي والذي يعتبر عنصرا هاما في ثقافة المجتمع وأحد رموز انتمائها التاريخي والحضاري ويحفظ من هويته نظرا لما يتميز به جوهر هذه الأمثال، وهو العناية والاهتمام بالسلوك الإنساني خاصة السلوك الاجتماعي والحضاري.

3.1. الإشكالية

الجريمة ظاهرة اجتماعية تضر بالمجتمع البشري وتتأثر بها التفاعلات والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد بعضهم البعض وكذلك بين الجماعات وتختلف الجريمة من مجتمع إلى مجتمع آخر، وذلك حسب نمط القيمة الذي يعزوه ذلك المجتمع على ظاهرة معينة، والمجتمعات على اختلاف وتشابه ثقافتها ترفضها وتكافحها، وتضع قوانين تتمثل في مختلف الإجراءات الجزائية والعقابية حفاظا على أمن الجماعة واستقرار المجتمع، وباعتبارها خروجاً عن المعايير والقيم والمثل العليا والقواعد الأخلاقية، التي يعرضها ذلك المجتمع على أفرادها ومن خلالها تتشكل شخصيته في إطار الثقافة السائدة، وتقع الجريمة نتيجة عامل معين أو أكثر يتأثر به الشخص المجرم، ويدفعه بذلك إلى الوقوع فيها، وقديرتب هذا السلوك المرتكب من طرف هذا الشخص بالمحيط الاجتماعي الخاص به، ربما يعكس صورة عن الواقع الاجتماعي للمجتمع، تكون لها علاقة بالآثار الناجمة عن الأوضاع والظروف التي مر بها المجتمع عبر فترات تاريخية معينة وقد ينطبق على المجتمع الجزائري الذي عايش مثل الوجود التركي بالجزائر وكذلك الاحتلال الفرنسي، كما أن هذه الصورة الخاصة بالواقع الاجتماعي قد تكشف عن تفاوت فئات المجتمع وتمايزها، "ومن المعلوم أن التمايز الاجتماعي يحدث صراعات في المجتمع بسبب تناحر الفئات الاجتماعية المتفاوتة داخله، ومحاولة كل فئة التغلب على الأخرى والحد من نشاطاتها من أجل البقاء[1]ص43.

وتظهر الجريمة في مختلف الاعتداءات الموجهة سواء ضد الأشخاص على اختلاف نوعهم وسنهم ومكانتهم، أو ضد الممتلكات أو جرائم الشرف وجرائم الانتقام، وفي هذا الإطار تنقل لنا وسائل الإعلام، خاصة الصحف الوطنية، وقائع للجريمة تعكس مثل هذه الاعتداءات والتي يزداد انتشارها في الوسط الاجتماعي الجزائري بشكل يثير الانتباه والاهتمام بهذه الظاهرة الخطيرة، محاولة الحد والوقاية منها ومعالجة وتقويم السلوك الإجرامي سعياً لإصلاح الفرد المجرم والجماعة المجرمة وإعادة إدماجهم في المجتمع وتوثيقاً للعلاقات وتماسك الجماعة والذي يعكس وعي الجماعة من خلال تصوراتها الثقافية الخاصة بالمجتمع، والتي تعد الأمثال الشعبية شكلاً من أشكالها، ونتيجة تجارب وخبرات أجيال متلاحقة، تدعو إلى سلوك معين أو بالابتعاد عنه، في تعريف "أسمرائي" للمثل الشعبي: "قول موجز سائر على أسنة الناس، يلخص تجربة ما أو حادثة، ولربما يعبر عن فكرة فلسفية بسيطة كل البساطة ويعبر عما في النفس من علم وخبرة، وهو ذو طابع تربوي تعليمي، ينقله الآباء والأجداد إلى الأحفاد، ويمثل المثل حصيلة خبرة مجتمع ما، في زمن ما، في مكان ما، ويعكس صورة واقعية لحياة هذا المجتمع، ونشاطاته،/ وعاداته، وتقاليده، وأسلوب تعامله ويتميز بالصدق، ويعطي صورة حية عن طبيعة هذا

المجتمع، لأنه يصدر عن نفس، وطبيعة صادقة، وفطرة نفسية بريئة، لا تعرف المكر والخديعة، وتتعدد أنواع المثل وتنبأين بتعدد فئات المجتمع، وتباين طبقاته، وله أثره البالغ في النفس في شتى المواقف^[2] ص 229.

وانطلاقاً من هذه المميزات للمثل الشعبي ودوره الوظيفي ومكانته في الحياة الاجتماعية والثقافية للفرد والجماعة، وينطبق كذلك على المثل الشعبي الجزائري، إذا ما نظرنا لنسبة الأمية بين أفرادها بلغت غداة الاستقلال ثمانين بالمائة بين الذكور وخمسة وتسعين بالمائة بين الإناث...ازدهرت فنون التعبير الشفهي، العامي في غياب معرفة القراءة والكتابة، وفي غياب إمام العامة من الناس باللغة العربية الفصحى التي ظلت محظورة التعليم والتداول على النطاق الرسمي بأوامر صارمة من سلطات الاحتلال... وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يتبوأ المثل الشعبي مكان الصدارة لدى مختلف الفئات الاجتماعية حيث أصبح يمثل الوسيلة المفضلة في الإقناع والتوجيه والتربية...[3]ص7والذي يعني نقل الجماعات المختلفة والمشكلة للمجتمع الأفكار والقيم المتضمنة فيه للأفراد، وفي إطار الأدوار التي يشغلونها داخل أي تنظيم اجتماعي رسمي أو غير رسمي وبالنظر إلى الروابط المختلفة التي تجمعهم في أي تنظيم رسمي كالروابط الأسرية، رابطة الدم أو القرابة أو غير رسمي مثل الجماعات الأخرى من شرائح وفئات المجتمع التي على أساسها وطبيعتها تحدد طبيعة العلاقات الفردية والجماعية، وخضوعهم بذلك لأنواع من السلطة في التنظيمات الاجتماعية وفق المكانة الاجتماعية والوضع الخاص بهم، وكذلك وفق الأهداف والمطالب والطموح القائمة التي يسعون إلى الوصول لتحقيقها، فإن ما حدث تعارض، وتصادم لها للأسباب الكامنة والمؤدية إلى ذلك كالنفسية والاجتماعية التداخل الذي قد يحصل من ظروف وعوامل متنوعة بما تشمله من ضغوط وقيم. وأدى ذلك إلى ارتكاب الجريمة، والتي تكون وقائعها وظروفها تتشابه وظروف المثل الشعبي التي قيل فيها، في الاتجاه الآخر نجد من هؤلاء من يخضعون ويلتزمون بالقيم والمثل العليا والمعايير الاجتماعية الايجابية يتخذون باستخدام المثل الشعبي في تبيان العبرة والأخذ بها والحذر من العواقب، حيث يتم تفسير ذلك باختلاف الأساليب التنشئية لهؤلاء بكل أبعادها، الثقافية والاجتماعية، الذي يعكس نظرتهم للحياة وتجاربها وخبراتها، ويعكس بذلك صورة شخصيتهم وثقافتهم، والتي تنتمي إلى ثقافة المجتمع.

ومما تقدم وانطلاقاً من الجوانب العديدة والمتنوعة التي تقع وتبرز من خلالها ظاهرة الجريمة، يمكن اعتبارها عناصر دافعة ولها علاقة قوية قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، حيث تتضح لنا رؤى في هذا الصدد للتساؤل عما يتعلق بهذه الظاهرة في هذا الجانب العام المكون والدافع والمميزات المتضمنة فيها:

1)- ما هي الخلفية والدوافع للجريمة من خلال ماتضمنه نصوص هذه الأمثال الشعبية؟

2)- هل تعكس الأنماط السلوكية الاجرامية التي رصدتها والتي حملت مضامينها الأمثال الشعبية الطابع النمطي للسلوك الإجرامي للفرد الجزائري؟

من بين المميزات والمزايا والخصائص لهذه الأمثال الشعبية والتي أبرزت مكانتها وأهميتها في توجيه السلوك الاجتماعي والثقافي الحضاري الأخلاقي للفرد والجماعة والتي تعبر وترمز إلى شخصية وثقافة المجتمع نجد أنها متنوعة ومتعددة، فما هو نوع أهم هذه العناصر الأساسية الفعلية؟ وما هو الطابع الذي تحمله؟ وما طبيعة ممارسته اتجاه السلوك الاجتماعي التبعلي القيم التي تتضمنها الأمثال الشعبية؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات فقدتمت صياغة الفرضيات التالية:

4.1. الفرضيات

■ الفرضية الأولى

تعكس نصوص الأمثال الشعبية وجود صراعات اجتماعية بين الشرائح والفئات في المجتمع الجزائري.

■ الفرضية الثانية

تعرض الأمثال الشعبية وجود تحديدات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري.

■ الفرضية الثالثة

تحتوي الأمثال الشعبية على توجيهات أخلاقية للتعامل مع السلوك الإجرامي.

5.1. تحديد المفاهيم.

1.5.1. تعريف المثل

الشبه والنظير، القول السائر بين الناس بمضربه، الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام[4]ص801.

المثل في نظر "المبرد": مأخوذ من المثل وهو: قول سائرين الناس شبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه، فقولهم "مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ" إذا انتصب، معناه، أشبه الصورة المنتصبه[5]ص7.

وعند "ابن السكيت": المثل لفظ يخالف لفظ، المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره.

يرى إبراهيم النظام "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة[6]ص7-8

لما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ، ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجمل الكلام، وأنبله وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ويسر مؤونتها على المتكلم[6]ص10.

والأمثال أيضا نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه.[3]ص10.

تعريف العلامة "فريدريك زايلر" Frederick Zeiler للمثل أنه: "عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل ويغلب عليها الطابع التعليمي وتبدو في شكل فني أكثر انفاقا من أسلوب الحديث العادي[7]ص90.

وتعددت تعريفات المثل الشعبي بتعدد وتنوع العلماء والباحثين واهتماماتهم فيشير كراب Crabe مثلا إلى صفة الخصوصية في تعريفه للمثل حيث يرى أن الأمثال تردد خلاصة التجربة اليومية التي صارت ملكا لمجموعة اجتماعية معينة، والتي صارت جزءا لا ينفصل عن سلوكها في حياتها اليومية الجارية، وكذلك شامبيون (Champion) حيث قال إنّ المثل هو " الحكمة أو "قول مأثور" ينبع من شعب معين في فترة زمنية ماضية، ويظل مستخدما وشائعا بين أجياله التالية[7]ص386.

1.1.5.1 التعريف الإجرائي للمثل الشعبي

هو جملة يعبر بها بصريح العبارة شخص ما وقد تكون مجموعة من الجمل يعبر من خلالها عن آراء وأفكار وتصورات وأحكام قاصداً بذلك ظاهرة من ظواهر المجتمع أو لفعل اجتماعي معين ويشير إليها بشكل فني صريح أو ضمني، سواء كانت هذه الظاهرة معلن عنها أو تكون خفية أو يصرح بها على سلوك ما يصدر عن شخص أو أشخاص معينين ويكون هذا نتيجة لذلك المواقف التي اتخذوها أو ما تعرضوا إليها في الحوادث المختلفة.

2.5.1. تعريف الصراع الاجتماعي

تغاض للمشاعر، الآراء، بين الأشخاص، أو الجماعات [8] ص 357، هو التقاء بين العناصر، والمشاعر المضادة، والمتعارضة [7] ص 386.

يعتبر الصراع منافسة في أعق صورها وهو ينشأ في العادة نتيجة تعارض المصالح والأدوار فإذا ما اتفقت مصالح الأفراد والجماعات اتجهوا إلى التعاون، وإذا ما تعارضت مصالحهم اتجهوا إلى المنافسة، وقد تتحول المنافسة إلى شكل آخر إذا ما تدخل الشعور الشخصي [7] ص 66.

إن عبارة الصراع الاجتماعي تدل على وجود أطراف متقابلة، تعيش حالة صراع ولكن طبيعة ذلك الصراع تغدو متفاوتة الدرجات فتتعدد الصيغ، والأشكال. فهناك الصراع المادي السلمي، وهناك الصراع الثائر الدموي [10] ص ص 24-25.

في نظريات علم الاجتماع المعاصرة ومفهومها لها الميكروسوسيولوجية (Microsociologie) التي تدرس حالة الصراع الموجودة بين الأدوار والعلاقات الاجتماعية والحضارية التي تربط بين أبناء المنظمات وهناك الماكرو سوسيولوجي (Macrosociologie) التي تدرس حالة الصراع الموجودة في الأنظمة الاجتماعية والحضارية.

هذا الصراع الاجتماعي يأخذ أشكالاً مختلفة منها: الصراع الشخصي، والصراع السياسي، الصراع الديني، الصراع الجنسي، والصراع الثقافي، والصراع الطبقي [9] ص 67.

الصراع في نظر دهرندروف Ralf Dahrendorf (1929) يحدث ويجب أن يعترف به، ولكنه يتم ويقع في المحيط السياسي وليس الميدان الاقتصادي وذلك من خلال تصارع وتنافس الأفراد والجماعات داخل الروابط والهيئات والمؤسسات من أجل مراكز السلطة و النفوذ وانطلاقاً من مصالحها، وليس من أجل الثورة الاقتصادية [11] ص 166.

هو عملية أخرى يتمكن المجتمع بواسطتها من صنع التكيف و التوازن والاندماج من أجل أن يستمر ويبقى [11]ص 166.

1.5.2.1 التعريف الإجرائي للصراعات الاجتماعية

ويتضمن في إطار هذا البحث وطبيعة موضوع الدراسة جميع أنماط الجرائم والسلوكات الاجرامية التي أدت الى نشوء الصراعات الاجتماعية والتي تضمنتها الأمثال الشعبية ، وذلك من شبكة التفاعلات الاجتماعية والعلاقات القائمة والحاصلة بين الأفراد والجماعات على إختلاف نوعهم وسنهم وإنتمائاتهم الاجتماعي والثقافية وخلال كذلك وجودهم في وضعيات معينة متولدة عن مختلف العوامل والظروف البيئية المتنوعة المحيطة بهم - الأفراد والجماعات - والتأثيرات النفسية الاجتماعية والثقافية المتبادلة في هذا الحيز الاجتماعي البشري الخاص بهم.

3.5.1 تعريف مفهوم النمطية

باعتباره مفهوما عمليا يستوفي، سلسلة من الوقائع، ذات الأهمية، قد تكون ملاحظة في الماضي: لكن بدون أن يكون منها قادر على الربط بينها بشكل دقيق ، حيث لا يفهم منها كل ما تتضمنه [12].

-مفهوم النمطية يحل ويلخص خاصية موجزة ومبسطة للآراء (وجهات النظر) التي لها مجرى في العموم، تفسر أولا هذه الظاهرة عن طريق وجود مبدأ اقتصادي بحكم أن الفرد سيظن بواسطة النمطية تجنب أن يكون لديه تفكير عميق على كل جانب من الواقع.

- Stéréotype ، اسم مذكر ، معنى مبتذل ، فكرة كاملة الصنع ، وبدون تأصيل. [13]

4.5.1 المعنى الاجتماعي للنمطية

تتبدى النمطية بأجلي معانيها في المجتمعات الإنسانية، وعلى الرغم من أن الإنسان بطبعه تتنازع قوتان متعارضتان قوة جذب نحو النمطية الاجتماعية، وقوة جذب مضادة نحو فردانيته، فإننا نستطيع أن نقول إن أهم الأكبر لأي مجتمع هو صب أبنائه في قالب واحد والعمل على ملا شاة ما بينهم من فروق فردية¹⁴ ص 23.

وعليه بعد القيام يتصفح المحاولات الدائبة التي يبذلها المجتمع الحديث لتثبيت أقدامه وإشاعة النمطية بين أبنائه فنجد أن تلك المحاولات تتمثل في مايلي:

أولاً: التربية (....)، ثانياً: العرف و التقاليد الاجتماعية (....)، ثالثاً: المؤسسات الدينية، رابعاً: التشريع (...). خامساً وإذا كان التشريع هو التجهيز لفرض القانون وتنفيذه بغير استثناء -فإننا نجد أنه - أي القانون متمثلاً في الشرطة والنيابة والقضاء - بمثابة محاولة لفرض قوة المجتمع على الأفراد [4]ص 24-26.

1.4.5.1. التعريف الإجرائي للنمطية الإجرامية

هي مجموعة أشكال لوقائع الجريمة والمتمثلة في الاعتداءات المرتكبة، ضد الأشخاص، والممتلكات والأموال، والحقوق لها صفة التكرار إلى حد ما حيث يعد وقوع لأنماط بجرائم معينة أكثر من غيرها من الجرائم، ملفت للانتباه يزداد خطرهما بانتشارها، وتوسعها، تستدعي إزاء إيجاد الوسائل والحلول الفعلية والكفيلة للتصدي لها ومعالجتها بما يتطلبه تقويم السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة من أجل إحداث التوافق والاندماج الاجتماعي.

6.1. الدراسات السابقة

توجد عدة دراسات في هذا الموضوع منها دراسات عربية وجزائرية من بين هذه الدراسات نجد:

1.6.1.1 الدراسات العربية

من بين الدراسات العربية نجد الدراسة التي قام بها سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر [15]. وتتناول موضوع معجم الأساطير اليونانية والرومانية، إذ عمد الباحثين على تثبيت تصنيف بيرغريمال (تصنيف الأساطير) وذلك بتقسيمها إلى خمسة أقسام.

أولها: الأسطورة العليا التي يسميها بالأسطورة بالمعنى الدقيق مثل أسطورة الطوفان وإعادة نشوء الإنسان على يد دوкалиون وبيرا وأسطورة الخلق الأول من الكاوس (الخواء) وهذا النوع يوله كاملاً ومفعماً بالدلالة الرمزية ويعبر عن نظام للعالم تصوره الإنسان نتيجة لموقف اتخذه منه يختلف عنموقعنا الآن (حسب الكاتب) ولكنه يبقى مثير الإعجاب وقوى الإيحاء.

ثانيهما: الجولة البطولية مثل سيرة هرقل التي تقوم على المغامرات عبر ترحاله شرقاً وغرباً ورحلة الأروغيين بقيادة جازونوثيسوس...، الجولة البطولية ذات دلالة أقل عمقا وشمولا من الأسطورة

العليا لأنها تقتصر على إبراز شعب من الشعوب كالشعب الذي ينتسب إليه هرقل... وقد احتاج هرقل إلى جهود واضحة لكي يتحول من متشرد ذو حظ سعيد إلى بطل مجسد للقيم الأخلاقية.

وثالثها: الخبر الأسطوري الذي يروي حوادث تشبه الحوادث التاريخية... ولكن المقصود في الأخبار ليس هو شخصية البطل سواء كان بشرا أو إلهاء، بل الحوادث هي المقصودة لذاتها.

ورابعها: الحكاية الشخصية التي تفسر من خلال القصة الأسطورية تضحية منالتضحيات الكبيرة أو تسمية لمكان أو أصلا لبناء أو تمثال أو بعض الظواهر الطبيعية القديمة.

وخامسها: الطرفة أو الأقصوصة التيثير الحماسة أو الضحك ولا تحتوي على أي مدلول أخلاقي أوكوني، وتدور حول أبطال غامضين وربما كانت من بقية أساطير ضاعت أصولها"

مما سبق نلاحظ أنه مهما كان التفاوت بين الأصناف الخمسة من حيث الدلالة فإن أكثرها قد اكتسب على مر التاريخ دلالات حية وغنية ومتطورة بحسب القيم التي يربد العديد من المتناولين لها التعبير عنها.

وهناك دراسة ثانية أيضا لخليل أحمد خليل[16]. والذي يتناول فيها موضع "مضمون الأسطورة في الفكر العربي" وتطرق من خلاله إلى ماهية الأسطورة فلسفة تعريف ومنهجا؟ كما طرح عدة تساؤلات من بينها: هل تشكل الأسطورة فلسفة عربية أولية؟ ماهو مضمون الأسطورة في الفكر العربي؟ وماهي العلاقة بين أسطورة الجنس وأسطورة التجارة في ألف ليلة وليلة؟ وأخيرا هل يسجل المجتمع العربي المعاصر انتقالا حاسما من الفكر الأسطوري إلى الفكر العلمي أو الثوري؟[17]ص 117.

واعتمد في دراسته على كتاب كليلة ودمنة واعتبره مرجعا أسطوريا الذي يشمل مصادرا أسطورية (هندية، فارسية، عربية، إسلامية) وذلك لتقديم معارف مختلفة عقلية أو عقلنة معينة للسياسة)، فيما يخص الوعي السياسي في كليلة ودمنة وذلك عن طريق التميز بين خطابين متداخلين ومتواصلين في (كليلة ودمنة).

أ-الخطاب الأسطوري: Discours Mythique

ب-الخطاب السياسي: Discours Politique

مع التحليل المقارن للمتغيرين المتصلين في هذه الأسطورة المرجعية وذلك من خلال التصاميم الذهنية SchémasMenteuses ورموز Symboles وإشارات Signes ودلالات

Signification ومدارك Concepts وكذلك الأساطير Mythes وحكايات
LégendesContes والأمثال Proverbes والخرافات Fables وهذان المتغيرين هما المتغير
الإنساني والمتغير الحيواني^[16] صص 118-119.

-المعيار المعتمد عليه في التحليل لا يخرج عن نطاق الجدل القائم بين السياسي والمتقف، الملك
والفيلسوف، من خلال التركيب المشترك للخطاب الأسطوري-السياسي:

«المتغير الإنساني (مأ) هو المتغير الثابت نسبياً.

-اعتبار المتغير الحيواني (م ح) متغيراً متقافياً في المستوى الخطاب الأسطوري.

-وبنتيجة المقاربة بين مجموع تكرار المرجع الأسطورية في المتغير الإنساني مع مايقابلها من
مجموع مماثل في المتغير الحيواني، تظهر الهوية الأسطورية للخطاب السياسي.

-أسطورية الجنس والتجارة في ألف ليلة وليلة: تدور معظم حكاياتها الأسطورية حول الجنس
كمحور أساسي يحركه ويتحكم بآليته، التاجر نموذج الطبقة المسيطرة في العصور الإسلامية والعربية
الوسطى^[16] صص 122-123. وطرح الكاتب في نهاية هذا الموضوع الأسئلة التالية:

أ-«كيف يتصارع في مجتمعنا العربي المعاصر الفكر الأسطوري والفكر العلمي الثوري عبر
أزمة الانتقال الراهن من الاستعمار إلى التحرر؟

ب-وماهي صلة السلوك الأسطوري بالسلوك السياسي الراهن؟

ج-هل يخدم الفكر الأسطوري الثورة المضادة، وهل تلعب بتحريره اجتماعياً وتوحيد
قومياً». ^[16] صص 192.

وكانت الإجابة على هذه الأسئلة في ختام دراسة المؤلف من خلال تحليل موجز لكيفيات
استمرار واستبدال الفكر الأسطوري، في القسم الأخير بعنوان: "المجتمع العربي المعاصر بين الفكر
الأسطوري والفكر الثوري.

-وقد أخذنا من هذا التحليل الختامي للدراسة: كنتائج المتوصل إليها وباختصار من طرف المؤلف
والذي ينصب ويعطي أهمية للجانب الاجتماعي، وهي فيما يلي:

أ-«المجتمع بتكوينه الطبقي يعطي الأسطورة المعلنة أو المغلقة بشيء من العلم الحديث دورا أساسيا، فهي بذلك ذات تأثير جماهيري حاسم، وهذا التأثير لايعود إلى أوضاع التخلف الاجتماعي والثقافي والعلمي فحسب بل يعود أيضا إلى أن الممارسات الشعبية النضالية، كبديل للفكر الأسطوري.

ب-«إن الصلة بين الفكر الأسطوري، المرتكز على عقيدة الخلق بالكلام والنظر والإشارة وبين أنظمة الحكم الاستبدالية هي صلة عضوية، جدلية ومتبادلة، فالأسطورة من جهتها هي موضوع اعتقاد، وهي بذلك لبنة في ميثولوجية الحكم الإعتقادي:

والحكم من جهته، يقوم على خلق الاعتقاد بالحكام، وجدلية الصراع بين الحكام والمحكومين بين السلطات والشعب، بين الطبقة الحاكمة الظالمة وبين الطبقات المحكومة المظلومة.[16]

-الفرضيات الجزئية

1.الإقبال على ممارسة العنف ضد النساء في الشارع من طرف بعض الذكور هو انعكاسلنوعية التربية التي حصلوا عليها بالإضافةإلى الصورة التي أعطيت لهم عن المرأة من طرف المؤسسات التنشئية المختلفة التي مر بها.

2.في ظروف اجتماعية واقتصادية قاهرة (كالبطالة، العزوبية، الحرمان العاطفي الكبت بجميع أنواعه...)يلجأ بعض الذكور إلى ممارسة العنف ضد النساء في الشارع انتقامامنهن.

3.ممارسة العنف ضد النساء ما في الشارع من طرف بعض الذكور ماهي إلا دفاعا عن المحيط الخارجي وذلك اعتقادا منهم بأنه خاص بهم وأن وجود المرأةفيه هو تحدي وتطفل على خصائصهم وطبائعهم.

4.الانتشار المفرط لصور العنف عبر وسائل التثقيف الترفيه التي يستهلكها ويمارسها بعض الذكور(كالصحف، الكتب...)تتمي حتما لا يهم في المستقبل الميل إلى ممارسة العنف ضد النساء في الشارع [17] ص 16.

-العينة المستخدمة للدراسة

تم اختيار العينة على أساس تصنيف للفئات المكونة لها، وبذلك فقد تم حصرها في ست مجموعات فئوية وهي مرتبة وفق الترتيب التالي:

1.العينة الأولى

وهي خاصة بتلاميذ وتلميذات الأقسام النهائية من التعليم الثانوي ويبلغ عددها 10مبحوثا ومبحوثة(أي 50تلميذ وتلميذة) وقد اختيروا من جميع الشعب (العلمية، الأدبية والتقنية).

2. العينة الثانية

وهي خاصة بطلبة وطالبات الجامعة لمدينة البليلة...ونظرا لوجود صعوبات البيروقراطية...وعدم تمكن الباحث من الحصول على قائمة الطلبة والطالبات، فقد قام باختيار أفراد هذه العينة بالطريقة العرضية.

3. العينة الثالثة

وهي تخص العمال الذكور فقط.

اعتمد الباحث في اختيار أفراد هذه العينة كذلك على العينة العرضية، وتحتوى هذه العينة على 45عاملا، كلهم يسكنون في مدينة البليلة.

4. العينة الرابعة

تتكون هذه العينة من العاطلين عن العمل وليس لهم دخل لتلبية حاجاتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد تم اختيار هذه العينة بطريقة الصدفة كذلك، وقد بلغت هذه العينة 50عاطلا عن العمل.

5. العينة الخامسة

تتكون من الأساتذة والأستاذات في أطوار التعليم الثلاثة أي(الابتدائي، المتوسط، الثانوي).

6. العينة السادسة

وتتكون من 19إماما كلهم يمارسون نشاطهم في مدينة البليلة.[17]صص 189-192.

النتائج المتوصل إليها

أ.وجود الظاهرة في المجتمع الجزائري رغم إدعاءات البعض بأن وجودها هو كذب وبهتان.

ب.وجود ظاهرة العنف ليست بالأمر المصطنع؛ بل هي فعلا موجودة حيث تؤكد النتائج الخاصة بالبحث أنه من بين 146 مبحوثة هناك 31مبحوثة تعرضت فعلا لممارسة العنف في الشارع بنسبة 20، %25.

ج. فيما يخص نوعية العنف الأكثر انتشارا وجد المضايقة، الشتم في المرتبة الأولى 8,75، العنف الجسدي في المرتبة الرابعة 2%.

عنوان الدراسة الثانية صورة المرأة من خلال الأمثال الشعبية [18]

صاحب الدراسة فتيحة بن فرحات.

إشكالية الدراسة

انطلقت الباحثة في طرح إشكالية الدراسة، بدءا بالتعريف بميزات وخصائص الثقافة الشعبية الجزائرية، تراثها وتنوعها، ثم التعريف بالتراث الشعبي ومكانته ودوره الوظيفي الاجتماعي الهام وتأثيره على الحياة الاجتماعية، على اختلاف أشكاله المكونة له، كالحكاية، القصص والمثل الشعبي، الذي يعد انطلاقه موضوع دراسة الباحثة فيه، حيث قامت بالتعرض بتعريف أهم خصائص ومزايا هذا الشكل الثقافي والتعريف بمكانته البارزة في الإرث الاجتماعي للمجتمع، وعلاقته الوثيقة بالسلوك الفردي والاجتماعي ومنه إعطاء نماذج عديدة ومتنوعة عن الشخصيات الفردية والجماعية من نواحي متعددة ومن هؤلاء الأفراد الذين تتعلق الدراسة حولهم هي (المرأة) لمعرفة والكشف عن الصورة التي حددت ورسمت معالم مكانتها وشخصيتها في المخيلة الذهنية والثقافية الشعبية من خلال الأمثال وبقيت راسخة في الذاكرة الجماعية، وعلى هذا الأساس تحاول الباحثة الوصول إلى معرفة هذا التصور للمرأة كعضو قائم في المجتمع، مما قدمته الأمثال الشعبية عنها، وكيف تبدو هذه الصور فيها (الأمثال)، بما تتضمنه من التصورات الاجتماعية في علاقتها بالطرف الآخر (الرجل) أو المرأة ومعرفة هذه العلاقة بخفاياها وظاهرها وباختلاف أدوارها بما تحمله من دلالات وأبعاد، وتقييمها حسب التصور الثقافي بجانبه الإيجابي والسلبي، منها دورها في إطار الأسرة والمجتمع عامة، وذلك من خلال مجموعة من الأسئلة كانت أهمها:

-هل تعتبر الصورة المعطاة المرأة-كفتاة قبل الزواج-امتدادا لما تمليه العادات والتقاليد الاجتماعية؟ وإذا كانت هذه الأمثال في تصور المرأة تعمل على خدمة العرف الاجتماعي والمعتقدات السائدة؟ وكانت [18] ص 4-7. الإجابات المقترحة إلى جانب التساؤلات الأخرى للإشكالية، في شكل صياغة للفرضيات الخاصة بموضوع الدراسة وجاءت كالآتي:

-الفرضيات

1- الصورة المعطاة للفتاة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية هي امتداد لما تميله العادات والتقاليد الاجتماعية.

2- تقيم المرأة بعد زواجها من خلال الأمثال الشعبية يختلف باختلاف المكانة والدور اللذان تتمتع بهما داخل النسق الاجتماعي.

3- تعمل الأمثال الشعبية على تدعيم واستمرارية مختلف الاختزالات السلبية المنسوبة للمرأة في إطار التصور الثقافي العام.

4. تعمل الأمثال الشعبية من خلال تصورهما للمرأة على خدمة الأعراف والمعتقدات الاجتماعية السائدة. [18] ص 7.

وقد عمدت الباحثة إلى استخدام أكثر من منهج يتماشى مع موضوع البحث منها:

أ. منهج المسح الشامل: وذلك بغرض الحصر الشامل لكل الأمثال الشعبية الذي يتم من خلاله تحديد موضوع المرأة مع الأخذ بتحليل كل الظروف والعوامل التي تعيشها المرأة في إطار الواقع الاجتماعي.

ب. المنهج التاريخي: وذلك بدراسة صورة المرأة من خلال الأمثال، كأخذ أشكال الأدب الشعبي والتعرف على واقع المجتمع الجزائري في الماضي من خلال أمثاله التي تنظر أحيانا إلى المرأة نظرة دونية والتعرف على مختلف الاعتقادات والأعراف.

4. منهج تحليل المحتوى

فبعد اختيار موضوع وصياغة الفرضيات التي تشمل أهم المحاور التي طرحتها الأمثال عن المرأة ثم تحديد منهج البحث مع تصنيفها ومعالجتها إحصائيا وتحليلها كيفيا من خلال التفسير والبحث عن حقيقة الأمثال الخاصة بالمرأة في المجتمع الجزائري.

أ- العينة المستخدمة العينة المستخدمة في الدراسة هي العينة العمدية أو العينة غير الاحتمالية... تتطرق لموضوع المرأة وصورتها من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية حيث ضمت في ذلك (790 مثل) [18] ص 18-28.

وبعد تحليل (790 مثل) من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تناولت موضوع المرأة تم التوصل إلى النتائج التالية:

أنّ الصورة المعطاة للفتاة هي امتداد لما تملّيه العادات والتقاليد الاجتماعية وذلك من خلال مظاهر متمثلة في استقبالها بالرفض عند الميلاد، التفاضل بينها وبين الذكر، تربيتها وفق يرتضيها المجتمع وكذلك إعدادها قبل الزواج للحياة المستقبلية كزوجة وأم.

أما بعد الزواج فقد عملت الأمثال على ترجمة مختلف الأدوار والمكانات التي تتمتع بهما المرأة داخل النسق الاجتماعي كدور الزوجة، الأم، الحماة...

والمكانات التي تحتلها المرأة تمثل مجموعة الأدوار، المرأة المتزوجة، العانس، المطلقة كما تم التوصل إلى أن المرأة كيان خاضع للتقييم والرقابة الاجتماعية.

فقد عملت الأمثال الشعبية على تدعيم مختلف الاختزالات السلبية المنسوبة للمرأة منها (المرأة رمز الكيد، المكر، ناقصة عقل...).

كما أضافت الأمثال تصورات تخدم أعراف ومعتقدات المجتمع الذي يتطير بصفات ونعوت وشكل المرأة ويلصق بها أسباب النجاح والفشل وميل إلى المقاييس الجمالية في المرأة دون غيرها وينفر مما يشوب المرأة من عيوب ونقائص.

وإن بدت بعض الأمثال قاسية في تقييمها للمرأة، فإنها في أحيان أخرى أعطت أهمية لها في المجتمع، خاصة في الجانب المتعلق بقيام واستمرار الحياة الزوجية والعلاقة المتينة التي تربطها بالأبناء والمعاناة بعد فقدانها وكذلك العلاقة بالأهل.

كما تبين أن حضور المرأة في الأمثال قد شمل جميع أو مختلف أطوار حياتها من الميلاد إلى الأفل.

الدراسة الثالثة

عنوان الدراسة القصة الشعبية بمنطقة واد سوف. [1]

صاحبة الدراسة ثريا التيجاني.

إشكالية الدراسة: بعد تعرض الباحثة إلى جوانب متعددة تتعلق بالقصة في علاقتها بحياة الأفراد والمجتمع، أدى ذلك إلى وضوح أهمية القصة الشعبية في المجتمع، وقد حصرت الباحثة هذه الإشكالية في دراسة واقع القصة الشعبية في منطقة وادي سوف، دراسة للتمكن من معرفة القضايا التي تناولها هذه

القصة ومعرفة تأثيرها في المجتمع المتداولة فيه، ومعرفة وظائفها وأهدافها وأبعادها ، ومدى نحوها في أعماق المجتمع وارتباطها به، بالإضافة إلى دراسة بنيتها[1]ص ص 4-5.

الفرضيات

تعكس القصة الشعبية في منطقة واد سوف صورة حقيقية لمجتمع المنطقة، وتطلعنا على بعض معتقدات وتقاليد وعادات أهل المنطقة، كما تبين لنا البنية الاجتماعية لهذا المجتمع الريفي الذي نحن بصدد دراسته.

تؤدي القصة الشعبية في المنطقة واد سوف وظائف عديدة اجتماعية وترفيهية واقتصادية ونفسية وتربوية.

تبرز القصة الشعبية في منطقة البحث المرأة في صورة يطغى عليها طابع السلبية.

تعتبر لهجة واد سوف من أقرب اللهجات العربية الجزائرية إلى الفصحى، ويعزى هذا إلى الأصل الهلالي لأهل المنطقة، ولانتشار التعليم الديني بها، وللعزلة التي تعرضت لها في عهدي الحماية...والاحتلال الفرنسي.

تتضمن القصة الشعبية في واد سوف، فنيات خاصة بها مثلها مثل القصة الفنية،

المنهج المستخدم في الدراسة: بما أن موضوع الدراسة، حسب الباحثة وصفي تحليلي، والذي يعني حسب الباحثة دائما وصف القصة الشعبية في منطقة البحث، ومحاولة تحليل مضمون بعض القصص التي تم جمعها من الميدان.

العينة المستخدمة: لم تشير الباحثة إلى عدد القصص المكونة لمدونة البحث، غير أنها ذكرت بأنها تعكس واقع حياة المنطقة، والصراع الاجتماعي الذي تعيشه الفئات الاجتماعية الضعيفة من أجل تحسين مستواها المادي والمعنوي.[1]ص ص 7 .

النتائج المستخلصة:

أوضحت الباحثة نتائج دراستها من خلال التحقق من الفرضيات، وقد توصلت إلى مايلي:

1.الإطلاع على بعض المعتقدات والعادات الاجتماعية الراسخة في هذا المجتمع (واد سوف) كالاتقاد في كرامات الأولياء، ووجود الجن والسكر، وعادة الثأر...، والفكر الخرافي المتشبه لدى

أفراد هذا المجتمع، عودة الأرواح بعد الموت، تمسك الأفراد بالقيم الإسلامية، واعتقادهم في وجود الممنوع، بمعنى أن هناك حد لا يمكن أن يتجاوزه الإنسان.

كما توصلت إلى التعرف على بنية المجتمع من خلال القصة الشعبية التي تتداول فيه.

2. أما فيما يخص الوظائف، وجدت الباحثة أنها (القصة الشعبية) مازالت تحتفظ ببعض الوظائف كالوظيفة التربوية والترفيهية، والثقافية، ومازالت تعمل على تربية الأجيال والترفيه عن الأفراد وتسليتهم رغم وجود وسائل الإعلام، وقد فقدت وظائف أخرى كالوظيفة التاريخية، ص 217-218.

الاعتراف بدور المرأة الايجابي، رغم السلبية التي ينسبها المجتمع إلى المرأة، إعطاء بعض القصص المدونة مكانة، يجعلها قوية تحسن التفكير وتصريف أمور الحياة مثل الرجل تماما.

محاولة الخروج وكسر القيود التي فرضها عليها المجتمع، بصراعها من أجل الوصول إلى السلطة، وكذلك التخلص من الوضع السيئ الذي تعاني منه.

وعن تساؤل الفرضية الرابعة الخاص بالأسباب التي جعلت أهل منطقة سوف من أقرب اللهجات العربية الجزائرية إلى الفصحى، وجدت الباحثة، بعد عملية البحث والتحري في الوثائق المختلفة القديمة منها والحديثة، أسبابا متعددة، منها تثبت أهل المنطقة بالإسلام وإيمانهم بالقرآن والسنة.

عزلة المنطقة جغرافيا بسبب الطابع الصحراوي مما جعلها لا تخضع مباشرة إلى الحماية التركية والاستعمار الفرنسي، وكذلك الكتابات القرآنية، دروس نحو الأمية التي استفادت منها المنطقة بعد الاستقلال، إضافة إلى ذلك الأصل الهلالي لأهل المنطقة الذي جعلهم يتكلمون لغة عربية فصحى تعتمد التخفيف والاقتصاد اللغوي [1] ص ص 218-219.

الدراسة الرابعة

عنوان الدراسة: الأغنية الشعبية القبائلية سليمان عزّام، نموذجا لتحليل محتوى 25 أغنية.

صاحبة الدراسة: زاهية شاشوة [19]

إشكالية الدراسة

بعد تطرق الباحثة إلى الفن والغناء عموما الذي له علاقة بالواقع الاجتماعي، قد أشارت إلى تميز الغناء الجزائري بمختلف بناءاته، أوزانه، منها الأغنية القبائلية وتنوعها، وركزت الباحثة على الدور

الاجتماعي الذي تؤدبه الأغنية والممثل في الاتصال بين الأفراد، والتعبير عن التغيرات والظروف الاجتماعية، وتصويرها للعلاقات الاجتماعية.

ومن خلال هذه المزايا الموجودة المتضمنة للأدوار والعلاقات الاجتماعية في الأغنية الشعبية بالخصوص، أرادت الباحثة معرفة إن كان لمحتوى الأغنية الشعبية القبائلية دور في التعبير عن رفض الواقع الاجتماعي والتنديد بالوضع السياسي: القائم، وإن كانت تساهم (الأغنية) في توعية الأوساط الشعبية وبث القيم لديها، كانت هناك صعوبات تضطر الفنان إلى استعمال الرمز كوسيلة للتعبير عن أفكاره؟ [19] ص 5-6 وقد اقترحت للتوصل إلى هذه المعرفة ثلاث فرضيات كالآتي:

الفرضيات

محتوى الأغنية الشعبية القبائلية للمغني سليمان عزام جاء كوسيلة للتعبير عن رفض الوضع السوسيوسياسي.

الأغنية الشعبية القبائلية للمغني عزام ساهمت في توعية الأوساط الشعبية وبث قيم جديدة لدى بعض الفئات.

القهر المفروض على الغناء والضغطات الممارسة ضده جعله يلجأ إلى استعمال الرمزية كوسيلة للتعبير عن أفكاره وانشغالاته [19] ص 6.

المناهج المستخدمة:

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على استخدام ثلاثة مناهج وهي:

المنهج التاريخي وكان الهدف من تطبيقه في الدراسة، التعرف على تاريخ هذه الأغنية وعلى مدى تأثيرها على المجتمع في المراحل الماضية والأدوار التي لعبتها والقيم التي كانت تحملها آنذاك.

المنهج الوصفي: كان استخدامه- حسب الباحثة - بهدف التوصل إلى معرفة تفصيلية عن عناصر الظاهرة للكشف عن المعاني الخفية والظاهرة لهذا الموضوع.

-منهج تحليل المحتوى بجانبه الكمي والكيفي-

العينة المستخدمة:

عمدت الباحثة إلى اختيار المحاور الأساسية التي جاءت في الأغنية والتي تهدف إلى تحقيق الدراسة، وبالتالي فعينة الدراسة هي: العينة الحصصية المنتظمة وتضم 25 أغنية من مجموع 122 أغنية [19] ص 9-12.

النتائج التوصل إليها:

تم استعمال محتوى الأغنية كأسلوب تنديد بالمستعمر ورفض سياسته ونظامه وعليه فإنّ محتوى الأغنية الشعبية القبائلية جاء كوسيلة للتعبير عن رفض الوضع السوسياسي، فهذه الأغنية رفضت هذا الاستعمار من جذوره...

محتوى الأغنية الشعبية القبائلية ساهم في إيقاظ الوعي لدى بعض الفئات، كما حاولت بث قيم وتربوية، أخلاقية، ثقافية...

استعمال الرمزية في الأغنية الشعبية القبائلية كأسلوب للتعبير عن انشغالات وأفكار الفنان عبرت الرموز الحب، الألم، الجمال، كما استعملت الرمز في المجال الثوري... كما تم التوصل إلى بعض النتائج الأخرى- حسب الباحثة- وهي كالتالي:

إنّ نوعية التنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية لها دخل في تبني الفنان سليمان عزام هذا النوع من الأغنية كأسلوب للتعبير.

إنّ الأغنية الشعبية القبائلية جزء من الثقافة الفرعية وهي... الجماعة حيث تشمل كل من القيم والمعايير التي يبلورها الأفراد في وسط شعبي عام أين تلعب المظاهر الخارجية والإشارات الرمزية دورا هاما في اتخاذ هو ب خاصة بهم [19] ص 224.

1.6.2.2. الدراسات المستقلة

عنوان الدراسة الأولى نفسية الشعب الجزائري «دراسة علمية» في الأنثروبولوجيا النفسية [3]

صاحب الدراسة أحمد بن نعمان

يملخص موضوع الدراسة

تناول الباحث في الثقافة والشخصية والسمات الأساسية الشخصية (الوطنية) للمجتمع، وإثبات شواهد الثقافة عن طريق معالجة الأمثال الشعبية، وهذا من خلال إتباع المنهج التحليلي لمضمون الأمثال

الشعبية، وحسب الباحث إنّ هذه الأمثال عنصراً بارزاً في مظاهر الثقافة في المجتمع وأهم سجل، وهو نابع من واقع البيئة التي يعيش فيها المجتمع، والذي ينقل الثقافة بكل مظاهرها المعنوية (كاللغة والدين والسلوك الخلقى...) والمادية (كالتكنولوجيا، المعارف العلمية والمهارات اليدوية...) من جيل إلى جيل وكذلك علاقتها العضوية بلغة المجتمع المدروس.

تمكن الباحث من حصر أهم السمات في أربعة وأربعين سمة، تعتبر في معظمها قيم إيجابية تهدف إلى التكيف والتوافق في الحياة الاجتماعية ومن السمات التي تعد سلبية، قد تؤدي إلى انحرافات سلوكية نجد مثلاً: العصبية (النفرة) وسرعة الانفعال، الاندفاع، التعصب للرأي والموقف الغرور [3] ص 14-15.

الفرضيات

حسب الباحث، يقوم التحليل على افتراضيين اثنين:

-وجود شخصية رئيسية في المجتمع قيد البحث:

-إنّ التكامل الثقافي يميل إلى تأكيد نوع من البناء، والتماسك في الأدب الشعبي، وبالتالي يمكن للباحث استنتاج بعض السمات وخصائص الشخصية قيد البحث عن طريق تحليل المضمون للأدب الشعبي.

المناهج المستخدمة منه: حسب الباحث التزم بمنهجين متكاملين في هذه الدراسة وهما:

-منهج تحليل المضمون الأمثال الشعبية ذات الطابع الشمولي، المعبر من القيم السائدة في مجتمع البحث والعاكسة للسمات، الأساسية للشخصية القومية.

-منهج الملاحظة المباشرة لسلوكيات الأفراد داخل المجتمع باعتبارها من أفضل المناهج المستعملة في الدراسات، الأنثروبولوجية لمعرفة مدى مطابقة الموضوعات التي تتضمنها الأمثال الشعبية مع الحياة العملية وأنماط سلوك العام للأفراد الذين يمثلون تلك السمات الأساسية المراد اكتشافها وتحديدها في المجتمع الجزائري...

العينة المستخدمة في الدراسة

تتمثل في الأمثال وذلكبانتهاجأربعطرائق، إلى جانب المأثورات الشعبية المستعملة في إنجاز هذه الدراسة وقد ضمت هذه العينة في مجموعها حوالي1400مثل وحكمة وقول مأثور، كلها باللهجة العامية العربية، ومنها عدد كبير مكرر في المعنى، وعدد قليل مكرر في اللفظ والمعنى.

النتائج المتوصل إليها

أولاً: النتائج العامة

إن الشخصية الإنسانية تمثل محور العلوم، ومصعب التقائها في نهاية المطاف، ومن ثمة فإن الخوض في دراستها علمية شاملة تتطلب من الباحثين الاستعانة بشتى أنواع العلوم الطبيعية منها الإنسانية على وجه الخصوص للاسترشاد بنتائجها كمؤشرات لإلقاء الضوء على الزوايا المختلفة من هذه الشخصية التي تشكل بعناصرها ومكوناتها الفيزيائية والنفسية المتداخلة صورة مصغرة للعالم الخارجي بجميع المظاهر.

- إن الميدان الثقافي والشخصية مايزال في طور النشوء والتبرير، ولئن عرفت بدايته كتخصص علمي ظهر إلى الوجود منذ أقل من نصف القرن، فإنأراء العلماء لم تعرف بعد الاستقرار على كلمة نهائية حوله سواء من ناحية الموضوع، أو من ناحية مناهج البحث المستخدمة في دراسته، مما يجعل النتائج العلمية المتوصل إليها في هذا المجالعلى-قائتها-أبعد ماتكون عن الاتصاف بطابع الوثوق والإطلاق، نظرا لحدائثة عهد هذها لأبحاث من جهة واتساع رقعة موضوع الثقافة والشخصية من جهة أخرى....

-إن تعقد موضوع الثقافة والشخصيات يفرض على الباحثين استخدام أكثر من طريقة في البحث وإجراء المقارنة بين نتائج الطرائق المستعملة بعضها ببعض للتأكيد من صحة النتائج المتوصل إليها حول الموضوع الواحد.

-إن التكامل المنهجي المطلوب لا يحتم بالضرورة أن يتم في وقت واحد، ومن طرف باحث واحد، وإنما يجري على مراحل متعاقبة في الزمن، ومن طرف الباحثين فرادى أو مجتمعين في المكان.

-إن منهج التحليل مضمون للأدب الشعبي بكل عناصره يمثل أفضل الوسائل العلمية في دراسة الثقافة والشخصية والذي لا محيد للباحث من اعتماده كأساس أو كعامل مكمل للضبط والتأكد من صحة النتائج المتوصل إليها بواسطة مناهج أخرى.

-إذا إتقان الباحث لأدوات التعبير المتداولة على النطاق الشعبي في مجتمع البحث أمر لا غنى عنه في دراسة الثقافة والشخصية لإدراك الدلالات العميقة للشحنات الانفعالية التي تحملها الألفاظ والعبارات اللغوية ذات المعاني المتغيرة بحسب المواقف والظروف الزمانية والمكانية.

-إنّ محاولة دراسة الشخصية القومية لأي مجتمع، وتحديد سماتها من بعد أو من الخارج، دون المعايضة الطويلة لواقع هذا المجتمع والغوص في أعماقه، وامتلاك خاصية أدوات التعبير المستعملة لدى أفراد... هو ضرب من التخصصين الذي لا يستند إلى أساس علمي.....

-وتترتب عما سبق مشروعية الشك والتشكيك في نتائج الأبحاث الأنتروبولوجية عامة (دراسة الثقافة والشخصية على وجه الخصوص) التي قام بها الباحثون أجانب على مجتمعاتنا الإسلامية التي ظلت تمثل حقول التجارب المفضلة لديهم لأسباب عديدة (...). دون أن يتوفروا على وسائل الاستخدام الفعالة لمناهج البحث التي تتطلبها دراسة الثقافة والشخصية.

-أن الوضع المحدد آنفا يحتم على الباحثين العرب أن يكتفوا دراستهم العلمية الأكاديمية حول موضوع الثقافة والشخصية منفردة والمجتمعة، وهو عمل مزدوج الفائدة حيث يمكن للعرب من إدراك ذاتيتهم الجماعية على حقيقتها بجوانبها الإيجابية والسلبية...

لتلاقي جوانب القصور المنهجي في دراسة الثقافية والشخصية والتقليل من الأخطاء المحتمل وقوعها في أبحاث الشخصية القومية (National Character) التي يقوم بها فرد واحد، مهما تكن كفاءته العلمية يتعين الاتجاه إلى الأبحاث الجماعية التي يقوم بها مجموعة من الباحثين المتخصصين في الموضوع الواحد.

ثانياً: النتائج الخاصة بمجتمع البحث قد بلغ عددها 14 نتيجة، أخذنا منها مايلي:

إنّ السمات الأربعة والأربعين المحددة في الدراسة لا تمثل تلك السمات العامة التي تنطبق على أكثر نسبة من أفراد المجتمع الجزائري في الوقت الحاضر وهي قابلة للاختفاء والزوال بتغير الأسباب والعوامل التي أوجدتها.

-توجد سمات أخرى للشخصية الجزائرية ذات صيغة ثانوية وقد استبعدت من الدراسة لعدم اتصافها بطابع الشمول الذي يجعلها تعبر عن الشخصية الجزائرية ككل...

-لوحظ وجود سمات في طور التكوين في مجتمع البحث بفعل التغيير الاجتماعي والثقافي الذي صاحب مرحلة الاستقلال في الثلاثين سنة الماضية، وهي سمات فضلا عن عدم انعكاسها في الأمثال الشعبية لحدثة عهدها، فهي لم تصل بعد إلى درجة الاتصاف بالشمولية المطلوبة لتصبح سمات أساسية للشخصية «القومية» في مجتمع البحث...

-إنّ السمات المحددة في الدراسة ليست متساوية في نسبة انطباعها على الشخصيات الفردية لدى كافة الفئات الاجتماعية بحسب السن والجنس والمنطقة الجغرافية، فهي تنطبق على المجتمع التقليدي في الغالب منها أكثر مما تنطبق على المجتمع الحضري الذي يشهد تحولا في القيم المتوارثة وصراعا ظاهرا بين نزعة بالتجديد ونزعة التقليد...

-إنّ الأمثال المستخدمة في الدراسة لا تمثل كل الأمثال الموجودة أو المتداولة في مجتمع البحث - كما ونوعا- ولا يمكن الإدعاء بأنّ البحث أحاط بها حصرا على الرغم ما بذل من جهد في جمعها... والسبب في ذلك هو أن الأمثال الشعبية الجزائرية باللغتين العربية والبربرية.

-إن بعض الأمثال المستخدمة في الدراسة تتفاوت في دراسة السمات الأساسية للشخصية الجزائرية متكررة في المعنى مع اختلافها في اللفظ من منطقة إلى أخرى داخل الوطن (بحسب اللهجات المحلية).

-يلاحظ أن الأمثال المستخدمة في الدراسة تتفاوت في الدرجة من حيث مطابقتها للسلوك العام، ويظل هذا التفاوت ذا طابع نسبي (كما سبق)، بعد استبعاد الباحث للأمثال التي تحمل مضامين قيمة لم يعد لوجودها أثر ملموس وواضح في الحياة اليومية للأفراد، كالأمثال التي تحث على التضحية في سبيل الصالح العام...

لقد أثبتت الدراسة وجود تشابه والتقاء كبيرين بين الأمثال الشعبية المتداولة في الأقطار العربية، مما يؤكد وحدة المعين التراثي (الثقافي والحضاري)...

على أن تشابه والتقاء العديد من الأمثال الشعبية الجزائرية مع أمثال شعبية أخرى متداولة في مختلف الأقطار العربية لا يعني بأي حال من الأحوال، تطابق الشخصية الجزائرية بكل سماتها، تطابقا كليا مع الشخصيات «القومية» للمجتمعات، وإنما بحكم عوامل متداخلة: اقتصادية وسياسية وجغرافية.

وبناء على النتيجة السابقة يمكن حصر السمات الأساسية (النوعية) التي تتميز بها الشخصية الجزائرية بشكل ملحوظ عن الشخصية العربية بوجه عام في الآتي:

الصراحة، الانطواء على الذات، العمل في صمت-الاندفاع- النرفزة والانفعال-الحساسية وعدم تقبل النقد، التعصب، التشبث بالرأي وبالمبدأ...

1.6.3. مقارنة الدراسة مع الدراسات السابقة

تطرقت مجمل الدراسات على اختلاف أنواعها الأدبية منها، والثقافية الاجتماعية والأنثروبولوجية إلى جوانب من العلاقات والعمليات الاجتماعية، كالصراع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية، وذلك من خلال أشكال للثقافة الشعبية منها: الأمثال، القصة، الأغنية، الأسطورة، ماعدا دراسة الأستاذ جمال معتوق، على أنها دراسة ارتبطت بالواقع، وجانب منها ارتبط بالصورة المعطاة عن المرأة من خلال الحكم الأمثال.

كما تناولت بعض الدراسات عن طريق منهج تحليل المضمون، القيم والتصورات الثقافية والأخلاقية المتعلقة بأفراد معينين من طرف المجتمع مثل نماذج الأشخاص من المجرمين، وكذلك الصور المعطاة عن المرأة.

كما أن هذه الدراسات حظيت بالبحث في إطار أشخاص، وفئات معينة من المجتمع الجزائري، ماعدا دراسة أحمد بن نعمان التي خطت المجتمع الجزائري بشكل عام، ومن خلال هذا يمكن القول أن: هذه الدراسة الخاصة بالجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية تكمن أهميتها في مايلي.

إبراز الجانب الثري للقيم الايجابية والسامية والمعايير السليمة التي يؤدي تأثيرها على سلوك الفرد والجماعة وتوجيهه، ونمو الحس الثقافي المجتمعي لدى الفرد وللجماعة.

تتعرض وتشمل كل السلوكات الإجرامية الصادرة عن الأفراد والمجتمعات على اختلاف نوعهم ولسنهم، وانتماءاتهم.

إمكانية التعرف على التغير الثقافي والاجتماعي الحاصل في السيرورة الاجتماعية التاريخية للمجتمع الجزائري، والذي يعكس الصورة، الثقافية والأخلاقية العامة التي عبرت منها الذهنية الشعبية للمجتمع التقليدي بالخصوص. [1]ص

1.7. المقاربة المنهجية السوسيولوجية

1.7.1 المقاربة البنوية

كل ظاهرة مجتمعية تحتاج إلى نسق فكري يساعد الباحث على تحديد الأشياء المتميزة في الظاهرة [20] كانت المقاربة الأولى التي اعتمدها والتي تتناسب وطبيعة موضوع الدراسة هي مقاربة منهجية نظرية بنوية ..

تشير هذه الكلمة (البنوية) إلى حركة من الأفكار الغامضة و المعقدة التي تطورت في نطاق العلوم الاجتماعية خلال سنوات الستينات بصورة خاصة..

في الأصل تظهر البنوية بمثابة محاولة منهجية لكي تشمل علوم اجتماعية أخرى .

يعرف لالاند A. Lalande البنية (بمعنى خاص وجديد تستعمل البنية من أجل تعيين كل مكون من ظواهر متضامنة ، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل [21]ص102.

البنوية تشكل مجموعة فريدة من الملاحظات النظرية حول الثقافي والاجتماعي. [22]ص16.

تتخذ البنوية طابع النظام، فهي تتألف من عناصر يؤدي كل تغيير يطرأ على أحدها إلى تغيير لكل ما تبقى منها [23]ص81.

ويرى ليفي شتروس Lévis Strauss أن البنية تحمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر إذا ما تعرض الواحد منها للتغيير أو التحول تحولت باقي العناصر الأخرى ، ذلك أنه رغم التنافر الظاهري الذي نلاحظه بين البنى والظواهر في المجال الإنساني فإن هناك قواسم مشتركة وروابط تربط بينها ، ويبدو هذا واضحا في مجال الأنثروبولوجيا فبين العادات والتقاليد والطقوس المختلفة والأساطير شيء خفي يكون بنيتها المشتركة وبهذا المعنى تكون البنوية عبارة عن منظومة علاقات وقواعد تركيب متبادلة تربط بين مختلف حدود المجموعة من خلال المعنى العام للعناصر ذاتها.

انطلاقا وحصريا من هذه التعريفات، وماتم التوصل إليه بالاطلاع والبحث الخاص البنوية، في أبحاث ودراسات في مجال علوم معينة، منها علم الاجتماع، مع وجود جانب منه له علاقة، بالأنثروبولوجيا، على أن هذه النظرية تتناسب مع موضوع دراسة بحثنا، ويظهر ذلك في تصور للأوضاع والظروف التي يتعرض لها المجتمع، وتؤثر على الحياة الاجتماعية للأفراد، سواء بشكل ضمني أو ظاهر، والى حد ما، واعتبار لمعايير وقيم المجتمع والحفاظ عليها.

فمفسرة حياة الأفراد والتي تمثلها مختلف الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تجمعهم وتنظم على أساسها حياتهم، في أي تنظيم اجتماعية، من مؤسسات، ومنظمات وهيئات، على اختلاف فئاتهم وشرائحهم، وانتماءاتهم، ومكانتهم الاجتماعية التي تحدد لهم الأدوار والوظائف المناسبة لهم، لإنجاز وأداء الأعمال والنشاطات الاجتماعية، وبالنظر إلى أنظمة المجتمع وما تتمثله من أنواع عديدة للسلطة.

إن التوصل إلى تحقيق هذه الأهداف للمجتمع، بشكل متكامل، يتطلب من الأفراد، والجماعات فاعلية للتكيف والتوافق بصورة فعالة لان خلال عمليات الاتصال والتفاعل الاجتماعي، وطبيعة العلاقات المحددة لتعاملهم فيما بينهم، ويمكن ملاحظة هذا الفعل الاجتماعي بالنظر إلى السلوكيات والمواقف الصادرة عنهم، لكن تعرض المجتمع لأوضاع وظروف معينة، تكون حسب طبيعتها، عامل في ظهور الظواهر السلبية، ومشكلات اجتماعية، تجسدها صوراً من الانحرافات السلوكية، وارتكاب للجرائم، قد تؤثر على كثير من بناءات المجتمع وتحدث خلافاً في توازن وتوافق أو تفكك العلاقات الاجتماعية بين أفراد وجماعاته وتكون عائقاً في تماسك وحدة هذا المجتمع، إذا ما تعددت أنماط الجرائم وأزداد انتشارها لتشمل فئات مختلفة، وخطورة هذه الظاهرة تهدد كذلك استقرار وحدة كل عنصر من مكونات هذا المجتمع.

ظاهرة الجريمة، لذا ما اشتملت على أنماط من الجرائم والتي يمكن وصفها بالنمطية الإجرامية، ترمز وتشير لبنيات مختلفة نجمت عن تلك الأوضاع والظروف المحيطة بالمجتمع، إن ظاهرة الفقر مثلاً عرفها أثرت في حياة الفرد والمجتمع، فقد نجم عنها ظواهر سلبية، تميزها أشكالاً من الانحرافات، والسلوكيات الإجرامية، يكون مرتكبيها أشخاصاً أو جماعات، تعد خروجاً عن المعايير والقيم التي ارتضاها المجتمع لأفراده. وتكون هذه السلوكيات الإجرامية نتيجة لضعف الوعي الثقافي الاجتماعي وغياب ذلك للوازع القيمي الأخلاقي، وهذا يعكس نوعية التنشئة الاجتماعية التي تلقونها، والتي قد تكون تتخللها كثير من الأخطاء والعوائق.

والأمثال الشعبية باعتبارها تراث ثقافي شعبي للمجتمع، تعبر عن تجارب وخبرات الفرد مع جماعاته، ومجتمعه، ومن بيئته، متمثلة في أنماط من السلوك والممارسات اليومية في الحياة الاجتماعية، ومن خلال مضامين هذه الأمثال نستطيع الكشف عن ظواهر التي ميزت حياة هذا الفرد والمجتمع، وعلاقتها بعناصر ومكونات المجتمع الاجتماعية والثقافية والنفسية والاقتصادية والتاريخية، ويمكن الاستدلال على هذه العلاقة، لأن مضامين الأمثال الشعبية تضمن تصورات وأفكاراً وقيماً، وعادات وتقاليد ومعتقدات المجتمع، والتي يتضح ويشير إلى وجود بنيات مختلفة، تكون ناتجة عن الأوضاع والظروف، وما قد أعترضها من التغيرات، في فترات عبر الزمن خاصة تلك الأمثال التي حافظت عليها الأجيال، وترسخت في الذاكرة الشعبية وذهن الأفراد، نظراً للقيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي

تؤدي دورا وظيفي للحياة الاجتماعية، وتهدف إلى التوافق والتماسك الاجتماعيين بين أفرادهم وجماعاتهم، وهي بذلك قد حددت معالم من ثقافة هذا المجتمع وعبرت عن سمات وخصائص شخصيته.

1.7.2. المقاربة الصراعية

حينما ننظر إلى الصعوبات التي تنشأ عند قياس بعض الظواهر كالحروب والاضطرابات (بالرغم أنها قد تبدو خاضعة للتعريف والقياس)، حيث نجد أنّ الدراسات التي تناولت هذه الظواهر ماتزال قليلة للغاية، حينئذ نندهش كثيرا إذا ما اكتشفنا أن الأنماط الأخرى من الصراعات الاجتماعية ماتزال مستعصية على التحليل السوسيولوجي.

إنّ عدم القدرة على تحديد أنماط حدوث مختلف أشكال الصراع لم يحل دون ظهور نظريات تزعم إمكانية تقديم تفسيرات شبيهة للصراع وذلك بربطه بظواهر أخرى في الاتجاه الذي يبحث عن أسباب الصراع داخل الطبيعة الإنسانية، أي أنه يفتش عما أطلق عليه جورج زيمل Georges Simmel «عزيزة القتال» وفي خطابات متبادلة بين ألبرت أينشتاين Albert. Einstein وسيجموند فرويد Sigmund Freud حول كيفية منع الحرب، نجد الأخير يؤكد وجود غريزة تدميرية لدى الكائنات البشرية، غريزة لا يمكن كبحها، على الرغم من أنها تواجه دائما غريزة أخرى هي غريزة التعاطف والحب.

ويذهب وشبيرن Wash brun إلى أن الناس «يرثون الجانب البيولوجي من العدوان» [24]ص 211-212.

وقد اهتمت النظريات الاجتماعية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالصراعات التي تحصل في المجتمع، وفي منتصف القرن العشرين أهمل الموظفين الصراع من أجل التوحد والتراخي الاجتماعي والثقافي لتحقيق التكامل الاجتماعي والانسجام الثقافي لكي لا تتأثر القيم العامة، لذلك اعتبر الموظفين الصراع الاجتماعي حالة مرضية أكثر منها حالة سوية في الجسد الاجتماعي.

لكن بعض الاجتماعيين الذين عاشوا في العقدين الخامس والسادس حاولوا إحياء ما يسمى بالنظرية الصراعية ضد الوظيفية السائدة في ذلك الوقت مستعينين برؤى كل من كارل ماركس Karl Marx و جورج زيمل George Simmel: إذ كشف كارل ماركس Karl Marx نموذجا للصراع الاجتماعي... بينما أكد جورج زيمل George Simmel.

الظاهر ولم يشير إلى النموذج الثنائي أو أن الصراع يدمر المجتمع في نهاية المطاف لأنه يعتقد أن الصراع يملك وظائف إيجابية لصالح الاستقرار الاجتماعي ويساعد على المحافظة على الجماعات ووقائية من الأخطاء الخارجية.

وتوصل رالف داندروف Ralf Dahrendorf إلى فكرة مفادها أن الصراع واضح وغير متداخل لذا فهو لا يشبه كارل ماركس Karl marx الذي ادعى بأن مركز الصراع في كافة المؤسسات الاجتماعية تهتم بتوزيع النفوذ والسلطة أكثر من رأس المال وأن لها علاقة مع المتسلطين والاتباع[25]ص167.

وفي دراسة لـ: زيميل (George Simmel) تضمنت بعض التأملات حول الاختلافات البنائية، فلقد زيميل (George Simmel) إلى أن الصراع قد يزداد حدة داخل الجماعات المستندة إلى العلاقات الوثيقة (كجماعات القرابة أو الفرق الدينية) أو بين الجماعات التي تعبر عن قضايا أكثر مما تعبر عن مصالح، بيد أن ملاحظات جورج زيميل لا تعدو أن تكون مؤشرات دالة.

ولقد طور كوزر Coser Lewis القضايا التي أثارها زيميل George Simmel وعالجها معالجة تحليلية، لكنه لم يحاول صياغة تعميمات تتناول معدلات حدوث الصراع في ظل الظروف المختلفة للبناءات الاجتماعية وأهدافها.

على أساس هذه الأفكار العلمية ووجهات النظر حول طبيعة الصراع وكيفية حدوثه، ومدى تأثيرها على طابع الحياة الاجتماعية، سواء إيجاباً أو سلباً إلى حد ما يمكن، اعتبارها مؤشرات على علاقة الصراع بأنماطه المختلفة بظواهر اجتماعية معينة، والذي يعيننا في هذا دراسة، هو الصراع الاجتماعي في صلته بظاهرة الجريمة، بما تحويه من أشكال السلوك الإجرامي، وهو نسق فكري يتناسب وطبيعة دراستنا، ومعرفة العلاقات والعناصر المتعلقة بالظاهرة الإجرامية، وما ينتج عن ذلك لنا من تأثير بينهما، وانعكاسه على البنيات المختلفة للمجتمع، وما قد يؤدي ذلك إلى حدوث خلل في التوازن والتوافق الاجتماعي، وظهور الأنماط للظواهر السلبية، والمفضية للجريمة، كالعدوان والسلوك الإنحرافي...، يكون عاملاً مؤثراً في هذا الإطار وقد يؤدي إلى إفرازات وتوقعات للصراعات الاجتماعية بين أفراد فئات وشرائح من المجتمع، وقد تتعدد أنماط واتجاهات هذه الصراعات، على اعتبار الوقائع والممارسات التي تخضع لها وتطبع الحياة الاجتماعية لهؤلاء الأفراد، والذين تفرض عليهم الظاهرة الاجتماعية نوعاً من الإلزام والقهر، حسب ما يرى عالم الاجتماع إميل دوركايم Emile Durkheim ، نظراً للروابط والعلاقات الاجتماعية المشتركة إلى حد ما، واختلاف طبيعتها وأنواعها أعلى أساس البناء الاجتماعي والتنظيم الرسمي أو غير الرسمي الذي يشملهم، ويظهر في ذلك وتتحدد الأدوار والوظائف الملائمة

لمكانتهم الاجتماعية، والمراكز التي يشغلونها، يميزها أنواع للتعامل والمعاملات والتي تظهر بشكل واضح أكثر أثناء القيام بالأعمال وأداء النشاطات في مجالات حياة الفرد والجماعة وعلاقتها بالمجتمع، ونظمه اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا الرسمية منها، وغير الرسمية، كالعرف والعادات والتقاليد في إطار قيم ومعايير الجماعة، والمشكلة لأساليب الضبط الاجتماعي، وفي إطار يخص سلطة معينة، كالسلطة الأبوية داخل الأسرة، والسلطة القضائية للمجتمع.

على أن الصراع في أبعاده وأسبابه، له صلة بالجوانب التكوينية والمكتسبة كالجانب البيولوجي، والنفسي، والعضوي، وما قد تتركه بصمات عملية النمو الاجتماعي والثقافي في إطار عملية التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الفرد ومدى تأثيرها على هذين النوعين للجوانب ويعطي بذلك صورة تتجسد في ثقافة وشخصية هذا الفرد، وينطبق هذا أيضا على الجماعات والأفراد، ولديهم حاجات ورغبات وأهداف ومصالح متنوعة يسعون إلى تلبيتها وتحقيقها لها علاقة بهذه الجوانب للشخصية، ويكون هناك تنبأتوقعات كل منهم بوقوع سلوكات إجرامية خاصة إذا ما تعارضت هذه الأشياء والأهداف، يقضي إلى صراعات اجتماعية، فيما بعد، كما أن هذه الصراعات قد تسلك اتجاهها إيجابيا، يظهر في صور من التماسك والتكيف الاجتماعي، وتقوية الروح الجماعية وتقليل الوقوع في الجريمة، ويجنب الكثير من السلوكات الإنحرافية السلبية.

تعكس بذلك ثقافة وشخصية المجتمع من خلال المعايير والقيم الأخلاقية التي اتفقت عليها الجماعة، ونقلتها للأجيال المتلاحقة نظرا للدور، الوظيفي الاجتماعي بتوجيه سلوكات الأفراد، ودرءا من السلوك الإجرامي وهو ما تدعو إليه مضامين الأمثال الشعبية ذات القيم الإيجابية والمثل العليا.

1.8. صعوبات الدراسة

قد تظهر الصعوبات المتعلقة بموضوع الدراسة أساسا حسب طبيعة الموضوع ونوع الدراسة، التي قد تستغرق وقتا طويلا، ونقصد من خلال ذلك الطريقة الخاصة بجمع المادة في أثناء عملية البحث لأجل انتقاء هذه المادة والتمثلة في الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بالجريمة، من المدونة الوثائقية وهي عبارة عن مراجع (كتب) في أغلبها وعليه فقد واجهتنا صعوبات أثناء هذه العملية الخاصة بانتقاء وحصر هذه الأمثال وتمثل في:

وجود غموض على بعض الأمثال، وهذا تطلب منا بذل جهدا في عملية التفكير مضمونها، إن كان القصد منها يتمثل في ارتكاب جريمة، أو اعتبارها على أنها مجرد تدل وترمز السلوكات الإنحرافية، التي قد لا تصل إلى حد الجريمة، التي تعرض مرتكبيها إلى الجزاء القانوني.

كما وجدنا أمثالا في ظاهرها اللفظي والتعبيري لا تدل على أن القصد منها هو الوقوع في الجريمة، أو ممارسة للسلوك الإجرامي في مراجع معينة، التي انتقيناها منها؛ بل تتضمن تصرفات وسلوكات إنحرافية سلبية، غير أن تعبير عن وقوع لنمط معين من الجريمة، أو أنها ترمز لممارسة السلوك العدوانى و العنيف من خلال الشرح بمعناها وكذلك مغزاهافي هذه المراجع المأخوذة منها، وقد ترجع الأسباب في ذلك إلى طبيعة الفعل الإجرامي الذي قد يغلب عليه طابع الإخفاء والسرية سواء من طرف مرتكبه، أو من طرف المخيلة الشعبية الذي قد تلجأ إلى التعبير عنه والتصريح به عن طريق الاستعانة ببعض الرموز اللفظية، وهذا يؤدي إلى اختلاف المعيار وعدم تناسبه بدرجات متساوية للحكم على الفعل الإجرامي بحكم واحد.

قلة الأمثال الخاصة بالجريمة المأخوذة والمصرح بها من طرف الأشخاص (النساء) سواء الذين كنا نلتقي بهم في مراكز اجتماعية معينة، أو الذين قصدنا إليهم، مقارنة مع الأمثال المختلفة من المراجع (المدونة الوثائقية)، حيث اتضح، على أنها مكررة (الأمثال)، إضافة إلى تصريح عدد من الأشخاص بعدم وجود رصيد لديهم من هذا النوع من الأمثال الخاصة بالجريمة ويمكن إرجاع ذلك لأسباب قد تكون ذاتية أكثر منها موضوعية تتعلق بتداعيات على تصريحهم رغم توضيح لهؤلاء الغرض من إجراء هذا البحث، حيث لاحظنا ظهور تردد وشبه تراجع عن الخوض في هذا الموضوع.

عند قيامنا بالاستعداد لإجراء المقابلات الخاصة بالبحث موضوع الدراسة هذا الفترة الزمنية، موعد إجراءات الامتحانات الشاملة الخاصة بالطلبة، مع اقتراب نهاية الدراسة الجامعية لسنة 2009/2008، والتي تتميز بالضغوط العملية والإدارية، مما أدى إلى اعتبار عدد من الأساتذة على ذلك، وهذا اضطرنا إلى انتظار العام الدراسي الجديد لإكمالها، وهذا أدى إلى تأخر في انتقاء واستخراج عينة الدراسة، التي تعتبر نقطة الانطلاقة التي يبدأ من التحليل للأمثال.

تمهيد الفصل

تعد الثقافة الشعبية جانبا ولونا من ثقافة المجتمع، يشرك في إبداعاتها وإنتاجها، مختلف الجماعات الاجتماعية والأفراد، على اختلاف انتماءاتهم ومستوياتهم العلمية والتجارب المؤدية إلى تراكم الخبرات والنتائج المستخلصة منها، ونسعى في هذا الفصل إلى التعرض لكل العناصر المكونة لها وهذا بعد إعطاء مفهومها مما تناولته الدراسات والأبحاث في مختلف مجالات العلم والمعرفة الخاصة بدراسة الثقافة والمجتمع، ثم نحاول معرفة أهم الخصائص والوظائف التي تتميز بها والطابع الذي تأخذه في إطارها العلاقات الاجتماعية ومدى تأثيرها على سلوك الأفراد والجماعات الأخرى والجماعات للتمكن من معرفة مدى توحدهم بها. كما دفعتنا الرغبة إلى البحث والاكتشاف للتوصل إلى معرفة مصادر الثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري، حيث تتنوع وتتعدد طوابعها، وتعدد بنياتها المجتمعية الثقافية، حيث يؤدي تراكم الخبرات إلى امتزاج ثقافي يظهر في وحدة ثقافة المجتمع بشكل عام.

الفصل 2

الثقافة الشعبية

1.2. ماهية ومفهوم الثقافة كمدخل لمفهوم الثقافة الشعبية

يحدد علماء الثقافة المنهج العلمي لدراسة الظواهر الثقافية بملاحظة السلوك ودراسة وفهم الإنتاج الإنساني الجمعي، ووظائفه، والثقافة عند عالم النفس الاجتماعي هي «مجموع العادات الاجتماعية» على اعتبار أن مسائل الثقافة والحضارة هي أقرب المسائل بعلم النفس التربوي وبنظريات التعلم بالذات. حيث أن انتقال الثقافة وتراكمها إنما يتمثل باستخدام عمليتي التعلم والتربية لذلك أعلى فورد ford في تعريفه للثقافة بأنها عبارة عن مجموع «الطرق التقليدية المتبعة في حل المشكلات». أو هي الحلول المتبعة الموجودة بطريقة مسبقة [26] ص ص 15-16.

تراث علم الاجتماع ملئاً بالتحليلات السوسيولوجية التي توضح لنا مدى اهتمام علماء هذا العلم بدراسة الثقافة باعتبارها المضمون العام للمعرفة الإنسانية سواء كانت مادية أو غير مادية الأصل إذا جاز لنا استخدام تصنيف الثقافة عند أوجبرن ونيمكوف. علماء الاجتماع من أمثال أوجست كونت، إميل دوركايم، وسبنسر، ماكس فيبر، كارل وماركس وغيرهم ركزوا على دراسة البناء والنظم الاجتماعية، ولا سيما أن الاهتمام بتحليل مكونات المجتمع ومشكلاته وقضاياها وظواهره الاجتماعية لا تخلو على الإطلاق من دراسة متغير الثقافة، باعتبارها أيضاً أحد عوامل التغيير الاجتماعي المستمر. [27] ص ص 172.

مفهوم « الثقافة عند الباحثين الفرنسيين بقي على العموم مرتبطاً بالمفهوم التقليدي في المجال الثقافي الوطني، بينما لم يكن كمفهوم *élitiste* محصوراً وبمعنى فردي ثقافة الشخص «المثقف». إميل دوركايم Emile Durkheim.

وعند عالم الاجتماع Emile Durkheim أو بالأحرى، العالم الأنتروبولوجي لم يطور منه كمفهوم في علم الاجتماع فحسب بل باتجاه أنتروبولوجي. لأن كان له طموح لفهم الاجتماعي في كل أبعاده ومظاهره، بما فيه البعد الثقافي غير كل أشكال المجتمع [28] ص ص 22-27.

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، فإن علماء أصول الشعوب ثم علماء الاجتماع أخذوا يهتمون بدراسة الثقافات المتنوعة، ومع هذا الجمع فإن فكرة المطلق الثقافية، وكذلك سلسلة المراتب، والتنوع الجغرافي للثقافة عمل من المناسب دراسته دراسة علمية دون إدخال حكم القيمة. العالم الأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد وتاييلور هو الذي عرف بأنها «ذلك المجموع المعقد الذي يشتمل على المعارف والاعتقادات، والفن والطباع والقوانين، والعادات وجميع القابليات التي اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع» [29] ص ص 16-17.

ومعرفة حقيقية الحقائق الثقافية قد أديرت بطريقة موضوعية، وفقا لأساليب الملاحظة الأثنولوجية، وتمد وضع البعض تعريف للثقافة بهذه الصيغة السريعة:

«الثقافة هي طريقة عيش الجماعة».

وبمعرفة الثقافة التي لا تنقسم ثقافة- حياة اجتماعية نعرف من الثقافات المتنوعة بقدر المجتمعات وبقدر المجتمعات المختلفة الاجتماعية « ليس الشعوب والأمم هي التي لها ثقافات فقط، بل إن كل جماعة بشرية ملامح ثقافية. فالقبيلة، والقرية والوحدة المحلية لها ثقافتها ويمكن التكلم عن ثقافة برجوازية، وثقافة عمالية وثقافة فلاحية وثقافة مدنية ».

نظرية ليزلي هوايت-Lisley.Hwight في تعريف الثقافة الأسباب الكامنة وراء الاتجاه التجريدي في تعريف الثقافة على أساس أن تعريف الثقافة بأنها «السلوك الإنساني» سيجعلها ضمن موضوع علم النفس أو على الأقل من موضوعات المدرسة السلوكية في علم النفس، وهذا ما يرفضه علماء الأنثروبولوجيا بشدة لأنهم يتفقون على استقلال علمهم عن علم النفس، وعن أي علم آخر.

وقد عارض هوايت Hwight كغيره من علماء الأنثروبولوجيا اندماج الثقافة ولكن في ذات الوقت يعارض بشدة تعريف الثقافة بكونها تجريدات غير محسوسة وغير قابلة للملاحظة. لأن مثل هذا التعريف سيبعد الأنثروبولوجيا الثقافية عن نطاق العلوم التي تعتمد على الملاحظة والقياس الكمي. ومن ثمة فهو يرى أنه لا يمكن للثقافة أن تكون غير الأمور المحسوسة التي تتمثل في الأشياء أو الأفعال والأفكار التي هي من صنع الإنسان» [30] ص ص 56-57.

يرى رالف لينتون Ralph Linton أن «المجتمع والثقافة» يعتمد كل منهما على الآخر اعتمادا متبادلا، بحيث لا يستطيع الواحد منهما أن يشكل كيانا دون الآخر. فالثقافة هي التي تمكن أعضاء المجتمع من العيش معاً، كما لا يمكن لأي فرد أن يلم بالمجموع الكلي لمحتوى ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، حتى في

أبسط أشكال الثقافات، نجد أن المحتوى الثقافي أغنى من أن يستطيع عقل واحد بمفرده أن يستوعبه كاملا ولكنه وفقا للنشاطات التخصصية، نجد كل شخص يلم بعدد من عناصر ثقافته. [31]ص ص59-60.

الثقافة إذ تفعل فعلها، فهي تقوم بذلك على نحو مكتوب وعلى نحو منطوق ثم على نحو حركي، والثقافة المكتوبة ليست إلا لحظة بسيطة من لحظات التعبير الثقافي، يمكن تسميتها بلحظة الفاعلية أو العقلية أو الاختبارية للتمثل الإنساني للعالم. وهي إذ تظهر في صورة مكتوبة، تتخذ لها معرفية ومفهوميه خاصة بها. لكن الثقافة أيضا هي التعبير الشفهي (غير المكتوب) ممثلا في أجناس مختلفة من الفنون ومن التعبير الحركي الذي يتخذ الجسم مادة له في المقام الأول. وإن شئنا استعارة العبارات الأنثروبولوجية نقول إننا أمام نمطين من الثقافة هما الثقافة العالمية Culture Savante والثقافة الوحشية (Culture Sauvage). وهو تقاطب يمكن التعبير عنه-أيضا- من خلال الزوج: الثقافة العليا والثقافة الشعبية (الشفوية) في مضمار التعبير عن الذات. فكلاهما طريقة من طرائق هذا التعبير، بعض النظر عما فيهما من تفاوت في درجة التنظيم والتعقيد [31]ص ص135-136.

2.2. مفهوم الثقافة الشعبية

تنطوي الثقافة الشعبية على أنماط السلوك تتميز بالتقليدية وتقوم على القرابة، وتخضع لضوابط غير رسمية، وترتكز على النظام الأخلاقي أو التراث الشفا هي، ولهذا تكون مستقرة نسبيا، وبالغة التماسك والتكامل، وقد وجد هذا النموذج للثقافات في المجتمعات المختلفة، ويشيع أيضا في المجتمعات القروية غير المتحضرة.

قد تطور مفهوم الثقافة الشعبية على أيدي عدد من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع منهم (السير هنري مين) و(دوركايم) و(هوارد بيكر) وغيرهم من أصحاب الثنائيات، إلا أن العمل البارز في هذا الميدان يتمثل فيما قام به عالم الأنثروبولوجيا Robert Redfield في مؤلفه «الثقافة الشعبية عند yucatan اليوكتان- 1941 كما عبر عن الثقافة الشعبية في مقالة له تحت عنوان «المجتمع الشعبي»-1947. ذهب فيها إلى القول بأن اختيار لكلمة "فولك" «folk» يرجع إلى اعتقاده بأن كلمة «البدائي» لا تعبر عن مراده ولا يوجد مصطلح بديل غير مصطلح «الشعبي».

يرى ريد فيلد الثقافة الشعبية هي نموذج مثالي أو بناء عقلي لا يمكن أن نوجده في صورته الخالصة، وإنما تقترب منه تلك المجتمعات التي يهتم بدراستها علماء الأنثروبولوجيا. [30]ص ص238-239.

فسر Pierre Bourdieu الثقافة الشعبية بما يلي: «الثقافة الشعبية في علم الاجتماع من خلال إعادة إنتاج الخطاب، فعل مقسم بشرطين أوليين من كل الخطابات عن الطبقات الشعبية (...). عندما نتكلم عن طبقات الشعبية فإننا نتكلم على أنفسنا (...). التحدث عن الطبقات الشعبية، يعني حديث سياسي» [32] ص 52.

واجه الثقافة الشعبية في البدء طبقة من الالتهاس في معنى خاص به اعتبارا من تحدد مفاهيم كل من (الثقافة المسيطرة والثقافة المسيطرة): اللتين اعترضاهما.

المؤلفون الذين اعتمدوا هذا المفهوم لم يعطوا نفس التعريف «للتقافة» ثم «للسببية» الذي جعل النقاش بينهم جد صعب.

في وجهة نظر العلوم الاجتماعية مفهومين متعارضين تماما من جانب واحد يتم تجنبهما بشكل متوازي، المفهوم الأول (الثقافة المهيمنة) التي يمكن وصفها بـ:

Minimaliste لم تعترف للثقافات الشعبية بدينامكية خاصة، وإنتاج خاص بهما، الثقافات الشعبية لم تستمد إلا من الثقافة المهيمنة (المسيطرة) التي وحدها استطاعت أن تكون كشرعية معترف بهما. التي تتوافق مع الثقافة الرئيسية، الثقافات الشعبية ليست إلا الثقافات هامشية، ونسخ رديئة من الثقافة الشرعية والتي منها ستسير نحو الافتقار، وليست سوى مفهوم من الاغتراب الاجتماعي.

التباينات التي عارضت الثقافات الشعبية من خلال الثقافة المهيمنة (المصدر) هي إذا فهذا الوصف التحليلي نقائص وانحرافات، وعدم الفهم بتعبير آخر الثقافة الوحيدة (الحقيقية) هي ثقافة النخب الاجتماعية. من هذا المفهوم.

عن الثقافة الشعبية مكنت الأطروحة الماركسية التي طالبت برؤية في الثقافات الشعبية، ويجب اعتبارها كتقافات لها نظائر، بل ثقافات (سامية) كتقافة النخب، وحتى من طرف المحاصرين لهذه الأطروحة، الثقافات الشعبية موثوق بهما، ولها استقلال ذاتي تام عن الثقافات المهيمنة.

...في الواقع هو بشكل آخر أكثر تعقيد من ما يقدمه المفهومين، الثقافات الشعبية تظهر في هذا التحليل، لا هي تابعة، ولا هي مستقلة ذاتيا بشكل تام ولا بتقليد خاص، والإنتاج خاص [28] ص 70-71.

وتكتسب الثقافة الشعبية صفعتها "الشعبية" نتيجة لأن العامة من الشعب هم الذين ينتجونها، ويستهلكونها، فإنجازات الثقافة الشعبية هي إبداع "جمعي" ينتمي إلى جموع هؤلاء العامة ولا ينسب إلى أفراد بدواتهم، ولثقافة الشعبية وسائلها وآلياتها، التي تضمن عدم سيرورة أي منتج ثقافي، ما لم يتقبله هؤلاء العامة، وبالتالي

فهم لا يدمجونه في ثقافتهم إلا إذا توافق مع متطلباتهم ورؤيتهم المتجددة مع تجدل ظروف معاشهم [33]ص95.

وميزة الثقافة الشعبية أن أكثر أشكالها غير مدون في الكتب، بل محفوظ بشكل مادي (في اللباس والأدوات الاستعمالية وأشكال الطبخ...) أو في الذاكرة الجماعية (الأمثال التي لا صاحب لها والأغاني التي لا مؤلف معروف لها...) وفي القيم والعادات والتقاليد والأعراف والشعائر والطقوس التي يقع الجميع تحت وطأتها مؤمنا أكان أم غير مؤمن.

الثقافة الشعبية تتخطى حاجز الطبقات وتتخطى الحدود الاجتماعية القائمة بين المدينة والريف، وتخرق كتلتي المتعلمين والأميين، وتطال أبناء المذاهب والأديان كافة. [31]صص136-137.

3.2. تجليات للثقافة الشعبية الإسلامية

لقد أقر الله سبحانه وتعالى في الغاية من الوجود على الأرض استعمار الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى [34]ص13.

لقد كان العرب قبل الإسلام على صلة بما حولهم من حضارات، وكانت لهم مراكز عمرانية في أطراف الجزيرة شمالا وجنوبا، وكانت العربية قد تخلصت من جوا لأساطير والخرافات التي تسود الشعوب في مراحلها الأولى، وكانت قد برئت من الغلطة ونزعة التدمير والتعصب التي توجد عند كثير من البداء، وكان للعرب نظرتهم الواقعية العلمية في الحياة إلى جانب الإحساس الشعري المرهف الممثل في قصائدهم وأقاصيصهم وأمثالهم وحكمهم، وبذلك لم يقتصر دور الشعب العربي في المنطقة على مجرد نقل الدين واللغة إلى سكانها، وإنما بث في المنطقة جديد أو عقلية تجمع ما بين الخيال والواقع، وما بين الخصال النفسية والحس العلمي النفعي. [35]ص55.

الأمثال حكمة العرب في جاهليتها وإسلامها، وضرب من ضروب بيعها فجمعوا كلاهما، بما تستميل القلوب وتتصرف في الكثير من وجوه الكلام. عظم العرب شأنهما منذ القديم وأكبروه، وأنزلوها منزلة رفيعة وأولاها عناية فائقة، كما ارتبطت عندهم بالقرآن. فعلوها ممّا يجب معرفته منه، أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله(ص): إن هذا القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال؛ فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال: لهذه الأسباب احتلت الأمثال منزلة رفيعة عند القدماء فاهتموا بجمعها في فترة مبكرة تعود إلى القرن الأول للهجرة....

وللأمثال مكانة في الدلالة على ثقافة العرب، بل إن مرتبتها تلي في هذا الجانب مرتبة الشعر مباشرة، هو مقدم عندهم على غيره من أضرب الكلام لكونه وثيق الصلة بالقبيلة.

فهو قوتها التي يستخدمها في إثبات قوتها في إثبات وجودها والدفاع عنها. [36]صص 149-150.

وأخذ تطور الفن في التقدم حتى أدخل في إطار الرقص والغناء والتمثيل والشعر الخطابة على الصعيد المسرحي في جميع هذه الأمور وجعلت عليها تعديلات لكسب الأهداف الاجتماعية للوعي الثقافي في تلك الميادين حتى صارت طريق الأهداف أخرى في نيل مآربهم، فوجد بعض الأغاني جعلت طريقا لإعلان بعض المعارك وبعضها للحماس في العرب والنشاط للأعمال ورب تمثيل يصرف عليه بعض العادات أو لوجود مصلحة عامة كتمثيل معركة كربلاء في يوم عاشوراء التي شعارها الثأر عن الكرامة. [37]صص 235-236.

تميزت الثقافة العربية -الإسلامية- كركن أساسي وحقيقي في الإسلام، مقارنة بغيرها في التاريخ البشري، أنهما متميزة الوجود، ومنتظمة في إطار المجالية التاريخية، أكثر وأقل من قبل النخب والجماعات النشيطة (=الخاصة)، أو من قبل الفئات المهيمنة والعرفية (=العامة) في بنية موحدة تشكلها جميعا القوى الفاعلة في المجتمع والتي كان لها مكانة إرتكازية في الوجدان الجماعي السكاني سابقا ولا حقا ضمن الهيئة الاجتماعية، وقد استخدم مصطلح «الخاصة» و«العامة» استخداما طبيعيا لا غبار عليه في المجتمع والدولة، علما بأن الإسلام لم يميّز بين أعضاء المجتمع من خلال أي طبقية، ولم يمنح أية خصوصية لأنه فئة على أساس المعتقد والمولد واللون والعرق والعنصر والمواطنة أو الطبقة أو السلالة.

4.2. عناصر للثقافة الشعبية

قبل التطرق هذه المكونات، هناك إشارة لتوضيح علاقة المشابهة للمفهوم الاصطلاحي بين لكل من الثقافة الشعبية ومصطلحات أخرى مثل التراث الشعبي والثقافة المأثورة والفلكلور، والذي يبدو أنه راجع للتفسيرات المختلفة التي أعطيت لهذه المصطلحات، من طرف علماء اجتماع وأنثروبولوجيا، إلى جانب الباحثين والدارسين لموضوعاتها (المكونات) إذ نجد هذه المصطلحات تشمل عناصر مشتركة بينهما، نتيجة للتعريفات وتحددت بذلك التقسيمات لمكوناتها، فهناك من يرى أن الفلكلور هو الثقافة الشعبية: «ومعنى ذلك أن الفلكلور يدرس المظاهر الثقافية للناس (العامة) في الثقافة المتحضرة وقد وصف van Geneep ، في سنة 1924 الفلكلور بأنه علم تركيبى يهتم بصفة خاصة بالفلاحين وبالحياة: الريفية، وبما ظل باقيا في هذه الحياة في البيئات الصناعية وبيئة المدينة.» [39]صص 191.

وفي هذا الرأي نجد مكونات، الفلكلور مصنفة مثل مكونات، الثقافة الشعبية في أشكال التعبير الشفاهية المختلفة، كالأساطير وقصص الخوارق والأغاني الشعبية والحكايات... فباسكوم Bascom، مثلا يقول: إن اصطلاح الفلكلور قد أصبح- الاستخدام الفلكلوري يعني: الأساطير، وقصص الخوارق، والحكايات الشعبية، والأمثال الشعبية والأغاز، والنظم.[39]ص 39.

أما باليس J-Balys وأرثور تايلور A.TYLOR فيريان أن الفلكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية. ويفضل بعض الباحثين الحرب استخدام اصطلاح التراث الشعبي بدلا من الفلكلور.[40]ص 4.

وتعتبر الثقافة الشعبية نفس الشيء تماما كالثقافة المأثورة الحية. [39]ص 76.

التراث الشعبي Folk tradition.

«التراث» هو الثقافة أو العناصر الثقافية التي تلقها جيل عن جيل، أو انتقلت من جيل إلى آخر.[39]ص 76.

ويشرح بوتز Ch.f.potter وجهة نظره بما يلي:«أن الفلكلور وعلى ذلك فإن الحياة الشعبية Folk life» والثقافة الشعبية هما جناحا البيئة التي يعيش فيها الفلكلور، وذلك أن الظاهرة الفلكلورية تستلزم وجود جماعة أو جماعات شعبية لها ثقافتها الخاصة والتي يمكن أن تطلق عليها الثقافة الشعبية [41]ص 297-299.

من بين ما تقدم حول اتفاق من طرف العلماء فيما يخص التعريفات لكل من المصطلحات المذكورة وتقسيم مكوناتها ومن هذا المنطق فقد تم تحديد وحصر عناصر الثقافة الشعبية بأشكالها التعبيرية الشفوية منها البصرية على أساس ما يخدم موضوع وأهداف الدراسة.

1.4.2.العناصر التعبيرية الشفوية السمعية

1.1.4.2.الشعر الشعبي

هذا الفن فنون كلام العرب، وهو المسمى ب"الشعر" عندهم ويوجد في سائر اللغات، إلا إنما نتكلم الآن في الشعر الذي للعرب...وهو في لسان العرب غريب النزعة، غريز المنحى، إذ هو كلام مفصل قطعاً متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة [41]ص 425-426.

والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يرد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين، لاستقلال كل البيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن ينفرد دون ما سواه.

وأن الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب متنافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام، بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن خوض في النظم.

ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وخطره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى دينهم.

وكان مما أثر آثارا بعيدة في انتشار الشعر العربي من قديم تغنى المغنيين والمغنيات وتلحينه على الآلات الموسيقية حتى إذا كان العصر الحديث شاركت الغناء في انتشارهم.

واتساع التعليم والإذاعة المسموعة والمرئية، مما جعله يزداد انتشارا وتغلغلا في الشعوب العربية، وليس ذلك فحسب، فقد اتسع تمثله لطواع حياتها الشعبية العامة، إذ لم يعد الشعراء يقدمون منه شيئا للطبقات الارستقراطية فقد تحولوا جميعا وأخذوا يؤثرونها بما ينظمونه، محاولين بكل وسعهم- أن يصوروا لها كل ما احتدم في نفوسها من مشاعر وطنية وقومية، ودينية ووجدانية [42]ص6.

والجدير للملاحظة أن الشاعر الشعبي يعبر عن مشاعر المجتمع لأنه أقرب إليه وأوثق صلة بنمط معيشتة، وأكثر اطلاعا على أحاسيسه وأفكاره، كما أنه (يصوغ) يسوق في غضون قوله الموزون معطيات ثقافية ممزوجة بالنصائح والأمثال التي يوجهها أفراد المجتمع ، والحكمة الشعبية قصد الموعظة والتذكير والدعوة إلى للطريق المستقيم. [ص 50.

لقد أبدع الشعر الجزائري ونقصد هنا بصفة خاصة ما أطلق عليه مصطلح "الشعر الملحون" في ظل قيم فنية ورثها عن الشعر العربي القديم، وكان للموشحات والأزجال الأندلسية تأثير كبير فيه، وهو مع ذلك متميز بمقوماته الخاصة وبخصائصه الفنية النابعة من طبيعة اللغة العربية وكذلك من خصائص اللهجات المحلية سواء منها العربية أم الأمازيغية، لقد طوع الشعراء لغة اللهجات المحلية وجعلوا منها لغة شعرية، الأمر الذي منح الشعر الملحون في الجزائر مكانة متميزة في نفوس الجزائريين وجعله على كل لسان خاصة في فترة إزدهاره خلال القرون (الوسطى) الأربعة الماضية التي برز فيها فحول الشعر الملحون من أمثال المنداسي وابن تركي وابن مسايب ومصطفى بن إبراهيم ومحمد بلخير وابن قيطون وابن يوسف وغيرهم من الشعراء الذين ظهوروا في مختلف مناطق (الوطن) القطر الجزائري. [43]ص59.

2.1.4.2. الأمثال والحكم والأقوال السائرة

يقول الله تعالى: "كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا" [47] ص 16-17.

كل شعوب العالم، قديمها وحديثها، لها نتائج تجاربها وخبرتها في المعتقدات والعادات والتقاليد، كما لها أيضا نتائجها الفكرية وخلصات اهتمامات الأفراد الذهنية، فلها أمثالها وحكمها الشعبية، وقد تختلف هذه من بلد إلى آخر، ومن شعب إلى شعب آخر حسب معيشة تلك الشعوب المختلفة [48] ص 312.

ترى المؤلفة نبيلة إبراهيم بعد تعرضها لتعريف المثل الشعبي ما يلي: «إننا نعيش جزءا من مصائرنا في عالم الأمثال، ولعل هذا يفسر لنا استعمالنا الدائم للأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل الأسطورة والحكاية الشعبية والأغاز غير ذلك.

فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ نركن إليه حينما نود أن نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجاربنا، ونحن نذكرها بحرفيتها إذ كانت تتفق مع حالتنا النفسية، بل إننا نشعر بارتياح لسماعها وأن نعيش التجربة التي يلخصها المثل» [49] ص 182.

وتعددت تعريفات المثل الشعبي بتعدد وتنوع العلماء والباحثين واهتماماتهم فيشير "كراب" مثلا إلى صفة الخصوصية في تعريفه للمثل حيث يقول إن الأمثال تردد خلاصة التجربة اليومية التي صارت ملكا لمجموعة اجتماعية معينة، والتي صارت جزءا لا ينفصل عن سلوكها في الحياة اليومية الجارية وكذلك شامبيون حيث قال إن المثل هو "حكمة" أو قول مأثور ينبع من شعب معين في فترة زمنية ماضية ويظل مستخدما وشائعا بين أجياله التالية... في أسلوب لغوي غير صريح، متخفيا في صورة استعارة أو تشبيه أو قصة رمزية، وعرفه أيضا وليام باسكوم بأنه حكمة مستخلصة من الأجيال السابقة تكشف عن القيم الثقافية لجماعة ما.

وتعريف باسكوم للمثل هنا بأنه "حكمة" يؤدي بنا إلى التعرض لعلاقة المشابهة والاختلاف بين المثل والحكمة.

وتأتي علاقة المشابهة بينهما في أنهما يعبران عن التجربة والخبرة الحياتية، أما الفرق بينهما فيتمثل في أن الحكمة معروفة المؤلف وهي فصيحة دائما، ذائعة فقط بين الخاصة بحكم طبيعتها اللغوية والتأملية، ما لم تتحول إلى مثل سائر، أما المثل فهو مجهول القائل ذائع الصيت بين العامة والخاصة شائع في حياة الناس اليومية [2] ص 250-251.

....الأقوال والحكم المأثورة تتفق مع المثل الشعبي في كونها ترجع جميعا إلى اهتمام روحي واحد، وهو تلك التجارب الفردية التي يعيشها الناس وتتخلص في تلك الأقوال الموجزة الحكيمة وبذلك فإن هذه الأقوال المأثورة تنفصل عن العمل الفني لتعيش بمفردها أحقابا طويلة [49]ص182.

4.2.1.3. القصص والحكايات الشعبية

نظرا لعلاقة المشابهة بين القصص والحكايات في بنيتها وأداء كل منها وظائف وأهداف اجتماعية وثقافية فقد تم الجمع بينهما في هذا المطلب.

القصة هذا اللفظ يستوفي استثنائيا أشكالا مختلفة كالأساطير، والقصائد الملحمية، والحكايات الأسطورية، لا نستطيع تفريق بين قواعد سردها، توجه دائما إلى مستمع، معين، مقيد ومنحصر بعقبات، (متزوجين) (رجال/ نساء)، (متزوجين/غير متزوجين) يتم روايتها في محيط مكاني وزمني محدد...

المكانة الاجتماعية في محتوى القصة هو نحلة الأسلاف الأقدمين القرويين، الأجداد في العائلة، الأم، إذا كل بنية اجتماعية حاضرة يشعر كفرد فاعل في القصة، حتى الطفل نفسه لا يغيب عنه الشعور الذي يجعله جزءا في محيطه الثقافي [50]ص138-139.

وان ظل يرتبط إلى حد ما بالشكل القديم، فعلى الرغم من أن الجماعة الشعبية تتميز بتكوينها المتماسك وبحرصها الشديد على المحافظة على التراث الشعبي بوصفه كلا متماسكا فإن الجماعة الشعبية تخضع من ناحية أخرى، لعوامل التغيير التي تعتري حياتها، فإذا استجابت الجماعة الشعبية لهذا التغيير ووعته سواء كان هذا التغيير اجتماعيا أو سياسيا أو أخلاقيا، فإنها لا بد أن تعبر عنه تلقائيا في أشكال تعبيرها... [51]ص171.

وإذا كنا قد ذكرنا أن الجماعة الشعبية بناء متماسك لأنها أكثر الطبقات ارتباطا بأصولها، وأكثرها محافظة على عاداتها وتقاليدها وتراثها الشعبي بصفة عامة، فإنها لهذا السبب تعد أشدا الطبقات حرصا على القيم الاجتماعية المثالية، تلك القيم...ومن ثم فإن الشعب يستغل حكاياته في تأكيد تلك القيم تارة، وإبراز العيوب الخلقية التي يرى أنها بدأت تتفشى في مجتمعه تارة أخرى [51]ص172-173.

وفي الدراسة الخاصة بالقصة الشعبية السوفية في بيئتها تبين من خلال النتائج المتوصل إليها فقد أكد لصاحبه الدراسة ما يلي: "أكد لنا أن القصة الشعبية احتفظت ببعض الوظائف كالوظيفة التربوية والنفسية والترفيهية والثقافية... ذلك لأن القصة الشعبية مازالت تعمل على تربية الأجيال والترفيه عن أفراد المجتمع... كما أنها تعمل على تزويد الأفراد بثقافات يجهلونها وتوسع من آفاقهم الثقافية، كما أن القصة الشعبية تقوم بوظيفة اقتصادية تعتمد على الرواية في الأسواق [1]صص27-28.

4.1.4.2. الملاحم والسير الشعبية والخوارق

السيرة حكاية شعبية، وملحمة طويلة، إذ ذكر الرحالة الغربيون الذين وفدوا الى مصر والعالم العربي أنهم شاهدوا اهتمام الجماهير، بنمط من الحكايات يستغرق إعداد الواحدة منهم الأسابيع الطوال، وموضوعها البطولة والفروسية وتدور حول تاريخ واقعي لصاحبها.

فهي تاريخ من حيث تناولهما لحياة فرد له أهميته الموجهة للأحداث في عصره أو جماعة لعبت في تاريخ الشعب أو الإنسانية دورا ذا أثر.

ويعتقد البعض أن السيرة الشعبية ما هي إلا مجموعة من الحكايات الشعبية التي لا رابط بينهما، ولا هدف منها سوى اللهو والسحر...ولقد أثبتت الدراسات التي قامت حديثا لتلك السير خطأ هذا الزعم.

والبعد السياسي ضروري في السير الشعبية والفكر، وهي ليست سياسية فحسب، بل هي سياسة مرتبطة ارتباطا جذريا بالفكر الديني الإسلامي.

ولعل هذا هو أحد الفروق بين السيره الشعبية العربية، والملحمة الشعبية الإغريقية هما يلتقيان في تسجيل حروب أمتيهما، وقصص أبطالهما ولكنهما يفترقان في عدة أمور منها الشعر.

ومن الفروق بين الملاحم والسير الشعبية أن الملاحم وإن كانت قومية الاتجاه إلا أن عنصرا العقيدة، يغيب عنها تماما، بينما هو في السيرة الشعبية شديد الحضور [41]ص ص97-99.

يتطرق عبد القادر جغلول إلى دور الحكايات الشعرية، التي تدور حول غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودورها في بلورة الوعي الشعبي وبث روح المقاومة وإثارة الحماس في نفوس الجماعات الشعبية والوطنية أثناء الحقبة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر بما يلي:

ذلك هو حال «الغزوات» وهي حكايات شعبية في غالبيتها وذات وحي ملحمي يجيئها النصر الخارق فتروى الانتصارات الحربية للمسلمين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا سيما رفاقه العشرة الأكثر شهرة التي جمعها «ديبارمي» في المتيحة.

تشكل تلك الغزوات علامة مهمة على تفكك بنى الفلك الثقافي الجزائري في تلك الحقبة وإعادة بناءه...

في الواقع لعبت تلك الغزوات أربعة أدوار، في وقت كانت السلطة الاستعمارية لا تزال العامل الرئيسي لحركة التاريخ.

كان لها بالطبع دور معوض، بالنسبة للشعب الجزائري الفارق في رتبة السيطرة الاستعمارية، كانت تلاوة وملحمة الإسلام في عهده الأولى وسماعها تعني أولا الثأر الرمزي للحاضر، وتعني كذلك. وقت تلاوة الغزوة- قلب الأدوار بشكل خرافي، لم يكن للغزوات دور المتنفس فقط، ولم تكن حلما حنينيا وحسب، بل كان دورها المحافظة على رفض الواقع، إن تعبئة الماضي البعيد وإعادة تنشيط المآثر البطولية، لها في الواقع وظيفة سياسة، تكمن في التكرار باسم الماضي وعظمته لرفض اعتبار الانحطاط الراهن نهائي. دورها إذن دعائي تعبوي [52]ص ص18-20.

1.4.1.4.2. التفكير من خلال الخوارق

ويعني هذا أن مسيرة الحياة قد تحكمها ظواهر خارقة لا تخضع لنواميس الطبيعة أو قدرات البشر العادية أو أنساق الحياة المألوفة، والخوارق بالنسبة للبشر مناظرة للمعجزات في حق الأنبياء. ومع نهاية المعجزات مع خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، يلجأ التفكير إلى الخوارق البشرية التي قد تغدو أداة لحل المشكلات الشخصية والمجتمعية.

وقد ترتبط الخوارق بكرامات الأولياء واستجاباتهم لدعوات الداعين من الشاكين والملهوفين، وقد تؤدي إلى الشفاء من بعض الأمراض.

ولعل ما شاع بعد حرب عام 1967 من ظهور مريم عليها السلام في سماء المطرية، والتزام على ترقب ظهورها ما يمثل فهو نموذجا لتلك الخوارق التي تضمد الجراح وتطمئن النفوس. ويختلط هذا المنهج من التفكير بالشعوذة والمشعوذين وبحالات اليأس والقنوط، انتظارا للفرج الذي يأتي من حيث لا يحتسب المرء، بفعل قوى غريبة أو مفاجئة.

وقد يرتبط هذا المنهج الفكري بالحث على الفضائل أو التجنب الرذائل، ومن هذا القبيل ما ورد في الأثر عن ذلك التاجر الذي كان بخيلا في الوفاء بواجباته نحو أمه وما تتطلبه من رعاية. وفي إحدى رحلاته التجارية اعترضه قطاع الطرق فنبهوا بضاعته وقطعوا يده اليمنى وعلقوها في رقبتة، ولما عاد إلى بيت أمه أغدق عليها مما طلبته، وكان جزاءه أن عادت يده إلى ذراعه وأصبح سليما معافى.

وفي حياتنا المعاصرة مازلنا في انتظار ما تحدثه ألياء السوق وحرية التجارة والاستثمارات الأجنبية من اختراق مأمول لحل مشكلتنا الاقتصادية [53]ص ص161-162.

1.5.1.4.2. الأساطير والخرافات

الأسطورة: ويطلق عليها في اللغة الفرنسية (Mythe) وفي الإنجليزية (Myth) وفي الإسبانية (Mits) وعلى الرغم من أن بيرسميث (P,smith) حاول أن يقدم تعريفا دقيقا، جامعا لمفهوم الأسطورة... فهو قد

اضطر إلى ربطها بالقصة، أو العمل السردى (Récit)، والحكاية الشعبية التاريخية (Légende)،
و(الخرافة)...

وعلى الرغم من أن كثير من الأساطير ليست تواريخ أديان، فهي على كل حال تواريخ أبطال، وكلها
تتميز بصفات لا توجد فاصلة الحكايات أو الكليات الشعبية المستوحاة من التاريخ.

وعلى الرغم من أن مفهوم الأسطورة طرحت حوله تعاريف كثيرة، كما حلل بمناهج مختلفة، فإنه لا
يبرح بعيدا عن الدقة والوضوح، ومثل ذلك يقال حول وظيفتها أيضا، ولا سيما داخل المجتمعات البدائية.

وقد كان الزمخشري... عرض للأسطورة لدى تفسير قوله تعالى: «يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الأولين»، حين قرر بأنها محض «خرافات وأكاذيب» والحق أن هذا المدلول الديني الذي وردت عليه في
الآيات التي تكررت زهاء تسع مرات في القرآن حكاية من كفار قريش حين رفضوا ما جاء به محمد من رسالة
سماوية [54] صص 13-15.

ومن الباحثين من يذهب إلى ضرورة تفهم الأسطورة وذلك تمهيدا لدراسة الحكاية الشعبية، وللأساطير
علم بذاته، وهذه المادة هي الأصل الذي يبني عليه الحكاية الشعبية.

والأسطورة في نظر بعضهم «مالا علاقة بالواقع» وهذا فيه نظر فإن ما كان في نظر السلف حقائق لا
يكتشفها شك قد يكون في نظر الخلف ضربا من الأوهام وأضغاث أحلام [55] صص 14.

- التفكير من خلال الأسطورة: يتجلى هذا النمط من التفكير الذي يطلق عليه أحيانا مسمى التفكير
الخرافي في مواقف عديدة بأشكال متنوعة في ثقافتنا السائدة ويشيع خاصة في فترات الأزمات والإحاطات لدى
الفرد أو الجماعة- وما أكثرها-

ولعل الارتباط بين الكوارث الطبيعية والهزائم العسكرية أو حتى الكروية من ناحية وبين غضب الله
وعقابه المستحق للبشر، أو اقتراب يوم القيامة للخلاص من معاناة ذلك الواقع من ناحية أخرى- يعتبر من
الأمثلة المستخدمة في أساليب تفكيرنا من هذا النمط، وشواهد متوارثة في تاريخنا وواقع أحوالنا ولنقرأ على
سبيل المثال فقرة من تاريخ الجبرتي في فترة من فترات العصر العثماني المملوكي المملوء بالمظالم وفرض
السلف والكلف والمكوس والضرائب على المصريين.

والمؤسف أن كثيرا من الأساطير قد اختلطت ببعض المعتقدات (الشعبية) الدينية سواء في الدين الإسلامي أو المسيحي، كما تلبست في تفسير بعض ظواهر الحياة اليومية، ولعل فيما أورد، الدكتور سيد عويس حول الرسائل التي يبعث بها الناس إلى الإمام الشافعي ما يؤيد استمرار هذا الفكر الأسطوري.

ويدخل في هذا الباب ممارسات أسطورية كالتماس تقريج الكروب وقضاء الحاجات عن طريق زيارة الأولياء، ونذر الذور لهم، والاستعانة بالأحجبة التي يلبسها الأطفال والكبار، وتلبس الجان للإنسان، والزواج منهم مما نطلق عليه اليوم في تفسيرنا العلمي النفسي بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية، أضف إلى ذلك التفكير والممارسات المتصلة بالتفاؤل والتشاؤم (الطيرة) ببعض الأيام أو الطيور، أو الالتقاء بأشخاص معينين، والاستخارة عن طريق قراءة الفجان وضرب الودع أو قراءة الطالع في الصحف، ومن هذا القبيل أيضا التداوي عن طريق وصفات علاجية عند بعض المشعوذين والسحرة من بعض الأمراض أو في حالات العقم، وتجد مثل هذه الخرافات أرضا خصبة نتيجة لانتشار الأمية ولدى الطبقات الفقيرة والمحرومة. [53]ص 157-158.

ولا يقتصر التفكير من خلال الأسطورة التي تفسر وتقع وترضي عن الأفراد والجماعات؛ بل إن المجتمعات قد تنشئ أساطيرها لتبرر مسالكها أو مواطن عجزها. وتتخذ من التهويل والمبالغة المتزايدة ما يجعل الواقع المرير محتملا ومبررا، نذكر في هذا الصدد أسطورة العدو الإسرائيلي الذي لا يقهر عسكريا، وبخاصة بعد إقامته لخط بارليف الذي قيل عنه أنه أحصن الحصون، وقد سيطرت تلك الأسطورة على عقولنا وسياستنا ردحا من الزمن حتى جاء يوم 6 من أكتوبر وعبر الجيش المصري القناة وحطم حصون بارليف...

ويتحدث البعض في مبالغة أسطورية موهمة عن تحديات النظام العالمي الجديد وعن متغيرات القرن الحادي والعشرين، وما تفرضه من تهديدات لوجودنا ونماننا، ومع الاعتراف بما لهذا المتغيرات الجديدة من ضرورات التفاعل والتكيف معها، وهما فإن، البعض يرسم قائمة للمستقبل وآفاقه، كأننا نواجه تحديات ومتغيرات خطيرة في تاريخنا وحاضرنا الأول مرة.

ومثل هذه التصورات الأسطورية والمبالغة في ضغوطها وأفاعيلها قد تفقد المجتمع ثقته بنفسه. [53]ص 158-159.

كما أن لكل فرد أسطوره الخاصة والتي تعكس تصورات ومعتقداته الفردية والذاتية أو تكون عموما عالمه الخاص، كما تربط الأسطورة بعالم الخرافة والبعد عن الواقع وبالانسق الديني والعقائدي أو الميثافيزيقي أو الطبيعي أيضا [28]ص 181.

ب. الخرافة: يمكن القول أن للخرافة كما للشائعة وجهين: الوجه الأول الفعل أما الوجه الثاني فهو الوعي والإدراك.... فالإدراك من الفكر أو الشعور الذي يمكن الفهم أو التعامل مع الموقف الخرافي أو أشائعي.

-الممكن والمطلق-الممنوع والممتنع.

هناك من الخرافات ما هو ممكن، فهناك المجالات الحياتية والطبيعية ما قد يكون حقلا لظهور الخرافات والشائعات.

(...) التحليل الوظيفي للخرافات.

قد يكون من الصعب إدراك الظاهرة من مجرد قراءة مفهومها أو حتى صياغة تعريف لها. حيث يظل حيز الإدراك ضيقا أو قاصر إلى حدّ كبير. لهذا فإنّ التحليل الوظيفي لظاهرة أو موقف ما يساعد على فهمها وإدراكها بشكل يساعد على إختيار نمط السلوك أو التصرف للتلائم لطبيعة الظاهرة أو الموقف...

ايديوغرافيا يمكن القول أيضا بأنّ الاعتقاد بالقيم الأخلاقية كالولاء والصدق والأمانة والفراغ الذي يساهم في نفس الوقت في التمهيد لتهيؤ لقبول الخرافة [56] ص ص 55-57.

ويذهب البعض إلى القول بأنّ الخرافات يزداد انتشارها في فترات القلاقل والاضطرابات الاجتماعية وتعرض المجتمع لمواقف الصعوبة والشدة، ويضربون لذلك مثلا للمجتمع الأوروبي في العصور الوسطى حيث كانت تنتشر الأرواح الشريرة والسحر والشعوذة، ولكن يبدو أنّ العامل المؤثر في انتشار الخرافة والتفكير الخرافي ليس في الصعوبات والقلاقل وإنما في عدم انتشار العلم والاكتشافات العلمية التي تهدي الناس وتضع أيديهم على الأسباب الحقيقية كما يحيط بهم من ظواهر غامضة. فأوروبا فالعصور الوسطى كانت تغط في نوم عميق وكان الجهل يخيم عليها، ولذلك انتشرت الخرافات. إنّ القرن العشرين مملوء بالقلاقل السياسة والاقتصادية، ولكنه عصر ازدهار العلم [57] ص 18.

6.1. 4.2. الأغاني الشعبية

تفرقت كلمة أهل العلم في مفهوم الأغنية الشعبية، وتعارضت آراؤهم. هناك من يرى أنها منظومة ملحنة مجهولة أصلها، كان لها الذبوع بين الأميين في ماضي الزمان، وما زالت في اليوم ذائعة، وفي رأي آخر لا بد أنّها منسوبة إلى الشعب وهو صاحبها الذي نظمها، وليست شعبية ترديدها في دوام؛ بل إنها شعبية لأن الشعب منشؤها، لا لأنّ البقاء لها في جوه ومجاله وقيل أنها تطويع الشعب تعبيراً لأفراده، لوجدانه الجمعي الذي يتضمن حاجاته في تعددها (...)

وعند بعضهم أنها ليست من خلق الشعب بالضرورة؛ بل إنها التي يتغنى الشعب بها، وتؤدي ما يحتاج إليه المجتمع الشعبي، وتؤلف تراثا تعبيريا لحق به التبديل والتطوير وهو يدور على الألسنة عبر الزمن. ومن المؤلفين من عرف الأغنية الشعبية بأنها الأغنية الذائعة، وتشمل شعر وموسيقى المجتمعات الريفية [58]صص 121-222.

وفي رأي آخر مفهوم الأغنية الشعبية حسب الكاتب هو ما يلي: «مفهوم الأغنية الشعبية غامض» «فالقنوت» التي انفجرت بشكل دوري وسال منها في بضع أسابيع على كل الشفاه تقريبا بالتأكيد تستحق وصفها بـ«الشعبية».

هذه الأغاني يستمتع بها جمهور واسع، وقد تدندن بطيبة خاطر من طرف هؤلاء الذين يدعون بالشعب والذين عارضوها ينحسرون في فئات معينة من *Méломاني* أو الهواة من كبار الأدباء. رغم نقصها اجتازت مع الوقت. وإن أفلنت من النسيان الذي هو الخروج المؤلف من هذه «الشهاب» فهي إذن تدخل في تراث الشعب الواحد، حيث هذا اللفظ المراد في يقوم بدون تمييز للطبقة الاجتماعية أو الثقافية" [59]صص 128.

ويشترط أن تؤدي الأغنية الشعبية وظيفتها الاجتماعية التي خلقت من أجلها تماما، فإذا كانت ترتبط بطقوس ومناسبات معينة، كان لا بد من تسجيلها وتحقيقها عمليا في أثناء استخدامها ميدانيا، ومن أفواه قائلها تأكيدا لاستمرارها، وحيويتها، وذيوعها بين الطبقات الشعبية... [41]صص 97-99.

وعن هذه الوظيفة الاجتماعية التي نلتمس وجودها من خلال قصائد لرموز الأغنية الشعبية الجزائرية، أمثال: الشاعر محمد بلخير، يتحدث عنه عبد القادر جغلول في مؤلفه في ما يلي: "ولد محمد بلخير حوالي 1935 من عبد القادر من قبيلة زريقات في منطقة البياض، رجل (الخيمة) هذا ليس مثقفا بالمعنى العادي للكلمة... هو شاعر عضوي وصوت الجماعة، الذي تحيا الجماعة به الحاضر كجماعة موحدة عبر نقل هويتها التاريخية..."

في ذلك الوقت كان المجتمع البدوي في جنوب وهران يتحول بسرعة، والمساحات السهبوية الشاسعة تتشردم مقسمة بين المستوطنين وكبار الملاكين العقارين المحليين..... ثمة مجتمع جديد كان يولد: المجتمع الرأسمالي، مع ذلك لا تزال قصائد بلخير تتلى..... وبفعل المقاومة الشعبية، لم يدفع بتدمير العلاقات ذات النمط القبلي الى نهايته، رغم أن محتواها، الاجتماعي تغير، بقي شكلها على حاله، مما جعل نقل التحليلي الشفهي، غير أن المعنى الاجتماعي-الثقافي للقصائد لم يحد هو نفسه، بالنسبة لجماهير الشعب، لم تعد هذه القصائد، التعبير الحي للممارسة اليومية بل وسيلة للهروب من الواقع الحزين للوضع الراهن الاستعماري بتنشيط ماض مجيد متكافئ....

في دراسة خاصة بالأغنية الشعبية القبائلية أن الفنان سليمان عزام، كان يستعمل الأغنية كأداة للتعبير عن الأهداف التي كان يسعى لتحقيقها وذلك من خلال محتوى أغانيه الشعبية ويظهر من ذلك: تم استعمال محتوى الأغنية كأسلوب تنديد بالمستعمر ورفض سياسته ونظامه... وجاء كوسيلة للتعبير عن رفض الوضع السوسياسي، فهذه الأغنية رفضت الاستعمار من جذوره... [19] صص 6-9.

ستعبر قصائد بلخير العربية الخارجة للتو من الذاكرة الجماعية للمقاتلين عن كثافة الحاضر، إنما وبسرعة، لن تعبر جبهة التحرير الوطني عن نفسها بالأشكال الثقافية القديمة، بل في قصائد ذات المضامين والإيقاعات المختلفة والقادرة على التعبير عن الأهداف الجديدة للنضال [52] صص 160-161.

2.1.4.7. التلاسن والتلاعن

كثيرا ما نتساءل عن ظاهرة السب العلني، أو الشتم، هل هي ظاهرة اجتماعية يرتاح إليها، الناس عند التعامل معها وممارستها، أو هي ظاهرة شاذة... مرضية، يستهجن منها الإنسان، ويحاربها لأنها تشكل خطرا عليه، وتسبب له الضيق والإحراج مع الغير، تلك الكلمات التي يتعفف اللسان عن التلفظ بها، والتي كثيرا ما تردد في الأماكن العامة وفي الأسواق ودور العرض السينمائي والمقاهي والحافلات... قد يفسرها البعض منا تفسيرات عاطفية... أخلاقية.....

يرى علماء النفس الاجتماعي أن حياة الفرد النفسية، ما هي إلا نوع من الرغبات التي يريد تحقيقها، وعندما يفشل الإنسان أو يشعر بالفشل، في تحقيقها، يرد على ذلك تلقائيا بالعدوان، وما السبب (الشتم) هنا إلا أبسط مظاهر العدوان، كما يفسرون أسباب الازدياد الواضح لظاهرة السب العلني خلال السنوات القليلة الماضية بأن الإنسان اليوم-أصبح عاجزا عن الدفاع عن نفسه فيما عدا إفراغ ما بنفسه من الصراعات والضغوط، ومن مشاعر الحقد والعجز بواسطة السب والشتم....

أما وجهة نظر علم الاجتماع فتتمثل في آراء بعض علماء الاجتماع العرب، فالدكتور محمود عودة، الذي بأنها تندرج كلها تحت ما نسميه (بتقافة العصر)، أي العادات والتقاليد المرتبطة بالمجتمع الفقيرة والمدن المتخلفة، حيث يعاني الناس مشتقة التفكير اليومي في مشاكلهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

غير أن الباحثة الاجتماعية، وفاء الزمر (جامعة القاهرة) ترى أنه خلال مرحلة التحول الاشتراكي وثورة التصنيع ظهرت قيم جديدة وأهدرت أخرى..... وأهم هذه التغيرات نزول المرأة غالى ميدان العمل..... فقد بقي الوجه الآخر المتمثل في المفهوم الخاطئ الذي تناولت به الأغلبية مساواة المرأة بالرجل وهو المفهوم الذي أفقد الكثير من الاحترام الذي كانت تتمتع به....

لكن أستاذ الجيل وأب المدرسة التطبيقية في علم الاجتماع في الوطن العربي الدكتور سيدعون فيفسر كلمة (العيب) بأنها تعبر عن مصالح اجتماعية في مرحلة معينة....وما يعتبر عيبا في مجتمع قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر....لا لوجود اختلاف طبقي بين فقير وغني...ولكن لاختلاف وسط المجتمع بجميع مقوماته الأخلاقية [60]ص156.

2.4.2. العناصر التعبيرية البصرية

1.2.4.2. الشعائر والطقوس

الشعائر سر شعيرة، والشعيرة هي العلامة التي يتميز بها الشيء عن غيره. ويقصد بالشعائر والطقوس الدينية مجموعة الأفعال المرعية والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ملزمة ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة.

والشعائر ليست إلا طقوسا اجتماعية *rituels* والاحتفال العام المصاحب لها *ceremony* الغرض منه تعيين أهمية المناسبة، وهي بهذا تؤثر في الأفراد من غير أن يتدخل العقل في الأمر، ووظيفتها أن تنقل أحاسيس تتصل بحقائق كبيرة، وبالعقائد وبوجود المجتمع، وبعبارة أخرى يعتقد كثير من علماء الاجتماع أن الوظيفة الرئيسية هي الوظيفة الرمزية، باعتبارها أداة تنظيمية للوحدة الجماعية [31]ص158.

من أنواع الطقوس التي ترمي إلى التوصل إلى نتائج دون اللجوء إلى الأسباب في العمليات الجارية في العالم المادي هو موجود في كل الحضارات ويتراوح السحر بين الشعبي الذي يمارس بوسائل تقليدية بسيطة إلى نظم شعرية معقدة تدعمها قوى مركبة من وراء الطبيعة ويعتمد الشعر بشكل عام نظره عالمية يشعر فيها بأشياء من نظام معين تتصل بأشياء من نظام آخر حتى أنّ العمليات التي تجري برموز معينة في عالم واحد يكون لها تأثير عملي في مكان آخر... ولا يختلف الشعر كليا عن الطقوس الدينية، حيث تعمل الرمزية على المساعدة في إثارة مشاعر ومواقف معينة، وكان يمارس لغايات مفرطة من أناس متعمقين في الدين *Western Magical Tradition* وبملازمته أعمال خلاقية غير منطقية يتظلل السحر بالدين والعلاج النفسي، والفن والتقني وله في كل منهما إسهامات جوهرية.

السحر [61]صص 482-483. Power Magic Psyclie.

دلّت دراسة في مجال هذا المعتقد الشعبي الممارس من طرف أشخاص معينين على أنّ: "هناك اعتقاد بأنّ جانبا من الممارسات السحرية يدخل تحت إطار الأحكام الأخلاقية؛ بينما البعض الآخر يعد انحرافا عن

الأخلاقيات التي يقرها المجتمع. وتدخل محاولة تحقيق الأغراض الخيرة سواء من زواج أو علاج أو حماية أو فك الأعمال السحرية تحت إطار الأخلاقيات.

ويمثل السحر السفلي وارتباطه بالانحرافات الجنسية- التي يعد أداؤها شرطا لحدوثه- انحرافا عن الأخلاقيات. ولا يقتصر الأمر على ذلك حيث نجد الأهداف التي يسعى السحر السفلي لتحقيقها، تعد أيضا انحرافا عن الأخلاقيات ومن ذلك الطلاق والمرض ومنع الزواج والتدمير الإقتصادي. وإلى جانب هذه الانحرافات فهناك أيضا ما يمكن أن يطلق عليه النصب والاحتيال من حيث إتجاه بعض الممارسين إلى إيهام العملاء بامتلاكهم قوى سحرية وقدرات تمكنهم من أداء ما يرغب فيه العميل ويحصلون مقابل ذلك على مبالغ نقدية [62]ص310.

2.2.4.2. الرقص الشعبي

يستخدم هذا المصطلح لوصف ما يبدهه الناس من أشكال الرقص المتعارف عليها بين الشعوب المختلفة، والتي تكون ذات أصول متشابهة، ثم تناقلها من جيل لآخر لفترة، والرقصات الشعبية هي نتاج الحياة نفسها تستقي من نشاطات الناس لتعكس أعمالهم التي يقومون بها مثل الزراعة، والحرب، والمواثيق الرومانسية، وكذلك أعيادهم واحتفالاتهم وطقوسهم التي يمارسونها وعاداتهم ومعتقداتهم، وأفكارهم، أنه مرآة تعكس تاريخ الشعب والأحوال الطبيعية التي تعيش فيها.

ومن القيم التي يشتمل عليها الرقص الشعبي هي:

القيم الاجتماعية: تتصف حركات الرقص الشعبي بالسهولة والتلقائية والجماعية، مما شجع الأفراد من الجنسين ومن كافة المستويات الاجتماعية، وفي مختلف المؤسسات على ممارسته، مما يعمل بالتالي على اكتساب خبرة العمل مع الجماعة وتوحيد روابط الصداقة والألفة بين الأفراد، فالفرد يتعلم باشتراكه في جماعة الرقص الشعبي كيف يتعاون مع الآخرين، وكيف يقبل مسؤولية اللعب وفقا لدوره المحدد له دور في الجماعة.

القيم الثقافية: بنظر البعض إلى الرقص الشعبي باعتباره صورة عن حياة العمومية بألوانها وخلفيتها الرائعة من خلال زي الرقص، والعادات والموسيقى والقصص الشعبي، وهو يرتبط بدراسة الموسيقى واللغات للشعوب الأخرى، والأنشطة الدراسية والفنون (تصوير-زخرفة-نحت-كتابة-طباعة [41]صص 126-127).

ولم يزاوُل الإنسان العربي الرقص بغرض الترفيه أو قطع الوقت، بل كان الرقص مواكبا لحياته وتاريخه، ومعبرا به عن مشاعره وآماله وأفراحه وأحزانه وطقوسه وعاداته وتقاليده [41]ص 130-131.

3. 4.2. السلوك

1.3.4.2. العادات

من بين العناصر الثقافية تبدو الأكثر العادات عمومية، فهي بطبيعتها استجابة لحاجات ثابتة نسبيا، ومتغيرة تبعا لذلك لأنها تستجيب في الزمان والمكان لحاجة اجتماعية يمكن أن تكون مستقلة عن الزمان والمكان، وإن وجدت ضمنها.

يتخطى مفهوم العادة الاجتماعية مسألة التكرار لعملية معينة ، أو النشاط (اللاشعوري) واللاواعي لعملية ما، والنتائج عن تكرار فعل حتى لو كان فعلا اجتماعيا ، مفهوم العادة أضيق من المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة، وقد عبر بيار بورديو عن ضيق مفهوم العادة (Habitude) في كتابه الحسّ العلمي وقد عبر عنه بمفهوم (Habitude) أي (النزوع الشخصي الاجتماعي) فهذا المفهوم يشير إلى عملية إنتاج الأفكار الاجتماعية، ثم إعادة إنتاجها مع تغير الظروف الاجتماعية أيضا، واستمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطور العادة الاجتماعية، بصفة عامة، كما يعرفها جلن وجلن Gillin & Gillin هي كل سلوك متكرر، يكتسب اجتماعيا، ويتكرر اجتماعيا، ويمارس اجتماعيا، ويتوارث اجتماعيا ، وليس معنى هذا أن كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات الاجتماعية فهناك أنواع من المتكرر تعتبر عادات خاصة بالفرد، بل تعد في كثير من الأحيان لوازم (Idiosyncrasies) له هو شخصيا، وبذلك فالعادات، أي أنها ليست عادات تشترك فيها الجماعة، ولذلك فالعادات الفردية لا تعتبر الفردية لا تعتبر قسما من أقسام العادات الاجتماعية.[63]ص 164-165.

ويتلخص الفرق بين العادات الاجتماعية، والعادات الفردية، في أن العادات الفردية أسلوب فردي وظاهرة فردية شخصية، والدليلي على ذلك أنه يمكن أن تتكون العادة الفردية وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع: كعادات الماسك في صومعته، وكالعادات الفردية التي تكونت عند الأشخاص الذين عن المجتمع لسبب أو لآخر، مثل كاسبار هوزر Kaspar Housser مثل (الأطفال الذئاب) (Wolf-Children).

أما العادات الاجتماعية، فظاهرة اجتماعية تمثل أسلوب اجتماعيا، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتتمارس إلا بالحياة في المجتمع والتفاعل مع أفراد وجماعته، وعلى الرغم من اختلاف العادات الفردية عن العادات الاجتماعية على الوجه الذي ذكرناه، فإنهما مرتبطتان ارتباطا (عليا) في الحياة الاجتماعية.

فإن أي عادة فردية معينة ، نشأت من ظروف مشتركة بين أفراد كثيرين ، يمارسها عدد كبير من أعضاء الجماعة، من الممكن أن تصبح عادة اجتماعية [63]ص105.

ولقد تحدث ابن خلدون على أهمية العادات الاجتماعية، وكيف أن الإنسان ابن عوائده لا ابن طبيعته (إن أهل البداوة أقرب إلى الشجاعة من الحضرة، وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفة لا ابن طبيعته ومزاجه....) [31]ص154.

وعن طريق التعليم تنتقل عادات الجماعة بأوسع معانيها إلى عادات كل جيل، والعادات التي تتكون بهذه الوسيلة تعمل على استمرار العادات الاجتماعية وبهذا الشكل يجثم الماضي بكل ثقله على الحاضر.

فالعادات الاجتماعية بإجماع علماء الاجتماع هي الدعائم الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية، فهي كما يقرر سمنر وكثير غيره الأصول الأولى التي استمدت منها النظم والقوانين مادتها، كما أنها القوى الموجهة لأعمال الأفراد وحياتهم. ففي كل جماعة من الجماعات تنشأ طائفة من الأفعال والممارسات والإجراءات والطرق التي يزاولها الأفراد لتنظيم أحوالهم والتعبير عن أفكارهم، وما يجول في مشاعرهم...

لذلك تعد العادات الاجتماعية بحق عاملا جوهريا من أكبر وأقوى عوامل التنظيم والضبط في علاقات الأفراد، سواء في داخل المجتمع ككل كبير متماسك أو في داخل الهيئات الاجتماعية الخاصة، وتحدد منطق الترابط والتعامل فيما بينهم...

وأن دور العادات في الضبط والتنظيم لا يقل شأنًا وأثرا عن دور القوانين الوضعية، فإذا اعتبرنا القوانين سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة فإننا نعتبر العادات سلطته غير المكتوبة ودستوره المحفوظ في الصدور، ذلك الدستور الذي يوجه أفعال الناس ويسيطر عليها في جميع العصور وفي كل مراحل الثقافة المختلفة، وفي كل زمن وقت.

أما من حيث الجزاءات التي تساند العادات الاجتماعية المختلفة فهي جزاءات اجتماعية تتمثل في التحقير الاجتماعي بمختلف أساليبه ودرجاته: كالامتناع والاستهجان، والاستخفاف، والسخرية، والنظر الشزر، والاشمئزاز، والسخط والكلام الجارح، والتوبيخ، واللوم والعدوان، الأمر الذي يفقد الفرد مكانته الاجتماعية ويسلبه مهابته.

غير أن الملاحظ على الجزاء الاجتماعي انه يخلو أساسا من عنصر التعديل وذلك على عكس من الجزاء القانوني مثلا الذي يحدد تماما ويقنن نوع العقاب وطريقة تنفيذه وتوقيعه، فالجزاء الاجتماعي المتصل بالعبادات الاجتماعية يشرف عليه (الرأي الجمعي) عن طريق هيئة رسمية [31]ص152.

2.3.4.2. العادات التقليدية

العادات التقليدية القديمة، المتأصلة، الراسخة في الثقافة والتي تدوم طويلا، فيأخذها الخلف عن السلف، والتي تبقى وتستمر برغم فناء بعض الشيء في حياته، ولكنه عندما ما يموت تستمر هذه العادات في بقاءها عن طريق الأجيال اللاحقة له.

وللعادات التقليدية دور يشبه دور الوراثة في الحياة الفيزيولوجية فهي تنقل جزءا من الماضي إلى الحاضر وبذلك تؤدي إلى نوع من الاستمرار والتواصل بين الأجيال المتعاقبة، وليس هناك ثقافة بدون عادات تقليدية، فكل الشعوب المتدينة منها والمتأخرة تتصل بالماضي لتسترشد به وتهتدي بهدية عن طريق هذه العادات التقليدية، فوظيفة العادات التقليدية الإرشاد إلى الحياة السليمة، وبدونها لا يمكن الجماعة أن تكسب شيئا من ماضيها يهديها في تصرفاتها ويسهل عليها حياتها وهي كما يعبر كلا كون Kluck khohn et Kelly «وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ ، وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع».

فهي تقدم حولا لكثير من مشاكل الإنسان اليومية، وتقدم لنا الجواب عن كثير من الأسئلة المتصلة بكثير من المناسبات والأحداث الجارية في حياتنا.

1.2.3.4.2. خصائص العادات التقليدية

للعبادات التقليدية خصائص تميزها، من أهمها وأبرزها، الاستمرار، والدوام والقابلية للتغير، والميل إلى المحافظة [63]صص 152-153.

3.3.4.2. التقاليد

سوسيولوجيا اكتسب مفهوم التقليد بعدا جديدا يعبر عن مدى ارتباط حاضر المجتمع بماضيه، كما يشكل أساس مستقبله، لذلك جاء هذا المفهوم ليعبر عن ارتباط الإنسان الاجتماعي بترائه المادي-الروحي، ومحاولته

بحثه من جديد ، عن طريق إعادة إنتاجه ماديا وروحيا بإقامة الحفلات المعبرة عن مناسبات معينة، فترتدي في كل احتفال منها طابعا خاصا به، وأنواعا معينة من السلوك الطفسي الرمزي غالبا ما يكون غير مفهوم أو غير مفكر فيه فيأخذ طابعا شعبيا ومنحى فكلوريا، ينتهي عادة بانتهاء المناسبة الاحتفالية، إلا انه يبقى راسخا في وعي الجماعة التي تتناقله جيلا بعد جيل، وتشعر نحوه بقدر كبير من التقديس ، وترى أنه من الصعب، بل من المستحيل، العدول عنه، وهذا ما يميزها (التقاليد) عن العادات [31]ص155.

ويعرف السلوك بأنه تقليدي إذا تمت مزاولته حقبا طويلة، وأنه محاكاة لسلوك القدامى ومتوارث عنهم، والتقاليد هي: "العادات المتوارثة التي يقلدها فيها الخلف السلف". لذلك تعتبر فكرة التوريث وانتقال التقاليد من جيل فكرة أساسية في شرح معنى التقاليد.

تعتبر التقاليد مهمة لأنها ترشد الناس بطريقة سهلة ومريحة إلى جميع طرق التصرف الصائبة والملائمة في مختلف أمور الحياة وبذلك فهي تهيئ لهم المعيشة والعمل المشترك وذلك لأنها:

1. تمد الناس بمجموعة من الأنماط السلوكية الجاهزة والمعدة من قبل لكي يتبعوها لتسهيل عليهم تحقيق حاجاتهم الأساسية من مأكلا ومشرب ومسكن، وبذلك.

2. تضع القوانين والنظم وترسم الأساليب والتصرفات التي تتيح للناس التعاون والتفاعل فيما بينهم وتعلمهم كيف يتكيفون مع المواقف البيئية المختلفة وكيف يستجيبون لهذه المواقف استجابة موحدة تجنبهم الصراع والفرقة وتحافظ تماسكهم.

ولكي ندرس المجتمع على أساس تقاليده وقوة الشعور الجماعي المرتبطة بهذه التقاليد، يجب أن ننظر إليه من ناحيتين تكمل إحداهما الأخرى:

النظرة الأولى نظرة تحليلية باعتبار المجتمع يتكون من جماعات مختلفة تمثل ثقافات فرعية تتباين في تقاليدها وفي تصوراتها.

النظرة الثانية نظرة كلية باعتبار المجتمع كلا متجانسا يمثل ثقافة عامة لها تقاليد عامة سائدة وتصورات جماعية موحدة وإطار فكري شمولي عام يلتقي فيه كل أفراد المجتمع على اختلاف جماعته الخاصة.

1- وبالنسبة للنظرة الأولى نجد المجتمع يتكون من هيئات وجماعات بينها تباين وفروق، فهناك هيئات أو وحدات جماعية تقوم على روابط الدم كالأسرة، أو على الروابط المهنية كالجماعات المهنية، أو على روابط الجوار المكاني كأهل القرية أو المدينة أو التقارب في المراتب والمنازل مثل الطبقات، والأفراد كل جماعة من

هذه الجماعات تقاليدهم هم الخاصة بهم وتصوراتهم الجماعية المميزة لهم، ووجدانهم الجماعي الذي يجعلهم يشعرون بوحدة الجماعة والتفرد والامتياز عن الجماعات الأخرى...، فإن كل هؤلاء إلى جانب اشتراكهم في تقاليدهم الخاصة يشتركون أيضا مع باقي أفراد المجتمع الأكبر في تقاليد عامة، ومن أمثلة التقاليد الخاصة بالجماعات المختلفة الأخذ بالتأثر وهو تقليد تسيير عليه بعض القبائل والعصبيات في مناطق دون مناطق أخرى داخل المجتمع الأكبر... [64] ص ص 207-208.

2. أما بالنسبة للنظرة الثانية باعتبار المجتمع وحدة جماعية كبرى، وله ثقافة موحدة ذات تقاليد عامة أساسية تلتقي كل الجماعات من أهل الريف والمدن وأصحاب المهن والحرف المختلفة، وكل هؤلاء يشتركون في تقاليد أساسية توحد شعورهم الجماعي وتجعلهم يتشابهون في تصوراتهم الجماعية وفي نظرتهم شؤون الحياة. [31].

2. أما تغيير التقاليد فيحتاج عادة إلى كسر في النظام السياسي- الاقتصادي الدائم، فإما أن يتبدل جذريا نظام الإنتاج الاقتصادي، كما حصل إبان الثورة الصناعية في أوروبا في القرن التاسع عشر، وأما أن تحدث كارثة سياسية عسكرية ما تغيرا في المعتقد الديني مع استبدال له بالقوة، وتؤدي إلى تنصب سلطة تحمل على تأمين الاستمرارية لهذا الواقع الجديد، وإما أن تحدث كارثة طبيعية تغييرا جذريا في معالم الواقع السابق.

4.3.4.2. العرف

1- يتحدد العرف بأنه الطرق العامة المشتركة التي يستطيع الباحث معرفة مدى صدق وثبات العادات الشعبية، كما يعد الخروج عليها من قبيل الأفراد والجماعات التي توجد في المجتمع، نوعا من الاعتداء على المجتمع ذاته، علاوة على ذلك، أن الباحثين الاجتماعيين من علماء النفس والتربية أو الجريمة يستطيعون أن يأخذوا قرارا بشأن سلوك الأفراد، كما إذا كان هذا السلوك ممثلا للعرف السائد أو خارجا عليه، ولذا يمكن القول، بأن من وظائف العرف أنه يحدد طبيعة الصواب والخطأ والجزاء والعقاب في نفس الوقت.

ومن خصائص العرف أيضا أنه مثل غيره من المكونات ولعناصر الثقافية التي تخضع للتغيير والتعديل المستمر وإن كان مظاهر التغيير أو التعديل تأخذ الشكل التدريجي أو البطيء، كما أن تغيير العادات الشعبية يكون أسرع في الوقت ذاته، خاصة وأن العرف يرتبط بالقيم والتقاليد والدين والأخلاق والقانون وغيرها من العناصر الثقافية الأخرى التي توجد في المجتمعات وتميزها عن بعضها البعض [32] ص ص 156-157.

لكن أشهر تعريف عند علماء الاجتماع هو ما ذهب إليه وليام غراهام سمنر William Graham Sumner عندما تحوي حكماً، إنما تحوي جانباً كبيراً لما يطلق عليه (الصواب) (rightless) أو (الخطأ) (wrongless) وذلك من خلال طرق السلوك المتنوعة، وهي يمكن أن تتمثل أيضاً في الحكم والأمثال والأغاني الشعبية والقصص الأدبية التي تعتبر مظهر من مظاهر التراث الثقافي [31]ص154.

الأعراف والتقاليد كلاهما من أنواع العادات ولكن توجد بينهما فروق هي:

الأعراف عادات مقتبسة اقتباساً أفقياً في الجيل الواحد أي تنتقل بين الأفراد من واحد إلى آخر عن طريق الاتصال والتجاور في زمن معين.

فالعادات في الحياة تنبعث من مركز استحداثها إلى أماكن أخرى مجاورة أو بعيدة تبعا للوسائل الناقلة لها، وبمضي الزمن يتبع سائراً أفراد الجماعة نفس الإجراء المستحدث في المناسبة نفسها إما عن اقتناع بصلاحياتها وإما عن رغبة ملحة في التقليد فيصبح إتباع هذا الإجراء أمراً مقبولاً بين الناس، وعندئذ يتكون العرف ويصبح ملزماً للأفراد [64]ص211.

2- بينما يواجه العرف أثناء تكونه مقاومة شديدة، ممن لا يسهل استهواءهم بسرعة فإن اقتباس التقاليد لا تقف في طريقه موانع... فالطفل مثلاً يميل إلى التقاليد كما أنه سريع التأثر بما يشاهده من سلوك الكبار الذين يتعاملون معه لهذا كان تأثيره بوالديه عظيماً، وذلك لوجود تباين كبير بين المورث والوارث.

3- يختلف العرف عن التقليد في درجة إلزامه وانتشاره وشموله وعموميته، فالتقاليد عادات تهم جماعة أو فئة أو طبقة، فهي عادات ضيقة النطاق نسبياً في انتشارها وهي ليست في مصلحة جماعة بالذات دون أخرى، بل هي في مصلحة الجماعات كلها مجتمعة في وحدة واحدة هي المجتمع أو الأمة، لذا يعتبر العرف في إلزامه وشموله وعموميته أقرب إلى القانون منه إلى التقليد.

2- هناك فرق بين التقاليد والعرف من حيث علاقتها بالقانون فالتقليد يعمل على تدعيم الطبقات والجماعات وتوطيد أركانها ومراعاة مصلحتها لدرجة أنها تتعارض أحياناً مع القانون ومع النظام العام للدولة، كما في تقليد الأخذ بالثأر عند بعض الجماعات والأخذ بالثأر يتعارض مع القانون أما العرف فلأنه يهدف إلى حفظ كيان الجماعات كلها ولأنه انبثق من الثقافة نفسها ليسهم في سعادة المجتمع كله وفي استقراره وأمنه ومصلحته العامة فهو يتوافق مع القانون والقانون بدوره يتوافق مع العرف [64]ص211-212.

5.2. خصائص ووظائف الثقافة الشعبية

1.5.2. الإلزام

-مما لا شك فيه أنّ نفوذ الثقافة الشعبية كبير وهو يصل إلى حد الإلزام فمن اللحظات الأولى للتنشئة الاجتماعية يتلقى الأولاد مجموعة من المعايير تدلهم على الصواب وتنهاتهم على الخطأ، في البيت أولاً ثم في المدرسة والمجتمع، في هذه المرحلة التكوينية تتوحد بمنتهى الدقة والتماسك كل الجوانب النفسية والعقلية للعادات أو طرق التصرف وطرق التفكير، قد يقاوم الصغار تعاليم الكبار وإملاءاتهم، لكنهم يعجزون عن مقاومة النظام الذي تنبعث منه هذه التعاليم، ذلك أنهم لا يعرفون نظاماً أخرى، وليس أمامهم إلا ما يعرض عليهم، وهو ينتقل إليهم عن طريق اللغة وتركيباتها واستعمالاتها وتعبيراتها المليئة بالعواطف، لذلك هم لا يستطيعون التكلم والتفكير إلا في حدود ما تقبله الثقافة.

السائدة حولهم، وقد أشار دوركايم إلى خاصية القهر والإلزام في ما أسماه بالفعل أو (الضمير الجمعي) الذي جعل منه (فكرة قاهرة) متحققة في ذاتها... وفي كل المجتمعات توجد درجات ومستويات وأشكال كثيرة للإلزام، بحيث يشعر كل فرد في الجماعة أنه يواجه قوى كامنة وراء عادات المجتمع وتقاليده وأعرافه وموروثاته [31]ص162.

-وأطلق علماء الاجتماع اسم (اكتساب الشخصية الاجتماعية) على الوسائل التي يكتسب بها الطفل تدريجياً عادات وتصرفات وعقائد المجتمع الذي يعيش فيه، وتكيف الطفل بالوسط الاجتماعي يتم بطرق مختلفة أهمها (عملية الأمر والتحريم)، إذ يأخذ الوالدان على عاتقهما أن ينبها الفعل في كل مناسبة ما الذي يجب عليه عمله، وما يجب تجنبه، فالوصايا والمحرمات (Commandments et Taboos) وهي الدعائم الأساسية لكل عقيدة دينية، تكون كذلك أهم دعامة في التجارب التعليمية للطفل، وقد بيّنت الأستاذة (مارجريت ميد) هذه الحقيقة بوضوح في تتبعها للنظام التربوي عند بعض القبائل البدائية، فذكرت أن بعض قبائل (غينيا الجديدة) حيث يقدر السكان فكرة الملكية، وحيث يولد الأهالي وينتخبون حين يفقدون شيئاً، كما لو كانوا قد فقدوا قريباً عزيزاً.

في هذا المجتمع تعلم الأم طفلها كيف يحترم ملك الغير منذ السنوات الأولى من عمره، وتكرر على مسامعه دائماً وبدرجة تبعث على الضجر والسأم: "هذا الشيء ليس ملكك، اتركه على الأرض، إنه ملك فلان، إنه ملك فلان [65]ص115.

2.5.2. التلقائية

-وهي في أساسها تلقائية غير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية في سد الحاجات الطبيعية الضرورية وإشباعها، والتي تتحول مع الوقت إلى عادات فردية عن غيرها من الظواهر الاجتماعية لأنها من صنع الإنسان الأجيال السابقة....

عناصر الثقافة الشعبية إذا تتولى حمايتها سلطة رسمية محددة، بل يكون في الإجمال هناك ميل عام لتقلبها، وهي بهذا المعنى أكثر قواعد الضبط الاجتماعي تلقائية وأشملها إلزاما لكونها منبتقة من حيث تمتزج بنفوس الأفراد امتزاجا لا يشعرون معه بالحاجة إلى تغييرها أو الخروج عليها أو مناقشة أسباب تحكمها فيهم.

3.5.2. غير مدونة

وهذه مسألة طبيعية كون المجتمع لا يتصدى لبناء ثقافته الشعبية وعاداته وتقاليده بعمل شعوري واع، ذلك هو لا يدونها بين أخبار تاريخه ولا يلحظها، وإذا أردنا الوقوف عليها فهي في الذاكرة الجماعية محفوظة ويتم تناقلها بدقة متناهية.

4.5.2. الاستمرار والثبات

وتبدو هذه الخاصية واضحة بانتقال تلك الثقافة من جيل إلى جيل، دون تغيير أو تعريف في الأسلوب العام، مع قابلية نسبية للتعديل تبعا لظروف جديدة مبنية على فاعليات مقصودة.

هكذا انحدرت إلينا هذه العادات والتقاليد منذ القدم، ولم يتغير فيها إلا ظاهرها العام نتيجة مظاهر التطور العام، لذلك هي تعتبر مرنة وصلبة في الوقت نفسه، لكنها ما إن استقرت ويزاولها معظم ويألفونها حتى تقاوم التغيير، فهي تهيئ الاستقرار للنظام الاجتماعي حيث تكون واضحة المعالم منتظمة وحاسمة، فهي تهيئ الاستقرار وهي كما يقول سمندر تمثل نظاما ضخما للعادات يشمل الحياة كلها، ويخدم جميع مصالحها، فهي تحمل في ذاتها عناصر تبريرها (Justification) من تقليد (Tradition) واستعمال (Use) واعتياد (Wont) وتحميها روائع روحية (Mystic)، تنمي بالتفكير المنطقي تصميماتها الفلسفية والحلقية، والتي لا تلبث أن ترتقي فتصبح مبادئ للحق والصواب. وهي بهذا تجبر الأجيال الجديدة وتحدد تصرفاتها. [31]ص 163-164. وفي هذا المضمار، ومن بين ما أظهرته نتائج الدراسة التحليلية لمضامين التربية الشعبية في مجلة الأستاذ لعبد الله النديم أنه:

"إذا كان للتربية الشعبية جذورها التاريخية في إطار الثقافة، الشعبية، فقد أظهرت الدراسة الحالية أن الفضل يعود إلى النديم في إبرازها وتعميقها مفهوما وهدفا وطريقة في أواخر القرن الـ 19 وأنّ منهج التربية

الشعبية لا زالت له صلاحيته ويمكن أن يكون له مردودا إيجابيا إزاء كثير من القضايا والمشكلات الآنية مثل قضايا التنمية والبيئة والسكان [66]ص71.

5.5.2. الجاذبية

تبقى الثقافة الشعبية مقبولة ومرغوبة بالرغم مما فيها من إلزام وقهر، فهي تنطوي على ما تواضع عليه أفراد الجماعة من أفعال سلوكية، وهذه الخاصية تفسر اختلاف الثقافات باختلاف الجماعات، بل حتى ضمن المجتمع الواحد باختلاف العصور، وإن كان هذا الاختلاف نسبيا ومحدودا، لكن هذا الأمر في الخلاصة يقوي الحماس والتعصب في بعض الأحيان للموروثات الثقافية ويدفع بالتالي إلى مقاومة كل حدث غريب يحاول أن يعدل فيها، وبالكيفية ينشأ التعصب الأعمى للعادات الجمعية التي تعتبر امتدادا للثقافة الشعبية، حيث يشعر الفرد أن ما تملكه جماعة من قيم اجتماعية جديرة بالتبجيل والتقدير، وخاصة عندما تتداخل مع المقدس.

وهذا ما يشير إليه مصطلح (Ethnocentrism) أو التمرکز حول الذات الجمعية الذي ينطوي على تمسك الجماعة وتعصبها لعناصرها الثقافية التي تتمتع بسلطة اجتماعية قاهرة، والتي ينشأ عنها شعور عميق بالحدود النفسية والاجتماعية التي تغلق إطار التضامن والعصبية في داخل الجماعة (In-Groupe) والتي تباعد المسافة الاجتماعية بينها وبين الأفراد الذين ينتمون إلى جماعات أخرى (Out-Groupe) لذلك تعتبر الثقافة الشعبية وسيلة فعالة لإدماج الفرد في مجتمعه، فهي وأنّ تمارس الضغط على الفرد لكي يتمشى مع أساليب الجماعة التي ينتمي إليها.

للتقافة الشعبية إذا وظائف متعددة منها الوظيفة الاقتصادية والتوجيهية والجمالية والتنبؤية، لكن أهمها بلا شك وظيفة الضبط الاجتماعي.

فالوظيفة الضبطية أو التنظيمية، هي الطريقة التي يتطابق بها النظام الاجتماعي كله ويحفظ بالتالي هيكله العام باعتباره عاملا مهما من عوامل الموازنة في حالات التعبير، وهي تغطي مجال الحياة الفسيح، حيث لا يدركه قانون أو لوائح سلطوية [31]صص 164-165.

6.2. دور وسائل الاتصال الثقافي والإعلامي في إنتشار وتوعية الخطاب الثقافي الشعبي

إنّ تحول المغرب إلى الثقافة الإسلامية قد غير مجرى الحياة العامة، فقد أصبح "الأهلون" بفضل الإسلام، إخوانا لا فرق بين طبقة وأخرى بعد أن كان المجتمع، قبل الفتح العربي الإسلامي، ينقسم إلى فئات وطوائف عديدة.

وقد مر هذا التحول بسلسلة طويلة من الحوادث والظواهر المتطورة التي أثرت على القصة الشعبية وانتشارها. ولعل من أهم عمليات الفتح نفسها، بالإضافة إلى الهجرات من المشرق إلى المغرب، وكذلك الرحلات العلمية التي كان الطلبة المغاربة يقومون بها من المشرق إلى المغرب، وقد ساعدت هذه الأسباب على انتقال المرويات من المشرق إلى المغرب وقد وجدت هذه المرويات مجالا للانتشار في أندية المغرب وحلقاته، وقد ساعد على انتشارها تفتح المغرب وتشوقه إلى النزول بالثقافة العربية.

وهناك ظاهرة أخرى ساعدت على انتشار القصة العربية الشعبية، وهي أن الأوساط الشعبية كانت أمة في أوائل، الفتح فلم تكن تعرف القراءة أو الكتابة، وهذا ما جعلها تفضل الجانب الشفهي على الكتابي، وكان لهذا الميل إلى التعبير الشفهي أثر كبير في انتشار القصة الشعبية في التعبير الشفهي أثر كبير في انتشار القصة الشعبية في المغرب وانتقالها عبر الأجيال باستمرار إلى يومنا هذا [67]ص41.

وقد أضاف الطابع الشعبي للفتح العربي الإسلامي، أهمية كبرى لتلك العوامل إذا أنه يعد من أقوى الخصائص الإسلامية في بناء المجتمع فيخلق تداخل الطبقات المختلفة والمساواة بينهما.

لما اعتنق البربر الإسلام احتاجوا إلى معرفة المرويات الدينية المنتشرة آنذاك في العالم العربي، وهكذا فقد أخذ العرب الفاتحون يعملون السكان المحليين أمور دينهم ودنياهم فحدثت حركة ثقافية في شمال إفريقيا وانتشرت بسرعة وسط السكان [67]ص40.

تعرضت الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى نكبات اقتصادية واجتماعية نتيجة لسياسة الاحتلال المطبقة [44]ص403.

إن المقاومات الطويلة الأمد التي خاضها الشعب هنا وهناك طيلة التواجد الاستعماري وبخاصة في التاسع عشر، وما نتج عنها من انتقام واضطهاد، قد هز حياه الناس الاقتصادية والاجتماعية، كما هز عواطفهم الدينية وضمائرهم هذا عنيفا تمثل ذلك في مختلف وسائل تعبيرهما المادية والمعنوية.

لقد تركت تلك المقاومات وما صاحبها من تضحيات جروحا وأخايد عميقة في عواطف الناس، فكان لا بد أن يفرغوا آلامهم ووجدانهم الداخلية في القصيدة والمقطوعة وغيرها، فكان الشعر إذن وسيلة من وسائل التفريغ عنهم،"والحقيقة أن الشعر ببساطته الأخاذة ورقة معناه، وبقدرته على الفعل في النفس والتأثير في

الضمائر والوجدان لعب دورا مهما ومؤثرا، ليس في مواكبة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتطورها وحسب وإنما في صنع الأحداث، وفي دفع عجلتها وإلهاب وقائعها وشحن النفوس بالحماس والفعل في هذه الأحداث والانغماس المتحمس فيها [44]ص126.

إنّ الشاعر الشعبي في عرضه لموضوعه المأساة، لا يكتفي بالتفريغ بل هو يعطي رأيه موجها ومنبها، رافضا حياة الذل والهوان، داعيا إلى التغيير والثورة على الواقع يرجو حياة أفضل لكل أفراد مجتمعه [44]ص127.

يقول الشاعر الشعبي محمد بلخير، شاعر مقاومة أولاد سيد الشيخ مثيرا للقبليّة للانتقام نجدها الذي أهانته السلطات الفرنسية سنة 1881 بهدم قبته ما يلي:

من طياح القبة مابقي عار	ولا بقى واحد في السادات محروم
أولاد رحل البيضا سبعين دوار	ماغطاوه اعلى بوهم ساعة ولا يوم

إن تفكيك البنى الاجتماعية-الثقافية في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هو بالطبع حدث بالغ الأهمية، لقد دمرت المدائن أساسا وأفرغت تدريجيا من محتواها، وقد قام قمع الانتفاضات الريفية إلى كنس معظم الكوادر الاجتماعية، الثقافية في الـ TOLBA، وسادت الأمية في كل مكان، غير أن هذا التهديم لم يكن سهلا ولا حدثيا، ثمة تجمعات ثقافية وعلمية تقليدية، قد بقيت [52]ص17.

وإذا كانت الزوايا في الأصل قد أدت دورا بارزا في تثقيف الناس وتعليمهم فإن فرنسا عرفت كيف تفرغ هذه الجمعيات من محتواها النضالي وتسبل عليها توبا من التأثير الروحي بسيطاً، ولذلك لم تعد تستمد قوتها إلا من الغموض والخرافات المهولة وهكذا فبدل أن يتولى زعماء الجمعيات الآخرون القيادة الوطنية والسياسة كما فعل الأمير عبد القادر ، انقسموا في المرابطين تاركين يدا حرة في الجزائر، مساعدين لهم في الحقيقة عن وعي أو غير وعي، بتسلطهم الخرافي على عقلية الفلاحين، ومن هنا بدأ خطر تعلق الشعب بالأشياخ وتقديس الأولياء، وخطر استغلال هؤلاء لسداجة الشعب وما يعانیه من العقد النفسية، فيجعلوا منه حلقات رقص تميل يمنة ويسرة طوع إشارة الشيخ، ووقفوا المدح على إساتهم وكرامتهم [44]ص413.

-والحالة هذه- أن يتبوأ المثل الشعبي مكان الصدارة لدى مختلف الفئات الاجتماعية حيث أصبح يمثل الوسيلة المفضلة في الإقناع والتوجيه والتربية، ولا يعقل في درجة حجيته لدى العامة من درجة الحديث النبوي الشريف، حتى إن العديد من الأمثال والحكم الشعبية قد اختلطت في عرف العامة من أفراد الشعب بالأحاديث

المنسوبة إلى الرسول صلى (ص)، وقد ساعد على ذلك تفشي الجهل والامية وسرعة التصديق وسهولة التصديق الاقتناع، وهي السمات الواضحة لدى المجتمعات الامية بصفة في كل أقطار العام.

ويرجع تبوء الأمثال الشعبية لهذه المكانة في حياة المجتمع الجزائري(التقليدي)-شأنه في ذلك شأن كل المجتمعات المماثلة-سهولة تداول هذه الأمثال وبساطة مضمونها وقربها من عقول العامة من الناس، فضلا عن الخاصة الذين لا يستغنون هم أيضا عن الاستشهاد بالمثل الشعبي مع الناس في الحياة العملية سواء كانوا من بعض الناطقين باللغة الفرنسية والمستعملين لها في الحياة اليومية نتيجة لظروف تاريخية أو عوامل نفسية) أو المتعلمين باللغة العربية، فان كلا الطرفين لا يترددون أثناء حديثهم في أن يستشهدوا بالأمثال الشعبية لإقناع محدثهم، حتى أن العديد من الخطب الرسمية الفضيحة للمسؤولين الكبار في الحزب والدولة تتخللها دوما أمثال شعبية ذات مضمون يخدم الفكرة المراد تبليغها لأفراد الشعب.

وبذلك تكون الأمثال الشعبية في الثقافة الجزائرية من أكثر...عناصر شمولية للفئات الاجتماعية وأكثرها تعبيرا عن نفسية غالبية أفراد الشعب وإحساساتهم، وانعكاسا لما يخالج ضمائرهم وما تصبو إليه نفوسهم من نشر للقيم التي يتمسكون بها، ويرغبون في نشرها، تحقيقا لما في أعماق الأفراد وأذهانهم من المعتقدات الراسخة بشأن المثل العليا التي يطمحون إلى المحافظة عليها، وجعلها سائدة في الحياة العلمية قولاً وفعلاً [3]ص100.

ومما يمكن التذليل به في هذا الخصوص أن الإذاعة الوطنية الجزائرية لم تخل في حصصها الثقافية التربوية على امتدادا أكثر من أربعين عاما من إنشائها، من برنامج حول الأدب الشعبي (من حكم وأمثال، وأقوال مأثورة، وحكايات للأطفال والى ذلك) وقد تداول على هذا البرنامج العديد من المنتجين طوال هذه المدة وما تزال قائمة إلى الآن(1993) وتصادف تجاوبا وإقبالا كبيرين من طرف أفراد الشعب الذين يرسلون البرنامج باستمرار، ويزودنه بالأمثال والحكم والمأثورات الشعبية المتداولة في المناطق المختلفة من البلاد، وقد ساعد على ذلك تقدم وسائل وتطور وسائل الانفصال الجماعي، وانتشار جهاز (الترانزيتور) الذي لا يكاد يخلو منه أي بيت في البلاد...

وكلا الجهازين يقومان بدور معتبر في نشر الأمثال الشعبية والمحافظة عليها، وتوزيعها على كافة مناطق البلاد، خلافا لما كان عليه الأمر في القديم حيث كان لكل منطقة أمثالها الخاصة بها والتي لا تكاد تبرح الحيز الجغرافي لسكان المنطقة [3]ص100-101.

ملخص الفصل:

تعددت الاتجاهات والنظريات في التراث العلمي السوسولوجي والثقافي، والأنثروبولوجي والنفسي في إعطاء تعاريف ومفاهيم محددة من منظورهم العلمي والفكري، وقد كانت متباينة الآراء فيها ومقاربة النظر والرؤية والاعتقاد فيها أحيانا أخرى، وتبين من خلال عناصرها المتعددة والتي شملت نوعي (شكليين) تعبير بين الشكل الأول شفهي بمعنى، كالأمثال والقصص، والشكل الثاني تعبير بصري كالرقص الشعبي، والشعائر والطقوس كما يظهر أن للخصائص والوظائف التي تتميز بها، أثر في نمو وتوحد الفرد مع الوسط، الإجتماعي وتكوين شخصيته، لما تمارسه عليه من قهر وإلزام وهما خاصتين من خصائصها، إلى جانب أنها تتميز بالتلقائية والجاذبية، وبخصوص مصادر الثقافة تبين أنّ جذورها تغوص في أعماق التاريخ الخاص بالفتح الإسلامي إلى جانب الهجرات الناتجة عن ذلك، وانفتاح المغرب على المشرق، وقد أدى الاحتلال الفرنسي إلى الميل لهذه الثقافة اضطرابا، نظر للحرمان التعليمي والثقافي الذي فرضه هذا المستعمر على الشعب الجزائري بشكل عام.

تمهيد الفصل:

تعتبر الجريمة من أخطر الظواهر الإجتماعية التي تبرز في الكثير من المجتمعات فتمس أمن المجتمع واستقراره كما تضر بالعلاقات التي تربط بين أفراده.

وفي هذا الفصل سوف نتطرق إلى ماهية الجريمة ومختلف النظريات التي تتناول هذا الموضوع ومختلف المفاهيم التي ترتبط بالجريمة كالعدوان والعنف والتعصب.

كذلك نتناول بعض العوامل المتعلقة بالجريمة والفرد المجرم، كالعوامل النفسية والبيئية والثقافية، التي يتفاعل معها الفرد فتتأثر بها ويؤثر بها على مجتمعه. وسوف نتناول كذلك مختلف التصنيفات المتباينة للجريمة.

وفي الأخير نتطرق إلى ماهية الانحراف وأهم مصادره. ووظائفه وكذلك الدور الذي تلعبه الجماعات والعصب في الوقاية ومعالجة ظاهرة الجريمة والانحراف.

الفصل 3

مدخل الى الجريمة و الانحراف

3.صورة الجريمة في المجال العلمي النظري والامبريقي

1.3. مفهوم الجريمة

أشار كلير J.KLARE إلى عدم وجود تعريف مرض للجريمة لأن الجريمة تتغير دائما كما أن المجتمع يتغير باستمرار، فما كان يعتبر عدم امتثال بالأمس، قد يتحول إلى معيار، وقد يتغير غدا إلى انحراف.

والجريمة ظاهرة نسبية تعرف من خلال الظروف الإجتماعية السائدة وحيث نعتقد أن الجريمة مجرد عمل خاطئ أو لا أخلاقي يكون هذا الفهم مضللا إذ أنّ الفهم يتسم بالتعقيد الكبير [68]ص
ص70-71.

1.1.3. الجريمة من المنظور الإسلامي

أنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحل وتعزير والمحظورات هي إثبات فعل منهي عنه،
أوترك فعل مأمور به [69]ص11.

2.1.3. الجريمة من المنظور القانوني

"ذلك الفعل أو الإمتناع الذي قضى القانون تجريمه، ووضع عقوبة جزاء على إرتكابه"
[70]ص181.

وحسب اللورد أكتين Lord Aktin أنه يمكن تحديد نطاق تشريع جزائي عندما نتعرف على الأفعال التي تقرر السلطة خلال فترة معينة من الزمن أنها تدخل في عدد الجرائم، وأن من يرتكب هذه الأفعال يجب أن تطبق عليه العقوبة [71]ص94.

3.1.3. الجريمة من المنظور السيكولوجي

ينظر علماء النفس للجريمة إلى السلوك الإجرامي على أنه معال للمجتمع Anti-social Behavior.

4.1.3. المنظور السوسولوجي

يعتبر أنّ الظاهرة الإجرامية هي سلوك إنساني يحدث في المجتمع اضطرابا، وهي فعل أو امتناع يخرق قواعد الضبط الاجتماعي [71]ص183.

كما اعتبر علماء الاجتماع الجريمة هي كل فعل شأنه أنه يصطدم مع الضمير الجماعي الذي يهيمن على الأفراد في المجتمع، فيحدث ردة فعل جماعية على المجرم [69]ص71.

كان أميل دوركايم Emile Durkheim يؤكد أن لا جريمة إلا حيث يكون ثمة عقوبة لفعل مستنكر، وكان يضيف أن الأفعال المعتبرة مذمومة ترتبط بالتطور العام للأخلاق، لكن بعض المؤلفين على إثر سيلين Sellin أشاروا إلى أن القانون إذا تعلق بالأخلاق يكون خاضعا للتأثير النسبي للمجموعات الاجتماعية [22]ص245.

تزيد الفجوة بين التصور القانوني والتصور الشعبي لها (للجريمة) خلال فترات التغير الاجتماعي السريع، إذ طالما أن القانون يستمد قوته من التصور الشعبي واتجاهات الجمهور للجريمة [67]ص71.

5.1.3. الجريمة من المنظور الأخلاقي

من العلماء الذين قدموا تعريفا للسلوك الإجرامي أولئك الذين نظروا إليها على أنه سلوك يتضمن تضاد أو تعارض واضح.

ولقد اختلف هذا الفريق فيما بينهم فيما يخص عدد ونوع تلك القواعد الأخلاقية التي إذا ما خرقت بات السلوك في حكم الجريمة [72].

ويتصل بمفهوم الجريمة مفهوم الانحراف Deviance وجناح الأحداث Juvenil .Delinquing

أما مفهوم الإنحراف فهو كمفهوم الجريمة "رئبي" لذا يصعب إيجاد تعريف عام له.

ومع أن مفهومي الجريمة والانحراف يتداخلان ويتطابقان في كثير من الأحيان، كما يرى راي لوبيز Rey Lopez وغول، إلا أنه يمكن التمييز بينهما، من حيث أن كثيرا من الأفعال تعتبر غير قانونية (أي جرائم) من الناحية الرسمية بينما يقبلها الناس كشيء عادي، معياري (Normale) [67]ص71.

2.3. النظريات العلمية المفسرة لظاهرة الجريمة

1.2.3. النظرية البيولوجية

رائد النظرية البيولوجية، هو سيزار لومبروزو Cesar Lombroso الباحث الإيطالي ، الذي كان عمله الإضافي في الجيش الإيطالي فرصة أتاحت له ملاحظة الجنود عن كثب ،وقد لفت نظره أن الجنود المشاكسين ينفردون بخصائص لم تكن متوفرة في الجنود الوادعين الطيعين .

وكان عند تشريح جثث الموتى المجرمين الذين يتوفون منهم، يجد عيوباً ملحوظة في تكوينهم الجثماني ،وبخاصة في جماجمهم التي كان بها شذوذ في الجبهة وشكلها الخارجي وكذلك في الأسنان. فعلى أساس النتائج التي توصل إليها من تسجيل مقاييس جماجم المجرمين السفاكين وبخاصة، وأذانهم وجباههم وشكل الفك الأسفل والأنف والأسنان وتناسق تقاطيع الوجه، كما تراءى له، أن يكشف عن العلاقة الايجابية بين هذه الصفات العضوية المحدودة وارتكاب الجرائم الفظيعة. فالمولود بسمات الإجرام ظاهرة في جسده، يكسر القانون فجأة ودون سبب واضح أو ينحرف سلوكه تحت تأثير ظروف قاسية كالمرض أو حرارة الطقس أو الاستثارة الجنسية أو بتأثير من الدهماء.

وقد فسر لومبروز في كتابه الإنسان الجانح (l'Uomo Delinquente) المنشور عام 1918 أسباب السلوك الإجرامي على أساس الحتمية البيولوجية. كما انه حصر السبب الأساسي المباشر للفعل الجنائي فيما أسماه بالاندفاع الخلقى (Congenital Impulsiveness) الذي يولد المجرمون وهو متأصل في تكوينهم [73]صص 92-93.

وعلى الرغم من أن الباحث الإيطالي "الرفابيلي جاروفالو" Raffaele Garofalo من رجال القانون، فضلا عن عمله الأكاديمي أستاذ للقانون الجنائي في جامعة نابولي لم يتأثر كغيره بدراساته القانونية في تقصي أسباب الإجرام فإنه تأثر بأراء زميله سيزار لومبروزو Cesar Lombroso البيولوجية المعدلة، ولذلك اعتبر الإجرام ظاهرة اجتماعية شاذة لناس شاذين خلقه يقومون بتنشئة إجتماعية تؤدي إلى تكوين نفوس شاذة تفتقر إلى الورع، فلا تردع عن سفك الدماء أو تنقصها الأمانة فترتكب جرائم متعلقة بالمال، ولذلك أكد ضرورة الاهتمام بالمجرم لبحث حالته علميا يساعد على علاجه بدلا من إنزال العقاب التقليدي به.

ويعد "انريكوفري" Enrico Ferri ثالث العلماء البارزين في المدرسة البيولوجية درس القانون وتخصص في القانون الجنائي وعلم الإجرام وله مؤلفات كثيرة في علم الإجرام وعلم العقاب، وقد كان زميلا شابا في التدريس الجامعي للعالم "سيزار لومبروزو" Cesar Lombroso الذي قربه منه وشجعه كأحد أتباع مؤسسته الفكرية، وكان يطيب له مناقشة آراءه في حضوره، كما أفاد منه، ذلك أن "انريكوفيري" Enrico Ferri هو الذي أوحى عليه باصطلاح المجرم المطبوع. أي الذي يولد مجرما.

ولكن أنريكوفيري " Enrico Ferri طور عمل زميله، فابرز أهمية دور كل من البيئة الاجتماعية والطبيعية: وكذلك يعد هو و "السيزارلومبروزو" Cesar Lombroso و Raffaele Garofalo أصحاب المذهب الوضعي لعلم الإجرام [73] ص ص 97-98.

2.2.3. النظرية الفيزيولوجية (العضوية)

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن بعض الاضطرابات الفيزيولوجية التي قد توجد لدى بعض الناس، كزيادة إفرازات الغدد الصماء أو نقصانها أو الاضطرابات في عملية التمثيل الغذائي Metabolism من شأنها ان تؤدي إلى السلوك الإجرامي.

وحيث أن الغدد الصماء هي المسؤولة عن النمو الهيكلي لجسم الإنسان وتأكيد صفات الذكورة والأنوثة فيه، فإن اختلال وظائف هذه الغدد يؤدي إلى نتائج تظهر في أعضاء جسم الإنسان من حيث التضخم والضمور والذكورة والأنوثة والنشاط والخمول والهيجان والاستقرار مما يؤدي في ظروف معينة إلى ارتكاب الفرد جرائم معينة [74] ص 55.

ويذكر أصحاب هذا الاتجاه أن العلاقة بين الاضطرابات الفيزيولوجية والسلوك الإجرامي هي علاقة السبب والنتيجة، بمعنى أنها علاقة ذات اتجاه واحد، أي أن إنعدام التوازن في العمليات الفيزيولوجية يؤدي إلى إفساد دوافع الفرد وسلوكه مما يؤدي به إلى ارتكاب الجرائم [74]ص55.

والأمر الذي يجب لفت النظر إليه وتأكيد، هو أن ما استطاع علماء الغدد الصماء التوصل إليه من نتائج لا يمكنهم مطلقاً من الجزم بأن اختلال غدة معينة منها، يدفع إلى ارتكاب جريمة معينة كالقتل أو السرقة أو الخطف، أو الإغتصاب أو غير ذلك من الجرائم ولكن هنا لا بد من ذكر استخدام هرمونات الجنس لزيادة القدرة الجنسية في حالة انخفاضها أو إيجادها في حالة زوالها [73]ص111.

1.2.2.3. الإجرام نتيجة الضعف العقلي

لقد ظهر من البحوث التي تناولت الأسرة المنحلة أخلاقياً أن الضعف العقلي ظاهرة شائعة بين أفرادها. وقد أدى هذا الكشف إلى ربط الإجرام بهذه الظاهرة ربطاً سببياً. والمعروف أن الضعف العقلي إما يكون وراثياً، أي صفة تحملها البويضة أو الحيوان المنوي الذي يخصبها، أو كلاهما، أو مكتسباً بعد إخصاب البويضة والغريب في الأمر أنه صح القول بأن الإجرام ينجم عن الضعف العقلي، كان كل من في المؤسسات العقابية متخلفين عقلياً، أي بتدني ذكائهم عن 75 درجة من 200 درجة، والواقع أنها تحتوي على خليط من نزلاء ينتمون إلى مستويات عقلية تتدرج من الضعف العقلي إلى الذكاء المفرط. ولقد لفتت هذه الحقيقة الأنظار إلى وجود علاقة قوية بين نوع الجريمة وطريقة ارتكابها وبين درجة الذكاء.

وهناك حقيقة اجتماعية بخصوص ضعاف العقول يجب ألا نغفل ذلك أن الأطفال المتخلفين عقلياً، في الغالب، يحصلون على رعاية خاصة من ذويهم ومن جماعة الجيران ثم في المعاهد الخاصة التي يلحقون بها [73]ص109.

3.2.3. النظريات العلمية النفسية

"يشير مسمى النظريات النفسية إلى مجموعة متعددة من المناحي والمفاهيم النظرية التي تشترك جميعها في إعتقاد أساسي مؤداه أنّ السلوك الإجرامي محصلة أونتاج لبعض الخصال الشخصية الفردية للمجرم أو الخصال الشخصية التي توجد لديه بدرجة خاصة مميزة له".

وبالتالي فإنّ التفسير السيكولوجي للسلوك الإجرامي يقوم على أساس وجود علاقة بين التكوين النفسي والعقلي للفرد والسلوك الإجرامي.

وهناك عدة مدارس اعتمدت في تفسيرها للسلوك الإجرامي على الجانب النفسي ومن هذه المدارس ما يلي:

1.3.2.3. مدرسة التحليل النفسي

يعتبر سيجموند فرويد Sigmund Freud المؤسس الأول لمدرسة التحليل النفسي ويرى فرويد Sigmund Freud أن أي سلوك إنساني يحركه دافع معين قد يكون هذا الدافع شعوريا وقد يكون لا شعوريا، وبالنظر إلى النفس كمركب من الهو والأنا، والأنا الأعلى، فإن الدافع وراء السلوك الإجرامي لا يخرج عن احد الأمرين:

الأول: أن تتغلب النفس ذات الشهوة نتيجة لضعف "الأنا الأعلى" وعدم قدرتها على القيام بوظيفتها في الردع والمراقبة.

الثاني: العقد النفسية التي يمكن أن تتجم عن كبت "الأنا" للميول الفطرية والنزاعات الغريزية وإخمادها في اللاشعور. [74]ص56.

يرى سيجموند فرويد Sigmund Freud أن الكبت وكبح جماح الشهوات يؤديان إلى الصراع النفسي بين هذه القوى الثلاث فيرى: أنه إذا تغلبت نزاعات الذات الدنيا على الذات الحسية انطلقت الدوافع والميول والرغبات، فتقوم الذات العليا التي يهملها الكبت وقمع الشهوات بعملية النقد أو التأديب للذات الحسية، فيشعر الفرد بالعصبية، وينجم عن ذلك الشعور بالاضطراب والقلق النفسي اللذان يؤديان إلى إختلال التوازن، وهكذا يكون باعثا قويا على الإجرام، فيتكون السلوك الإجرامي [75]ص140-141.

فالإنحراف يعبر بطريقة رمزية عن العقد النفسية التي تكونت في الطفولة بطريقة لا شعورية فحالات السرقة القهرية ترمز إلى انتزاع الحب والحصول على العطف في صورة الشيء المسروق كما أن الانحراف سببه عقدة أوديب الناتجة عن حب الفرد لأمه لا شعوريا ذلك الحب الجنسي الذي يمنع تحقيقه تقاليد المجتمع ومن ثمة يسبب للطفل اضطرابا وضيقا نفسيا نتيجة كبت عنيف لتلك الرغبة الشهوية الجامحة المكبوتة والتي ينفس عنها السلوك العدوانى، خصوصا بسرقة ممتلكات الغير حيث تعوضه عن الفرد الذي لم يتمكن من تملكه وهو أمه.

ومن أهم العقد النفسية التي لوحظت لدى الكثير من المجرمين، عقدتا الشعور بالظلم، والشعور بالنقص، وليس غريبا أن يكون الشعور بالظلم، والشعور بالنقص من العوامل المؤدية للسلوك الإجرامي.

فالشعور بالظلم يؤدي إلى كراهية المتسببين في هذا الظلم، ومحاولة الإنتقام منهم مما يدفع الفرد إلى ممارسة السلوك الإجرامي، وكذلك فإن الشعور بالنقص يدفع الفرد إلى محاولة إثبات الذات ولفت الإنتباه، وقد يجد الفرد في السلوك الإجرامي ما يحقق تلك الأهداف.

ومن أنماط إضطرابات الشخصية المؤثرة في السلوك الإجرامي، مايسمى بالضعف العقلي Deficieng والذهان Psychosis والعصاب Neurosis ، والشخصية السيكوباتية أو السوسيوباتية.

وقد أدرجت الأمراض العقلية تحت المدرسة النفسية لأنّ مظاهرها نفسية [76]ص16. ويشرح الدكتور جلسبي (Gillespie) بوضوح العلاقة بين الأمراض العقلية المختلفة والإجرام ويرى أنها من أقوى العوامل التي تدفع إليه.

2.3.2.3. المدرسة النفسية الواقعية

قدم هذا التفسير يوشيلسون Yochelson ، وسامينوف Saminov، وقد أسس هذا التفسير على إفتراض مؤداه أن المجرمين لديهم طريقة مختلفة للتفكير فالمجرمون تحركهم مجموعة فريدة من الأنماط المعرفية، والتي تبدو منطقية بالنسبة لهم ومتسعة مع بنائهم المعرفي، في حين تكون خاطئة بالنسبة للتفكير المسئول Responsible Thinking فالشخص منتهك القانون يرى نفسه والعالم المحيط به بطريقة تختلف عن الطريقة التي يرى بها الآخرون العالم حولهم.

ويستخلص أصحاب المدرسة النفسية الواقعية النتيجتين التاليتين:

النتيجة الأولى:لابد وأن يقتصر البحث في تسير الظاهرة الإجرامية على المجرمين غير المرضى أي الذين يتمتعون بتكوين عضوي نفسي لا يختلف عن الأسوياء، فهؤلاء هم المجرمون الحقيقيون وإجرامهم هو الإجرام الحقيقي.

النتيجة الثانية:السلوك الإجرامي لهؤلاء المجرمين الحقيقيين إنما ينشأ عن عقلية مكيفة إجتماعيا وهذه العقلية اللا إجتماعية ينتج عنها إضطرابات نفسية وعصبية.

ومن النتيجتين السابقتين يمكن القول بأن أصحاب المدرسة النفسية الواقعية لا يعتبرون مايرتكبه المرضى- سواء كان المرض نفسيا أو عضويا [74]ص60.

4.2.3. النظريات السوسولوجية

1.4.2.3. نظرية التفكك الاجتماعي

يشير مفهوم التفكك الاجتماعي إلى تناقض وصراع المعايير الثقافية، وضعف أثر قواعد السلوك ومعاييرها، وصراع الأدوار الاجتماعية، وإنعدام الالتقاء بين الوسائل التي يجيزها المجتمع مع غايات الثقافة فيه، وأخيرا إلى إنهيار الجماعات وسوء أدائها لوظائفها".

ويشير التعريف السابق إلى أن الأسباب المؤدية إلى حدوث التفكك الاجتماعي متعددة، ومنها إحتواء الإطار العام للمجتمع على ثقافات متعارضة المعايير، وعدم فعالية قواعد السلوك في الضبط، وظهور وظائف متعارضة الأهداف، وعدم التخطيط بحيث ينتقي الالتقاء بين الغايات والأساليب المقترحة لتحقيقها، فتنهار تبعا لذلك الروابط الاجتماعية، ويسود التفكك الاجتماعي [67]ص60.

في هذه النظرية كما يعرضها تورستن سيلين Thorsten Sillin ان المجتمعات البدائية أو الريفية، تتميز بالرقابة والإنسجام بين أعضائها، فهم يحيون حياة مشتركة تتضاءل فيها النزعات الفردية ويعمل الكل لخدمة الجماعة، ومن ثم كان وقوع الجريمة وقتئذ أمرا بعيد الاحتمال اللهم إلا إذا إن كان من شخص خارج عن الجماعة، أو من أحد أفرادها على شخص ينتمي إلى جماعة أخرى، ولم يكن الباعث عليها تحقيق مصلحة خاصة بل كان الباعث الوحيد هو مصلحة الجماعة التي ينتمي إليها الجاني.

أما في المجتمع الحديث فالأمر مختلف نتيجة لما أصابه من تعقيد وتصارع بين أفرادها، وتفشي الروح الفردية على نحو كرهه، كما أصاب هذا التعقيد والتصارع، أيضا الإنسان على مختلف سن حياته فهو في طفولته يعيش بين أسرته، وكثيرا ما يجد في تصرفات أحد والديه، أو كليهما، ماينأى به عن سبيل الفضيلة، وخاصة إن دب الشجار بينهما. [77]ص67.

وقد أوضحت نظرية "شو" Shaw أن أكبر تجمع للجانحين والمجرمين يحدث في مناطق تتسم بالتفكك الاجتماعي Social desorganization الذي يأخذ صورة تصارع القيم بين الجماعات المختلفة، وذلك حين يستجيب الفرد لتعاليم جماعة لا ترى فضاضة في إنتهاج السلوك الإجرامي. وتزيد فرص انتقاء الإلتئام بين المعايير السلوكية لهذه الجماعة كلما تعددت الجماعات التي ينتمي إليها الفرد مهما حدث من تداخل فيما بينها، أي مهما إتفقت بعض عناصر التكوين الثقافي في كل منها.

وبناء على ذلك تكون نسبة الجزائر في الريف أقل منها في الحضر، حيث يكون المجتمع الريفي أقرب إلى الجماعة الواحدة ونمط السلوك الواحد، أما في المجتمع الحضري فيتكون من جماعات مختلفة في سلوكها [74]ص67.

2.4.2.3. نظرية تصارع الثقافات (الصراع بين الثقافات)

وتمثل هذه النظريات حالة خاصة من نظرية التفكك الإجتماعي التي دعا إليها ثورستن Thorsten Sillin وتنص هذه النظرية على أن القانون الجنائي في أي مجتمع يكون مبنيا على مجموعة من القواعد والمبادئ التي يدين بها هذا المجتمع، ويسعى القانون إلى حمايتها، فإذا كان الفرد منتميا إلى جماعة تتعارض مع قيمها مع تلك القيم التي يحميها القانون، فإن هذا من شأنه ان يوقع الفرد في حالة صراع تؤدي به الى الوقع في الجريمة.

وقد أوضح أن صراع القيم أو المعايير الذي يؤدي إلى السلوك الإجرامي يرجع الى ان مختلف الجماعات العرقية أو العنصرية أو الطبقيّة تشترك أو تتقاسم أنماطا ثقافية تختلف مع القوانين السائدة ضد أشكال معينة من الجرائم.

وعليه تعد الثقافات الفرعية الشاذة Deviant Subculture مصدرا هاما من مصادر الجريمة، حيث تطورت لدى هذه الثقافات كلما تأثرو بأرائهم وشاركوا في نشاطهم الإجرامي، واعتبر ميلر Miller أن أي فرد ينمو في مثل هذه الثقافات سوف يخرج على القانون تلقائيا، فمثلا الثقافة الفرعية لتجار المخدرات والثقافة الفرعية لأعضاء عصابات الأحداث، ينشأ الطفل في مثل هذه الثقافات بحيث تكون الجريمة شيئا طبيعيا لديه، ومثل هذه الثقافات تنظر للعالم نظرة خاصة، وكل منها يرفض على الأقل أجزاء من الأخلاقيات التقليدية التي يحتوي عليها القانون.

ويقسم سذرلاند، ودونالدر، كريس Edwin Sutherland and Donald cressy

الصراع الثقافي إلى:

صراع داخلي: ويرجع الى تنوع القيم الاجتماعية والاتجاهات داخل وحدات الثقافة العامة الداخلية لهذا المجتمع

صراع خارجي: ينشأ نتيجة لغزو اتجاهات ثقافية خارجية للمجتمع مما يولد صراعا بين أساليب السلوك المنتمية للثقافة الأصلية للمجتمع، وأساليب السلوك المنتمية للثقافة الداخلية [74]ص 68-69.

3.4.2.3 نظرية المخالطة المتفاوتة (الاختلاط الفارق)

هذه النظرية تحاول أن شرح كيفية حدوث الانحراف وتحت أي ظروف ولقد أشار سيذرلاند Sutherland Edrwin الى أن تعلم السلوك المنحرف أساسا يحدث من خلال الاتصال بجماعات المنحرفين والانتماء لها وان درجة تشرب السلوك المنحرف تتوقف على درجة عمق هذا الاتصال وتكراره ومدته.

ويرى سيذرلاند Edwin sutherland أن هذا الاتصال يتم بين أشخاص على درجة مقربة من الصلة الشخصية أو الصداقة والزمالة، فإدوان سذرلاند Edwin Sutherland يرى الانحراف أنه مشاركة مع الآخرين في إتجاهات معينة نحو القانون والمجتمع ونحو الفرد لذاته هذه الإتجاهات تثبت في الفرد من خلال عملية الاتصال المتفاوت (تعلم القيم والسلوك المنحرف من خلال الاتصال بالمنحرفين) [76]ص18.

وذكر إدواين سيذ لاند Edwin Sutherland أنّ بعض الناس يصبحون مجرمين لأنهم تعرضوا لإتجاهات مشجعة لأنواع معينة من الجرائم أكثر من تعرضهم لاتجاهات تغاض الجريمة، وذكر أنه ليست كل الارتباطات والاحتكاكات الشخصية لها نفس الأثر، فكلما كان الارتباط بالنسبة للشخص وأصبح أكثر تردداً، وأكثر أهمية، كلما كان تأثيره أقوى فسلوك المجرمين مثل سلوك غير المجرمين يتم تعلمه من خلال مجموعات شخصية حميمية أكثر من تعلمه من مصادر غير شخصية كالسينما والتلفزيون [74]ص70.

وثمة عوامل ثلاثة تساهم في تحقق هذا الاتصال الفارق يتمثل أولهما في أسبقية تأثير الفرد بالسلوك السائد ضمن جماعة معينة، ويتصل ثانيها باستمراره فترة من الزمن تسمح بإكتسابه مسلكتهم في إشباع حاجاتهم على نحو غير مطابق للقانون، أما الأخير فيعني عمق التأثير الذي يتعرض له الفرد ومدى فاعليته في سلوكه سبيل الجريمة، وهذا أمر يتوقف على مدى حدة وقوة التأثير الذي تمارسه الجماعة الشريرة عليه، ولاعبرة بعد ذلك بالبواعث التي دفعت الشخص إلى إتصاله بغيره فقد تكون نبيلة أو دنيئة طالما أن الأمر قد أفضى إلى إنتهاجه سبيل الجريمة تأثر بهم [77]ص207.

4.4.2.3 نظرية الضبط الإجتماعي

إنّ ترافيس هيرش Travis Hersch هو أحد الرواد الأساسيين لنظرية الضبط الإجتماعي، ولقد أشار إلى أن الشخص المتمثل للأعراف والتقاليد هو الشخص الذي يكون إرتباطه بالنظام الإجتماعي القائم قوي ولا يميل إلى السلوك المنحرف، ولذلك فقد أوضح هيرشى Travis Hersch إلى أن

الشخص يميل إلى ارتكاب السلوك المنحرفين يكون تمسكه بالعرف والتقاليد السائدة ضعيف أو غير موجود كلياً، وفي هذا الصدد أكد ترافيس هيرشي TravisHersch على أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع في منع الانحراف والوقاية منه، فالنظرية ترى الأسرة أنها حصن أو درع القوة في حماية تقاليد وعادات ثقافة المجتمع ومنع الانحراف، وأضاف ترافيس هيرشي Travis Hersch الى ان العوامل الضرورية في الأسرة والتي تساعد على حماية الأبناء من الانحراف هي الاشرار المتواصل على الأبناء وأنشطتهم المختلفة وعلى شكل ونمط العلاقة بين الأباء والأبناء على نوعية الاتصال القائم بين أعضاء الأسرة، لاشك أن نظرية ترافيس هيرشي Travis Hersch تعطى شرحاً جدياً للدور الذي تلعبه الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع في انحراف الأحداث والوقاية منه وبذلك فالنظرية نوضح أهمية التفاعل بين الفرد والبيئة [76]ص19.

5.4.2.3 الثقافة الفرعية

قدم. مارفن وولفجانج Wolfgang Marven نظرية عن الثقافة الفرعية للانحراف عام 1967، وتكشف هذه النظرية على أن الاتجاهات نحو الانحراف تختلف بشكل كبير من جماعة إلى أخرى داخل نفس المجتمع، وقد ذهب "ولفجانج" إلى أن هناك ثقافة فرعية للانحراف تظهر بشكل واضح بين الأقليات الأثنية والطبقات الدنيا في، الولايات المتحدة، وتتميز هذه الثقافة الفرعية بأن لها اتجاهات إيجابية نحو الانحراف، وأن هذه الاتجاهات تشجع على ظهور السلوك المنحرف في كثير من الظروف [76]ص24.

ويذهب أنصار هذه النظرية (والذين يميلون إلى انتقاد نظرية فقدان المعايير) إلى أن السلوك المنحرف سوي سيكولوجياً لأن المنحرف لا يختلف في شيء عن الأشخاص الأسوياء لكي يكون "ممزقاً" سيكولوجياً، ويعتبر سلوكه سويًا-سوسيولوجيًا-لأنه على الرغم من كونه منحرفاً من وجهة نظر المجتمع الكبير.

ويمكن التحقق من بعض مبررات هذه النظرية الى الانحراف عن طريق فحص نتائج التجارب التي أجراها "أك" على الضغط الجماعي والتي تكشف عن أن الفرد يجد تعزيزاً وتدعماً لانحرافه كلما عثر أشخاص آخريين يشبهونه في انحرافهم عن المجتمع ويمدونه بتبرير أخلاقي لسلوكه الانحرافي.

إن هذا المنظور للانحراف يفرض على عالم الاجتماع أن يضع في اعتباره ظروفًا إجتماعية مؤدية للانحراف، تختلف تماماً عن تلك التي أدلها أنصار نظرية فقدان المعايير، أما المتغير الأساسي في تحديد من الذي سوف يصبح منحرفاً، فهو تعرض الأشخاص الفارقي لتأثير الثقافات الفرعية الانحرافية، وطبقاً لهذه النظرية، يميل سكان المناطق المختلفة إلى معدلات عالية في أنواع عديدة من

الإحراف، لا بسبب الظروف المحيطة بالحياة في هذه المناطق والتي قد توصف بأنها تعسة وإنما لأنّ عدد الثقافات الفرعية الانحرافية التي تميل الى الازدهار كنتيجة "للتفكك الاجتماعي" النسبي (الفشل في تطبيق القانون مثلا) يوجد في هذه المناطق.

ومن أهم أوجه النقد التي وجهت لهذه النظرية، أن الناس الذين يتصرفون بإنحراف لديهم إتجاهات إيجابية نحو الانحراف تختلف عن اتجاهات الشخص العادي، إلا أنّهم يتصرفون بإنحراف بسبب الظروف والمواقف التي يتعرضون لها.

3.3 مفاهيم مرتبطة بالجريمة

1.3.3. أثر نزعة العدوان وعلاقته بالجريمة

يعرف العدوان بأنه نشاط تجريبي من أي نوع ، أو أنه سلوك يستهدف إيذاء شخص أو أشخاص آخرين وقد يكون هذا الإيذاء فيزيقيا وقد يكون سخرية من شخص آخر.

أما أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي فينظرون للعدوان على أنه سلوك متعلم أو مكتسب من خلال التقاليد والمحاكاة والملاحظة و المشاهدة ، وبالتالي يتدعم هذا السلوك كلما لقي التعزيز و المكافئة [78]ص ص268-269.

من وجهة علماء النفس ، السلوك العدواني عبارة عن سلوك إرادي أو مقصود يستهدف إما إلحاق الأذى الجسمي أو البدني أو الفيزيقي أو الأذى الجسمي أو البدني الفيزيقي أو الأذى النفسي أو الألم النفسي بشخص آخر، وبالطبع بهذا المعنى يختلف عن نزعة توكيد الذات أو إثبات الذات Asserlwenss وإن كان هناك من يعتبر الأشخاص الذين يطالبون بحقوقهم ،والذين يشكون من وجود حالات الظلم وعدم تحقيق العدالة من وجهة نظرهم عدوانيين [79]ص ص214.

يمكن أيضا أن ينشأ هذا العدوان تلقائيا ن ويظهر الانسان كحيوان متوحش تصبح عنده مراعاة بني جنسه أمرا غريبا ، وتصبح الحضارة بإستمرار مهددة بالانحلال بسبب " العداوة الأساسية المتبادلة بين البشر " ولا يستطيع حتى العمل المشترك أو يوحدھا . "فالانفعالات الغريزية أقوى من المصالح المعقولة "ويجب أن نضع الحضارة حدودا للغرائز البشرية العدوانية ،وتكبح بواسطة بن ردة الفعل المادية .

من هنا تستخدم الحضارة طرقا لإغواء الناس في علاقات تهدف لكبت الحب و وضع قيود على الحياة النفسية الجنسية والأمر بمحبة الجار كمحبة النفس [80]ص ص127-128.

2.3.3. العنف

إن قصة العنف كقصة من الملح على الجماعة معرفة جوهرها، تغذي إرث الجماعة ووجدتها ولغتها من خلال موروث مشترك من الفهم العام، الذي يتجسد في المؤسسات وينتقل عبر معرفة العنف وممارسته، من هنا تصبح وسيلة تقصي الفهم الثقافي للعنف نوعاً من الفهم الذي يتجسد في المؤسسات، وينتقل عبر معرفة العنف وممارسته.

يقدم روبرت ماكافي براون Robert McAfee Brown تعريفاً مطولاً للعنف بوصفه انتهاكاً للشخصية، بمعنى أنه تعد على الآخر أو إنكاره أو تجاهله، مادياً أو غير ذلك. إن مخاطبة الشخصية تعني إعطاء وصف شامل للعنف بأنه أكثر من مجرد الجسد والروح. إنه يقر بأن الأعمال التي تسلب الشخصية هي أعمال عنف. فأي سلوك شخصي ومؤسساتي يتسم بطابع تدميري مادي واضح ضد آخر يعد عملاً عنيفاً. هناك العنف الشخصي الخفي، الذي يؤدي الآخر نفسياً وهناك العنف المؤسساتي الخفي، حيث تنتهك البنى الاجتماعية هوية مجموعات الأشخاص كما يحصل على سبيل المثال، في مستويات الحياة المتدنية في الأحياء المغلقة، وهكذا تصبح المشكلة بالنسبة إلى ماكافي براون Robert McAfee Brown، مشكلة بنيوية.

من ناحية أخرى، هناك تقصّي في تفسيرات العنف الرمزية في الأساطير، والمعايير والقيم التاريخية. هذا هو الإطار غير المباشر للافتراضات البيداتية، التي يمثلها الأفراد في تفسير ما يعد عنيفاً.

تسعى المقولة لصالح "العدوان الفطري" إلى تبرير السلوك العنيف، وتقتصر التحريم الاجتماعي وسيلة سيطرة على الأفراد العدوانيين، وينعكس الجدل بشأن العدوان المرتبط بالتاريخ العرقي، وبالتالي المرتبطة بتطور الفرد في نظرية الغرائز عند فرويد والحاجة للسيطرة عليها بالوسائل الاجتماعية [80] ص 35-42.

ويختلف العنف باختلاف الظروف الاقتصادية والمهنية، لقد أظهرت بعض الدراسات التتبعية وجود اختلافات ثقافية في النواحي العقلية أو المعرفية والنواحي العاطفية أو الانفعالية وفي النواحي السلوكية وفي الاستجابات الفيسيولوجية.

ويستطيع المرء أن يلاحظ من خلال تجربة بسيطة بأن يوجه عبارة إهانة إلى شخص من ثقافة عرفت بالتمسك بالشرف، ولآخر من غير أصحاب هذه الثقافة وسوف يلاحظ الفرق في رد الفعل، والثقافة تؤثر في شخصية الفرد وفي قيمه وسلوكه [49] ص 280.

3.3.3. التعصب

التعصب موجود قديماً منذ الفترات الأولى لوجود الإنسان، وقد وجدت جماعات التعصب ضد الآخرين أو من يعتبرونهم أقل منهم بغرض المحافظة على البقاء أو زيادة القوة أو الوضع الاجتماعي، وقد وجدت الجماعات المتعصبة سهولة في فكرة أن الآخرين أدنى منهم لذلك فهم لا يستحقون المساواة في المعاملة وعلى هذا فالتعصب مرتبط بفكرة العنصرية الموجودة منذ زمن بعيد وانتشرت بشكل كبير في أوقات مختلفة عبر التاريخ.. فيوجد في معظم أنحاء العالم جماعة متعصبة ضد جماعة أخرى وهذا موجود عبر التاريخ ولكنه غير منتشر في العالم كله وإنما منتشر بدرجة كافية كأساس يؤدي إلى الصراع بين الأمم وبين الجماعات داخل الأمة الواحدة.

وتلعب الثقافة دوراً في تشكيل الإطار لكل ما يمكن أن يتعلمه الشخص ويدخل في صميم تنشئته. ولهذا تصبح العملية التي يكتسب عن طريقها الأفراد ثقافة الجماعات التي ينتمون إليها ذات أهمية كبيرة.

والأسرة تلعب دوراً هاماً في عملية التنشئة واكتساب العمليات التعصبية للأبناء ونموها للأسرة تمثل جانبا هاماً من المؤشرات الثقافية حيث تعد الاتجاهات الوالدية هي نتاج للمؤشرات الثقافية السائدة في المجتمع [76] صص 216-221.

إنّ التعصب كاتجاه له شقان

الشق الأول: وهو الجانب البناء الذي يؤدي إلى تماسك الجماعة واتحادها في مواجهة الجماعة الأخرى، ويجعل الجماعة تحافظ على تراثها الثقافي بانتقاله عبر الأجيان من خلال التنشئة الاجتماعية وتوارث وانتقال العادات والتقاليد والقيم الجديدة داخل الجماعة أو القبيلة.

أما الشق الثاني: وهو الجانب الهدام الذي يؤدي إلى صراع الجماعات أو الأفراد سواء من أجل السلطة، أو النفوذ، أو غير ذلك من الأغراض الأخرى التي يسعى إليها أعضاء كل جماعة أو قبيلة [76] صص 222-223.

تعتمد العلاقات المبنية على أساس عنصري على ما تعارف عليه أفراد المجتمع وما ساروا عليه من تعامل مبني على وجود مجموعات بيولوجية أو افتراض وجودها في ذلك المجتمع، فإذا اختلفت هذه الاعتبارات فإن العلاقات بين الأفراد من مختلف الأجناس لا تعدو أن تكون نوعاً من العلاقات التي تقوم في المجتمع البشري.

فبينما تعيش جماعات ذات ثقافات مختلفة تعيش في مجتمع واحد حياة ونام، يوجد في نفس الوقت عداء بين الأجناس التي تعيش في مجتمعات ذات ثقافات متجانسة. وتحتم تعاليم الإسلام المساواة بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم فطبقاً لأحكام القرآن يتساوى أهل البلاد المفتوحة الذين يعتنقون الإسلام في جميع الحقوق والواجبات، وفي الحضارة الهندية لا يوجد أساس جنسي لنظام الطبقات، غير أن بعض الكتاب يرون أن نظام الطبقات في الهند قد نشأ على أساس من التفرقة بين الأجناس ويذهبون في ذلك إلى أن المجتمع الهندي القديم كان مقسماً إلى أربعة ألوان. وفي ظل النظام القبلي يكون ولاء المرء لقبيلته ولا يكون عنده لغيرها.

ويسود بين أفراد كل قبيلة شعور الاعتزاز بالانتماء إليها والاعتقاد في أن بني جلدتهم أشرف الناس وأكرمهم وأجدرهم بالحياة، وتنعكس هذه النظرة والعلاقة بينهم وبين أفراد القبائل والشعوب الأخرى. والقاعدة في هذا الخصوص أن المبادئ الأخلاقية والقيم السلوكية والضوابط القانونية يرتبط بها أفراد القبيلة فيما بينهم، ولكن في حل منها في علاقاتها بالآخرين فالسرقة إذا وقعت على ماشية مملوكة لأحد أفراد العشيرة والقبيلة كان عار ليس كمثله جرم... والقتل إذا وقع على أحد أعضاء القبيلة بعضو آخر بها كان من الممكن تسويته بالزام القاتل وأقاربه بدفع دية أو تعويض آخر إلى أقارب القتيل؛ أما إذا وقع من أحد أفراد قبيلة على فرد بقبيلة أخرى فليس هناك سوى الثأر والانتقام[82] ص ص 241-247.

4.3. عوامل الجريمة والانحراف

1.4.3. العوامل البيئية

1.1.4.3. العوامل الطبيعية الجغرافية

تتعلق العوامل الطبيعية بمجموعة الظروف الجغرافية التي تسود في منطقة معينة مثل حالة الطقس من حرارة وبرودة، وكمية الأمطار، ونوع ودرجة الرياح وطبيعة الأرض والتربة، ونسبة التلوث. وتأثير الوسط الطبيعي لمنطقة معينة على نفسيات وسلوك الأفراد المقيمين عليها أمر تنبه إليه فلاسفة اليونان وغيرهم، حيث نادوا بضرورة التوافق بين القوانين والظروف الطبيعية.

وأثر العوامل الطبيعية الجغرافية لا يقتصر فقط على سلوك الأفراد وإنما يمتد لتكوين المجتمع فيؤثر على ثقافته وحضارته واقتصاده بل وعاداته وتقاليده. وقد اختلف الباحثون حول مدى تأثير الظروف الجغرافية المختلفة على الظاهرة الإجرامية، فأجمعوا على أن هناك تأثيراً غير مباشر بالنسبة لطبيعة الأرض والتربة، وصلة المناخ بظاهرة الإجرام حقيقة لا ينكرها أحد ولا تخالف الواقع، وقد

اتضح من الإحصاءات أن ظاهرة الإجرام تختلف تبعاً لاختلاف الدول بل تختلف في الدولة الواحدة من منطقة لأخرى وفقاً لحالة المناخ في كل منطقة ولكن يمكن القول أن اختلاف الإجرام تبعاً لاختلاف الدول أمر لا يصح التعويل عليه، ويرجع ذلك إلى أن الفوارق بين الدول لا تنحصر في ظروف المناخ وحده، بل تمتد إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية [70] ص 122-123.

2.4.3. عوامل البيئة الاجتماعية

1.2.4.3. الوسط المجتمعي الشعبي

يؤكد العديد من مفكري علم الاجتماع على أن المجتمعات البشرية عندما تكبر ويزداد عدد أفرادها تميل إلى التوزيع إلى مجاميع صغيرة للسكن والمهنة ومرد ذلك المنافسة بين الأفراد والمجاميع وما تتطلبه من حاجة إلى الحماية والدعم من المجموعة التي ينتمي إليها الفرد. يعني هذا أن الفرد يختار وينتقي المجموعة التي ينتمي إليها وبالتالي المنطقة التي يقطنها [83] ص 13.

يختلف تأثير الحي والجيرة باختلاف مستواها، والمقصود بذلك ارتباط التأثير بالجو المحيط بالفرد في حدود اتصالاته وعلاقاته اليومية المعتادة واحتمال التأثير السلبي.

يكون الحي ذا طابع تجاري مزدحم مليء بالصخب والمعاملات التي تسيطر عليها أساليب الغش والخداع مما يجعل الناشئة على اتصال يومي بهذه الصور العلائقية التي تطبع فيها نمطا معيناً من السلوك والتعاطي تغلب عليه الروح السائدة التي ستؤثر على المدى الطويل في تشكيل قيمه ومعاييرها وأنماط سلوكه [84] ص 46-47.

وقد عالج الكثير من علماء الجريمة موضوع الحي وأبرزوا علاقته بالانحراف والجريمة وتقوم غالبية هذه الدراسات على افتراض أساسي يقول أن الجناح أو السلوك الإجرامي هما حصيلة تفاعل طويل يحدث بين الفرد وبين ظروف بيئته من جهة، وبين الفرد وبين أفراد جماعته الأولى [85] ص 111.

لقد لوحظ أنّ انعدام التنظيم الاجتماعي له تأثير في الجريمة ففي كل من المجتمعات البدائية والمعاصرة ووجد أنّ استقرار وثبات النظام الاجتماعي عامل هام من عوامل الضبط في حدوث الجريمة. ولكن مهما كان مستقراً لا يوجد مجتمع مهما كان مستقراً يخلو خلواً باتاً من المجرمين. وإنّما يوجد قلة قليلة ممن يخرقون القانون في المجتمعات المستقرة المنعزلة والمتجانسة بنسبة أقل مما يوجد في الجماعات غير المنتظمة الرحالة وغير المتجانسة.

لقد أوضح شور. C.R Shaw وآخرون فروقا في الجريمة والجناح إلى اختلاف مناطق المدينة حيث وجدوا أنّ أعلى نسبة توجد في المناطق الشعبية القذرة Aress Shum وعديمة التنظيم والمنحطة فيزيقيا وحول وسط المدينة وتقل النسبة كلما ابتعدنا عن مركز المدينة.

ولقد ذهب ريكلسي Rixley في تفسير لهذه الملاحظات إلى القول بأن انعدام التنظيم الاجتماعي وعدم توزيع السكان توزيعا عادلا والتحضر والمناطق القذرة لا تسبب الجريمة ولكنها بطريقة غير مباشرة تشجعها عن طريقة زيادة الفرص المؤدية للسلوك المضاد للمجتمع [86] ص ص 49-50.

إنّ انتقال الناس من الأنماط الريفية والبدوية إلى الأنماط الحضرية في الحياة يعني اكتساب طرق جديدة في الحياة والقيم قد يكون لها تأثير على السلوك الإجرامي.

والعلاقات في المدن أقل شخصية وارتباطا وأكثر إبهاما فالأوضاع التقليدية لا تحظى بنفس الرعاية وهنا تضعف سلطة تلك الأوضاع ويحدث بالتالي صراع بين النظرة الحضرية والريفية والبدوية من جهة. إنّ التحول من المجتمع التقليدي يؤدي بالنظم التقليدية إلى فسح المجال لأفكار جديد، من التنظيم الاجتماعي والسلوك ولسلطة مما يدفع الأفراد إلى نبذ القيم القديمة إلا أنّ الوضع يكون أكثر تعقيدا عند التغير السريع الذي لا يتيح سوى قليل من الوقت للتكيف مع التغير وخصوصا ما يتعلق بالهجرة. كما أن إختفاء صور التقليدية للضبط الاجتماعي واضطراب الحياة الأسرية تؤدي إلى حدوث الجريمة والجناح [68] ص ص 81-88.

2.2.4.3. الطبقة والتفاوت الاجتماعي

يتفاوت الناس ويختلفون في فرص الحياة إذ يتمخض التفاعل الاجتماعي عن اختلاف في مراكز الأفراد ومراتبهم وهيبتهم وتعكس هذه اختلافات قيم المجتمع وتشير إلى الذات وعلى الآخرين، وما يتوقعه الفرد، وما يتقبله من الآخرين في المواقف المختلفة. وقد قسم العلماء الأوائل الطبقات إلى ثلاث: طبقة عليا، وطبقة وسطى وطبقة دنيا ومن تلاهم قسموا الطبقات إلى ست [68] ص ص 187-188.

وتختلف مستويات الطموح والسماح والقدرة على متابعة مراحل التعليم اختلافا واضحا باختلاف الوضع الطبقي، ووجود الفوارق العنصرية والجنسية والقبلية واللغوية والظروف الاجتماعية التي تتمثل في الوضع الاجتماعي.

إن غالبية الطبقات الدنيا يشتغلون الوظائف غير الماهرة وشبه الماهرة ولا يتمتع أفرادها بمراكز اجتماعية عليا، أو بالميزات التي تؤهلها إلى أوضاع اقتصادية أو سياسية أفضل.

وتتسم حياة هذه الطبقة بثقافة وطريقة خاصة في الحياة، فهم يقومون بممارسات غير شرعية، وبالجرائم العنيفة والتسرب من العمل [88] صص 150-151.

يمكن الإشارة هنا إلى أننا لا نوجه اصبع الاتهام الى كل الذين ينتمون إلى طبقة اجتماعية متواضعة أو نوصمها بالمرض والانحراف.

فمثلما نجد بين المنحرفين أفرادا ينتمون إلى طبقات اجتماعية رفيعة أو أبناء لأبناء يحتلون مراكز اجتماعي مرموقة فإننا نجد أفراد أتشكل انتماؤهم إلى طبقة اجتماعية دنيا حافزا قويا لاستنهاض قواهم وامكانياتهم فجاء نجاحهم التعليمي والمهني كسلوك تعويضي ايجابي، غير أننا نقول في هذا المجال إن الطبقة الاجتماعية الدنيا قد تشكل بظروفها غير الملائمة إقتصاديا وإجتماعيا مناخا يحتمل الانحراف ولقد أشارت دراسات اجتماعية عديدة إلى ارتفاع معدلات جناح الأحداث في الطبقات الدنيا، فذكر كلورد Clowerd وأوهلين Ohllin أن الجناح ينشأ من التفاوت بين ما يرغبه شباب الطبقة الدنيا وما هو في متناول أيديهم فعندما مايرغبون في تحقيق أهداف معينة كالنجاح الاقتصادي والتعليمي فإنهم يواجهون بالموانع التي تحدد الوسائل الشرعية لتحقيق هذه الأهداف، فإذا لم يستطيعوا أن يعيدوا النظر في أهدافهم أو يتواضعوا فيها فإنهم ولاشك سيصابون بالإحباط، بل قد يؤدي ذلك إلى جنوحهم، إذا لم تكن المعايير الاجتماعية قادرة على حفظ توازنهم.

وتشير هذه الدراسات أيضا، في كلامها عن البناء الطبقي، إلى أن جرائم سرقة السيارات يرتكبها عادة أحداث الطبقة الوسطى [84] صص 26-27.

2.4.3 العوامل الاقتصادية

1.2.4.3. التقلبات الاقتصادية

يقصد بالتقلبات الاقتصادية الأزمات الطارئة التي تنتاب الاقتصاد القومي وقد يكون لهذه الأزمات صفة الدورية أو لا تكون كذلك، وفي كل الأحوال تتميز بأنها عارضة لا تستمر فترة طويلة من الزمن، وقد انتهت كثير من الأبحاث إلا أنه ترتب على الأزمات الاقتصادية إرتفاع عدد الجرائم، وبصفة خاصة السرقة والتسول.

وفي دراسة «ليجون أوتوه Joohn Otto أجراها في فيلا ديلفيا La Phildelphie العلاقة بين الانحراف وبين الاقتصادية كالكساد والرخاء تبين له:

-أنّ الانحراف يكون مرتفعا أثناء الدورات الكساد الاقتصادي.

-أنّ الانحراف يكون منخفضا في دورات النمو الاقتصادي العادي المعتدل حيث لا وجود للرواج أو الكسل الاقتصادي.

-ان الانحراف يكون مرتفعا أثناء الرواج الاقتصادي.

كما تبين قد الباحثين آخرين أن الجرائم ضد الممتلكات تزداد في فترات الكساد، بينما تزداد الجرائم ضد الأشخاص في فترات الرخاء [70] ص ص 127-128.

اما علم الاجرام الماركسي فيتوقع زيادة في النشاط الاجرامي في الاقتصاد المنحدر بالنسبة لجميع انواع الجرائم حيث ان السلوك الاجرامي هو ببساطة احدى صور الانتاج التي يمكن ان تتم عند ما يكون الاقتصاد راسماليا وعندها فان الراسماليين والعمال كلهم تكون لديهم امكانية الانخراط في الجريمة [89] ص 383.

2.2.4.3. الفقر وعلاقته بالجريمة

الفقر نتيجة من نتائج الكساد سواء جاءت عن طريق البطالة أو غيرها، وهناك علاقة بين الفقر الجريمة من حيث ان الجوع يدفع الى السرقة، الا ان ذلك نادر الحدوث إذ لا يلزم ان يبلغ الفرد حد الجوع، ويكفي ان يدفع الى الشعور الى الشعور بالحاجة، والحاجة، بدورها نسبية، ولا يلزم ان يكون الشعور بالحاجة نتيجة حاجة حقيقية فقد تكون الحاجة وهمية او نسبية نتيجة المقارنة بالآخرين.

وللفقر آثار هامة على الفرد والاسرة فالفقر يؤدي الى الضعف الجسماني والأمراض الناجمة عن سوء التغذية وظروف المعيشة وما يترتب عليها من إنحلال أخلاقي، هذا بالإضافة الى الآثار النفسية الناشئة عن الحاجة والبطالة وقلق ومرارة ويأس وثورة وحقد على القانون، والمجتمع، مما يؤدي إلى الشذوذ السلوكي والعقلي والادمان على المسكر والمخدرات [89] ص ص 285-286.

ولا شك ان التفاوت الكبير في المستويات الاقتصادية بين فئات المجتمع قد ينعكس على الأجيال من الأطفال والشباب، سواء أثناء طموحهم وسعيهم، أو أثناء تنشئتهم الأولى ومنذ الصفر...إمتداد التنافس بينهم، وقد تكون الخيبة والفشل والعدوان من أسباب دفع الشخص إلى الانحراف، والإجرام.

لقد دلت البحوث المختلفة في دراسة الجانحين ان العوامل التي تدفعهم الى الانحراف تزداد فعاليتها حين تنتشر المجاعة، أو حين ينخفض مستوى المعيشة ويشد الفقر [60] ص 151.

3.4.3. العوامل الثقافية

-ويقصد بها مجموعة القيم المعنوية والخلقية والدينية التي تسود الجماعة ومستوى التعليم وتراثها وعاداتها وتقاليدها وأساليبها في الحياة.[70] ص ص348-349.

ودراسة البيئة الثقافية لها أهميتها في علم الاجرام والانحراف، إذ أن كل عنصر من العناصر المكونة لها يمكن ان يؤثر ايجابا أو سلبا على ظاهرة الاجرام في المجتمع فتقافة كل مجتمع تطبع اجرامه بطابع مميز.[77]ص80.

1.3.4.3. التعلم والتعليم

انتشار الأمية يعد من العوامل المؤدية او المحركة للجريمة فالتعليم إذا إستخدم بالطريقة الصحيحة فإنه يفلح في تهذيب الشخص وبالتالي يجد في تصرفاته الاجرامية التي قد تدور بفكره، ووسائل الاعلام مثل التلفزيون والراديو الصحافة والمسرح والسينما تعتبر من أهم الوسائل التثقفية التي تستخدم في دفع الشخص الى تعاطي المخدرات وتساعد على إنتشارها.

كما تستخدم وسائل الاعلام من قبل الاعداد الى الخلق القيم والمبادئ الهدامة للأمتين العربية والاسلامية، فقد تستخدم كفرد فكري وخصوصا من قبل اليهود ومؤمراتهم الى إضعاف الأمتين الاسلاميه والعربية.[70]ص ص349-250.

2.3.4.3. التقاليد والعادات

ان التقاليد الضارة والعادات السيئة تلعب دورا هاما في توجيه ارادة الافراد وسلوكهم نحو صور وظواهر متنوعة من السلوك الاجرامي ومن بين هذه الصور والظواهر ظاهرة تعاطي المخدرات.

3.3.4.3. التخلف والصراع الثقافي

ربط البعض بين التغير الاجتماعي والجريمة أو الانحراف ناظرا الى مايسمى التخلف الثقافي، والتخلف الثقافي يعني حدوث تغيرات تكنولوجية سريعة ومتلاحقة في حين يكون التغير الثقافي بطيئا، بمعنى أن يحدث تغيرا سريعا في إستخدامات التكنولوجيا والمعدات والأدوات وغيرها وتظل قيم المجتمع ومعاييره وتقاليده بلا تغير أو تتغير تغير بطيئا، لا يلحق بالتغيرات التكنولوجية السريعة[76]ص152.

وفي هذا المجال أشار عالم الاجتماع جورج بالانديني Georgeo Balandier إلى أن ظاهرة التخلف ترجع إلى تلاقي بنى إجتماعية مختلفة بحيث يتم ذلك بين مجتمع مجهز بأسبقية تكنولوجية قوية ومنظم على مقياس عالمي ومجتمع آخر مجهز بوسائل مادية ضعيفة...

مما يعني أن معظم الانحرافات التي يمارسها شباننا تعود إلى كلام التلاؤم بين أنماط سلوك أفرزتها حضارة منبثقة عن بنى إجتماعية تختلف جوهرها عن البنى الاجتماعية عندنا.

-الثقافة الواردة أو المستوردة التي تولد التعقيد والاحباط وعدم التوافق بين الفرد وبين ثقافة المحيط الذي يعيش فيه، بالإضافة الى عدم تطابق السلوك الفردي مع معطيات الثقافة المتغيرة باستمرار.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة الى نظرية الصراع الثقافي التي قال بها عالم الاجتماع الأمريكي ثورستن Thorsten Sellin لتفسير السلوك الجانح فقد قال عن هذا السلوك بأنه وليد تعارض معايير الجماعة المحددة التي نشأ فيها الفرد مع معايير المجتمع الكلي.

ولقد أخذ عالم سنرلاند Ediwyn Sutherland مبدأ الصراع بين معايير الثقافات المختلفة حين قال إن الشخص يصبح جانحا عندما تطغى على تصرفاته المعايير الجانحة السائدة في جماعة إنتمى إليها صف المعايير التكيفة في المجتمع الكلي[84]ص ص26-27.

إنّ العوامل الدافعة للجناح وهي توجد بصفة عميقة في الثقافة تتطلب ان يبحث الانسان بعمق أكثر ويتحكم تحكما أكبر وان المجتمع على ما يبدو سوف يستمر في خلق المجرمين وتدل جميع القرائن في الواقع على أن اعدادهم وعنفهم سوف يستمر ويتزايد.[90]ص 273.

4.3.4.3. الدين

الدين مجموعة قيم تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتستمد قوتها من مصدر غيبي هو الله الأمر النهائي، وإذا أردنا أن نلتمس أثر الدين على ظاهرة الاجرام والانحراف تبادر الى الاذهان للوهلة الأولى أن الدين عامل مضاد للإجرام فالدين يقف من الجريمة موقف العداء.

وغرس القيم في نفوس الأطفال منذ نعومة أظافرهم من شأنه أن يهذب سلوكهم ويصقل شخصياتهم ويقوي في نفوسهم المقدرة على مقاومة عوامل الانحراف والإجرام.

فالقيم الدينية تجعل الأفراد أكثر زهدا في المتع والملذات الشخصية وأقل حرصا على جمع المال وإتباع الشهوات والغرائز بأي وسيلة ومن أي سبيل.

ولا شك أنّ التخلي على هذه القيم النبيلة من شأنه ان يدفعهم الى كثير من دروب الانحراف وأن يزج بهم في غياهب الاجرام، نظرا لما يتضمنه الدين من مبادئ سامية تحض على الخير وتتهي عن الشر.

4.4.3.العوامل النفسية

إن هذه العوامل لا تنفصل عن العوامل السابقة بل يمكن إعتبارها عوامل وسيطة تؤدي ارتكاب الجريمة حيث أن الشعور بالقهر والتأثر والشعور بالفراغ والضياع أو الضيق والظنك و الأسباب العاطفية أو حالة "نفسية أو عصبية" ترتبط غالبا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الفرد في نطاق الأسرة أو الجماعة أو المجتمع [68]ص305 .

فيما يتعلق بأثر العامل الاقتصادي، فقد وجد أن غالبية المجرمين والأحداث ينحدرون من بيوت فقيرة، وإما أن يكونوا من العاطلين أو من الذين يعملون في الأعمال اليدوية غير الماهرة أو الوظائف قليلة الدخل.

وعلى الرغم من إنخفاض المكانة الاقتصادية بين المجرمين قد يكون عاملا لجرائم السرقة أو الجرائم التي ترتكب ضد الممتلكات، فإنها من المشكوك أن يكون الفقر والتعطل والبطالة سببها وما مباشر للجريمة. [91]ص ص51-52.

لقد دلت البحوث المختلفة في دراسة الجانحين أن العوامل التي تدفعهم الى الانحراف تزداد فعاليتها حين تنتشر المجاعة، أو حين ينخفض مستوى المعيشة ويشد الفقر ويزداد التعطل، وفي أوقات الحروب وما بعدها إذ في هذه الفترات ترتفع نسبة الأطفال المنحرفين والمجرمين...

لا شك أنّ القلق في المعيشة يسيطر على تفكير الشباب طالما أنه يجهل المكان الذي سوف يشغله في المجتمع، وغالبا ماتكون أزمات الشباب تعبيرا عن القلق المتسبب عن الشك في نوع الحياة وكثيرا ماتكون أزمات سن البلوغ تعبيرا عن هذا القلق الناتج عن عدم استقرار الحالة المعيشية فالشباب الذي يجد نفسه متعارضا مع المجتمع، الذي لم يعد يفهمه، فإنه سيظهر معارضته له عن طريق ما يرتكبه من أعمال ذات صيغة إجرامية، تتمثل في إثارة الناس والاحتكاك مع الغير إلى أن تصل الى نوع من الشكل واللباس وطريقة قضاء وقت الفراغ، وهنا تزدهر ظاهرة الانتحار بدون سبب ظاهر، وحوادث السطو المنظمة [60] ص ص151-155.

5.4.3.العوامل السياسية

1.5.4.3.الاستعمار

لقد ترك الاستعمار في البلاد التي احتلها وإستغل ثرواتها المادية والبشرية أثارا سلبية على حياة أفراد تلك المجتمعات، أدت الى تخلفها على كافة المستويات اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وسياسيا، ونجمت عنها الكثير من المشكلات والظواهر الاجتماعية المرضية من أبرزها وأخطرها ظاهرة الجريمة الانحراف. ويعد المستعمر الفرنسي الذي إستيطانه بالجزائر طيلة قرن وربع قرن من الزمن أكبر دليل على ذلك. في 1930 يحتفل الاستعمار بالذكرى المئوية، لقد رسخ في قرن من الزمن سيطرته على مجمل الأراضي الجزائرية، بما في ذلك الجزء الأساسي من الصحراء.

وإختفى التنظيم الاجتماعي لما قبل الاستعمار، بحد ذاته ومعهُ إختفى الشكل الأول، من أشكال المقاومة الجزائرية، وإن تعالت أصوات مطالبية بإصلاحات، وإن أصبحت أكثر إلحاحا...لم يشعر الاستعمار أنه في خطر بالعكس تماما، ثمة إستيطان استعماري هام، يبدو أنه يرسي بقوة، قواعد سيطرته المتعددة الأشكال، على الشعب الجزائري وإستقلاله الذاتي.[52]ص ص22-23.

كان المجتمع البريطاني، حتى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، يعد نفسه في قمة المجتمعات بما يتميز من الصدق والبر بالوعد والالطف والمجاملة وآداب اللياقة والرحمة والشفقة على الضعيف.

لكن عددا من فناني هذا المجتمع، رسموا الوجه الآخر للمجتمع البريطاني، بحيث أصبحنا نرى في ذلك المجتمع المواطن البريطاني الذي يدعو للرحمة في بلاده، ويتفرع بسخاء لأعمال البر، والذي هو في نفس الوقت ما هو إلا إنسان سالب ناهب ومغتصب لثروات الشعوب الضعيفة، وما دام مورد ثروته ((ملوثا)) بهذا الظلم والابتزاز فإن التلويت قد لحق بكل أعماله مهما بدت نبيلة.[60]ص ص130-131.

3.2.5.4.3.الحروب والثورات

ترتبط العوامل السياسية بالحروب والثورات التي تقوم في كل مجتمع وفي حقبة من الحقب الزمنية.[68]ص ص36-37.

وفي دراسة خاصة بظاهرة الجريمة والتغير الاجتماعي في المجتمع الأردني تبين أنه: كان من أبرز التغيرات في المجتمع في الفترة التي أعقبت حرب 1967 وحتى اليوم زيادة ملحوظة في حجم

الجريمة ومعدلاتها فقد تضاعف حجم الجرائم المرتكبة خلال هذه الفترة حوالي ضعفين ونصف وبلغ معدل الزيادة السنوية حوالي 7%.

أما جرائم الممتلكات فقد بلغ معدل الزيادة فيها 9,1% سنويا، وبلغ معدل الزيادة في جرائم الأشخاص 22,7% كما إتجهت جرائم الثقة العامة. [77]ص 101.

وعن العلاقة بين الحروب والثورات، وإنحراف الأحداث نذكر أن نسبة جرائم وانحرافات الأحداث ترتفع أثناء الحرب وذلك بسبب إستدعاء أغلب الرجال أرباب الاسر إلى جبهة القتال وما قد ينجم عن ذلك من تفكك للأسرة وضعف مواردها الاقتصادية، الى جانب إنتشار السوق السوداء فتكثر جرائم السرقة والاحتيال، وإساءة الائتمان وتنتشر ظاهرة تشرد الأحداث وتسولهم [68]ص ص 36-37.

ويعود عدم الاستقرار السياسي الذي يمثله صراع القوة بين الحزب الحاكم والجماعات السياسية المختلفة والدور الذي يلعبه الجيش في الانقلابات والانقلابات المضادة مما يؤدي الى وضع كثير من المعارضين في السجن، وتفسر هذه الجريمة بإمكانية تحقيق المكانة العالية والثروة والفساد بالنسبة للسياسيين وضباط الجيش وأسرهم وأقربائهم.

وإعتداء الوطنيين على دولتهم يحدث أحيانا عندما تفر فئة من المعارضين للحكم إلى دولة أخرى، ويستخدمون السلاح ضد دولتهم الأم كطريق مناهضة الحكم، ومع أن الخلاف الذي قد يصل الى القتال بين أبناء الدولة الواحدة مقبول-مقبول على بعضه- إلا أن من غير المقبول ان يقاتل ومصالحها والسكان معا.

الانحراف وعلاقته بفعالية السلوك الاجتماعي

1.8.3. مفهوم الانحراف

الانحراف ليس هو نوعية الافعال التي يرتكبها الشخص، ولكنه سلسلة من التطبيقات التي يطبقها الآخرون للقواعد والعقوبات على متهم ما [91]ص 81.

الانحراف هو موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن لعامل او اكثر من العوامل ذات القوة السببية مما يؤدي به الى السلوك غير المتوافق او يحتمل ان يؤدي اليه.

ويعرف كوهين 1959 kolin السلوك المنحرف بانه ((السلوك الذي يعتدي على التوقعات التي يتم الاعتراف بشرعيتها من قبل المؤسسات والنظم الاجتماعية))

مفهوم الانحراف يصنف حالة من توازن التي تفوض القواعد التي يستند عليها الاتصال وخطر في تهديم النظام المعياري للتفاعل، لكن حسب ميرتون يارسونر Merton PARSONS أنّ الناس الفاعلين لايزولون ومزودين للحفاظ على النمط المتواصل ، الأشياء، هذا الخطر هو على العموم مستمر [70]ص19.

ويرى روبرت ميرتون robert Merton 1961 أنّ السلوك المنحرف يشير الى ذلك السلوك الذي يخرج بشكل ملموس عن المعايير التي أقيمت للناس في ظروفهم الاجتماعية.[92]ص181.

1.1.8.3. مفهوم الانحراف في ضوء المعايير الاجتماعية

يتفق الباحثون على ان الاشارة الى لفظ الانحراف لا يتعلق بشيء خاص بالسلوك في ذاته، وانما علاقة ذلك دائما بالمعايير الاجتماعية المستخدمة في القويم، اي التوقعات التي يتقاسمها افراد المجتمع بالنسبة للسلوك الملائم، وبالنسبة للسلوك الذي يفشل في التوافق مع المعايير الاجتماعية التي تنظم الفعل في موقف معين[92]ص181.

2.8.3. مصادر الانحراف

1.2.8.3. نمط التفاعل الاجتماعي

ان الفكرة التي تشير الى الانحراف باعتباره اضرابا في توازن التفاعل "هي المنظور الاكثر اهمية في تحليل الانساق الاجتماعية عند تالكوت يارسونر talcot parsons ومعنى ذلك ان نطاق دافعية الفرد الذي يتصل بتحريكه او دفعه نحو السلوك الانحرافي، يعتبر محصلة عمليات التفاعل الاجتماعي التي وجدت في الماضي بينه وبين الآخرين، فالعمليات التفاعلية هي التي تؤثر في توجيه الفاعل نحو الموقف، وهذه هي الفكرة التي اعتبرها تالكوت يارسونر talcott parsons بمثابة قاعدة لتحليل أصل الدافعية الى الانحراف، فاذا أصيب نسق التفاعل "بالاضراب" "disturbance" ادى ذلك الى احباط نسق توقعات الان نحو الآخر ووقوع "التوتر على الان اي تعريضه لمشكلة"توافق".

ولقد قام تالكوت يارسونر talcott parsons بتحليل مضامين مشكلة التوافق هذه من خلال إشارته الى ثلاث قضايا وهي: أولا ان توقعات الان في نسق التفاعل، تمثل جزءا من النسق الخاص بالحاجات التي تمارس ضغطها عليه بغرض الاشباع، وثانيا، ان هذه نموذج القيمة الذي يحكم العلاقة يصبح مستد مجا ، الى درجة ان التعدى على حدوده يمثل احباطا مباشرا لبعض "ميلو الحاجه -need dispositions عند آلان[90]صص80-81.

2.2.8.3. المعايير والقيم المجتمعية

يتفق الجميع على ان بعض المعايير الاجتماعية لا يمكن تطبيقها بسبب المغالاة في قسوتها، أخرى بسبب النقص في دقتها، ان بعض المعايير (كلمة الشرف والالتزام الدقيق بدفع دين ناتج عن القمار) تكون قاسية الى حد أنها تضع الفرد امام خيار بيد وحده الثاني اي الانتحار مفضلا على الاول الذي يقوم على الانكار والعار تلك هي الوضعية التي استهدفها امل دوركايم Emile Durkheim فيما أطلق عليه الانتحار الغيرى، حيث يضحى الشخص بحياته نفسها مقابل صورة لنفسه تكون عنده أتمن من الوجود البيولوجي.

ويحصل كذلك ان معايير اخرى، على سبيل المثال في النظام المهني والحياة الاقتصادية تكون قد أصبحت متذبذبة، وغير دقيقة أو حتى متناقضة، تضعنا تقريبا امام الزام فرقتها على الأقل فيما يتعلق بروحها، في الحالة الاولى، لم يكن التوافق ممكنا الا بشرط القبول بتضحية الذات أمام المعيار، في الحالة الثانية، اذا كان شاقا الى هذا الحد التوافق مع المعيار فلذلك لأننا لا نعرف بالضبط ماذا يتطلب منا.

يمكن كذلك ان تحصل فجوة بين القيم(أفضليات حادة بقدر مانريد، ولكنها غير محددة في محتواها وطريقة تحقيقها والمعايير التي تأمر بأسايب العمل والتفكير وحتى الشعور الملموسة نسبيا، والتي يكون تحقيقها مرتها بشبكة العقوبات التي تتوفر سلطات المجموعة، ولكن اذا وضعها موضع العمل يفترض اصولا للمعاقبة وسلطة تحكيم، وسلطة تنفيذ، اي اذا كانت صرامتها ترتبط بهذه الشروط الثلاثة وبالتالي بتوافقها تتوفر فرص كثيرة للانحراف، اما لان المعايير تكون شديدة (أو قليلة) الوضوح، واما لان العقوبات تكون شديدة(او غير كالفية) القسوة، واما لان الحكم يكون شديد (او قليل) التسامح.

من المؤكد ان مجتمعا يكون مولدا للانحراف اذا وضع الاشخاص امام تناقض دائم بين القيم التي يطرحها عليهم والمعايير التي يعاقب سلوكهم بناء عليها لكن هذا التناقض يمكن الا يتم الشعوريه خلال وقت طويل الى حدما الا من قبل مجموعات ضيقة جدا ودون تأثير كبير، تسعى في مرحلة اولى، الى حماية نفسها عبر العزلة اكثر من تنظيم مقاومة فعالة، اذا كانت ((البيئه الاجتماعية)) تولد الانحراف في بعض الحالات، فانها تستطيع في ظروف أخرى كبحه، وحتى إخماده أحيانا، عندما لا تقدم له وسائل التعبير.

فالمجتمع لا يخلق وحسب الشروط العامة للانحراف(باخضاع الفرد لضغوط متناقضة قويه وبتركه في حيرة بالنسبة لواجباته وحتى بالنسبة لهويته، ويتركه تسطع امام عينيه فوائد سيكون في النهاية محرم عليه التمتع بها، وانما هو يقدم له كذلك الفرص تنوع من (اثر البرهنة) [22]ص215.

3.2.8.3. طبيعه الدور

أكمل تالكوت يارسونز parsons talcott مجموعة العوامل التي تتعلق بمصدر الدافعية الى الانحراف والسلوك الانحرافي، "صراع الدور"، والمقصود بذلك تعرض الفاعل لمجموعة متصارعة من توقعات الدور المشروعة، التي تعتبر الانجاز الكامل لكل منها مستحيلا من الناحية الواقعية، مما يحتم ضرورة ببعض هذه التوقعات، او اختيار بديل والتضحية بآخر، وفي أية حالة من هذه الحالات يتعرض الفاعل لصراع داخلي يتميز بقوته، خاصة وان الاحتمالات-كثيرا- ما تكون محدودة أمام تجاوز الصراع او الارتفاع فوق مستواه عن طريق اعادة تحديد الموقف او الهروب بواسطة كتمان بعض الادوار او الاحتفاظ بسريتها والفصل بين المناسبات....

وهناك حقيقة اخرى لا بد من الاشارة اليها، وهي اني فاعل يقوم بعدة ادوار في نفس الوقت، وان هذه الادوار تضمن مخارقات في النموذج، وفي العلاقات مع الأخرين من ترتبط مصالحهم واتجاهاتهم بمصالح الان واتجاهاته بطرق مختلفة، وذلك يجب التوفيق بين هذه المفارقات، او معاونتها على التوافق عن طريق تنظيم او تركيز المطالب التي تطلبها توقعات الادوار المختلفة التي يقوم بها الفاعل.

وفي هذا الصدد، يميل المكون الدافعي الانحرافي الذي يتصل بفئة معينة من توقعات الدور، الى قلة التوازن الدقيق، ومثال ذلك ان الحاجة الاجبارية او القهرية الى التفوق في الدور المهني، قد تدفع الفاعل الى تجاوز أوقات العمل المحددة، والتعدي على للأوقات المخصصة أساسا لأدواره الأسرية... مما يؤدي الى ظهور عوامل من التوتر في علاقته الزوجين، مع احتمال ان يؤدي ذلك الى تعميق دائرة الانحرافات [90] ص ص 92-93.

3.8.3. وظائف الانحراف

13.8.3.. الوظائف الايجابية

تتمثل وجهة النظر السوسولوجية التي تتباين كلية مع الافكار الشائعة عن الانحراف في أن السلوك الانحرافي يكمن-في بعض الظروف- أن يكون فعالا ويسهم في إستقرار النظام الاجتماعي الذي يحدث فيه وهذا ما أكده اميل دوركايم Emile Durkheim عندما قال أن الجريمة تعتبر ظاهرة (سوية) حيث أنها توجد في كل مجتمع، وتعتبر عاملا ضروريا فيه، ومن أكثر التفسيرات شيوعا ذلك الذي يدعي أن الأفعال الاجرامية تلهب، "الضمير الجمعي" للناس، فانتهاك المعيار يمنح الناس فرصة للتأكيد من جديد على أهمية المعيار. [90] ص 518.

تالكوت يارسونز talcott parsons ،إميل دوركايم Emile Durkheim وتوماس
Thomes نظروا من جهة أخرى باستغراب، على أنه لا يمكن فهم المعيارية خارج المطابقة المشابهة
التي تحتفظ بنظريتها، الانحراف، وأن كلا الاثنتين بشركات حتما في التطور الذي يمد المعرفة بالمعايير
واستخدامها. لكن في النطاق الذي يؤكد منه تالكوت يارسونزا talcott parsons على وجد فئتين من
المعايير منها ما هو وناجم عن التنشئة الاجتماعية ومنها من التفاعل. حين تكون الفكرة كمرجع للتنشئة
الاجتماعية، مفهوم الانحراف يصنف بعض الأدوار (المتشرد، الجانح، مجنون، عاهر..الخ) التي تكون
مهدة للنظام الاجتماعي، في المعيار... لقدرة الذي تكون، الممارسات جماعية تستهزأ بالتوقعات الأكثر
عمومية الاغلبية أعضاء المجتمع (الاستقامة، المسؤولية، الشرف، الاستقلال الذاتي،
الكرامة...الخ)[92]ص192.

ونشير الى ثانياة الانحراف وهي تلك القوة الدافعة القوة التي توفرها والتقدير الاجتماعي الذي يجب
ان يطرا على الانساق الاجتماعية في بعض الاحيان حتى يمكننا ان نتوافق مع الظروف المتغيرة
والمجددة في كل العصور والاماكن يعامل بوصفه منحرفا.[90]ص518. وكذلك التي تصاحب على
العموم للممارسات التي تهدف الى العمل على ادماج المنحرف الذي تستعيد الحدود عدم تجاوزها:
تماسك (الجماعة) يفترض بعدم ترك الفكرة على ان تتجاوز المعايير قادر على أن يقرها [92]ص169.

وهناك دراسة اكثر حداثة نظرت الى وظائف الانحراف من منظور مختلف قد كشف كل من
"دنتلر" DUNTLER و"إيركسون" ERICSSON عن أن بعض الجماعات الصغيرة "كوحدة
الجيش" تهتم باستيعاب بعض الاعضاء المنحرفين والاحتفاظ بهم حتى ولو كانوا متباينين عن الجماعة
ذاتها، ويكفي احد تفسيرات هذا الاتجاه في ان المنحرف يصبح بؤرة لمشكلة يكون ضروريا ان
تواجهها الجماعة ككل، وهذا يشعر أعضاءها بالحيوية والأهمية.[90]ص518-519.

تقوم طريقة العلاقات الجماعية على إفتراض اساسي مؤداه ان كل فرد لديه القدرة لكبح ذاته عن
الجريمة والانحراف، وذلك وفقا لقيمه التي تعلمها في الجماعة وتأثير عضويته في الجماعة بجماعته
المرجعية التي تؤثر على سلوكه تأثيرا كبيرا.

وهذه الطريقة تختلف اختلافا كبيرا عن الطرق الاخرى التي تستخدم العقاب، وحتى الاسلوب
الطبي الذي يعتمد على الدراسة والتشخيص والعلاج يدرك جيد ان الجريمة والانحراف هي نتاج
الجماعة، ولكي يعالج سلوك المنحرفين فلا بد ان يكون من خلال تعديل وتدعيم علاقات الافراد بجماعتهم
الاجتماعية.

تقتضي النظرة العلمية في مجال الخدمة الاجتماعية للاحداث عدم توفير الخدمات العلاجية للاحداث المنحرفين ليكونوا اعضاء اسوياء في بيئتهم فحسب، بل تمتد الجهود الى الوقاية من الانحراف والعمل بمختلف الوسائل والتدابير الى انتشارهم من الهوة التي يقعون فيها اذ لم تمتد اليهم الرعاية في الوقت المناسب لتحديد برامج مؤسسات، الاحداث المنحرفين في السنوات الاخيرة وكانت اهمها تلك البرامج التي اهتمت بتعديل السلوك الانحرافي عن طريق تعديل العلاقات الجماعية والاجتماعية للمجرمين والمنحرفين، إذ يتم علاجهم عن طريق الجماعات بدلا من عزلهم مع المساجين الآخرين، ويتم ذلك عن طريق تعليم المنحرفين وممارستهم للحكم الذاتي داخل المؤسسة، بالإضافة الى عمليات العلاج الجماعي التي من خلالها يتم تطوير العلاقات الجماعية والاجتماعية، اي ان هذه الطريقة تركز على رد فعل العلاج الذي يركز على عمليات الاتصال التي تتم من خلال اتصال القانون بالثقافة

وبالنسبة للافات الناجمة عن العنف والانحراف والجريمة لابد من التصدي بتجنيد كل المسؤولين على مستوى المحلي والوطني.

وبالاقتراب ابتداء من المدينة، للحي، الى الشارع يسمح هذا بالتحقق من الظاهرة ومظاهرها.

معالجة مشكل العنف وأمن على مستوى المحلي، تسمح هي كذلك بإقامة مشاركة عارمة وكاملة المواطنين والمؤسسات المشتركة لهذه السياسة، تطور، المعلومة، مشاركة المواطنين لتهيئة سياسات للتقليل من الأمن.

ومن استقرار عبر التاريخ يتضح ان السلطة التي لاتمثل الشعب لا يمكن ان تدوم ذلك لان الشعب هو أصل: السلطات ومصدرها، وانطلاقا من هذا المبدأ ينبغي ان نجد التشريعاه-وبالأخص تلك التي تتعلق بالتجريم والعقاب، رضا وقبول لدى الأكثرية الساحقة من الناس، ولاتجد من هذا الرضا والقبول إلا إذا كانت تمثل رغباتها وتصون مصالحها وفي هذه الحالة يهب الجمهور لحمايتها بكل مايملك من وسائل فعالة.

ملخص الفصل:

عرضنا في هذا الفصل مفهوم الجريمة من منازر، منها المنظور الاسلامي والسوسيولوجي في وجهات نظر متقاربة في أحاطة بهذا المفهوم وارتباطه بمفهوم الانحراف.

بعد ذلك عرضنا مختلف النظريات العلمية التي تناولت تفسير الجريمة، مثل: النظرية البيولوجية، النظرية الفيزيولوجية، النفسية، السوسيولوجية.

وقد أشرنا للفكر العلمي لعلماء بارزين. في كل نوع من هذه النظريات والنتائج المتوصل إليها من قبلهم، كما تناولنا للمفاهيم الثلاثة التي لها علاقة بالجريمة وهي: العدوان الذي تأطر النظرية فيه من قبل أصحاب نظريتي: التعلم الاجتماعي وعلماء النفس والمفهوم الثاني هو العنف، حيث تنوعت التعريفات الخاصة به في جوانب يرتبط بها الشخصية، والمفهوم الثالث هو التعصب، حيث كان دور للثقافة والأسرة أثر في ظهوره.

وفي المبحث الخاص بالعوامل المؤدية للجريمة والانحراف، فقد شملت العوامل الطبيعية وأثر كل من الظروف الجغرافية والوسط الطبيعي والمناخ، والعامل الثاني هو البيئة الاجتماعية وتأثير العناصر المكونة لها في الجريمة كالحى والجيرة والتفاوت الاجتماعي، والعامل الثالث يتعلق بالاقتصاد وتقلباته والظواهر الناجمة عنه كالفقر والبطالة، ثم تناولنا العوامل الثقافية، وأثر بعض المتغيرات والمكونات الثقافية في حدوث الجريمة، ثم تطرقنا للعوامل النفسية والسياسية، وفي المبحث الخاص بالعوامل الفردية للمجرم، فتبين أثر عامل الوراثة والسلالة والعرقية، والجنس.

وبخصوص تصنيفات الجريمة، كان ذلك حسب أركانها وحسب درجتها، وذات المجرم، ثم عرضنا للجريمة وعلاقتها بالسلوك الانحرافي والجناح الخاص بمفهوم الانحراف فقد تضمن أهم تعريف للعالمين (Talcott) PARONS و (Emile) DURKHIEM، ووظائف الانحراف وفي الأخير عرضنا للخدمات والجماعات والبرامج الفاعلة في الوقاية من الجريمة والانحراف.

تمهيد الفصل

يتكون هذا الفصل " التنشئة الاجتماعية والقيم الأخلاقية " من مبحثين هما : التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد ويتأثر بعواملها منذ ولادته إلى وفاته، في إطار ثقافة مجتمعه ، حيث نتطرق إليها في مختلف عناصرها وجوانبها التي تتأثر بها ، فبعد التعريف بمفهومها اصطلاحا وسوسولوجيا وكذلك مختلف الرؤى في التراث العلمي الفكري الخاص بدراسة سلوك وشخصية الفرد شرعا ووضعنا ثم نحاول الإحاطة باتجاهات والتنظير الخاص بهذه العملية في التراث العلمي الاجتماعي وعليه فقد تحددت في اتجاهات كل من البنائية الوظيفية واتجاه التفاعل الرمزي واتجاه التحليل النفسي عند سيجموند فرويد Siegmund FREUD ونظرية الدور الاجتماعي ، نظرية التحليل النفسي، نظرية " الأبيتيوس " « Habitus النظرية الناقفوية، كما أن هذه العملية الاجتماعية تتميز في أنواعها من خلال مؤسساتها التي تتم فيها ، أهمهما الأسرة (العائلة) والمؤسسة التربوية التعليمية (المدرسة) وسنعرض إلى أهدافها في هذا الإطار، ومن العوامل و القوى التربوية فيها نجد الطبقة الاجتماعية كما نحاول التعرف على عوائق التي تقف في مسارها الصحيح كاضطرابات ومشاكل الأسرة.

وفي المبحث الثاني الخاص بالقيم الأخلاقية، سوف نتطرق إلى ماهية هذه القيم بتعريفها تعريفا اصطلاحيا، ونحاول التوسع في هذا الجانب في الفكر العلمي والاجتماعي وخصوصا في الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي نظرا للقيمة والأهمية المعطاة لها.

كما سوف نعرض مراتبها من الناحية الذاتية الشخصية والاجتماعية والإنسانية وأهم الطابع التي تصنف بها العناصر في المجتمع.

الفصل 4

التنشئة الاجتماعية و القيم الأخلاقية

1.4. تعريفات لمفهوم التنشئة

تعددت تعريفات التنشئة عند كثير من العلماء و المختصين في مجال علوم الاجتماع (علم الاجتماع)، وهذا حسب تصورهم ووفق المنظور الذي حدد انطلاقا منه التعريف الخاص لهذه العملية التي ترافق الإنسان (الفرد) منذ ولادته حتى وفاته، تنمو وتتكون خلال هاتين الفترتين شخصية ويكتسب ثقافة مجتمعه.

1.1.4. التعريف الاصطلاحي

التنشئة الاجتماعية هي عملية التثبيت التي تستمر طوال الحياة كلها ، حيث يتعلم الفرد القيم و الرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي تشارك فيها ، و التعبير عن القيم في المعايير ، تكون الأدوار التي يؤديها الآخرون [93]ص48.

التنشئة الاجتماعية في قاموس روبرت (Dictionnaire Robert) 1985 هي العملية التي بواسطتها يكتسب الفرد المعرفة والقيم واللغة و المهارات الاجتماعية والحساسية الاجتماعية والتي تمكنه من التكامل و التكيف مع المجتمع وينطبق هذا على نحو عام على الأفراد في جميع الأعمار، فالتنشئة الاجتماعية هي خبرة مستمرة مدى الحياة، وهي العملية التي بواسطتها يتعلم العضو الجديد في مؤسسة ما التكيف لمعاييرها و أدوارها أي تعلم قواعد التعامل [94]ص19.

ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أنّ التنشئة الاجتماعية Sacralisation هي : " العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل ، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة [95]ص13.

وورد في معجم مجادلان غرافيتش Madeline Gravitez بأنها " العملية التي من خلالها يتم إدماج الأفراد في مجتمع معين، فيستوعبون القيم والمعايير و القواعد الرمزية ، ويعملون على تعلم الثقافة بشكل عام [95]ص13 ونشأة تنشئة بمعنى رباه [4]ص877.

تعني التنشئة تحويل الكائن البيولوجي إلى شخص اجتماعي عبر جماعات اجتماعية متنوعة في نوعها لكنها مترابطة في وظائفها.

مفهوم التنشئة يعني تحويل الكائن البيولوجي (الطفل الوليد إلى شخص اجتماعي أي بعد ما يقوم المنشئ (الأبوان والمعلم ورجل الدين) بإكساب (الطفل الوليد) معايير ومعتقدات وسلوكيات الجماعة التي ينتمي إليها تتولد عندهم ذات اجتماعية Social Self إذ أنّ الطفل الوليد لا يكون ممتلكا ذاتا اجتماعية عند ولادته وإنّ جل سلوكه يكون مدفوعا بغرائزه الفطرية – البيولوجيا لذا فإن سلوكه يكون في هذه المرحلة سلوكا حيوانيا [96]ص18. هي سياق للتعلم، الذي يسمح للفرد اكتساب النماذج الثقافية للمجتمع الذي يعيش ويعمل فيه، هي ناتجة في نفس الوقت عن إكراه مفروض من طرف فاعلين اجتماعيين، لكن كذلك للدمج بين الفرد ومحيطه، [97]. هي عملية لتنمية العلاقات الاجتماعية للتكيف والاندماج مع الحياة الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية الخاصة بالطفل هي فعل اختيار الخاصية الجماعية العامة [7]ص1784.

2.1.4. التعريف السوسبيولوجي للتنشئة

حسب تعريف حامد عبد السلام زهران ، عملية تعلم وتعليم وتربية ،تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد ، طفلا ، مراهقا ، فراشدا ، فشيخا ، سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لادوار اجتماعية معينة ، تمكنه من مسايرة مجتمعه و التوافق الاجتماعي معه ، وتكسبه الطابع الاجتماعي ، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية [98]ص57. وتتم تحديد مفهوم هذه العملية بطريقتين هما:

1- يمكن إدراك التنشئة الاجتماعية على أنها غرس المعايير الاجتماعية إذ ثبات القواعد الاجتماعية منغرس في الأفراد بواسطة الفرض الذاتي أكثر من كونها مفروضة من قبل وسائل خارجية

الأمر الذي يجعلها ثبات جزء من ذاتية الشخصية عند الفرد وبذلك يكون شاعرا بحاجة ماسة إلى أن يتمثل.

2- بذلك يدرك أنها عنصرا جوهريا في التفاعل الاجتماعي على أساس احتمال أن المجتمع يرغب في تحسين صورته بواسطة اكتساب القبول ومكانة مرموقة في أعين آخرين في هذه الحالة الأفراد المنشيين كمرشدين لأفعالهم الخاصة طبقا لتوقعات الآخرين ، بحيث يمكن دمج هذين المنطلقين بمنطلق واحد مثل منطلق تال كوت بارسونز Talcott Parsons [25] صص 383-384.

وتشير التنشئة الاجتماعية حسب أور فيل برم Ovale Bern وستانتور ويلر Stanteur weelr إلى العملية التي يكتسب الأفراد بواسطتها المعرفة و المهارات و الإمكانيات التي تجعلهم بشكل عام أعضاء قادرين داخل المجتمع [95] صص 19.

ويقترح دوبار كلود Dubar Claude تعريفا شموليا للتنشئة الاجتماعية ، باعتبارها عملية مستمرة للبناء الاجتماعي ، وللسلوكات الاجتماعية ، تتضمن ثلاثة أبعاد متكاملة:

- 1- البعد التعريفي (Cognitif) : يتمثل في بنية السلوكات التي تترجم على شكل قواعد
- 2- البعد الوجداني (Affectif) الذي يترجم على شكل قيم.
- 3- البعد التعبيري (Expressif) ويمثل دلالات السلوكات التي تظهر على شكل رموز [106] صص 18.

التنشئة عند بياجى Jean Piaget مثل " تربية أخلاقية " لكنها ليست في بدء الأمر مثل أميل دور كايم Durkeim Emile نقل بالإكراه " لروح النظام " الفاعل من طرف الجماعات الاجتماعية الداخلية بحرية بفضل الاستقلال الذاتي الإرادة [95] صص 25.

3.1.4. التنشئة الاجتماعية في الإسلام و الفكر الإسلامي

عني الإسلام باختيار الأم زوجا، فأوصى زوجها بأن يتفحصها ويسبر غورها ،ويدقق فيها ، فوضع له شروطا موجبة للزواج منها : الدين و الحسب و المال و الجمال ، وراح الإسلام يحثه على أن يظفر بذات الدين ، لأنّ صاحبه لن تخون نفسها، ولن تخون أهلها ،ولن تخون زوجها ولن تخون أهلها ولن تخون ربها ، فهي التي تأثرت ببيئتها ووراثتها : فكما عاشت ونشأت وتطبعت وشربت من معين الإسلام وأخلاقه ، ومن بعد معين الآباء الذين غرسوا فيها هذه المبادئ الكريمة ، من توقيير واحترام للغير ، ومحافضة على النفس وصدق الكلمة، وحب الآخرين ، فإن البيئة و الوراثة لهما التأثير الكبير على كيان الإنسان فكما يرث طباعيهما وأمراضها : من عقد نفسية وأمراض عصبية ، و انفعالات ونظرات شاردة

هنا وهناك ومحادثة وعري ومعاقرة وخمر وسكر ولهو فالإنسان يولد على الفطرة لكنه يتأثر بمن حوله ، في دينه وفي سلوكه ، وفي طبعه ، وفي تركيباته ، وبذلك حذر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من زوجة السوء قائلا : "ياكم وخضراء الدمن" قالوا : وما خضراء الدمن " يا رسول الله ؟ قال " المرأة الحسناء في المنبت السوء " .

والإسلام غير ذلك إنه يريد أما تؤدب الولد ذكرا كان أو أنثى تعلمه الأخلاق والنبيل والشجاعة ، تعلمه الجلوس على مائدة الإسلام وليس على مائدة الخيانة و الكذب والخداع والدهاء و النفاق ، ولذلك أوجب الإسلام على الرجل أن يختار لابنه أما صالحه [29]ص178.

شكل الفقه الإسلامي وخصوصا الإفادات التربوية المتولدة منه ينبوعا من ينباع الفكر العربي الإسلامي عامة، ودائرة الثقافة التربوية العربية الإسلامية خاصة، واحتوت الفتاوى الفقهية على مجموعات إفادات تربوية انتصرت للنزعة الرامية إلى إنشاء مؤسسات التعليم وتنظيم عملية تعليم الولد. وكان المعين الذي نعمل منه الفقه موجهاته المصدرين الخالدين : القرآن و الحديث ، إضافة إلى ما صدر عن الصحابة وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من شروحات و تفصيلات على الخطاب القرآني و الحديث النبوي [100]ص49.

- في التنشئة الاجتماعية للطفل يقول ابن سينا : " يجب على والد الصبي أن يبعده عن مقابح الأفعال، ومعايب العادات بالترهيب و الترغيب و التوبيخ فإن احتاج إلى الضرب فليكن " ويواصل ابن سينا كلامه في هذا الموضوع فيقول " فإذا وعى وسمع الصبي فإنه يلقن معالم الدين وحفظ القرآن الكريم " فإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ قواعد اللغة تعلم الصناعة التي تناسب طبعه " فإذا كسب الصبي من صناعته فإنه يزوج لكي لا تتلاعب به الشهوات " [101]ص110.

ويتناول أبو الحسن الماوردي أدب التنشئة الاجتماعية في الصغر والكبر فيصنفه إلى نوعين :

هما أدب المواضعة والاصطلاح وأدب الرياضة والاستصلاح ويقصد الماوردي بأدب المواضعة والإصلاح مجموعة القواعد التي اصطلح عليها الأدباء و العقلاء فيما يتعلق بموضوعات الخطاب وهيئات الأزياء ، ويقول أبو الحسن أنّ مخالفة ما اتفق عليه من قواعد مجانية للأدب مستوجب للذم ...أما أدب الرياضة والاستصلاح فهو في نظر الماوردي مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها لتستديم له السعادة [101]ص109.

ولقد اهتم أبو حامد بن محمد بن محمد الغزالي بالتنشئة الاجتماعية في كتابه "احياء علوم الدين" فنصح بمراعاة الاعتدال في تأديب الصبي وإبعاده عن أصحاب السوء وعدم التساهل معه في المعاملة،

كذلك عدم تدليله، كما نصح الغزالي بشغل وقت فراغ الصبي بالقراءة وأحاديث البلاد وأخبارها وبقراءة القرآن الكريم ويحض أبو حامد الغزالي الآباء بتخويف أبنائهم من السرقة وأعمال الحرام [101]ص113.

يرى ابن خلدون في التنشئة الاجتماعية ما يلي : " يستحسن ألا يتعلم الطفل القرآن من حادثته وذلك لقلّة إدراك الصغار وفهمهم لما فيه من معاني سامية ، يرى ابن خلدون ضرورة أن يكون تعلم القرآن يصل الصبي إلى مستوى من التفكير الذهني الذي يمكنه من فهم معاني القرآن الكريم ، ويذهب ابن خلدون أيضا إلى أن القسوة والشدة في معاملة الأطفال الصغار تدعوهم إلى المكر والخبث والخديعة [101]ص116.

2.4. أنواع التنشئة الاجتماعية

1.2.4. التنشئة الأسرية

إنّ الأسرة هي أهم المؤسسات الاجتماعية التي أقامها الإنسان لاستمرار حياته في الجماعة وتنظيمها، بل إنّها قاعدة لكل هذه المؤسسات بحيث لا يكون لها استمرار إلا باستمرار الأسرة كمؤسسة اجتماعية ولهذا كانت العلاقة بين الأسرة و المؤسسات الاجتماعية الأخرى وثيقة متبادلة من ناحيتين : فالأسرة حساسة لما يصيب المجتمع في نظمه وقيمه من تغيير وتحويل و المجتمع بدوره يتأثر بما يقع في الأنماط الأسرية من تغير [102]ص179.

وتتضمن الحياة العائلية فقدان بعض التفرد و النزول عن الرغبات الذاتية، وذلك عندما تتعارض مع حياة غيره ، وليست الأسرة أول خطوات الفرد نحو الارتباط بغيره فقط لكنها أيضا نموذج للعلاقات الاجتماعية فيما بعد ، فالطفل ينقل للجماعة اتجاهاته ، وهي نفس الاتجاهات التي تكونت في أثناء الحياة الأسرية وتشعب الأسرة حاجات الفرد وإشباع حاجاته يجعله يوسع نطاق اتصالاته الاجتماعية [101]ص169.

كذلك تتشكل أنماط سلوكه، وتتطور شخصيته للتمركز حول ذاته إلى شخصية اجتماعية، ويكون ذلك كله نتيجة الرغبة المتزايدة للطفل في اتصالاته بأمه وأبيه وإخوته كأعضاء في جماعة تشبع له حاجاته وتسهر على راحته وتوفر له الطمأنينة والعطف و المحبة و الاستقرار النفسي، كذلك نتيجة لرغبته المتزايدة في اتصاله بالمخالطين له من أقارب ومن أبناء جيلته، فمن خلال رغبته في الاتصال لإشباع حاجاته الجسمية و النفسية و العقلية يتفاعل الطفل مع أعضاء جماعته الأولى .

أ- أثر العلاقات و المعاملات داخل البناء الأسري إذا كان شعور الأفراد بالسعادة المتوقعة من تكوين الأسرة يؤدي إلى الإقبال على تكوينها، كذلك فإن وجود الأسرة و المحبة بين أفرادها يعد عنصرا ضروريا لتحقيق السعادة، أي أن السعادة تنبع من

الأسرة وفي نفس الوقت تؤدي إلى تكوينها وتحافظ على استمرارها، يرى بيتر أند رسل Pieter Anders sel أنّ الرجل يستمد من الأبوة إحساسا بالسعادة لأنه مثل المرأة يرغب في الخلود ووجود الأطفال يحقق له هذه الرغبة الغريزية الطبيعية.

يعد شعور الطفل بحرية أمر ضروريا لسعادته وسعادة الآباء، لذلك لا بد من أن يقلل الآباء من سيطرتهم، وأن يمنح الطفل الحرية الكاملة عندما يحين الوقت المناسب الذي يستطيع الطفل فيه الاعتماد على نفسه. [103] ص ص 121-122.

السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يخلق جوا يساعد على نمو الطفل إلى شخصية متكاملة ومتزنة والعلاقات السوية بين الوالدين كذلك تؤدي إلى إشباع حاجات الطفل إلى الأمن النفسي و التوافق الاجتماعي كما أن التعاسة الزوجية تؤدي إلى تفكك الأسرة مما يخلق جوا يؤدي إلى نمو الطفل نموا نفسيا غير سليم كما أن الاختلافات بين الوالدين تخلق توترا يشيع في جو الأسرة ، ويؤدي إلى أنماط السلوك المضطرب لدى الطفل كالغيرة والأنانية و الخوف و الشجار وعدم الاتزان الانفعالي. فقد أكدت كثيرا من الدراسات على أهمية العلاقة بين الطفل ووالديه لقد أكد ألدرد Aldr أهمية الأسرة في تكوين شخصية الطفل وأثر علاقة الوالدين في التنشئة الاجتماعية وتؤكد أبحاث برسل Persel أن علاقة الطفل بوالديه تتطور من اعتماده كليا على أمه في بدء حياته إلى استقلاله استقلالا نسبيا عن الأم وأن علاقة الطفل بأبيه تقوم في جوهرها على علاقة الأب و الأم ففي امتداد لعلاقة الطفل بأمه كذلك تؤثر العلاقة بين الوالدين والاتجاهات الوالدية في نمو شخصية الطفل، كذلك تؤثر العلاقات بين الإخوة في نمو هذه الشخصية فكما كانت هذه العلاقات منسجمة وكلما خلت من تفضيل طفل عن طفل بما ينشأ عنها من غيرة وأنانية كانت هناك فرصة أمام الطفل لكي ينمو نموا سليما وقد اهتم علماء النفس بترتيب الطفل بين أخوته وأثر ذلك في شخصيته

2.2.4. التنشئة التربوية التعليمية

إنّ توجيه الطفل يبدأ منذ نعومة أظفاره، فلا مجال للأب أن يسوف أو يؤخر ساعة التعليم إلى أن يكبر الولد ومن هذا المنطق المهم جاءت السنة النبوية المطهرة بالتوجيهات للآباء بأن يلتفتوا إلى أبنائهم، وأن يحسنوا تعليمهم وتأديبهم فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع " كما قال أيضا : " ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن "

ويستمر الاهتمام بلبينات المجتمع، ونعني بهم الأطفال الصغار، ويزداد ذلك الاهتمام حين تتدخل المجتمعات بثقلها في هذا الأمر، ولا تترك التنشئة في يد الأسرة فقط، حيث أنشأت المدارس التي وثقت فيها وعهدت إليها بأمر تنشئة الأطفال والشباب و الصغار وتربيتهم بالإضافة إلى مؤسسات أخرى بجوار المدارس مثل وسائل الإعلام المختلفة والأندية و المكتبات [104] ص 156.

يرى ابن النديم: " أن تربية الشعب لا تتحقق إذا غفل عظماء الأمة عن دورهم في تحقيقها ويأخذ على عظماء الأمة المصرية أنهم يجتمعون للمسامرة بما ليس فيه فائدة البلاد، وشيوخ كل حديثهم ذم الشبان وما هم فيه من الاسترسال خلف الشهوات من غير أن يبينوا لهم طرق الهداية وسبل الاعتدال، ويخلص النديم إلى أننا لا تصل للقوة العلمية وفينا من يقول العز في الخمول و السعادة في العزلة والفضل في الزهد في الدنيا والبعد عما في أيدي الناس فإن من توكل على الله كفاه، وهذا الفريق يتخلل بين العامة يزعم أنه من الهداة وهو من المضلين ".

وفي هذا الصدد يرى ابن النديم أن على العلماء ورجال الخطابة أن يخطبوا الناس بضرورات دينهم وديناهم فإنهم إن فعلوا ذلك و علموا الناس الدين والتجارة، والملاحة والفلاحة و علموا الناس الحقوق الوطنية و المدنية وواجبات العمران ومقدماته، واجتهدوا في ذلك أثروا في النفوس تأثيرا غريبا وقادوا الأمة إلى التقدم بسرعة عجيبة[66]ص24.

وإذا كانت التربية مهمة، بهذا الشكل بالنسبة للمجتمع على أساس أنها عملية مرادفة للحياة التي تجري داخل المجتمع، وعلى أساس طبيعة عملها في تشكيل شخصيات أفراد، وبناء مقومات تلك الشخصيات في نطاق الأطر الدينية و القيمية التي وضعها ذلك المجتمع لنفسه وضمن المعايير التي ارتضاها العقلاء و الحكماء في ذلك المجتمع بحيث يخرجون الأجيال الناشئة على أساسها، حتى يكون التفاعل بين أفراد ذلك المجتمع، وكذا بين جماعته سهلا هينا لينا، يبتعد عن الصراعات[104]ص156.

1.2.2.4. الوظائف الهامة للمؤسسة التربوية

اتضح للمشتغلين بتربية النشء أنّ للمدرسة وظيفة اجتماعية لا تقل أهميتها عن وظيفة الأسرة فالمدرسة في نظرهم عبارة عن الوحدة الاجتماعية متنوعة في بناء شخصية الفرد الاجتماعية فالمدرسة عبارة عن مدينة داخل مدينة يقضي فيها ، الطفل ساعات طويلة من حياته اليومية يكتسب فيها خبرات اجتماعية تساعده على أن يتلاءم مع المجتمع الكبير. وتقوم بتحويل الكائن الاجتماعي إلى كائن متعلم من خلال وسائلها ، التعليمية و التدريبية ولكي يتحقق هذا التحول يتطلب ربطه بثقافة مجتمعه عن طريق.

نقل التراث الثقافي

هذه الوظيفة في الواقع من أهم الأنشطة التي تقوم بها المدرسة وذلك لأنها تقوم أو تساهم في ديمومة بقاء المجتمع من خلال تعاقب أجياله.

. تبسيط التراث الثقافي

بسبب الكم الهائل للتراث الثقافي وتنوعه بات صعبا على الناشئة استيعابه وهضمه.

تنقية التراث الثقافي

تحرص المدرسة أثناء حفظها على التراث الثقافي بنقله من جيل إلى جيل آخر بتنقيته وتطويره وتطهير هذا التراث وما علق به من شوائب وخرافات ومبالغات خاطئة .

التماسك الثقافي والاجتماعي

القضاء على الصراع الثقافي بين أبناء الأمة الواحدة

إذ تعمل المدرسة على إذابة هذا الصراع من خلال تعليم اللغة الوطنية وآدابها والمواد الاجتماعية الوطنية . من أجل خلق الشعور بالانتماء لدى النشء وتحقيق الانسجام الاجتماعي و الوحدة بين أبناء الوطن الواحد [25]ص ص173-174.

3.2.4. التنشئة السياسية

لابد من التفريق بين التنشئة السياسية (Political Socialisation) التي تمارسها وكالات التنشئة و الدعوة السياسية (الحزبية) التي تمارسها التيارات السياسية منهجية، وتحديد ماهية التنشئة السياسية من جهة ثانية.

لا تتخذ التنشئة السياسية هذا الاسم في العمل التربوي ، بل تتخذ أسماء أخرى مثل "التربية الوطنية" (كما في لبنان) "والتربية المواطنة" (كما في عدد من البلدان الأوربية) والتربية القومية (كما في سوريا) . لكن التربية المواطنة (Citizen hip Education) هي كما يرى ناصيف نصار " تربية سياسية من أولها إلى آخرها" وهو يدعو إلى تسميتها صراحة على النحو "تربية سياسية " والسبب أن موضوعها هو العلاقة بين الفرد (المواطن) والدولة، وما تشتمل عليه هذه العلاقة من حقوق وواجبات..

وإذا اعتبرت التربية المواطنة تنشئة سياسية فإنّ التنشئة السياسية لا يمكن اعتبارها تربية مواطنة بالضرورة ، ليس فقط لأنّ هناك تنشئة وطنية أوسع وأشمل بل لسبب آخر أيضا. ففي حين تقوم التربية المواطنة نظريا بإرساء علاقة مقننة بين الفرد والدولة فإنّ التنشئة السياسية قد تطيح بهذه العلاقة لصالح علاقات وولاءات أخرى كالعشيرة والعشيرة أو الحزب الحاكم ،ومن هذا القبيل نجد مثلا في أن الصفحة الأولى من الكتب المدرسية في بعض دول الخليج تبين صورة أمير البلاد أو الملك ، هذا عنصر من عناصر التنشئة السياسية ،لكن لا يمكن اعتباره عنصرا من عناصر التربية المواطنة

يعرفها المونديويل Mondieuwill (التنشئة السياسية) بأنها اكتساب المواطن الاتجاه و القيم السياسية لكي تساعده في أداء الأدوار السياسية والاجتماعية ، فضلا عن ذلك فإنّها تنطوي على إحلال قيما جديدة محل القيم البالية التي تعيق حركة النظام السياسي وتضع قيما على وظائفه وقدراته ،وتقوم بتطوير الثقافة السياسية بما تحمله من قيم واتجاهات ونظم معتقداتية وما يترتب على ذلك كله من أنماط سلوك سياسي معين.

لا جرم من توضيح ماذا يقصد بالقيم السياسية، إذ هي مجموعة معايير أخلاقية تعبر عن أفكار مثالية وتصور نموذجي يمتلك الخصائص الحضارية لما هو مقبول وما هو مرفوض ضمن البيئة الاجتماعية التي نعيش فيها معبرة عن عموم المجتمع. ويشير مفهوم الذات السياسية إلى المجموع الكلي للتوجهات الفردية المتعلقة بالبيئة السياسية بما في ذلك وجهة فرد تجاه دوره السياسي، في الواقع يكتسب المنشأ ذاته السياسية المتميزة من خلال علاقاته مع البيئة الاجتماعية و السياسية ويتحدد ذلك جزئياً عن طريق المجتمع وأجهزته ، إلى جانب تأثره ببعض العوامل الفردية الخاصة [96]صص 217-218 .

يذهب مالينوفيسكي R.Malinowski إلى القول بأن الأساطير تعد أحد المقومات الموضوعية التي يستند عليها حكم الزعيم القبلي، ذلك أن السلطة بطبيعتها تتطلب التبرير أو توسيع حق الممارسة الشرعية للحكم، وبذلك تعد الأساطير عاملاً هاماً مدعماً بشرعية حكم الزعيم القبلي ووراثته لمركز الزعامة لأنها تمثل جانباً تاريخياً محفوراً في ذاكرة الأفراد.

وفي دراسة لأودي ريتشارد A.Richards عن الوسيلة التي تنتقل بها الحقوق والامتيازات السياسية من جيل إلى جيل في مجتمع لا يعتمد على وثائق مكتوبة تعدد لاوردي ريتشارد A.Richards هذه الامتيازات وتذكرها متمثلة في حق بعض الأفراد في العرش أو احتلال مركز الصدارة في النواحي الدينية والسياسية. وتقرر أن حقوق هؤلاء الأفراد تركز على السوابق Précédents وتتمثل هذه السوابق في الأساطير الدينية Mythes أو الأساطير عن الغزو و الهجرة واحتلال أراضي جديدة وانتقال هذه الأساطير عبر الأجيال المتعاقبة [106]صص 282.

3.4. أهداف التنشئة الاجتماعية

للتنشئة الاجتماعية أهدافاً عديدة تؤدي فعلها لأجل تحقيقها في الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات في أي مجال مجتمعي يضمهم وبالنظر للعلاقات التي تربطهم في إطاره، ويمكن حصر وتحديد أهم هذه الأهداف في ما يلي:

أ- تحويل الكائن البيولوجي إلى إنسان أو شخص، أي تطبيع المولود الجديد بطبائع مجتمعه وثقافته لكي يكتسب الصفات الإنسانية و الشخصية المتمثلة في عضويته الاجتماعية [96]صص 61.

تعويد الطفل على التعبير عن نفسه، وجعله قادراً على حل مشكلاته، وعلى اتخاذ القرار بنفسه و القدرة على الاستقلال على والديه، فهذا الاستقلال أن يكون مادياً ونفسياً، وبصورة يقوم بها الاستقلال على الشعور بالمسؤولية والواجب، مع التوعية بالحقوق والواجبات [98]صص 58.

ب- غرس قيم ومعايير وأهداف الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد خاصة تلك القيم والمعايير و الأهداف المتعارف عليها في تشكيل ثقافة المجتمع. يؤثر نسق القيم في سلوك الفرد ويوجهه ويتضمن سلوك القيم -أي الذي تحدده القيم - تعبير عن التفضيل و الاختيار، والسلوك الانعكاسي فقط هو الذي يخلو من القيم. إن كل القيم تعد قيما اجتماعية لأنها تكتسب منذ الطفولة ومن خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، كما أن أي تغيير يطرأ عليها يحدث بسبب التفاعل بين الفرد و المجتمع [96]ص63. ويمكن القول أن القيم عبارة عن أهداف أو معايير حكم توجه السلوك الإنساني وهي بالنسبة لثقافة معينة في زمن معين ، تحدد المرغوب فيه، وغير المرغوب فيه.

ومن خلال الكلام في الأمثال الشعبية وارتباطها بالقيم يتبين أن القيم توجه سلوك الأفراد وأنشطتهم وطاقاتهم، كما توجه سلوك الجماعات بما تتضمنه من الأهداف، والمثل العليا التي تقوم عليها حياتها... والأمثال الشعبية وارتباطها بالقيم ركن هام وأساسي من أركان التربية، والتربية في جوهرها عملية بناء للقيم من خلال التشجيع على الفضائل، والتزامها، واستخدامها اللوم والتوبيخ و العقاب اللين الرقيق و غرس القيم في نفوس الأفراد، وتوجيه هذه النفوس إلى الأخلاق والمثل السامية [2]ص284.

ج- الضبط الاجتماعي والامتثال للسلوك: يدعم هذا النوع من الضبط (الإيجابي) عن طريق تعزيز المكافآت التي تتفاوت من المنح المادية الملموسة إلى الاستحسان والتأييد الاجتماعي، على أن صورة الضبط الاجتماعي الإيجابي الأساسية، تعتمد على اندماج الفرد للمعايير الاجتماعية والقيم وتوقعات الدور من خلال عملية التنشئة الاجتماعية الأمر الذي يجعل الفرد، تندفع نحو الامتثال لأنه يعتمد في صدق المعيار الاجتماعي [2]ص284.

وإذا كان الامتثال يعني التزام الفرد بسلوك الجماعة ومبادئها وقيمها ومثلها وعاداتها وتقاليدها وقوانينها ونظمها وقواعدها، فما هي فائدة هذا الامتثال النفسية؟. الامتثال يساعد في اندماج الفرد مع الجماعة وتوحيده وإياها، وتكيفه مع المجتمع وقبول المجتمع له، ومن ثمة شعوره بالانتماء إلى المجتمع، وأنه يشبه الناس الآخرين وأنه ليس مطرود أو منبوذ أو معزولاً عن الجماعة.

ومن هنا كانت من بين وظائف التربية في المجتمع تحقيق هذا الامتثال والقبول والرضا عن قيم المجتمع واعتناقها حتى يصبح التعليم أداة وصل وربط واتحاد وتوحد وتماسك وتضامن اجتماعي، ولا يمكن أن يكون أداة فرقة وتمزق وتعصب وتمايز طبقي! [107]ص118.

4. 4. مؤثرات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها في تشكيل نمط الشخصية

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية أهم عملية وأخطرها في نفس الوقت التي يتعرض لها الفرد منذ ولادته وعبر مراحل العمرية إلى وفاته، ويؤثر هذا في نمو وتشكيل شخصيته وبما يكتسبه من سمات وقيم ومعايير مجتمعه، والذي يدل على وجود عوامل تتدخل في تطبيع الاجتماعي ويتفاعل معها، ومن هذه العوامل المؤثر ما له صلة بالتكوين الخاص بالفرد في جوانب عديدة (جسمية، عقلية، نفسية ..) إضافة إلى المحيط الاجتماعي الذي يتعامل فيه ، وهذا كله يتم بتأثير من المجالات الحيوية التي وجودها وطبيعتها تفرض وتؤكد ذلك ،ومن هذه المؤثرات الاجتماعية ما يلي :

1.3.4. التراث الثقافي و الثقافة

تشهد الأحداث التاريخية أنه منذ أن دب الإنسان برجليه على سطح الأرض وهو عاكف على البحث عن الثقافة التي تتلاءم مع بيئته ، وتتجاوز مع مجتمعه بما فيه من عقائد وقيم وعادات وتقاليد ، فالمجتمعات البشرية على مر التاريخ كانت تسعى دائما إلى تحقيق ذاتها وتدعيم هويتها وتكوين الثقافة الملائمة لها.

إنّ أي جيل بشري في أي مجتمع، يبدأ حياته من الصفر، بل ينطلق من النقطة التي انتهى إليها الجيل السابق، مضيفا خبراته إلى خبرات من سلفه، ناقلا التراث إلى جيل الذي يلحقه [109]ص199.

وتلعب الثقافة دورا كبيرا في التنشئة الاجتماعية، حيث يلاحظ التأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة وبصفة خاصة عن طريق اللغة التي تحمل في طياتها عناصر ثقافية بكل تأكيد ، وهكذا تحدد الثقافة السلوك الاجتماعي للفرد و الجماعة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية [110]ص113. كما تؤثر في تكوينه أنماط الثقافة الواسعة التي تشمل الأعراف و التقاليد ووسائل الاحتفالات وما إلى ذلك، حتى ذهب بعض الباحثين إلى وجود نمط "لشخصية نموذجية" تمثل مجمل الصفات المرغوبة عند الجماعة ، وإلى الحديث عن " ميزات وطنية " تكون قاسما مشتركا بين معظم المواطنين سببها البيئة المتشابهة وأساليب التنشئة الموحدة. هذه الشخصية النموذجية تظهر أكثر وضوحا في الجماعات البدائية ذاك أن حجم الجماعة محدود و الميزات العرقية فيها متقاربة ن والحياة الجماعية تكثر فيها القواسم المشتركة [2]ص281.

فكما يذهب كلايد كلاكهون K.Klickhohn إلى أن التعرف على الثقافة هو السبيل لفهم الشخصية نظرا لأن الثقافة تعد احد أبعاد الشخصية ، ويرى كلاكهون K.Klickhohn أننا إذا ما توصلنا إلى معرفة أنماط الثقافة فإننا سنعرف بالتالي سمات الشخصية [106]ص262 والاختلافات بين أنواع الشخصيات تبعا لتأثير الثقافة تشهد بوضوح على مرونة الطبيعة الإنسانية "الإنسان واحد" كما قال

جولد نفيزر Golde Denweiser ولكن الحضارات متعددة ، وإذا نقلت طفلا من بين عشيرته في جزيرة " بورنيو " التي اشتهر سكانها بحبهم للحرب وذبح أعدائهم إلى وسط مسالم كوسط " الكويكرز " فإنه ينشأ على حب السلم وبغض العنف [65]ص117.

ومن الواضح أنّ الأطفال يشبون ليتكيفوا مع مجتمعهم، أي إن شخصياتهم تتجدد إلى حد ما بالثقافة التي ينمون فيها. وقد قامت مارجريت ميد Margueritte Mead بدراسات هامة لأساليب تربية الأطفال في المجتمعات البدائية ، وحينما قورنت هذه الأساليب في تربية الأطفال ، في المجتمعات المتقدمة لوحظ بوضوح استجابات الأطفال الناشئين للبيئة الثقافية [111]صص 73-74.

2.3.4. العوامل و القوى التربوية

إنّ التربية ليست عملية مغلقة قائمة بذاتها؛ بل إنّها في جوهرها عملية ثقافية فهي تشتق مادتها وتنسج أهدافها من واقع حياة المجتمع وثقافته ، كما أنّ الثقافة لا تستمر إلا باكتساب الأفراد لأنماطها ومعانيها بواسطة عمليات اجتماعية هي تربوية في جوهرها [111]ص71.

يلاحظ ابن خلدون: " أنّ أكثر البدو كانوا أميين، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا أو قراءته غير نافذة وذلك لمكانة العرب من البداوة و التوحش وبعدهم عن الصنائع... لذلك لا وجود للتعليم في مجتمع البداوة إنّما يمكن الكلام عن التربية بمعناها الواسع والتي تفضي إلى التنشئة العصبية: الالتحام إنّما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة و الصحبة بالمربي والرضاع ، بل إن التعليم كان ينقص من البأس... "، [105]صص 27-28. التربية دائما حيث تستمد مقوماتها مما يريده المجتمع من أنماط لشخصيات أفراد وجماعاته، وقد تكون هذه الصورة واضحة المعالم، وقد تكون مستترة ومتضمنة في مصطلحات الحياة يمكن استخلاصها و التعرف عليها بشيء من التبصر [112]صص 79-80.

والنمط الاجتماعي في أي مجتمع يتكون نتيجة لمقومات البيئة وظروفها وتركيب جماعاتها نتيجة لأبعادها التاريخية التي عاش خلالها أفراد ذلك المجتمع، وتوصلوا أثناء معاناتهم ومرامهم لها إلى نوع من التكيف و الملائمة مكنهم من بلوغ أكبر قسط من الطمأنينة والألفة [112]ص84. وفي عملية التطبيع الاجتماعي يدعو المربون الطالب إلى أهمية التعرف والتمسك بالمثل العليا الرفيعة في الأخلاق والقيم والعقائد التي تنبع من حضاراتهم وتنبثق من تراثهم على مر التاريخ [108]ص83.

والتحدث عن القوى التربوية التي ينبغي تعبئتها لتكوين الشخصية إنّما تقصد بها جميع المؤثرات التي يتفاعل معها الأفراد صغارا وكبارا، سواء كان ذلك في مؤسسات تعليمية منظمة كالمدراس

والمعاهد، أو عن طريق القوى التربوية العامة كالإذاعة و الصحافة، إلى جانب المؤثرات التي تنبثق عن أحكام القضاء وأساليب الإدارة ، وقدوة القادة [112]ص116.

3.3.4. الطبقة الاجتماعية

أي مجتمع، مهما بلغ من الحدود وقلة عدد الأعضاء لا يكون مؤلفا من جماعة واحدة ، أو على الأقل، يمكن أن يوجد فيه داخل الجماعة الكبرى ، جماعات ضمنية تقوم على أسس يصعب حصرها: بعضها يرجع إلى إرث الدم ، وبعضها إلى النسب ،وبعضها إلى الدور الاجتماعي أو الديني ، وبعضها إلى وحدة التصور و الرؤيا والهموم ،وبعضها إلى المصالحولعل من أبرزها ما يقوم على اختلاف القدرات الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية...[109]ص115.

قد يقول البعض إن من المستحيل إلغاء التدرجات الاجتماعية، كما لا يمكن إلغاء الفروق الطبيعية، والواقع أنه مجتمع معروفا، في الحاضر أو الماضي خلا منها بصورة مطلقة [109]ص116.

طبقا لتاريخ ابن خلدون: لم تدم الخلافة إلا مدة قليلة انتهت بموت آخر الخلفاء الراشدين، وانقلبت على الملك المتأسس على العصبية مع معاوية، الملك هو إنفراد بالمجد وترف ودعة وسكون ، يقوم على العصب والمال...وللملك "ثمرات" تتمثل في المباني والمسكن والملابس والقصور والرياض والمأكل، تميز أصحابه ويورثونها لأولادهم من بعدهم [105]ص27.

في هذه الحقبة ازدهرت "الكتاتيب الإسلامية"، حيث يتعلم أولاد العامة القرآن ومبادئ الدين ، أما أولاد أهل الملك من خلفاء وولادة وسائر المستتابين فيتعلمون على يد "مؤدب" يعلمهم فضلا عن مبادئ الدين ، الشعر ، واللغة ، والأنساب وحسن.

4.4. عوائق التنشئة ونشوء الانحراف

مؤسسات عديدة تقوم بفعل التنشئة: الأسرة، المدرسة ، دور العبادة ، الأندية و الجمعيات ووسائل الإعلاموبقدر ما تتأزر التنشئة وتتكامل تكون سليمة وخالية من المضاعفات السلبية، بينما إذا تعارضت بما تقدمه، أو إذا ترك لكل منها حرية التصرف ومن دون تنسيق يأتي فعل التنشئة مشوشا ويؤدي إلى الارتباك والاضطرابات وقد أثبتت دراسات العالمين كوغارا Kogala وبريل Briel عام 1967 أن أية عوائق في عملية التنشئة أو أية اضطرابات تعوق التطبيع الاجتماعي وبناء قدرة الفرد على الاندماج الاجتماعي [84]ص30.

1.4.4. اضطرابات ومشاكل الأسرة

تعد الأسرة والعامل الأول لعملية التنشئة، جعلت أداة للعديد من الأعمال منها أعمال علم الإجرام اجتماع المراهقة (Socio criminologie de L'adolescence) أظهرت هذه الأعمال العلاقة القوية بين البناء الأسري غير المناسب والسلوك لانحرافي إذ تعلق بالعلاقات الزوجية الصراعية في غياب الانضباط أو طرق المراقبة الناقصة في غياب للمودة وانسجام عائلي ضعيف [113]ص64.

يتمثل الإطار المضطرب في عدم وضوح ما يقوم به الأبوان أو عدم اتساقه واستقراره وهذا يحدث في الأسر المضطربة ، أي التي يسودها علاقات تضارب وصراع بين الأبوين ، وتفكك بالقوة أو بالفعل ، ما يؤدي إلى تكوين صورة مهزوزة حول نماذج التماهي و/أو إلى عدم وضوح قيم التنشئة (ما هو صح وماهو خطأ) و/إلى عدم وضوح معايير الجزاء ، ثوابا وعقابا ، وفي كلا الحالتين يفقد الصغار إبان عملية التنشئة علامات واضحة للطريق التي يجب أن يسيروا عليها [105]ص102-103.

يشير عباس مكي إلى ارتباط الانحرافات السلوكية عند المراهق بدينامكية الحياة الأسرية عند الأهل أي أنّ المآزم التي تطبع علاقة الأهل فيما بينهم تستثير مجموعة من ردات الفعل الراضية و الانحرافية والهامشية من قبل الأبناء وهذا كله يظهر على شكل معاناة صامتة أو ناطقة هامسة أو مرتفعة صوتا وصدى، والسلوك الانحرافي هو لغة موجهة إلى الذات في آن واحد ، وهو خطاب يحمل معنى الانفجار والعلاج في آن واحد ، بمعنى أن في سلوك المنحرف خلاصا من مآزم ظالم وتوقا إلى مدى تعويضي ينتقل فيه المراهق من وضعية التلقي إلى وضعية الفاعل بواسطة سلوكه المنحرف أو الهامشي وبهذا فإن السلوك موحه للأهل وللأبن في آن واحد [84]ص30-31.

قد يغيب الأبوين معا عن الأسرة، وعندما يغيب الدور الذي على الأبوين أن يؤديه عند تربية الطفل، وإذا وجد الطفل نفسه مطلق السراح ، لا يحفل بشأنه أحد أبويه، فإنّه يكون طبيعيا أن يبحث لنفسه عن الأمان الذي افتقده داخل أسرته ولن يجد أمامه غير الطريق ، وإذا أحس بالخطر وعدم الاطمئنان سيخذ موقف الدفاع إزاء الحياة ، بل وموقف العداء إزاء المجتمع، وعندما يكون معرضا للانحراف بل وقد يصبح مجرما خطيرا [85]ص121.

في الحالات التي يجد فيها الناشئة أنفسهم أمام حاجات ماسة لا تسعفهم القدرة الاقتصادية المتاحة على تلبيتها، ابتداء بالغذاء، ويتعرض هؤلاء عادة في البداية إلى صراع أخلاقي، فإذا لم ينجحوا في ترجيح الحكم الأخلاقي (الرادع الداخلي المكتسب من التنشئة الخوف من القانون و العقاب) تكون النتيجة الاستسلام إلى تلبية الحاجة ورفع المعاناة ويحصل ذلك عادة بصورة أكبر في المجتمعات التي لا توفر الأمن الاجتماعي [105]ص103-104.

2.5.4. تجليات لتدهور القيم الخلقية

إنّ إحدى نظريات التعصب...وهي نظرية ترى بأنّ الأطفال يكتسبون الاتجاهات السلبية إزاء مختلف الجماعات نتيجة سماعهم لوجهات نظر سلبية حول هذه الجماعات من قبل الأشخاص المهمين في حياتهم، أو نتيجة لمكافأة هؤلاء الأشخاص للأطفال عند التصريح بوجهة النظر هذه، فقد وجد آشموور وديل بوكا (Ashmore and Del Boca,1978) أنّ اتجاهات الأطفال العنصرية تكون قريبة من اتجاهات والديهم ، وأنّ الأطفال قد يذوقون ، أو يتعلمون التعصبات التي يلاحظونها لدى والديهم[114]ص275.

فقد يكون الفرد اتجاها ما لأنه هو الاتجاه السائد في المجتمع الذي يعيش ،ويضرب أحد علماء النفس مثالا لذلك فيقول : " إن فتاة صغيرة سمعت قرع جرس باب منزلها فذهبت لتري من الطارق ، ثم عادت لأمها وقالت إن هناك سيدة تريد أن تقابلك يا أماه ...ثم ذهبت الأم ثم عادت للفتاة الصغيرة ، وقالت أنها لم تكن سيدة يا عزيزتي ، إنها مجرد زنجية ...لا ينبغي أن تسمى الزنجيات سيدات ! مثل هذه الواقعة قد تكون أحد الطرق التي تكون الفتاة عن طريقها إتجاهها نحو الزوج "[115]ص102.

2.5.4. الغياب السلبي لدور المرأة الاجتماعي والتربوي

إنّ النساء عوامل ملطفة، فهن يزودون الصغار بالقيم الأخلاقية و المشاعر، ويعلمن الحضارة للأطفال وأحيانا للرجال ...أنّه عندما تكون النساء غير عفيفات وغير مخلصات وغير ملائمت، وتافهات أو لعوبات ،فإنّ سلوكهن الخاص المزعوم يخضب التلميحات العامة .لأنّ أساس المواطنة العامة للرجل سوف يتحطم إذا ما انهار عالمه الخاص باعتبار أن المواطن أيضا، بالضرورة هو الزوج الأب وهو رب البيت.

وهو أيضا يفترض أنّ الزواج من امرأة صالحة سوف يحد من النزاعات المنحرفة لدى الشباب، وبمجرد أن يستقر الشاب في وضع يلقي فيه الرعاية ويشغله، فإنّ المجرم الشاب سوف يتصل من أفعاله السيئة

يوضح الفيلسوف برنزاندرسل (Bernard) Russell : " إنّ الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة ،وخروجها أغلب أوقاتها وغيابها في عملها، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على التقاليد الأخلاقية المألوفة ، ما يسبب إستفعال الجرائم في العالم البشري ، وأن فقدان الحنان ، والحب والتعامل الحسن كانت عوامل وبواعث على الإجرام الاجتماعي [69]ص65.

التصرف في الحياة العامة ، ومن أنهى التعليم الأولي ، على يد مؤدب أو في الكتاتيب ، يذهب إلى المسجل، حيث حلقات الدرس و التدريب المتقدم في الدين والفقه وغيرها ، وهكذا تمايز المجتمع وتمايزت أنماط التربية ، ومع الملك حصل تطور آخر ، وسع عملية التنشئة [69]ص29.

إنّ جزءاً من " التأسيس " القائم على تمييز المستويات الثقافية والعلمية فقط ، هو الذي دفع المجتمع العربي الإسلامي الذي قام في تمايزه على المعاني القيمة لا على الفوارق الطبقيّة التي قد ساعدت في تكوينه عبر الأجيال ضمن الهيئة الاجتماعية...الشرعية و المذاهب الإسلامية...بعدم وضع أية فوارق (أو حواجز) بين الناس. ولكن مع تقاوم الزمن وتبلور حقائق معروفة في سيطرة الدولة على المجتمع، فلقد أعطيت مكانة سامية للبعض من أولئك الذين امتلكوا المال والقوة والجاه منذ المولد على أساس التوارث الاجتماعي، للقيم المعنوية أولاً و للمصالح المادية ثانياً. وفي التطبيقات العلمية، فإن أولئك الذين امتلكوا خطوة كافية في جمع المال وزمام القوة وإدارة المصالح (وحتى العلم والثقافة والمعرفة والآداب) عادة ما أرادوا أن يورثوا تلك المجتمعات لأولادهم وأحفادهم...وعلى امتداد أزمان المجادلة الإسلامية وصولاً إلى الأزمان العثمانية[38]ص191.

5.4. ماهية القيم الأخلاقية

كثيراً ما يسمع في الأحاديث اليومية، أنه من الصواب أن تعمل كذا ! وأن لا تعمل كذا ! أو أنه من الصائب قول كذا أو عدم قبول كذا ، وبمعنى آخر فإن ما يكون مقبولاً من سلوك الأفراد لا بد أن يتناسب مع القيم التي يعيش الفرد بينها ، والسلوكيات الإنسانية المقبولة و المرغوبة والتي توصف بالخير والصواب والأفضل والأحسن. وموضوع الأخلاق يدور حول الفضائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقعها ومعرفة الرذائل للابتعاد عنها وتجنبها، فالأخلاق إذا علم السلوك وتدل على الأفعال والأقوال والممارسات، ويتفرغ عن هذا العلم مذاهب ونظريات ولكنها جميعاً تلتقي واتصافها في نتائجها واتصافها بالخير والتقرب منه والشر والابتعاد عنه[116]ص21.

1.5.4. التعريف الاصطلاحي

القيم : بمعنى الاستقامة و الوسطية قال تعالى " قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، دينا قيماً ملة إبراهيم حنيفاً " والقيم الأخلاقية هي رسوخ الأخلاق والآداب عند المسلم بحيث لا يصدر عنه إلا الفعل المستقيم الأنبل والأقوم ، بسجية وطواعية وبدون تكلف ، لهذا ترتبط القيم بالأخلاق و الآداب ، بل تعتبر هي العتبة المتقدمة عن الأخلاق و الآداب [117]

-هي المفاهيم الفكرية و المعايير السلوكية المتعلقة بالجانب الروحي للمجتمع وتحدد هذه المفاهيم المصطلحات المتنوعة المتعلقة بكل من الخير والشر ويتبادر إلى الذهن عند سماع أي مصطلح المعنى الأخلاقي له كالكرم والصدق والإخلاص والبخل والكذب و الجحود، بينما المعايير السلوكية تحدد لنا القواعد التي يتعين مراعاتها في السلوك الفردي و الجماعي.[118].

ومن حيث أنّ القيم الأخلاقية مقاييس لضبط السلوك البشري وتنظيمه ليتوافق (هذا السلوك) مع الأهداف التنظيم الاجتماعي في نظامه وأهدافه فإن مقاييس تلك القيم ووضوحها وثباتها دورا حاسما في نجاح النظام أو فشله باعتبار أن التزام الأفراد بمقتضيات الأمر و النهي في التنفيذ هو ركن هام يرتبط بقاعدة التطبيق للنظام سلبا وإيجابا.[64]ص170.

وهي بمعنى الأخلاق القيمة المستقيمة والتي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وعكسها الأخلاق المبتذلة [117] وهي بمعنى العلاقات الرفيعة التي تقوم على شعور بالآخرين واحترامهم وهي (القيم الأخلاقية) في تعريف معجم (لالاند) (la lande) للأخلاق ومنها

- مجموعة قواعد السلوك، مأخوذة من حيث هي وغير مشروطة [117]صص 22-23.
- مجموعة من المعايير ، وقواعد للسلوك الخاص في مجتمع معلوم [119]ص662.
- مجموعة من قواعد السلوك المعتبرة، وشبه صالحة بشكل مطلق [7]ص1965.

2.5.4. معالم للقيم الأخلاقية في الفكر العلمي والاجتماعي

كان الفيلسوف سقراط Socrate يعتقد بأنّ المعرفة مصدر كل خير وفضيلة " وبأنّ "معرفة الخير، هي الطريقة الموصلة إلى اصطناع الفضيلة " في حين أن أرسطوAristote كان يشك كثيرا في مساعدة العلم للأخلاق إنكارا قاطعا ن وكان يرى أن العلم لا يؤثر في الأخلاق إلا قليلا ، وإن لم يقل أنه لم يؤثر فيه أبدا.

ولكن بعض المفكرين ذهبوا في هذا السبيل إلى حد أبعد من الشك والارتياب فأنكروا فائدة العلم للأخلاق إنكارا قاطعا.وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك أيضا فادعوا بأنّ العلم يضر بأخلاق ويفسد المجتمع.

في مقالة أنشأتها جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau بعنوان: "خطبة العلوم و الفنون والآداب" لقد ادعى جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau في خطبته هذه أن العلوم تفسد

الأخلاق وتسبب انحطاط المجتمعات، وحاول أن يبرهن على ذلك بسلسلة طويلة من الشواهد التاريخية والدلائل الفلسفية [120]ص110.

ويمكن تلخيص أهم الآراء التي سردها جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau "إن العلوم والآداب والفنون الجميلة، من أقوى دعائم الظلم والاستبداد. لأنها تغطي الأغلال الحديدية التي تكبل أيدي الإنسان، بباقات الزهور التي تبهر الأبصار، إنها تستأصل غريزة الحرية من النفوس، وتحبب الرق و العبودية للناس. ولهذا السبب نرى أنه كلما ارتقت العلوم والفنون والآداب، وكلما ارتفعت أنوارها فوق الأفق أفلتت أنوار الفضيلة والأخلاق وفسدت النفوس وأرواح... [120]ص11.

ويعتبر إميل دوركايم Emile Durkheim أن الأخلاق في كل المفاهيم مبنية على التفكير الخيالي، لأنها تجعل الأخلاق قائمة على تطور فكرة مبدئية بما فيهم التجريبيون والعقليون في حين أن الأخلاق ليست إلا تطبيقات لتلك الفكرة، إن نصيب البحث العلمي في الأخلاق ضئيل ، لذلك لا بد من اتخاذ الظواهر الاجتماعية مادة لدراسة الأخلاق ، لأننا نتشبع لمعتقداتنا وعاداتنا الخلقية أكثر مما نتشبع لظواهر العالم الطبيعي والاجتماعي. [46]ص

يوضح "قبارى إسماعيل" فيما يتعلق بمختلف المسائل التي يعالجها "علم الاجتماع الأخلاقي" والتي تخص مشكلات فلسفة الأخلاق مايلي :

" حيث حاول علم الاجتماع أن يضيف طابعا اجتماعيا على فكرة الواجب " والإدارة كما أسهم بحلول سوسيولوجية لمسائل الخير والشر، فقد أثار علماء الاجتماع مسألة "الواجب والإلزام" فتناول إميل دوركايم فكرة الإدارة La Volonté وعالج مشكلة القيم والأحكام التقويمية" [121]ص90.

ومما كتب عنه إميل دوركايم Emile Durkheim في هذا التناول مايلي : "الواجب هو الأخلاق باعتبارها توصية، هي أخلاق منافسة كسلطة التي إليها واجب طاعتنا، لأنها سلطة ولأجل هذا السبب، الخير هو الأخلاق منافسة شيء صالح الذي تجذبها إليه الإدارة، التي تستثير عفويات الرغبة ، غير أنه من السهل رؤية الواجب هو المجتمع باعتباره يفرض علينا قواعد تعين حدود طبيعتنا طبعنا" [122]ص82.

ويضيف في هذا السياق عن الخير و الواجب فيما يتعلق بالتربية الأخلاقية دائما أن الخير هو المفهوم البدائي الذي منه انحراف الواجب ، لنا يقولون ، الواجب علينا التوافق مع القواعد لأن العمل بها محدد وصالح ، لكن وقتئذ ، فكرة الواجب تنطمس (تمحى) وتزول تماما .نعمل شيئا لأننا نحبه، لأنه صالح

ليس العمل بدافع الواجب ،على العكس، الواجب يتضمن بالضرورة تقريبا فكرة سعي بالضرورة عن طريق مقاومة رقة المشاعر،في أعرق لمفهوم الإلزام (Obligation) " [122]ص83.

يبين " عبد العزيز عزت" والذي يمثل الرعيل الأول من دعاة المدرسة الاجتماعية في الأخلاق "على أن الأخلاق لا تعتمد على قوى داخلية نفسية وإنما على قوى خارجية اجتماعية لها وجودها في المجتمعات البشرية، إذا هي عناصر قائمة بالفعل وسابقة لوجود الأفراد فيها ، وهي تستق من القوالب و السنن الاجتماعية الشفوية و المكتوبة ،يذكر من النوع الأول (الشفوية) العادات والعرف والتقاليد والذوق العام ومن النوع الثاني القوانين الوضعية والآداب ودراسة مفردات اللغة.ويتناول " عبد العزيز عزت" عنصرا هاما من العناصر الأخلاقية الاجتماعية وهو الإلزام والإلزام صفة تتضمن الجزاء [121]ص82.

إنّ مادة الأخلاق الحية حسب " كوفيلي " Armand Cuvillier هي الجريدة والشارع والمعركة التي نخوضها كل يوم ، والتجربة هي التي نستطيع أن نجد فيها القيم الأساسية للأخلاق.ويرى "ويليام جيمس" أن الفلسفات قد تبرهن على جودتها في قاعات المحاضرات لكنها لا تبرهن على مثل هذه لجودة في الحياة العملية، والحياة العملية هي تلك التي استمدّ منها "عبد الرحمن بن خلدون " أفكاره ونظرياته بطريقة الاستقراء وتتبع التجارب الإنسانية في مجال التاريخ و المجال الاجتماعي و الحضاري.[46]صص170-171.

3.5.4. حقيقة القيم الإسلامية في الشريعة الإسلامية

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "وانك لعلى خلق عظيم" [123] فخصّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الأخلاق من الحياء و الكرم و الصفح و حسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله عليه بشيء من فضائله يمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى: " وإنك لعلى خلق عظيم " قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه[124]ص196.

مفهوم الأخلاق في الإسلام يعني المبادئ و القواعد المنظمة للسلوك التي يحددها الوحي على نحو يحقق الغاية من نزوله، والأخلاق ليست جزءا من نظام الإسلام العام، بل هي جوهر الإسلام وروحه السارية في جوانبه جميعا.تمثل الأخلاق في الإسلام و القيم التي يستند إليها شطر الدين [125]ص56.

لقد حددت الشريعة الإسلامية مقاييس القيم الأخلاقية التي تحكم سلوك الفرد و الجماعة جنبا إلى جنب مع أحكام الحقوق و الحدود باعتبار أن تلك القيم ليست منفصلة عن الكيان العام في هذا التشريع بل تمثل جزءا لا ينفصل عن التشريع ككل.[64]ص168.

وتعتبر الأخلاق الكريمة دليل رقي الإنسان وفلاحه وهي عنوان إنسانية الإنسان وتعتبر القوة الأخلاقية القوة الحقيقية المؤثرة في حياة الشعوب باعتبارها مؤشرا على الالتزام و عنوان الولاء للفكرة أو الشريعة أو الحاكم....وإذا اختل مقياس إلزام الأفراد للأسس التي قامت عليها الحضارة (التي تعتمد أساسا على إلزام الأفراد بالقيم الأخلاقية). [64]ص1168. وسئل صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلى قوله : " خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين " الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم و التنزه عن منازعة السفهاء ومواساة الجهلة [125]ص57.

وقد روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أمرني ربي بسبع الإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا و الغضب، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأصل من قطعني ، وأعطي من حرمني، وأن يكون نطقي ذكر وصمتي فkra ونظري عبرة " [125]ص58.

4.5.4. معالم للقيم الأخلاقية في الفكر الإسلامي

إن كثيرا من الدراسات التي اهتمت بالأخلاق عند المسلمين حصرت الفكرة الأخلاقي في اتجاهات معينة فهناك من عد "ابن مسكويه " و "إخوان الصفا" قمة الفكر الأخلاقي في الإسلام وهناك من عد "محمل حامل الغزالي " المؤسس الفعلي لعلم الأخلاق.

إن دور الفكر الإسلامي في علم الأخلاق يظهر على مستوى المنهج فهو الذي يحدد الأبعاد التي يمكن على أساسها تقسيم القيمة بين الذاتية واللاذاتية. فالإرشادات القانونية في منهجية الصراع بين الحق والباطل هي التي ألهمت علماء الأخلاق المسلمين إلى التدبر في القيمة الأخلاقية أولا ، وفي إيجاد السبل التي تتناسب مع إنسانية الإنسان، فأئمة الفقه لم يتخلوا عن البعد الأخلاقي في معالجتهم للمسائل الطارئة وكانت صياغتهم للأحكام الشرعية مبنية على مراعاة الظروف والملابسات التي تصاحب الحدث دون الإخلال بالأصل [126].

- دراسة ابن مسكوية :قدم ابن مسكوية خلال كتابيه "تهذيب الأخلاق " و"الفوز الأصغر " العديد من الآراء الاجتماعية الجديرة بالاهتمام بالملاحظة والانتباه، والتي تعتبر (حسب رأي الكاتب) دراسة في السلوك الإنساني لا تقل أهمية عن تلك الدراسات التي قدمت من طرف السوسولوجيين الأعاجم [127]ص153.

- تعتبر دراسة ابن مسكوية عن الأخلاق، دراسة للقيم التي تشكل عنده أساسا للحياة الاجتماعية من جهة والتي تعتبر من جهة أخرى مقياسا لكمال الإنسان.

1- الأخلاق كسلوك هي مصدر الأفعال الجميلة غير المتكلفة، وليس في معنى هذا في رأي ابن مسكوية- أن تلك الأفعال عفوية، بل هي أفعال واعية بالدوافع والأهداف.

2- أوضح "ابن مسكوية" أن الأخلاق كمصدر للفعل الإنساني إنما تتبع عن النفس وليس الجسد ومن هنا فإن الصراع لا بد أن يحتدم بين الخير والشر خلال النفس الإنسانية حتى تتطهر النفس بالقضاء على الرذيلة... مع الأخذ في الاعتبار- أن الصراع هنا- هو صراع قيمي حتى تتحقق في النهاية تلك الأعمال الجميلة... أو الأخلاقية على حد تعبير ابن مسكوية [127]ص153.

- نجد أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة 505هـ يصف القيم الأخلاقية ويصورها بقوله عن الخلق: " فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة. وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث".

- إن أصول الأخلاق وأمهات الفضائل عند ابن الخطيب هي نفس الأصول عند أبي حامد الغزالي ترتيبا وتعريفا وهذه الأصول هي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل وهو المجموع حالة تسوس الغضب والشهوة وتحملها على سبيل العقل والشرع استرسالا وانقباضا والشجاعة انقياد القوة الغضبية للعقل إقداما وإحجاما والعفة تؤدب الشهوة بأدب العقل والشرع، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأفعال الجميلة. [129]ص47.

- فبينما ابن حامد الغزالي يغلب الفضائل الفردية التي لاتهم إلا حياة صاحبها الحاضرة والمقبلة كالتقناعة والعزلة والزهد- فابن الخطيب يهتم اهتماما خاصا بالخلق الذي تنتظم به أسلاك الاجتماع كالأمانة وحسن العهد ومراعاة الحقوق والعدل والصدق في المعاملة والقول وهذه الشيم المثلى لها غايتها في ذاتها وليس الجزاء عليها في الدار الآخرة إلا شيئا عارضا إضافيا اقتضته الحكمة والعدل [122].

6.4. مراتب القيم الأخلاقية

6.4.1. القيم الذاتية الشخصية

وهي مجموعة الأخلاق الفردية التي تعود بالخير على الفرد فهي التي تحكم المسلم وعلاقته مع ربه أولا: (بحسن الإنابة والتضرع بين يديه والإخلاص لله تعالى والصبر على بلائه / والشكر على نعمائه والرضا بقضائه...) وتحكم علاقته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا: (بحسن الإتياع والانقياد والتواصل معه من خلال سيرته العطرة وشرعه الحكيم). وهي التي تسيطر على الصفات الظاهرة

والباطنية ثالثاً: (كالصدق والأمانة والعفة وصدق العهود والمواثيق، والفضيلة وحسن الظن... كل ذلك بأخلاق أصلية [122].

إنّ اعتبار خير الفرد قائماً على إحداث التوازن بين رغباته المتضاربة، يجعل الغير هنا مرتبطاً بحساب النتائج، بمعنى إذا كان هناك رغبتان تتطلبان إشباعاً في نفس الوقت، فالإنسان يختار الرغبة التي تؤدي إلى نتائج أفضل في المستقبل، ولكن إن عملية حساب النتائج تتطلب قدراً كبيراً من الذكاء، الأمر الذي لا يتوافر لأي إنسان، كذلك إنّ خير الفرد متمثلاً في إحداث التوازن بين رغباته، فهناك من الرغبات التي يكون لها تأثير على الآخرين [103] ص 66.

وقد وضح وليام جيمس William James أنّ وجود الرغبات الذاتية لدى الإنسان تقتضي من الفرد إشباعها مثل أية رغبة أخرى لدى الفرد، إلا أنّ هذا بالطبع سيؤدي إلى صراع في النفس وصراع مع الآخرين حول ما قد يشيع هذه الرغبات، وفي غياب القوانين والمعايير الموضوعية الأخلاقية التي تعظم هذه الرغبات وإشباعها، فإن الفوضى والاضطراب والرذيلة هي النتيجة الحاسمة التي يشهدها المجتمع، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى وجود أنماط سلوكية عامة يقرها المجتمع تصبح المبرر الكافي لكل التصرفات والأفعال التي يقوم بها الأفراد في حياتهم. [130] ص 23.

إنّ الإنسان حيوان اجتماعي بالطبع، فلا ينبغي الفهم " الطبع " هنا الطبع الغريزي بل الطبع العقلي، أي أنّ المجتمع يساهم في تكوين الفرد بقدر ما يساهم عقله نفسه في هذا التكوين، فالعقل والاجتماع يساويان إنساناً [131] ص 188. فالإنسان يستعرض بالدرجة الأولى معقوليته في الفعل عن طريق السلوك الهادف، ولا يحقق ماهيته إلا عن طريق الممارسة العملية للقيم الأخلاقية. [130] ص 23.

2.6.4. القيم الاجتماعية

وهي مجموعة الأخلاق الفردية التي تعود بالخير على المجتمع فهي التي تحكم الفرد بما يحيط به ، وتقوم على أساس التعاون والتراحم و التواصل و التضحية و العطاء وحب الآخرين. وتظهر هذه القيم في بر الوالدين وحسن الجوار، وحسن المعاشرة الزوجية، وتربية الأولاد، ومن خلال التعامل التجاري، ومن خلال الصدق في المواعيد وفي كف الأذى، وإغاثة الملهوف ورد المظالم واحترام الآخرين والمشاركة بالعمل الاجتماعي [118].

إذا كان خير الفرد قائماً على إحداث التوازن بين رغباته المتضاربة فإن خير المجتمع يقوم أيضاً على أساس التنسيق وإحداث الاتزان بين رغبات أفراد، يقول رسل Bertrand Russell " أنه من الواضح أن يكون هناك نوع من الانسجام وقدر أكبر من الإشباع، عندما تتوافق رغبات شخصين مثلاً

،أكثر مما كان هناك تنافر بين رغباتهما أو فيما يرغبان ،ولكن يمكن أن يتم هذا التوافق بين أناس يكره كل منها الآخر؟ الإجابة هنا بأن الذي سوف يهزم سيتنازل عن رغبته،إلا أن المشكلة تكمن في اعتقاد كل منهما أنه قادر على الانتصار.كذلك يمكن الإجابة بأن كمية السعادة التي تنتج عن الحب أكثر من تلك التي تتولد عن الكراهية، لذلك سوف تقل الكراهية ويسعى كل فرد إلى حب الآخر " [105]ص66.

إذا كان خير المجتمع يتمثل في تحقيق التنسيق بين رغبات أفراد المتضاربة، فإنه من الضروري أن ينظر للقواعد الخلقية، من وجهة نظر سلطة محايدة، وليس من وجهة نظر شخصية، لأن الأخلاق في جوهرها اجتماعية، ويتمثل دور السلطة المحايدة في محاولة إشباع رغبات أفراد المجتمع أو التنسيق بينهما [105]ص67.

على الإنسان ألا يتعدى على الغير، ولكن عدم التعدي وحده لا يكفي لتعيين واجباته نحو أبناء نوعه، إذ أنه لا يكفي الإنسان أن لا يكون ضاربا لمجتمع، بل عليه -زيادة على ذلك- أن يكون مفيدا له، لا يكفي الإنسان أن لا يؤذي الغير، بل عليه أن يواسي الغير أيضا [120]ص69.

3.6.4. القيم الإنسانية

أن الناس إذا كانوا أجمعوا على تقدير أهمية الأخلاق ومكانتها في دور وقطر، غير أنهم لم يتفقوا على تحديد الأخلاق "مفهوم" الأخلاق، ولا سيما على تقدير "قيم" مظاهرها المختلفة.

ولذلك نجد أن "المعيار المعنوي" الذي تقدر به "القيم" الأخلاق والفضائل، يتحول من بلد إلى بلد ومن قرن إلى قرن.

أن "قيم الأخلاق" لا تخلو من التحول في البلد الواحد وفي العصر الواحد أيضا، وذلك حسب مهن الأفراد ومراكزهم الاجتماعية، فالمزايا الأخلاقية التي تظهر كافية بالنسبة إلى عامة الناس قد تكون ناقصة بالنسبة إلى رجال بعض المهن [120]ص167.

في الوقت الذي يرى فيه الكثيرون أن العلم التطبيقي وما يشتمل عليه من نظريات واكتشافات شرط ضروري للتقدم المادي، فإننا نرى أن الأخلاق وما تحتويه من قيم فاضلة ومبادئ سامية لا تكون أساسا للتقدم الروحي فحسب بل إنها ضرورة حتمية للرقى والتحضر البشري، إن حياة الإنسان فردا أو جماعة لا تستقيم إلا باكتسابه للقيم الأخلاقية التي تنظم سلوكه وحياته ، وإذا كانت الأمم في المرحلة البدائية تتفاضل بالقوة البدنية وفي المرحلة الحديثة تتفاضل بالعلم و التقنية فغن الأمم في المرحلة المتحضرة تتفاضل بمكارم الأخلاق.

وقد عبر المفكر الفرنسي وليام غارودي عن أهمية القيم الأخلاقية في حياة الكائن العاقل قائلا: " بأنّ الحضارة المدنية لا تتطور إلا إلى هلاك الإنسانية وفنائها، ولا سبيل إلى الخروج من ذلك إلا بالتمسك بالقيم الروحية والأخلاقية، إنّ الأنبياء وحدهم استطاعوا أن يؤمنوا القيم الروحية في درجة أعلى من القيم المادية [120] ص 23.

يرى ابن خلدون: " أنّ السعادة والكسب إنما تحصل غالبا لأهل الخضوع و الملق وإن هذا الخلق من أسباب السعادة " [132] ص 261.

وقد تبين ذكر كذلك في إشارة منه إلى يتصف به أهل هذا الخلق ما يلي : "وكذلك أهل الحنكة و التجارب والبصر بالأمور قد يتوهم بعضهم كما لا في نفسه احتياجا إليه وتجد هؤلاء الأصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب جاه ولا يتملقون لمن هو أعلى منهم ، ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستكف أحدهم على الخضوع ، ولو كان للملك وبعده مذلة وهوانا وسفها ، ويحاسب الناس في معاملتهم إياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ، ويحقد على من قصر له في شيء مما بتوهمه منذ ذلك وربما يدخل على نفسه الهموم والأحزان من تقصيرهم فيه ، ويستمر في عناء عظيم من إيجاب الحق لنفسه وإبانة الناس له من ذلك " . [120] ص ص 263-264.

7.4. الطابع الشخصي والمجتمعي للقيم الأخلاقية لدى الفرد والمجتمع

إرادة الحياة غريزة في الفرد ، والفرد لا يكون حقيقة واقعة في المجتمع ، إلا إذا أراد عقلية واعية ، إلى جانب إرادته الغريزية لها ، وهذا النوعان من إرادة الحياة يؤديان بصورة مستمرة إلى المحافظة على الكيان العضوي ، أي إلى تقوية بصورة مستمرة ضد عوامل الفناء ، بينما الإرادة العقلية الواعية تدفع هي أيضا في الدرجة الأولى إلى النمو النفسي، أي إلى تقوية الروح والسعي إلى التكامل الذاتي [133] ص 101.

1.7.4. الطابع الشعبي والمجتمعي

- يرى "أبو علي بن مسكويه" في الأمم وما يتميز به بعضها عن بعض فيما يذكر: " يتفاضل الناس بين الأمم لا تتميز عن القروء إلا بمرتبة يسيرة، وأمم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم إلى أن يصيروا وسط الأقاليم فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم وعمل الفضائل " . [103] ص 117.

ويتحدث الإمام محمد عبده (1805-1849) عن الأمة العربية فيصدر الإسلام: " مال عنصرها إلى التحبب في خلق الجراة وحملتها شهامة النفس على الجولان في ميادين الغزو والفتوح والإقدام والظفر

والبسالة والانتصار.....وعن أمة اليونان: "هذه أمة اليونان لما كانت ديارها مهد الحكمة ومطلع شمس العرفان دارت أحاديث قومها في المجامع و الفصول ،وهم بين مثبت وسالب ومعترض ومجيب وهذا مع محافظتهم وقت المحاوره والجدال على رعاية الآداب وحرمة قوانين المباحثة.[103]ص121.

إذا رما اقتباسا من تعابير شغلر Oswald Spengler فالحضارة هي خلود الأمة في صدر التاريخ، وهذا الخلود لا يتم إلا إذا عبرت هذه الحضارة أصدق تعبير عن شخصية الأمة العميقة ، وحملت اسمها وطابعها ،فلكل شخصية طابع فردا كانت هذه الشخصية أو أمة ،وهذا الطابع هو السمة الدالة على هذه الشخصية تعرفت به أنى وجدت،وأنى تركت آثارها.[133]ص102.

إن الفرد لا يعد قوميا، لكونه يقدر نزعته قومه، لأن هذه النزاعات قد تكون منبثقة عن الشر، بل يعد قوميا بمعنى الصحيح حين يحارب الشر المتأصل في أمته كي يستبدل به الخير...فالإسانية، تعني تحقيق الإنسان، أي نزوعه نحو المطلق.[132]ص641.

يذكر عبد الرحمن ابن خلدون من مقدمة، في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة، وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر ، قال صلى الله عليه وسلم: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه " ويقدر ما يسبق إليها من أحد الخليقين تبعد عن الآخر، ويصعب عليها اكتسابه ،فصاحب الخير إذا سبق عليه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر، وصعب عليه طريقة وكذا صاحب الشر ، إذا سبق إليه عوائده ، وأهل الحضرة لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها فقد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر. وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم ، إلا أنه في المقدار الضروري ، لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات وا لذات ودواعيها[132]صص197-198.

2.7.4. الطابع التقليدي

إنه من الواضح على أن كل واحد من المصادر المحددة للوعي الأخلاقي تصبح عن طريق المصادفة وشدة القيمة التي هي المنشأ الأصلي في حركتها وأبحاثها واحدة من الوسائط التي تعمل على تحديد الأهداف المثالية المقدمة بالتتابع.

يكفي الاعتراف بهذه الوسائط بالشكل الذي تكون فيه متميزة مثل الأهداف بما أن كل هدف ليس شيء آخر بالنظر إلى القيمة المطلقة، تصويب أسمى لأرواحنا. على أن وسيطة واحدة محفزة للهدف

بجاذبية للحصول على تصنيف للأخلاق الجائزة، (المحتملة) والتي يفضل بعضهم ويدعوها بالأخلاق التقليدية [132]ص ص197-198.

من تصنيف الأخلاق التقليدية إذا شبه تجريبية، ومألوفة وبالعقلانية الخاصة بعلم الكائنات، تدور حول الموضوع مثل الخير، المنافس للمبدأ الأخلاقي، مثل الخبرات والتي لا تهم سوى الكائن الحي وخاصة الإنسان.[134]ص373.

الأخلاق العاطفية تجعل الشعور (العاطفة) مثاليا، سواء بمظهرها الأساسي وتصير أخلاق الحياة أو بمظهرها (Interpersonnel) وتعرف بأخلاق الشفقة أو الحب، بينها وبين الأخلاق الإرادية مثل بين العاطفة وما ينبغي أن يكون، إن الفصل في المذهب أذرائعي يدرج الأخلاق بالقوة بما أن هذه تفرض طاقة من العاطفة وتأثير من الإرادة [234]ص373.

في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القوانين فقد كانت تتحكم فيها التقاليد التي هي أقسى من القانون تلك التقاليد التي جعلت الفرد لا حق له حتى في طريقة الجلوس والأكل. إن الحرية شرف اقتضاه اطمئنان الحياة والفرد الحر ثمرة أنتجتها المدينة. إن التقاليد الاجتماعية كانت دائما وإلى وقتنا الحاضر، تعتبر عامل انسجام وتناسق بين أفراد المجتمع، وبدونها كان المجتمع يتعرض للتفكك و الانهيار وما نسميه اليوم بالقانون هو وسيلة حديثة حلت محل التقاليد في القديم والغاية منهما هو الضغط على الفرد وربطه بعجلة الجماعة فلا يشدّ عنها ولا يتمرد.[131]ص ص189-190

8.4. ضعف معيارية القيم الخلقية وأثرها على السلوك الإنساني الاجتماعي

يؤكد بعض علماء التحليل النفسي أن المشكلات السلوكية والأمراض النفسية الموجودة لدى بعض الأفراد مردها في الواقع إلى المشكلات الأخلاقية التي يعاني منها أولئك الأفراد ويبين صاحب المقال: "وإذا تعمقنا في البحث وفحصنا عن منشأ الأمراض العصبية فإننا نجد أنها في أكثر الأحيان مرتبطة بمشكلات خلقية في جوهرها فالجندي الذي أصابته صدمة الحروب في ساحة القتال فانهار ، إنما نشأ مرضه نتيجة الصراع بين الإحساس بالواجب و المحافظة على الذاتفبالانحرافات الجنسية والسرقة الغرور، ليست جسمية بأي معنى من المعاني ولكنها خلقية في أصلها ومظهرها "[130]ص25.

1.8.4. أثر النمو الحضاري والرفاهية المعيشية

يذكر ابن خلدون أن رسوخ نزعة الرفاهية لدى السكان الحضري يؤدي إلى إلحاق ضرر هائل بالنظام الاقتصادي و الثقافي فالمعايير الجماعية الضابطة للنظام الاجتماعي و الثقافي تصبح معرضة لانحلال

حتمي يفسح المجال لصاحب فردية منعه وعدوانية وبذلك تصبح حالة حدوث اللامعيارية أو الضعف العصبية أكثر احتمالاً فمن ناحية يرغب الفرد الحضري في المزيد من الرفاهية بينما يفشل هذا الفرد من ناحية أخرى في إشباع حاجاته المتزايدة وبصيغة هذه المفاهيم وبمصطلحات علم الاجتماع الحديث فإن الشخص الحضري في وقت ابن خلدون يخضع لضغط شديد من قبل مجموعة متزايدة من التوقعات المتزايدة ، ولهذه المعيارية تأثير مباشر في المعدل الإحصائي للانحراف الجريمة كما بين إميل دوركايم Emile Durkheim في القرن العشرين ومثلما نجد في الحضارة الحديثة فإن الانتشار المتزايد في الجرائم والانحراف كان ابن خلدون ينظر إليه على أنه أحد أعراض التفكك في النظام الثقافي الاجتماعي ويربط علماء الاجتماع المحدثون هذه المشكلة عادة بالنظام الاجتماعي و الذي وضح ابن خلدون نتائجه النفسية [135]ص114.

يفطن الإمام محمد عبده إلى ما للاقتصاد علاقة من النواحي النفسية ويذكر: " الاقتصاد فضيلة من فضائل الإنسانية الجليلة ، وهو كغيره مركب من أمرين : بذل وإمساكأما بالنسبة للأمر الثاني، وهو البذل أي الإسراف فيذكر : " إن أبنائهم أي أبناء " المسرفين " فاقدوا التربية ومتركون في زاوية الإهمال ، يسرهم في ذلك كل فرحهم بأبنائهم الذين لم يكتسبوا شيئاً من الفضائل [101]ص120.

يرى ابن خلدون أن النتائج التراكمية السيئة للحضارة تصل أقصى حد من التأثير السلبي لها عندما تتحول إنسانية الفرد النبيلة و الفريدة إلى بهيمية صرفة، وهذا التحول الإنساني القبيح يوصف من قبل فيما ذكره : " وإذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانية وسار مسخا على الحقيقة " .

ويبدو أن حالة البهيمية الإنسان تعني أدنى مستوى يمكن أن تصل إليه الطبيعة البشرية حالتها الفطرية فحسب، بل تفقد حتى ازدواجيتها، وعندما تسيطر حالة البهيمية هذه على الاتجاه الكلي لسلوك الإنسان، ففي هذا علامة واضحة على أن التضامن الاجتماعي (العصبية) ، والنظام القيمي الديني قد وصلا إلى نقطة اللاعودة من ناحية الضعف والانحلال [135]ص117.

ملخص الفصل

تعد عملية التنشئة الاجتماعية والتي هي المبحث الأول من هذا الفصل المتضمن لموضوع التنشئة الاجتماعية والأخلاق، أهم العمليات الاجتماعية التي تتشكل من خلالها بنية شخصية وثقافة الفرد وتطبع سلوكه الاجتماعي والأخلاقي، وفي هذا المضمار فقد عرضنا لمفهوم هذه العملية الهامة في حياة الفرد، تعريفا اصطلاحيا وسوسولوجيا، كما تطرقنا لمنظورها في الفكر الإسلامي.

وقد تناولنا بالبحث والتنظير في هذه العملية عدد من العلماء والباحثين والمفكرين وكانت آراؤهم وأفكارهم متقاربة وفق الاتجاهات التي يدرسونها، وعليه فقد تضمن رسيدهم في مجموعة نظريات وهي: الاتجاه التفاعلي الرمزي، الاتجاه البنائي الوظيفي، التحليل النفسي، نظرية الأبيتوس Habitus، النظرية الثقافية.

كما أن هذه العملية تتميز بأنواعها، منها التنشئة الأسرية، التنشئة التربوية التعليمية، التنشئة السياسية، كما أن لها أهداف حيث تطرقنا إليها في جملة من هذه الأهداف وعرضنا كذلك للعناصر ذات التأثير في هذه العملية، أهمها التراث والثقافة وكذلك التأثير السلبي لغياب دور المرأة الاجتماعي والتربوي واضطرابات الأسرة ومشاكلها ويندرج هذا التأثير السلبي المتكون من هذه العناصر السلبية في عنصر عوائق التنشئة ونشوء الانحراف.

وفي المبحث الثاني الخاص بالقيم الأخلاقية، عرضنا لهذه القيم في الفكر العلمي والاجتماعي، وخصوصا في الشريعة والفكر الإسلامي، نظرا لمكانتهما وصدقتهما فيه، كما تطرقنا إلى مراتب هذه القيم منها ماله علاقة بالذات والتي لها علاقة بالجماعة والمجتمع في صنفها الآخر، كما تطرقنا للميزة التي تطبع بهما كل من الفرد، والجماعة، والشعب (المجتمع).

تمهيد الفصل

نعرض في هذا الفصل العمل التطبيقي للدراسة المتضمن في المناهج المستعملة في دراسة الظاهرة وأول هذه المناهج، منهج تحليل المحتوى بغرض تطبيقه في تحليل الأمثال واستخدام المنهجي الكيفي المناسب لوصف وتفسير الظاهرة، بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي يعد مناسباً في الدراسات الوثائقية المتعلقة بحوادث الماضي.

وبخصوص أسلوب جمع المادة، تمثل في أسلوب الحصر الشامل لعناصر مجتمع البحث والمتمثل في الأمثال الشعبية الجزائرية المأخوذة من مصادر وثائقية وبشرية، وفي المرحلة الخاصة بعرض الوثائق الخاصة بهذه الأمثال فقد سار عرضها بالترتيب وبالتعريف بصاحب المرجع في شكل مختصر، وبلغ عدد هذه المراجع المدونة بها الأمثال 15 مرجعاً.

وفي جدول خاص تم عرض التوثيق للمراجع وعدد الأمثال الكلية المجمعة وعدد الأمثال الخاصة بالجريمة.

وكان اختيار العينة بعد ذلك بتحديد إطارها وحجمها، وتمثلت هذه العينة في العينة العرضية، وإضافة لأسلوب جمع المادة ومجتمع البحث فقد تم انتقاء الأمثال كذلك من قبل الأشخاص والموزعين في فئتين: الفئة الأولى، تكون من الأساتذة والفئة الثانية من كبار السن.

ملخص الفصل:

كانت عملية استخدام المناهج في الدراسة حسب نوعية الظاهرة المدروسة المتضمنة في عبارات ومعاني الأمثال الشعبية وعليه فقد جرت عملية التحليل باستخدام المناهج التالية: المنهج الكيفي الذي يتلاءم مع في وصف وتفسير الظاهرة كما تم اعتماد منهج تحليل المحتوى للتعلق واكتشاف مختلف العناصر المكونة للظاهرة من أفعال وقيم ومعاني وأفكار...

كما تم استخدام المنهج التاريخي الذي مكنا من رصد وكشف الوقائع والحوادث الاجتماعية منها السياسية، والصراعات الناجمة في هذا الإطار التي تضمنتها الجرائم التي رصدتها لنا الأمثال التي تم تدوينها في الوثائق التي قمنا بعرضها وحصر وانتقاء الأمثال الخاصة بالجريمة، التي منها تم استخراج عينة الدراسة مع ذكر الأمثال المجمعّة من طرف فئة كبار السن والأساتذة، وذلك عن طريق استعمال تقنيتين المقابلة ودراسة الحالة التي ساعدتنا في تحليل الأمثال.

وكان عرض المجال المحدد للدراسة المتشكل من ثلاث مجالات وهي المجال البشري والمكاني و الزمني وفق الفترات الزمنية التي حاولنا قدر الإمكان استغلالها لصالح الدراسة، وفق الخطوات المفروضة المناسبة، وسارت الخطوات العملية الفاصلة بالمجال البشري إلى غاية الانتهاء من إجراء المقابلات مع الأساتذة وجمع الأمثال من فئة كبار السن.

الفصل 5

أسس المنهجية التطبيقية المتبعة

1.5. المناهج المستعملة

ينص المنهج على كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما. إنه يتدخل بطريقة أكثر أو أقل إلحاحاً، بأكثر أو أقل دقة، في كل مراحل البحث أو في هذه المرحلة أو تلك [136] ص 99.

في جانب من خطوات البحث الخاصة بموضوع دراستنا والمتمثل في تحليل محتوى الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بالجريمة، بانتهاج واستخدام أسلوب تحليل المحتوى، المناسب للدراسات التحليلية، والكيفية، وهو ما ينطبق على دراستنا التحليلية الكيفية، وعليه استخدامنا المنهج الكيفي، لأن من خصائصه أنه يعمل على وصف وتفسير الظاهرة المتعلقة بالدراسة، وبالتالي يساعد ويؤدي إلى فهم هذه الظاهرة.

والمنهج والمناهج الكيفية تهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة، موضوع الدراسة وعليه ينص الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكيات التي تمت ملاحظتها، لهذا يركز الباحث أكثر على دراسة الحالة أو على دراسة عدد قليل من الأفراد [136] ص 100-101.

1.1.5. منهج تحليل المحتوى

وحسب تعريف Berleson لتحليل المحتوى بأن: تحليل المحتوى هو المنهج الذي أعطى بهدف التحليل الموضوعي للمعلومة المتضمنة في خطاب نص واحد أو وثيقة أيقونوغرافية، هذه الرغبة الموضوعية للمعلومات لا تعرف غير أنها تكون محققة تماماً [1337] ص 132. وتحليل المحتوى هو منهجية كيفية مستعملة في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وحسب تعريف Berleson لتحليل المحتوى «بأنه أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون الظاهر لمادة من مواد الاتصال»:

«إن مراحل تحليل المحتوى: 1-البناء 2-القراءة 3-التصنيف 4- تفسير».

«إنه أسلوب فني وليس منهجا... إنما هو أداة لها في كل منهج علمي موقع»[138]ص41.

وعليه يكون أسلوب تحليل المحتوى أداة في المنهج الذي نستخدمه للوصف الموضوعي، قصد كشف عن الظواهر المتعلقة بموضوع لدراستنا.

إن الطريقة المتبعة في تحليل محتوى المادة الخاص بموضوع الدراسة تتماشى ومشكلة وأهداف وفروض البحث، وعليه فإن تحديد فئات التحليل يكون حسب ورود فرضيات الدراسة المصاغة من أسئلة البحث المتعلقة بمشكلة البحث.

يذكر مدلين غرافيتش Madeleine Grsiuitz أنّ التحليل الكيفي يتميز عن التحليل الكمي عن طريق الأهمية المعطاة لقيمة الموضوع بحضورها أو غيابها في المحتوى المدروس، وليس في عدد مرات ظهور[137]ص144.

و الواقع أنّ ما يميز تحليل المحتوى عن كثير من أساليب دراسة مواد الاتصال، هو اعتماد تحليل المحتوى للتقدير الكمي للدراسة، وكمناطق للحكم على انتشار الظواهر وكمؤشر للدقة في البحث[138]ص29.

وللتوصل إلى التقدير الكمي لظواهر التحليل لا بد من وجود وحدات، يستند إليها الباحث في عد هذه الظواهر، ويفرق برلسون (Berleson) بين عدة أنواع من وحدات التحليل[138]ص104.

ووحدة التحليل التي سنقوم بإجراء تحليل محتواها يتم حسب "المفردة" وتسمى أحيانا بالوحدة الطبيعية وتختلف باختلاف الدراسة الخاضعة للتحليل"[138]ص104.

ونقصد في ذلك الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بالجريمة، بتحليل محتواها أي يتم حساب معدل تكرار الظاهرة الخاصة بكل فئة من فئات التحليل، المتعلقة بفرضيات الدراسة.

وفي إطار أهداف الدراسة بالتعرض والتعرف في نفس الوقت على الأشكال المختلفة لظاهرة الجريمة وأنماط السلوك الإجرامي في إطار هذه الظاهرة، وذلك من خلال كل فئة من فئات التحليل ونخص بذلك فرضية معينة حيث تتشكل كل فئة من مجموعة فقرات، وكل فقرة تنص على موضوع معين خاص بالظاهرة، وهذا ضمن عدد الأمثال التي وردت فيها، والذي يعني عدد تكرار الظاهرة وحساب معدلها، وينطبق هذا الإجراء على بقية الفئات. ومن خلال هذه المعدلات بإمكاننا التعرف على الأشكال المختلفة لظاهرة الجريمة وأكثرها وقوعا وارتكابا من طرف أفراد وجماعات شرائح وفئات

المجتمع الجزائري الذي يساعدنا على معرفة وكشف أهم العوامل والدوافع المؤدية و المفردة إلى هذه الأشكال من السلوكات الإجرامية، ومن ثم يمكن استخلاص قيم الجماعة، التي تعكس بنيتها الذهنية الاعتقادية اتجاه هذا السلوك، وإعطاء بذلك صورة موحدة لثقافة وشخصية المجتمع والمتجسدة في الأفكار والتصورات والأحكام، والمعاني، والعادات والتقاليد والأعراف المتضمنة في تلك الأمثال الأكثر انتشارا بين أفراد وجماعات المجتمع الجزائري وبالنظر لهذه القيم الإيجابية منها والسلبية في توجيه السلوك على اعتبار ذلك معيار ذلك الحكم.

2.1.5. المنهج التاريخي

هو "طريقة تناول وتأويل حادثة وقعت في الماضي، وفق إجراء البحث والفحص الخاص بالوثائق". وهو منهج مناسب لدراسة وتحليل مادة البحث، المتمثلة في الأمثال الشعبية، باعتبارها وثيقة إنسانية اجتماعية وثقافية عبرت عن حوادث للماضي خلال تواتر الزمن. وعليه بإمكان الباحث إخضاعها للتأويل والفحص، بهدف الوصول إلى معرفة الأوضاع والظروف الاجتماعية لحياة الفرد والجماعة والمجتمع، وعليه يتمكن من الكشف على الظواهر التي سادت المجتمع في فترة تاريخية أو زمنية، كظاهرة الجريمة.

ويظهر أن المنهج التاريخي هو منهج يرتبط بالدراسات الأدبية واللغوية"إذا كانت الظاهرة أو الموضوع المدروس ينتمي إلى الماضي فإن المنهج الملائم لذلك يتمثل في المنهج التاريخي، الذي يعتمد الباحث فيه على أداة الملاحظة في جمع المعلومات، كما يعتمد على الأسلوب السردي التتبعي للأحداث وفق تسلسلها الزمني"[18]ص6.

وعلى اعتبار أن علم الاجتماع وعاء للتاريخ، يستلهم منه ويتعرض بالدراسة الخاصة لأبرز وأهم الحوادث والوقائع التي عرفها المجتمع، وحتى بخلفياتها الفكرية والثقافية والأخلاقية والمعتدية، من خلال تحليل الوثائق المتنوعة، على أن هذه الخلفيات في علاقتها بهذه الحوادث والوقائع التي عرفها المجتمع، تشكل ظواهر أوجدتها هذه الحياة الاجتماعية للمجتمع ككل.

وعليه فإن المنهج التاريخي الذي اعتمده في دراستنا لظاهرة الجريمة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية، بإمكانه مساعدتنا في كشف وإبراز معلومات أو معطيات تتعلق بالظاهرة وصلتها بالسلوكات والعمليات الاجتماعية المختلفة مثل الصراعات الاجتماعية، وقيم الجماعة وهذا في إطار ثقافة وشخصية المجتمع الجزائري من خلال هذه الأمثال.

2.5. أسلوب جمع المادة واختيار مجتمع البحث

"إذا أراد الباحث الاجتماعي أن يجمع بياناته حول ظاهرة اجتماعية معينة، فإنه يلجأ إلى استخدام أحد الأسلوبين: أولهما أسلوب الحصر الشامل، وهو الأسلوب الذي يقوم على الحصر الشامل لكل أفراد المجتمع؛ أما عيوب هذا الأسلوب أنه يحتاج إلى جهد ومال وفير ووقت طويل" [139] ص 157. فبعد اختيارنا لموضوع الدراسة، كان لزاما علينا القيام ببحث استطلاعي حول الأمثال الشعبية الجزائرية، باستخدام هذا الأسلوب الذي من خلاله "يعمد الباحث إلى جمع البيانات ميدانيا بوسائل متعددة ومتنوعة بغرض الوصف أو التحليل أو الكشف" [18] ص 197.

كما أن هذا البحث الاستطلاعي أفادنا في معرفة أكثر، حول هذه الظاهرة من خلال المعلومات والبيانات التي استطعنا الإلمام بها قدر الإمكان، والتي في توضيح إجراءات البحث والدراسة. وبخصوص مجتمع البحث الذي : "عادة ما يعرف: لمجتمع بأنه تجمع لأفراد وأشياء تشترك في خصائص معينة تهتم الباحث. و بعبارة أخرى، هو "مجموع وحدات البحث التي نريد الحصول على بيانات منها أو عنها" [136] ص 299

وقد تمثل مجتمع البحث الخاص بموضوع دراستنا في المثل الشعبية الجزائرية الخاصة بظاهرة الجريمة. و"لكي يكون البحث مقبولا وقابلا للإنجاز، لا بد من تعريف مجتمع البحث الذي نريد دراسته، وأن نوضح المقاييس المستعملة من أجل حصر هذا المجتمع". وقد سعينا في هذا الإطار وبدلنا قصارى جهدنا لجمع المادة الدراسية في حدود الوقت المناسب، إلا أنه استغرق وأخذ وقتا طويلا إلى حد ما لأنّ الحصول على هذه المادة من مصادر متنوعة للتمكن من حصر مجتمع البحث. إلا أنّها تم جمعها في مجملها من مراجع لمؤلفين في تخصصات أدبية وثقافية، وقد كانت هذه الأمثال التي قام بدراستها هؤلاء المؤلفين والباحثين، سواء عن طريق الإطلاع عليها من المراجع والوثائق المتنوعة، أو ما كان منها مجمعا مباشرة وذلك عن طريق أخذها مباشرة من الميدان بالاتصال مع الأفراد الذين قد يكون لديهم رصيда لازالوا يحتفظون به في ذاكرتهم، خاصة فئة كبار السن.

وفي تلك المنطقة التي تمت فيها عملية الجمع، وعليه فقد مست هذه الأمثال شرائح متعددة من المجتمع الجزائري، وهذا يخدم من أهداف دراستنا، والذي يتعلق بثقافة وسمات الشخصية المجتمعية للمجتمع الجزائري بكل شرائح جماعته.

وبما أنّ هذه الأمثال تم جمعها من أصول شرائحية مجتمعية مختلفة من مناطق ذات أصول لغوية لهجوية معينة، حيث كان منها ما هو مدون باللهجة العربية، ومنها ما هو مدون باللهجة القبائلية باختلافها [139] ص 158.

ونقصد بذلك الأمثال الشعبية القبائلية، ومرجع واحد خاص بالأمثال الثانوية لمنطقة الأوراس، مدونة بلهجتها الثاوية بحروف فرنسية مع ترجمتها إلى العربية.

وبخصوص هذه الأمثال المجمع والمُدونة بلهجاتها المحلية. فقد اعتمدنا على ما كان مترجم منها سواء بالعربية أو الفرنسية، إضافة إلى ما كان منها مشروحة معاينها وتخلينا على الأمثال غير المترجمة إلى هاته اللغتين، والتي وجدنا منها على مرجع واحد فقط.

وقد أردنا جمع المادة كذلك من الوثائق لدى الإذاعة الوطنية، وفي انتظار الرد إلى غاية وفي حدود الوقت الذي انتهينا إليه من عملية جمع المادة وباشرنا في إجراءات اختيار العينة.

2.5. عرض الوثائق الخاصة بالأمثال الشعبية الجزائرية والمتضمنة لمجتمع البحث والدراسة

- صاحب الوثيقة الأولى محمد بن شنب - Proverbes de L'Algérie et du Maghreb

-تم انجاز هذا العمل المتمثل في مجموعة الأمثال الجزائرية والمغربية من طرف المؤلف "محمد بن شنب"، قدم في بدايته بطاقة تعريف عن حياته التعليمية والعملية بعدها، نجد عرض لأهم المراجع والأعمال الفنية والأدبية لديه، ثم قدم قائمة البيوغرافيا المعتمد عليها في إنجاز هذا المؤلف. كانت الأمثال المدونة باللغة العربية به مرتبة ترتيبا أبجديا (من ألف إلى ياء) وهي مترجمة إلى الفرنسية، مع شرح معانيها بالفرنسية قدر عددها ب: 3127 مثل، مقسمة في ثلاثة أقسام. ألحق في آخر هذه الأمثال مجموعة من الحكم الجزائرية. مع ترجمتها إلى الفرنسية، ضمت في مجموعها 70 حكمة.

- صاحب الوثيقة الثانية: قادة بوتارد، الترجمة ل: عبد الرحمن صالح "أمثال وحكم جزائرية"

بعد الإهداء ومقدمة الكتاب، يعرض صاحب هذا الكتاب مجموعة الأمثال والحكم الجزائرية، المترجمة من الفرنسية إلى العربية، ثم تخصيصها، وتصنيفها حسب مواضيعها، وكل موضوع، تناول بدوره مواضيع معينة، حيث نجد المواضيع الرئيسية في جزأين والمواضيع التي تفرعت منها في أبواب، تطرقت في مجملها إلى الحياة الإنسانية، والاجتماعية. كان تقديم المثل مشكوا لا شكلا جزئيا، حتى يتعرف القارئ كيف ينطق به، مع كتابة تعليق لكل مثل وذلك لتوضيح معناه، وتبيين كيفية استعمال الناس له والظروف التي قيل فيها. وقد بلغ عدد هذه الأمثال المدونة في هذا الكتاب ب: 1010 مثل شعبي. وقد ألحق بهذا الكتاب فهرسا بجميع الأمثال المقدمة مع ذكر رقم كل مثل.

- صاحب الوثيقة الثالثة: عبد الملك مرتاض "الأمثال الشعبية الجزائرية"

بداية تأليفه، كانت بعرض مقدمة عن الأمثال الشعبية، تناول فيها بالأخص أمهات الكتب العربية الخاصة بالأمثال. بين منهجه في الدراسة في جزء خاص بذلك، وفي القسم الأول لهذا الكتاب، تناول فيه مضمون الأمثال الشعبية الجزائرية الزراعية والاقتصادية، وقد تضمن هذا القسم فصلين. وفي القسم الثاني تناول فيه الحيز والزمان في الأمثال الشعبية، وذلك من خلال فصلين.

وفي القسم الثالث، تطرق لموضوع كل من اللغة والأسلوب في هذه الأمثال في فصلين مع وجود إشارات في آخر كل الفصول المذكورة سابقا. أما القسم الرابع: اشتمل على ملاحق وفهارس تقنية، مرتبة، أولا: ملحق يتضمن نصوص مجموعة الأمثال الشعبية التي أجريت عليها الدراسة (مرتبة بحسب أرقام متسلسلة من 1 إلى 150 مثل، ثانيا: معجم للألفاظ الزراعية والاقتصادية التقنية (يشمل تسعة عشر مادة).

مكتبة الدراسة: وهو جزء تطرقنا فيه إلى أنواع المراجع المعتمدة في دراسته (كتب، دورات).

- صاحب الوثيقة الرابعة: عبد الحميد بن هدوقة (امثال جزائرية)

اقتصرت الأمثال المجمع والمُدونة من طرف المؤلف، على المتداول منها في قرية الحمراء ولاية (برج بوعريريج)، مع تسجيل عدد نادر من المثل الجزائرية المتداولة في جهات أخرى للإستناد بها، فيها تعلق باللغة بالأمثال الجارية في تونس، والمسيرة لدى الكاتب ورباعيات الشيخ عبد الرحمن المجذوب المغربي وكذلك الأمثال العربية القديمة.

قدم الكاتب تعريفا بقرية الحمراء، تم ترتيب هذه الأمثال ترتيبا أبجديا، مع وضع فهرسا تحليليا مرتبة بصورة تقريبية، حسب المواضيع، قدر عدد هذه المثل ب: 640 مثل مع شرح المغزى منها وذكر مضاربيها. وظروف ورودها. وأضاف في نهاية هذا الكتاب معجما لغويا صغيرا لمعظم الكلمات التي تشتمل على معقودات أو (اقاف) عادية.

- صاحب الوثيقة الخامسة: أحمد بن نعمان (نفسية الشعب الجزائري)

بعد تقديم المؤلف لهويته الشخصية، وأهم مؤلفاته، تناول بعد ذلك موضوع دراسته وهو "نفسية الشعب الجزائري" وهذا من خلال مقدمة بين فيها منهجه. وقد ضمت هذه الدراسة قسمين، القسم الأول: تعرض فيه على المنظور الأنثروبولوجي للثقافة تضمن فصلين، أما القسم الثاني: فقد خصه الباحث ل: الشخصية (القرمية) للمجتمع الجزائري، وأشتمل هذا القسم على أربعة فصول.

بما أنّ الأمثال المجمعّة والمدونة من طرف صاحب الكتاب، شملت القطر الجزائري وقام بتحليل مضمونها، فهي بذلك لم تكن مرتبة في شكل قائمة، أو في شكل جمل (يخصها مع التحليل) مع شرح معانيها، مما جعلنا نقوم بحصرها وحساب مجموعها والذي قدر بـ: 390 مثل، منها ما هو مسجل مدون باللغة الأمازيغية. وقد تخلينا عن الأمثال المتكررة بنفس الألفاظ. وهي قليلة (الأمثال المتكررة). كما تخلل نصوص تحليل مضمون هذه الأمثال أقوال مأثورة، وقد تخلينا عليها.

- صاحب الوثيقة السادسة: يوسف نسيب Proverbes et Dictons Kabyles

كانت بداية عرض محتويات هذا الكتاب، بصورة (خريطة) لمنطقة قبائل جرجرة. والتي تم فيها جمع الأمثال القبائلية من طرف الباحث بمساعدة أقاربه، وأصدقائه عرض طريقة تصنيف هذه الأمثال من خلال جدول في بداية الكتاب، بعد ذلك تطرق للتعريف للمثل ومنشأ وتطور الأمثال القبائلية.

تخلل تقديم هذه الأمثال المدونة باللغة الأمازيغية والمترجمة إلى اللغة الفرنسية، صور ترمز للثقافة المحلية (منطقة قبائل جرجرة)ن ومعبرة عن الحياة اليومية للفرد خاصة ما تعلق بعمل المرأة. إضافة إلى صور لمناظر طبيعية ومدن هذه المنطقة.

وقد تم شرح معاني هذه الأمثال بالفرنسية، أما تركيبها فكان عدديا وعليه كان عددها 1370 مثل. وفي نهاية الكتاب عرض لبيبيو جرافيا لهذا المرجع مع ملحق موضوعي.

- صاحب الوثيقة السابعة: ونيسي " Proverbes et Devinettes Chaouis محمد صالح "

أول محتويات هذا الكتاب، هو التعريف بالمثل الشعبي مع تناوله للأمثال الجزائرية عامة والأوراسية خاصة في هذا المبحث، ثم تناول موضوع الحكم الشعبية (الأمثال) حسب ما كتب المؤلف ونقصد بذلك ما هو بين القوسين، وبخصوص الأمثال المدونة باللهجة الأوراسية وبحروف فرنسية، مع ترجمتها إلى الفرنسية أولا ثم إلى العربية، كان ترتيبها ترتيبا عدديا، وعليه قدر عددها بـ 460 مثل، بعد ذلك تطرق إلى موضوع الأحاجي، وعرض مجموعة منها.

- صاحب الوثيقة الثامنة: علي كبريت (موسوعة التراث الشعبي لتيارات وتيسمسيلت)

-خص الجزء الأول (الكتاب الأول) لمنطقة تيارت، تناول فيه بعد مدخل عن الثقافة وواقعها الحضاري، خاصة الثقافة الشعبية، بتركيزه على المجتمع الجزائري، بعد ذلك عرف بالمنطقة وتاريخها. ثم قدم النصوص الخاصة بالمنطقة والمتمثلة في (سير بعض الأولياء الصالحين، الحكاية الشعبية وسرد لمجموعة من هذه الحكايات، ثم تطرق للأمثال الشعبية، منها ما هو مدون مع ذكر مضاربيها وأمثال

أخرى مشروحة، وأمثلة أخرى مقدمة حسب المواضيع التي تضمنتها، ثم قدم مجموعة من الألغاز الشعبية مع شرح مفرداتها. بعدها تناول موضوع المرأة في الموروث الشعبي، مع شرح معاني الأمثال التي تناولت هذا الموضوع. ثم عرض مجموعة من الأمثال الشعبية دون شرح وقد بلغ عددها 621 مثل. وقد قمنا بحصر كل الأمثال المذكورة سابقا وحساب مجموعها وبذلك يصل عددها إلى: 923 مثل. وقد ألحق المؤلف بهذه الأمثال معجما لألفاظ الأمثال الشعبية. وفي الأخير قدم مجموعة من الألغاز الشعبية مرة ثانية لكن تناولها بشكل واسع.

-وفي الجزء الثاني للكتاب والمخصص لمنطقة تيسميسيلت، قدم في أول محتوياته نبذة عن موقع وتاريخ المنطقة، كما ان منهجية تقديم هذه المحتويات متشابهة ومتطابقة مع منهجية محتويات الجزء الأول لهذا المرجع. وقد عد الأمثال المجمع والمعدونة في الجزء الثاني للكتاب ب: 887 مثل وحكمة. وفي الأخير عرض تطرق للعادات والتقاليد، ثم مجموعة من المتفرقات منها: (النشد، بعض المعتقدات الفلاحية...).

- صاحب الوثيقة التاسعة: رابح خيدوسي "موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية)

-كان ترتيب الأمثال المدونة أبجديا، وعددها 3000 مثل، بما احتوت عليه من حكم وقد خصّها المؤلف في مقدمة الكتاب قد خصها للتعريف بالمثل ومختلف خصائصه ومميزاته.

صاحب الوثيقة العاشرة: رابح العربي (أنواع النثر العربي)

تناول المؤلف عناصر معينة من الثقافة الشعبية وهي: أولا الأسطورة، ثانيا الخرافة، ثالثا الأمثال الشعبية الجزائرية، وبخصوص هذه الأمثال، تم عرضها حسب مجالات الحياة، بما تضمنه من مواضيع في هذا الإطار مثل: (العلاقات الاجتماعية، الوراثة، العلاقة الأسرية...) إضافة إلى مجموعة من المواضيع المتعلقة بمختلف القدرات والمهارات والقيم. كان ترتيب المواضيع الرئيسية الخاصة بهذه الأمثال ترتيبا عدديا.

-أما ترتيب المواضيع الفرعية لها، فكان ترتيبا ألفبائيا (أبجديل).-وقد بلغ المجموع الكلي للأمثال المدونة بهذا المرجع ب: 215 مثال بعد أن قمنا بضبطها وحساب مجموعها.

- صاحب الوثيقة الحادي عشر: محمد بن علي محمد الصالح (1500 مثل وحكمة من وادي

سوف)

أول ما قدمه المؤلف في هذا الكتاب بطاقة تعريف لمنطقة وادي سوف التي تمت فيها عملية جمع الأمثال المتداولة فيها، وقدم تعريفاً للأمثال والحكم بعد ذلك. كما ذكر مجرى استعمال هذه الأمثال في وادي سوف، مع إعطاء خصائص لهذه الأمثال. يذكر الكاتب على أن الكتاب انتهى على 1511 مثل، وأن القائمة مازالت مفتوحة ويزداد الرقم بقليل من الاجتهاد والبحث.

-صاحب الوثيقة الثانية عشر: مبارك بلحاج: (صور وخصائل من أولاد نايل)

بدأ المؤلف تقديم محتويات كتابه بالتعريف بحياته التعليمية والعملية (النضالية والثقافية). وبعد مقدمة الكتاب تطرق إلى الجانب التاريخي، والعقائدي (الروحاني) لحياة سيدي نايل، وإلى السلوكات اليومية، والفلكلور المحلي، وأشكالا من الثقافة الشعبية مثل القصص الشعبي.... وبعد الخاتمة والملاحق، ومدخل بعد ذلك خاص بالكلمات المتداولة، تم تناول موضوع الأمثال الشعبية مرتبة ترتيباً عددياً مع شرح جد مختصر لمغزاها والمقدر عددها بـ: 103 مثل.

- صاحب الوثيقة الثالثة عشر: محمد أرزقي فراد (الأمازيغية آراء... و أمثال "تبيازة نموذجاً").

تمثلت محتويات الكتاب في بداية بتوطئة عن مسألة الأمازيغية، ثم تطرق المؤلف لموضوع اللغة والثقافة الأمازيغية، بعد ذلك تناول موقف رواد الإصلاح لدى شخصيات منهم علماء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وبخصوص الأمثال المدونة المجمع من طرف المؤلف، مكتوبة باللغة الأمازيغية الخاصة بولاية تبيازة، بحروف عربية، كانت مقسمة ومصنفة حسب مجالات متنوعة، وهو ما كتبه المؤلف بهذه العبارة.

-وكان تقديم الأمثال وفق المنهج (الطريقة) التالية:

*تدوين المثل الأمازيغي بالحروف العربية مع شكلها.

*تقديم تفسير مختصر للمثل.

*شرح الكلمات، وفي آخر هذا الكتاب تم تقديم الملاحق.

-وقد قمنا بحساب مجموع الأمثال بعد حصرها، لم تكن مرتبة عددياً، بلغ عددها: 168 مثل.

-الوثيقة الرابعة عشر: فوزية لراي (صور من القصة)

أشارت المؤلفة للفكرة الخاصة بالموضوع من خلال مقدمة الكتاب، وتناولت موضوعين أساسيين، في هذا البحث الذي قامت به بالقصة، وجمعت من خلاله الأمثال الشعبية والبقولات وهو

الذي قصدنا به (الموضوعيين الأساسيين). كان ترتيب هذه الأمثال عدديا، وقدرت بـ: 270 مثل، بعدها عرضت شرح معانيها.

صاحب الوثيقة الخامسة عشر: رابح خدوسي: (موسوعة الأمثال الجزائرية)

حسب الكاتب تعد هذه الأمثال الجزائرية من أشهرها، كان ترتيبها ترتيبا أبجديا مع شرح لمعظم ما تضمنته من معاني، مع ذكر ضروب لها. وبلغ عدد هذه الأمثال بـ: 840 مثل. بالإضافة إلى شرح لألفاظ واردة فيها.

الأمثال الخاصة بالجريمة	مجموع الأمثال	المرجع
71 مثل	3127 مثل	Ben cheneb Mohamed. <u>Proverbes de L'Algérie du Maghreb</u> , paris, Maison made et Larousse. 2003
44 مثل	1010 مثل	(2) قادة بوتارد. <u>أمثال وحكم جزائرية</u> ، ترجمة، عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، بدون سنة.
47 مثل	640 مثل	(3) عبد الحميد بن هدوقة. <u>أمثال جزائرية</u> ، الجزائر، 1992.
11 مثل	150 مثل	(4) عبد الملك مرتاض. <u>الأمثال الشعبية الجزائرية</u> ، تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية، الجزائر، 2007.
25 مثل	390 مثل	(5) أحمد بن نعمان. <u>نفسية الشعب الجزائري</u> ، دراسة علمية في الأنثروبولوجيا النفسية، الجزائر، ط2، 1997.

31 مثل	840 مثل	6) رابح خيدوسي، <u>موسوعة الأمثال الجزائرية</u> ، بئر توتة، دار الحضارة، بدون سنة.
30 مثل	168 مثل	7) محمد أرزقي فراد: <u>الأمازيغية أراء... وأمثال</u> (تبيازة نموذجاً)، الجزائر، دار هرمة، 2004.
21 مثل	1370 مثل	8) youcef nacib. <u>Proverbes et dictons</u> kabyles, Alger, Edition des L'ures trasuits et intraduts.
27 مثل	215 مثل	9) رابح العربي، <u>أنواع النثر الشعبي</u> عنابة، منشورات جامعة باجي مختار، بدون سنة
19 مثل	1500 مثل	10) بن علي محمد الصالح، <u>1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف</u> ، الجزائر، سلسلة الثقافة الشعبية، ط1 ن 1998.
20 مثل	3000 مثل	11) رابح خدوسي، <u>موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية</u> ، 3000 مثل وحكمة من كنوز الذاكرة، بئر توتة، دار الحضارة، 1997.
17 مثل	ج1: 923 مثل ج2: 887 مثل	12) علي كبريت، <u>موسوعة التراث الشعبي تيارت وتيسمسيلت</u> . ج1 و ج2، 2007 في إطار الجزائر عاصمة الثقافة
19 مثل	460 مثل	13) Mohamed salah, inzad timséares, praverbes et dervnettes chaouis ENAG. Alger, ENAG Edition, 2002
34 مثل	270 مثل	14) فوزية لارادي، <u>صو من القصة</u> ، منشورات جمعية المرأة في اتصال، ط1، 2002.
10 أمثال	103 مثل	15) مبارك بلحاج، <u>صور و خصايل من مجتمع أولاد نايل</u> ، الجلفة مديرية الثقافة، بدون تاريخ
426 مثلاً	15053 مثلاً	المجموع

3.5. إطار وحجم العينة و طريقة المعاينة

"بعد أن يحدد الباحث المجتمع الأصلي بوضوح، تقف أمامه مشكلتان: الأولى خاصة بوضع إطار لها. والثانية بتحديد حجم العينة المناسب. فأم المشكلة الأولى فيستلزم حلها تصنيف البيانات الخاصة بالمجتمع الأصلي بطريقة تساعد على اختيار العينة منه. ويتمثل هذا التصنيف الإطار الذي تختار في ضوءه عينة البحث. ويأخذ شكل قائمة أو خريطة تبرز خصائص المجتمع الأصلي". أما من حيث المشكلة الثانية الخاصة بحجم العينة. فالحقيقة أنه ليس ثمة تحديد مطلق للحجم الأمثل لعينة البحوث... فهذا يتوقف على عدة عوامل [138]ص124.

«إن تعريف المشكلة هو الذي يوجه عموماً إلى نوع معين من المعاينة، و يوجه داخل هذا النوع إلى صنف معين من المعاينة يكون أكثر ملائمة. لكن يمكن أن يؤدي تعريف المشكلة إلى اختيار أكثر تعقيد [136]ص316.

«بعد انتقاء عناصر مجتمع البحث والذي هو مجموعة منهيّة أو غير منهيّة من العناصر المحددة مسبقاً والتي تتركز على الملاحظات» [136]ص398. وهو أيضاً: «مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة، تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى. والتي يجرى عليها البحث والتقصي»

وهو ما تم القيام به، فيما يتعلق بانتقاء عناصر مجتمع البحث لاختيار العينة، وخلال هذه المرحلة قمنا بإعادة قراءة وحدات مجتمع البحث والدراسة والمتمثلة في الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بالجريمة، بعد ذلك قمنا بتصنيفها وحصرها حسب محاور التحليل، فوحدة المعاينة هي: «الوحدات التي يقسم المجتمع على أساسها بغرض اختيار العينة» [139]ص158.

وتم حصر وتصنيف هذه الوحدات (الأمثال الخاصة بالجريمة) بالنسبة لكل مرجع على حدة، ثم قمنا بحساب هذه الوحدات ومن ثم تفرغها في جدول حسب محاور التحليل (فئات التحليل، وبعد ذلك قمنا بحساب مجموعها، وقد تمت إجراءات هذه الطريقة بعد الحصر الشامل للأمثال الخاصة بالجريمة لكل مرجع، بدون حساب مجموعها مباشرة من المرجع. والوصول لتكوين العينة التي تعرف «بأنها جزء من ذلك المجتمع، يتم اختيارها بطريقة عشوائية بحيث تمثل الخصائص العامة للمجتمع المدروس. وكذلك معرفة وتحديد حجم العينة والذي هو: «عدد العناصر التي تكون العينة» [139]ص158.

وبالنظر إلى أغراض البحث وأهداف الدراسة، فقد تبين أن نوع المعاينة الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع والمجتمع، البحث هو من المعاينات غير الاحتمالية التي تفي بالغرض والقصد من الدراسة،

وقد اخترنا لذلك العينة العمدية: «وهي العينة التي يختارها الباحث عن قصد وتحديد مسبق في ضوء أهداف بحثه» [138] ص 142.

وتتنوي العينة الفرضية أو المقصودة على استخدام الباحث لمعيار أو حكم خاص من جانبه «حيث يتمكن من تكوين عينة بواسطة اختيار الحالات التي يعتقد أنها تمثل مجتمع البحث وتصبح العينة المقصودة، بديلا ضروريا لأي نموذج من نماذج العينات الاحتمالية، إذا كانت حدود مجتمع الدراسة غير معروفة لدى الباحث أو في حالة يتعذر فيها تحديد تلك الحدود» [139] ص 176. وقد رأينا أنه يتطابق وخصائص موضوع دراستنا في استخدامنا لهذا النوع من العينات للحصول على عينة ممثلة، وهذا بعد إيجاد نسبتها من خلال مجموع وحدات المجتمع الأصلي والمتمثل في الأمثال الشعبية الجزائرية، ومجتمع البحث والدراسة والمتمثل في الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بالجريمة، ورمزنا للمجموع الكلي في المراجع والمصدر الأول لمجتمع البحث، أما المصادر الآخرين الثاني والثالث فيتمثلان في:

أولاً: فئة العامة (كبار السن) الذي يفوق سنهم 50 سنة.

ثانياً: فئة الأساتذة الجامعيين الذين تمت إجراء المقابلات معهم.

ثالثاً: الجرائد، وتمثلت في جريدة واحدة فقط وهي "جريدة الشروق اليومي"

- عدد الأمثال المدونة والمجمعة والممثلة لمجتمع البحث الأصلي

النسبة المئوية	عدد الأمثال الخاصة بالجريمة	عدد الأمثال الكلية	عدد الأمثال الممثلة لمجتمع البحث
			مصادر الأمثال
9.85%	47	58	- الأمثال المجمعة من فئة كبار السن
89.30%	426	15053	- الأمثال المدونة في الكتب
0,62%	3	7	- فئة الأساتذة
0,20%	1	1	- الجرائد
100%	477	15119	المجموع

وعليه فقد رمزنا لمجتمع البحث الأصلي بـ: N مثل 15119 ويساوي

و h هو عدد الأمثال الخاصة بالجريمة ويقدر بـ: 477

والمضمنة (h) لوحدة الدلالة: «على أن وحدات الدلالة هي جزء أو مقطع من الاتصال يوضع في فئة معينة» [138] ص 279.

-بعدها تم تقيئة هذه الأمثال الخاصة بمحاور التحليل، «إذ التقيئة هي ترتيب معطيات محصل عليها حسب منطق محدد مسبقا» [138] ص 280.

وهو ما قمنا به من خلال عملية حصر وتصنيف الأمثال وفق المواضيع المشتملة على مضامين (محتويات) الأمثال الخاصة بالتحليل.

-وبتطبيق قاعدة السبر لاختيار العينة الممثلة عن طريق إيجاد نسبتها من المثل الخاصة بمجتمع البحث الكلي الأصلي، تكون كما يلي:

$$H = \frac{n}{N} = \frac{477}{15119} = 0,03 \times 100 =$$

3.15%

«ومن الأساليب التي يمكن أن تعتبر عمدية عند اختيار العينة، أسلوب العينة الحصصية...».

وهي: «سحب عينة من مجتمع البحث بانتقاء عناصر التقيئة، طبقا لنسبتهم في هذا المجتمع».

ويمكن توضيح حصة عناصر التقيئة، بعد حساب تكراراتها ونسبها، وقد قمنا بتقريب هذا النسب

بعدها قمنا بتفريغها في جداول حسب المواضيع المحورية الخاصة بفرضيات الدراسة.

النسبة	التكرار (مثل)	المواضيع المحورية الخاصة بفرضيات الدراسة
54.67%	76	-وجود صراعات اجتماعية بين الشرائح والفئات في المجتمع الجزائري.
20,72%	40	-وجود تحديات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري.
16,54%	23	-توجهات أخلاقية إيجابية للتعامل مع السلوك الإجرامي
100%	139	المجموع

4.5. تقنيات التحليل وتقنيات أخرى مساعدة في التحليل

1.4. تقنية تحليل المحتوى

والتي تعد تتماشى وأغراض البحث وتساعدنا على تحقيق أغراض البحث، التي تعد: «طريقة للبحث العلمي مكانة بارزة بين طرق ووسائل جمع البيانات الأخرى وتعود تلك الأهمية لارتباط تحليل

المضمون –المحتوى- بطرق ووسائل الاتصال التي يتم عبرها انتقال المعاني والأفكار من وإلى الأفراد والجماعات والمجتمعات وخاصة ما تعلق منها بالكلمة أو الصورة أو كليهما معا...»[140]ص135.

-تحليل المحتوى يستلزم انتقاء الوثائق النصية أو البصرية، هذا الانتقاء هو على العموم يتم بالتنسيق مسألة البحث المحددة مسبقا في مقاربة استقرائية[141].

2.4.5. طريقة دراسة الحالة

وبالإضافة إلى تقنية تحليل المحتوى، وقصد الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع الدراسة من خلال التعمق والكشف على مختلف الجوانب والعناصر التي تتداخل وترتبط فيما بينها والتي نجمت عنها أساليب مختلفة أدت على وقوع جريمة معينة، أو أشارت إليها بشكل صريح أو ضمنى ضمن هذه الأمثال. تم اعتماد تقنية أخرى تساعدنا في الوصول إلى هذا الغرض. وهي دراسة الحالة «يتم استخدام هذه الطريقة عادة لغرض زيادة المعرفة في مجال البحث، كما أن في استخدامها خاصية أخرى هي المرونة، من حيث الحرية العامة الواضحة التي تعطيها للباحث، في نمط ومقدار البيانات التي يجمعها ومصادر البيانات والإجراءات المستخدمة بجمع البيانات»[68]ص216.

من بين المبررات التي حددها علماء المنهجية لاستخدام دراسة الحالة في البحوث العلمية، هو: «عندما يراد دراسة مختلف المواقف دراسة تفصيلية تلم بكل الجوانب الاجتماعية والثقافية علاوة على ما تضمنه من قيم وعادات وتقاليد فضلا عن الآراء والأفكار وما قد يسود من اتجاهات».

وعن استخدام هذه الطريقة للحصول على بيانات ومعلومات عن ظاهرة الجريمة من خلال إجراء مقابلات مع مختصين، في مجالات علم الاجتماع، وعلم النفس والأدب العربي، والتي تصب في مجال تخصصنا، وتتجه مع موضوع دراستنا، حيث بإمكان هذه المعلومات والبيانات إعطاء صورة عن ظاهرة الجريمة، وحتى المجرم، ومعرفة مدى التقارب والاتفاق في وجهات النظر والآراء والأفكار والقيم المصاغة عن هذه الظاهرة، بما تشمله من سلوكيات إجرامية سواء بما تعلق بارتكابها من طرف الأفراد وكذلك بالنسبة إلى الدعوة إلى التجنب والحذر من ارتكاب هذه السلوكيات، وهذا من خلال القيام بخطوات التحليل للمواضيع الخاصة بالمحاور، الحاملة للأمثال. وتقنية المقابلة هي: «تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة، لكن أيضا وفي بعض الحالات، مساءلة جماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين»[136]ص197.

5-5-مجالات الدراسة: تم تحديد مجالات الدراسة في ثلاثة مجالات وهي:

1.5.5. المجال البشري

وقد اشتمل على مجموعة الأساتذة الذين أجرينا معهم المقابلات، المتخصصين في كل من: علم الاجتماع، علم النفس، والأدب العربي، باعتبار أن هذه العلوم لها علاقة بدراسة جوانب السلوك الاجتماعي، العاكس لطبيعة النفس البشرية، والتي عبرت عنها المثل الشعبية في مضامينها، ورصدت نماذج سلوكية عديدة ومتنوعة، وصوراً للأنماط الشخصية الفردية والجماعية والمجتمعة مثل ما هي عليه المثل الشعبية الجزائرية.

وبخصوص فئة العمل المتمثلة في كبار السن وهم في مجملهم فئة النساء الذين يفوق سنهم 50 سنة، وباعتبار أن هذه الفئة تعتمد إلى استخدام الأمثال الشعبية في حياتهما الاجتماعية أكثر من الفئات الجماعية الاجتماعية الأخرى، كما أنّ لها دراية بمقاصد المواقف والأفعال ومعانيها من خلال الحوادث والوقائع الخاصة بالأفراد والجماعات التي تعرضت لها، إلى جانب معرفتها ورصيدها للثقافة الشفهية الشعبية.

2.5. 5. المجال المكاني

يحدد هذا المجال في ثلاثة أماكن مختلفة وذلك وفق تواجد الأشخاص الذين تم اخذ وجمع الأمثال من عندهم وعليه فإن:

- المكان الأول: هو معهد علم الاجتماع والديموغرافيا وكذلك معهد علم النفس بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة سعد دحلب بالبلدية وتشمل المكان أيضا معهد الأدب العربي بنفس الجامعة.
- المكان الثاني: تمثل في كل من المكتبة الوطنية، حيث تم انتقاء القدر الكبر من المثل من المراجع المتواجدة بها، بالإضافة إلى المكتبة البلدية بمدينة العفرون.
- واشتمل المكان الثالث على أقسام الأمية الخاص بتعليم الكبار المتواجدة في كل من العفر ون، ومدينة البلدية، حيث وفقنا من الالتقاء بالأشخاص وجمع الأمثال في قسم بالعفر ون وقسم بالبلدية.
- المكان الثالث: وتمثل في محطة القطار بالبلدية بحكم تواجدنا المتعلق باستعمال هذا النوع من النقل الجامعي.

3.5.5. المجال الزمني

كانت الانطلاقة الخاصة بهذه الدراسة الأكاديمية الجامعية إعداد وإنجاز لمذكرة الماجستير، مباشرة بعد الانتهاء من تحضير المشروع التمهيدي لهذه الدراسة، وذلك مع نهاية العام الدراسي الأول 2007-2008.

وكانت أولى الخطوات العملية متمثلة في جمع الأمثال من المراجع المختلفة، (كتب مجلات جرائد)، بالنسبة للأمثال المجمعة من الكتب المتواجدة إلى جانب البحث النظري في نفس الوقت والخاص بالدراسة ككل.

وبعد الانتهاء من ذلك العمل النظري الخاص بالبحث في حدود الفترة الزمنية، بين شهري جويلية وأوت 2008-2009 شرعنا في الخطوة الثانية للعمل المتعلق بالجانب التطبيقي للدراسة بداية مع أوائل شهر سبتمبر 2008-2009. وبخصوص إجراء المقابلات بداية من نصف شهر جوان 2008-2009 ثم تتوقف لأسباب تتعلق بضغوط العمل التي تتميز بهما فترة نهاية الدراسة الجامعية لارتباطهما بفترة الامتحانات، فقد عد منهم اعتذارهم لنفس الأسباب المذكورة آنفاً، وعليه فقد استأنفنا إجراء المقابلات مع بداية شهر أكتوبر 2009-2010 تنتهي خلال شهرين تقريبا.

وتهيأنا لجمع الأمثال الخاصة بالجريمة من عند الأشخاص، وهم فئة النساء بداية من العطلة الشتوية لعام 2009-2010 ودامت تقريبا شهرا واحداً.

والخطوة الأخيرة لهذا العمل الدراسي والمتعلق بالجانب التطبيقي للدراسة فقد تفرعنا على عملية تحليل المثال، بداية من شهر فيفري 2010. وقد تم الانتهاء من إنجاز هذا العمل في أواخر شهر سبتمبر 2010.

الفصل 6

وجود صراعات اجتماعية بين الفئات و الشرائح في المجتمع الجزائري

1.6. وجود صراعات اجتماعية عائلية ضمن الجرائم الواقعة في المحيط العائلي

في هذا الجزء الخاص بتحليل الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بظاهرة الجريمة وانطلاقا من الفرضية الألى والتي أشرنا فيها إلى وجود صراعات اجتماعية أدت إلى وقوع الجريمة بين أعضاء الفئات والشرائح في المجتمع الجزائري وأولى هذه الفئات، والتي خصصناها لمحاولة التعرف والكشف عن هذه الصراعات هي الأسرة (العائلة) (الأعضاء والجماعات) باعتبارها الوحدة الأساسية لبيئة المجتمع والفرد هو الذي يلتقي فيهما مبادئ تعلم أنماط السلوك واكتساب القيم و معايير هذه الفئة (الأسرة) عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية وتكوين وبناء شخصيته، لهذا الدور الاجتماعي التربوي والثقافي، للأسرة انعكاسات على المجتمع وجماعته المختلفة التي سيكون لهذا الفرد فرصا للاتصال والتفاعل معها، وهي بذلك تؤثر في حياة الفرد والجماعة والمجتمع وهي أيضا تتأثر بهذا المجتمع وجماعته.

وقد تتعدى رابطة الأم القائمة والمشكلة للأسرة (العائلة) ليس لعائلة واحدة فقط بل قد تتعدى إلى عدة عائلات يشملهم تنظيم معين يخضعون لسلطته وتحت لواء وحدته الاجتماعية القرابية العصبية وهو النظام القبلي وعليه أردنا معرفة فرضية وجود الصراعات المميزة لهذه الجماعات القبلية المنتمية اجتماعيا عن طريق هذه العصبية القرابية من المجتمع الجزائري. وعلى أن تشكل الدولة يقوم على بناءات مختلفة وفق القوى والتنظيمات ذات المزايا والقدرات الاجتماعية التي بإمكانها أن تفرض سلطتها وهيمنتها على الأفراد والجماعات، عن طريق وصولها إلى إدارة شؤون ومصالح المجتمع الذي بدوره وكل إليها تسيير وإدارة الأعمال والممارسات اليومية لها تماشيا وحسب إصدار الأحكام المتعلقة بالقوانين والتشريعات الصادرة في هذا المجال التنظيمي المتعدد المهام الإدارية والسلطوية وعليه نسعى إلى معرفة إمكانية وجود صراعات اجتماعية بين جماعات هذه التنظيمات من خلال الرابطة القائمة سواء فيما بينها داخل التنظيم الذي يشملها أو مع علاقتها بالمجتمع وأفراده الذين هم خارج إطار هذا التنظيم مع وجود رابطة مصالح وأهداف بينهما.

ويعد وجود التفاوت الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية في السلم التراتبي الذي تتباين فيه الأوضاع وتتفاوت المراكز الاجتماعية، من حيث الدخل، أسلوب الحياة، الأنماط السلوكية، من خلال الوظائف ولنشاطات الممارسة في إطار مرجعتها المتمثلة في القيم والمعايير الثقافية والتي تترجمها السلوكيات وطرق وأساليب الاتصال والتعامل مع الأفراد والجماعات الأخرى، والتي لها أيضا مجموعة من الخصائص والمميزات والسمات الاجتماعية الثقافية، المترجمة كذلك في السلوكيات والمواقف، والعاكسة في نفس الوقت للقيم والمعايير المميزة لنمط حياتها الاجتماعية، على أن هذا التمايز بينهما -الجماعتين- يؤدي في أحيان ما إلى الخلافات وظهور الانحرافات السلوكية الخطيرة المؤدية إلى الجريمة.

ونعرض لتحليل الأمثال الخاصة بجملة المواضيع في محاولة الكشف عن وجود وطبيعة الصراعات الاجتماعية بين تلك الفئات والشرائح المختلفة في المجتمع الجزائري.

1.1.6. أثر التغيير التاريخي الاجتماعي الذي تعرض له المجتمع الجزائري في البنية الاجتماعية

الاقتصادية

نجد الأمثال الشعبية في هذا الجانب ومن خلال الظروف والأوضاع التاريخية، أنها أشارت إلى وقائع مرحلة من المراحل التاريخية السياسية، المتعلقة بالوجود الاستعماري الفرنسي (1830-1962) على الأرجح الذي قام بتحطيم البنية الاقتصادية للجزائريين وذلك بتجريدهم من الأراضي الخصبة للاستيلاء عليها حيث كان من انعكاساتها ظهور الهجرة إلى الأراضي الجبلية، والاستقرار في المناطق الوعرة والقاحلة والتواجد في ظروف معيشية واجتماعية قاسية، إلى جانب الحرمان الثقافي المتمثل في انعدام التعليم، التي زادت وعاققت تطوره الاجتماعي الثقافي، بظهور الأمية والجهل «وهكذا خرجت ثلاثة أرباع الأراضي في الجزائر العاصمة من أصحابها الجزائريين ودخلت في حوزة الأوربيين، كما أنّ مقتضيات الحرب اضطرت الأهالي الجزائريين إلى النزوح من هذه المنطقة والتجمع في تلك والأسهال من مكان إلى مكان...فما جاءت سنة 1960 حتى أصبح عدد الأوربيين في الجزائر 200 ألف منهم 120 ألف فرنسي وكل هؤلاء أصبحوا يملكون أحسن الأراضي في الجزائر» [142]ص 1969-1970.

ونتيجة هذه التغييرات الاجتماعية والاقتصادية الطارئة على ظروفه وأوضاعه المعيشية الجديدة، حيث تظهر آثارها السلبية بشكل واضح على الأسرة، التي تعرضها، لافرازات البيئة الطبيعية، من مآسي ومعاناة، لافتقادها لجل الحياة المدنية، المقتضيات الضرورية، للحياة الاجتماعية الاقتصادية، المميزة للحياة المدنية الحضارية التي قد تكون عاشتها من قبل، -بيئة طبيعية موحشة- تخلوا من المؤسسات الانتاجية والمتعددة النشاطات، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، ساهم في ظهور نمط معيشي

اجتماعي جديد، أهم ما ميزه هو طابع الفقر والحرمان الثقافي التعليمي المؤسساتي، حيث يعد تأثير البيئة من أكثر المؤثرات على الأفراد، وهذا سيظطر الأسرة إلى إيجاد أساليب جديدة تتلائم مع هذا الوضع الاجتماعي الاقتصادي الجديد عن طريق تشكيل بنية اقتصادية انتاجية تخضع للروابط والعلاقات الانتاجية في إطار الرابطة القرابية الدموية، سمتها العمل الجماعي المشترك بين أعضائها وجماعاتها المكونة لهذه الأسرة (العائلة) والتعاون. وقد تمثلت هذا العلاقات الاجتماعية الاقتصادية أساسا في الملكية الجماعية العائلية للأرض وزراعتها بعد ذلك يتم جمع المحاصيل الزراعية في مكان معين ومخصص للقيام بمجموعة وتنقية الحبوب، والتي أهمها القمح ثم الشعير، هما المادتان الغذائيان الأساسية في الغذاء اليومي للفرد في ذلك الوقت، حيث كان أفراد العائلة والتي هي متكونة من مجموعة أسر، في إطار ما يعرف بالأسرة الممتدة: «وهي الأسرة التي تجمع أكثر من الزوجين وأولادهما الغراب والمتزوجين، بل تتكون من عدة أسر زواجية قرابية في أسرة واحدة يسود بينهم التعاون الاقتصادي وتربط بين أفرادها رابطة الدم ويعيش أفرادها في وحدة سكنية واحدة» [116]ص291. غير أن هذا العمل الاقتصادي والتعاوني في المكان الذي تتم فيه جمع العمليات السابقة الذكر الخاصة بإعدادوتهيئة هذه المحاصيل الزراعية في المكان المسمى بـ "النادر" ومن ثم توزيعها بين أفراد العائلة، كما هو معبر عنه في المثل الشعبي:

«المعينة زينة ولا دواس النادر» [3]ص108. يبدو أن هذا النمط العملي الاقتصادي التعاوني لا يتم دون وقوع خلافات وتصرفات انحرافية، تتعلق بهذه العمليات الممارسة في هذا النشاط التعاوني نفسها كعدم الرضا عن الأدوار المفروضة على الأشخاص، أو فيا يتعلق بعملية التقسيم للحصص الخاصة بالمحاصيل لكل منهم، فالظاهرة الاجتماعية الأولى التي أشار إليها المفكر الشعبي، تحمل قيمة اجتماعية إيجابية، وهي سمة تطبع سلوك الجماعة أثناء ممارسة الأعمال والنشاطات، وهي نابعة من عادات وتقاليد المجتمع الجزائري التقليدي بالأخص، وعلى أن هذه الظاهرة الاجتماعية لا تخفي وقوع انحرافات سلوكية عنيفة تؤدي إلى اعتداءات قد تكون لفظية أو جسدية، وهذا ما أراد تبيانها بخصوص التعاون الاقتصادي، الذي يفرض على أرباب هذه الأسر العائلية في إطار رابطة الدم، الالتقاء في كل موسم للقيام بهذا العمل، وتكرار وقوع تلك السلوكات الانحرافية المؤدية للاعتداء العنيف، حيث يكون له تأثير سلبي على قوة الروابط الأسرية وتبديد العمل الجماعي التعاوني، ويضعف الروابط القرابية الأسرية، استعان المفكر الشعبي بالحيز وهو: «فمفهوم الحيز إذن عبارة عن مفهوم كيفي، يستحيل فهمه ذهنيا» [143]ص60، لتفسير والإشارة إلى ظاهرة سلبية إجرامية، ناجمة عن ظاهرة اجتماعية إيجابية وهي التعاون الجماعي في العمل، متخذاً من المكان "النادر" الحيز المكاني للدلالة على علاقتها بالعمل الجماعي المشترك. وما قد يؤدي إلى تكون الصراعات الاجتماعية بين الفئات الأسرية المكونة لهذه العائلة، قد يعجز عن احتوائها، والتوصل إلى إيجاد حلول لها، حتى من طرف رب هذه العائلة، قد يعجز

عن احتوائها وتوجيهها توجيهها وظيفيا ورئيسها، الذي يحظى بسلطة مطلقة، تتميز بالخضوع والطاعة لأوامره والانصياع لها، «... بحكم تراكم أدواره الايديولوجية التربوية، كما أن إشرافه على المهمات المختلفة يرسخ وحدة العائلة» [146]ص8. كما يمكن لوجود هذه الصراعات الاجتماعية العائلية ونمائها يؤدي إلى توسع مجال السلوك الإجرامي وعاملا في ظهور أنماط للجريمة، يظهر في مجملها اعتداءات جسدية عنيفة، أو لفظية، الذي تترجمه تظهر خلفيتها في أثر لعوامل البيئة الطبيعية وتأثيرها على أخلاق البشر والتي تظهر صورها في السلوك البشري الاجتماعي المولدة لأشكال من العنف، وكذلك الناجمة عن الظروف المعيشية الصعبة وقساوة الحياة الطبيعية، وهناك سمة أخرى تطبع هذا النمط التعاوني الاقتصادي، وهو الاشتراك في أدوات العمل الخاصة بزراعة وفلاحة الأرض، والثروة الحيوانية، فقد تؤدي الحاجة لاستغلال واستعمال الأدوات لأغراض مختلفة، مثل عند حلول موسم الحرث والبذر، وعند قدوم موسم الحصاد ويتطلب من أدوات وآلات، والاستعانة ببعض الحيوانات، قد يعد هذا كذلك عاملا ودافعا يعمق في الخلافات العائلية، التي تزداد وتتطور بإزدياد قوة الصراعات وافرازاتها العدوانية الاجرامية إذا ما أخذت منحأ واتجاهها سلبيين في هذا الإطار الخاص بالنمط المعيشي الاقتصادي المشترك، وهذا ما تكون قد أشارت إليه الذهنية الشعبية للمجتمع في المثل الشعبي التالي:

«الشركة هلكة» [143]ص115. وهو موجود في معظم المراجع، وهما لفظين موجزين يحملان في طياتهما دلالة اجتماعية صاغها وتضمنها القصور الذهني الشعبي للمخيلة الفلسفية المبدعة في كشف أغوار النفس البشرية وخفاياها من خلال السلوك الإنساني الاجتماعي بإيجابياته وسلبياته، فهذا المثل يتقارب ويتشابه في مضمونه مع المثل الشعبي السابق، فقد أشار صاحب المثل إلى أن هناك علاقة سببية بين ظاهرتين اجتماعيتين متضادتين، على أن الظاهرة الثانية والمتضمنة في اللفظ الثاني، "هلكة" وهو لفظ عامي مشتق من كلمة فصيحة وهي "الهلاك" تحمل في دلالتها الرمزية الاجتماعية إلى ظاهرة الجريمة من خلال أنماط السلوكات الاجرامية التي يمكن أن يرتكبها الفرد أو الجماعة، قد تصل إلى درجة خطيرة تعرض مرتكبيها إلى أقصى العقوبات التي يقرها العرف الاجتماعي، والقانون، كجريمة القتل على أن هذه الظاهرة الاجرامية التي ضمها المثل من خلال لفظ "هلكة" هي إشارة إلى الخلافات الواقعة بين هؤلاء الأفراد، أو الجماعات العائلية، في إطار هذا العمل التعاوني الاشتراكي (المشترك)، حيث قد تعود هذه الخلافات، والتي يمكن اعتبارها متسلسلة لما قد أدت إليه إفرازات الصراعات الاجتماعية العائلية، قد يظهر، وتتنضح معالمها في وجود الخصائص الفردية المكونة للشخصية منها العقلية، كوجود اختلافات مستوى القدرات الذهنية، أهمها الذكاء، والنفسية كالانفعالات، والعواطف والمشاعر والوجدانات، وبالنظر إلى الظروف البيئية المحيطة بالفرد والجماعة العائلية التي قد تؤدي ضغوطها إلى جانب الضغوط النفسية الخاصة بالشخص في ظهور السلوك العدواني، إلى جانب أنماط السلوكات الاجرامية التي قد تصدر من أحد المشتركين في هذا المجال الاجتماعي العملي، حيث تظهر

في شكل ردود أفعال أدت إليها طبيعة وخصائص العلاقة التنظيمية والمسيرة من طرف أفراد العائلة من خلال ما تقدم، نتوصل إلى وجود علاقة ترابطية بين أشياء ثلاث، يكون المثل الشعبي السابق الذكر قد قصد إليهما، فمط العمل الاقتصادي التعاوني، وعلاقاته الانتاجية مثل الاشتراك في أدوات العمل، والممارسة العملية الفعلية لهذا العمل، لمن يقومون به، أدت إلى ظهور الاختلافات والفوارق الفردية السلوكية، التي بدورها تكون أدت إلى خلق وافراز الصراعات الاجتماعية بين أفراد العائلة، وبنماء هذه الصراعات الاجتماعية يعمل على ازدياد التوتر للعلاقة العائلية وظهور وتعدد أشكال العنف الذي يكون مصدره غريزة العدوان، إذا ما تعلق بصراع الأضداد خاصة، بعد وقوع الجريمة في هذا الحيز المجالي للعمل التعاوني المشترك، ذو تأثير قوي على اهتزاز العلاقات الاجتماعية للعائلة، قد تكون أكثر من غيرها من الفئات والوحدات الاجتماعية الأخرى، خاصة إذا وجدت هذه العائلة في مجتمع تتميز عاداته وتقاليده وأعرافه، بالقيم والمعايير التي تدعو إلى التماسك والتعاون الاجتماعي، والحفاظ على روابط الدم والقرباة والحرص على ضمان وحدتها الاجتماعية المستمدة في جزء منها من القيم الدينية، وهذه سمات نجدتها ونكشف صورها في المجتمع الجزائري التقليدي خصوصا من خلال الممارسات إلى حد ما، وخاصة في المناسبات العائلية المختلفة، فهذا الوضع المعيشي لمفروض على العائلة، والمتعلق بين النمط الانتاجي الاقتصادي المبني على أساس التعاون الاجتماعي إذا ما وجد في وضعية مغايرة للسمة المميزة لدينا ملكية العلاقات الأسرية القرابية في منحها الإيجابي، نتيجة وقوع الجريمة، وأدى بذلك إلى ضعف هذه العلاقات، وظهور انعكاساتها السلبية، التي قد تتمثل في سلوكات انحرافية، كالاتصال، والتوكل، والاهمال، والذي يتعلق بالقيام بالأعمال والنشاطات، التي اعتاد أفراد العائلة في حياتهم اليومية والاجتماعية، مما قد يؤدي إلى تعرض أملاكهم المشتركة بينهم إلى السلب والنهب، في أثناء وجود أشخاص تربطهم علاقة اجتماعية اقتصادية، فيستغلون هذه الظروف والوضعية الجديدة المتميزة بالتوتر، ينتهزونها فرصة للاعتداء على أملاكها حيث يظهر المثل الشعبي التالي مثل هذا السلوك الإجرامي:

«الراعي والخماس متقاتنين على رزق الناس» مثل مأخوذ من عند العامة. ونجد بصياغة لفظية أخرى «الراعي و الخماس يضاربوا على رزق الناس» [144]ص47. وفي صياغة لفظية أخرى «تعارك الراعي والخماس على انتاع الناس» [145]ص23.

فالدلالة الظاهرة للمثل تكشف عن وقوع إعتداء جسدي بين هذين العاملين لدى هذه العائلة حيث يبدوا أن كل واحد منهم يريد الاستحواذ على تلك الأشياء المادية المتشاجر بين بسببها، والتي قد تكون أدوات فلاحية أو محاصيل زراعية، على أن كل واحد يريد لها لنفسه وحده، كما قد يكون ارتكاب هذا السلوك الاجرامي المتمثل في الاعتداء على الأملاك العائلية وقع من جانب شخص واحد، على أن يكون الدافع للشخص الثاني هو منبع والتصدي لهذا الاعتداء، وهذا نجم عنه تشاجرهما وتشابكهما، فالدلالة

الخفية تتضح في هذا الموقف على أنها تكشف على جانب للقيم التربوية والأخلاقية التي ترجمها هذا السلوك والتي ترفض السلوك الاجرامي، وإن بدا في صورة ردعية عنيفة، وهذا يكون راجع للعوامل البيئية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة في ذلك الوقت، وتأثيرها بذلك على سلوك الفرد نتيجة للضغوط الاجتماعية والنفسية الناجمة عن البيئة.

ويظهر من خلال شخصيتي "الراعي" و "الخماس" أنهما ينتميان إلى الفئات الاجتماعية الفقيرة في الحقبة الزمنية الاستعمارية الفرنسية، التي أثرت بشكل مأسوي في تحطيم البنية الاقتصادية لكثير من العائلات الجزائرية، وعملت على إفقاد أملاكها وأرزاقها لتجد نفسها تصارع ضغوط الفقر والحرمان الاجتماعي الاقتصادي، مما اضطر هذه العائلات إلى دفع أبنائها للعمل عند العائلات المحظوظة اقتصاديا وتمتع بمستوى معيشي اجتماعي، قد يوفر لها المتطلبات والحاجات الضرورية للحياة، والتي تكون قد بقيت محتفظة بملكية أراضيها، وأملاكها الأخرى، كوسائل وأدوات العمل، حيث «...قد استغل اليهود مجاعة عامي 1868 – 1869 استغلالا كبيرا لتنمية ثروتهم وأرباحهم عن طريق القروض التي كانوا يقدمونها للمنكوبين بوفائد وأرباح عالية... مما جعل الكثيرين من الجزائريين يفتقدون في نهاية الأمر أملاكهم ويتحولون إلى عمال بالخماسة» [44]ص406.

فإذا كانت الجرائم الواقعة خارج المحيط الاجتماعي العائلي للأسرة الممتدة بين أعضاء هذه العائلة، فذلك لا يعني أن آثارها وانعكاساتها لا تصل وتصيب المحيط العائلي، خاصة في وجود خلافات وعداوات بين هؤلاء الأعضاء، وعلى أن يكونوا من فئة النساء، إذا ما اعتبرنا أن هذا المحيط الاجتماعي للعائلة التقليدية هو خاص بهن أكثر ممّا هو خاص بالرجال، بالنظر إلى الوظائف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بكل من الفئتين، الذي يفرض على كل منهما ارتباطه بالعمل، داخل المنزل بالنسبة للنساء، والعمل خارجه بالنسبة للرجال، وعلى أن هذه الخلافات، والعداوات، قد ترتبط بوجود نشوء صراع خفي ناتج عن التفاعلات الاجتماعية الأسرية، وفق نمطها، تتجسد في تصرفات شخصية يومية واتخاذ الموقف، يغلب عليها التستر والسرية، وهذا يعكس مدى تأثير السلطة العائلية التي يمثلها رب العائلة الممتدة، والتي دعمت قوتها، وعززتها القيم والمعايير، والأعراف الاجتماعية في المجتمع التقليدي، تظهر صورها في نماذج سلوكية لدا أفراد العائلة، خاضعة للضبط الاجتماعي المطبق على هذه السلوكات، تتجلى آثارها في الطاعة والانصياع لأوامر سلطة هذا الرئيس للحفاظ على تماسك وحدة العائلة وضمان التعاون الجماعي لكل أعضاءها «تعمل العائلة على تدعيم استقرار جميع الأزواج ضمن الوحدة العائلية، خاصة الزواج الداخلي، حيث يبقى بوسع الأبناء المتزوجين العيش بشكل عادي، حتى تبلغ العائلة أكبر حجم» [146]ص8.

وهذا الاشتراك في الوحدة السكنية، يعني كذلك الاشتراك في العمل المنزلي، الذي ستتكفل به زوجات هؤلاء الأبناء، والخاص بهم، مثل توفير الحاجات البيولوجية، كإعداد الطعام، ورعاية الأطفال وتربيتهم، وهذا يعني كذلك الاشتراك في لوازم العمل من أدوات وأغراض متنوعة، علما أن ديناميكية هذه الأعمال و آلياتها وفي أثناء أداء الأدوار وما يتطلبه من واجبات وإلتزامات تظهر في أنماط من التفاعل، حيث يظهر ذلك في أنماط من السلوك وفق الميول الفردية والميول الجماعية، والمصالح والأهداف، قد يؤدي تعارضها وعدم تحقيقها إلى ظهور وتعزيز السلوك الإجرامي لدى إحدى أو هؤلاء الزوجات اللاتي يشتركن في العيش والعمل، حيث يظهر في المثل الشعبي التالي نموذج للسلوك الاجرامي في علاقته بالعمل الجماعي التعاوني وهو:

« الضراير طاحوا متعانقين والسلايف طاحوا متشابكين » [147]ص210. يدل اللفظ "السلايف" على زوجات الأبناء، ولفظ "الضراير" القصد به وجود أكثر من زوجة لدى الزوج، قد يكون الزوج الابن، إضافة إلى وجود زوج آخر لديه أكثر من زوجة (شقيقه) أو أن هذه الزوجات هن لرئيس العائلة، ويظهر أن المجتمع الجزائري التقليدي عرف مثل هذا النظام الاجتماعي الأسري وهو تعدد الزوجات إلى حد ما، وفي مجالات جغرافية مجتمعية معينة دون غيرها وحسب الانتماء المجتمعي المتعدد والمختلف، عرقيا وقبليا، ويظهر هنا مضمون المثل المصرح به على أن هناك إشارة لوجود جريمتين، الجريمة الأولى تتعلق بالاعتداء الفيزيقي الواقع بين الزوجات (السلفات)، يبدو أن له علاقة أيضا بنمط العمل المشترك والجماعي الذي يفرض عليهن التعاون في أداء الوظائف والأدوار الخاصة في هذا المجال الحياتي المعيشي والاجتماعي للعائلة والمتمثلة في الواجبات المنزلية والأسرية لخدمة أعضائها كتهيئة وإعداد الطعام والأشغال المنزلية المعروفة في ذلك الزمن، وهذا يعني الاشتراك كذلك في الأدوات والأغراض المنزلية المعروفة في ذلك الزمن ويعني الاشتراك كذلك في الأدوات والأغراض المنزلية للقيام بهذه الأعمال قد تؤدي في أحيان كثيرة إلى خلافات وتعارض المصالح وانحرافات سلوكية كلما دعت الحاجة إلى استعمال هذا الأدوات والأغراض المنزلية، حيث قد يؤدي إلى تكوين صراعات لديهن وبالنظر إلى التكوين النفسي والاجتماعي الذي يعطي الطابع الخاص والمميز لشخصياتهم، يعمل على تهور وتعزيز السلوك العدواني وفي حالة توفر الدوافع الذاتية والموضوعية والتي تملئها الاستعدادات للنزعة الاجرامية والمتمثلة في وجود أنواع الكبت والاحباطات النفسية الناجمة عنها، والتي تكون خلفيتها تتعلق بالضغوط النفسية الاجتماعية في صلتها بطبيعة العلاقة الزوجية، التي تجعل المرأة خاضعة كلية لطاعة وسيطرة لطاعة وسيطرة الزوج وفق مبادئ وسنن العرف الاجتماعي التقليدي، وحتى لأفراد من عائلتها وكذلك من أفراد عائلته خصوصا أم الزوج(الحماة)، حيث يتولد لهذه الزوجات شعورا بالقهر والتظلم والعدوان الخفي اتجاههن، والاحتقار الذي تعود خلفيته وجود المفاضلة الواسعة بين الرجل والمرأة في هذا المجتمع، «إن النساء باستبطان وضعهن ككائنات متدينة يحتقرن أنفسهن

ويصبح عرضة للاحتقار لكثرة استعبادهن» [148] ص 209. وهذا يكون له احتمال لتكون صراع اجتماعي في إطار هذه البنية مرتكزة عليها العلاقة بين الرجل والمرأة خاصة إذا ما كان زوجا، كما يكون لوجود انتماءات اجتماعية قبلية أو قرابية في السلم الاجتماعي وما يؤدي إليه من فوارق اجتماعية ثقافية وحضارية متفاوتة، جانبا إضافيا في إفراس الصراعات الاجتماعية بين هذه الزوجات (السلفات) لتصل بالتالي إلى حد وقوع الجريمة. وبخصوص موقف الزوجات (الضرات) المتمثل في تعانقهن على أن المعنى المقصود الذي أشار إليه في الدلالة الظاهرة لمضمون المثل، يكون تفسيره مرتبط بطبيعة هذا السلوك العدواني، على أن توقع هذا السلوك الجرامي المتمثل في التشابك من جانب الزوجات (الضرات) المتعانقات يتوقع وقوعها، نظرا لطبيعة العلاقة الاجتماعية الأسرية الرابطة بينهما، وهي الاشتراك في زوج واحد، حيث يؤدي في غالب الأحيان، وحسب ما هو معروف في هذا النوع من النظام الأسري في المجتمع العربي الإسلامي عموما، خاصة إذا ما كان (الضرات) يتقاسمن مسكنا واحدا يجمعهم، قد تكون له انعكاسات سلبية، يترجمها عدم التوافق والانسجام في القيام بأداء الأدوار الوظيفية الخاصة بالحياة الاجتماعية اليومية وضعف وقصور أشكال الاتصال وأنماط التفاعل الاجتماعي داخل هذه الوحدة الأسرية ويظهر هنا المثل الشعبي التالي جانب من هذه المواقف وهو أن: «عشرة الضرة مرة» [147] ص 93. "وتعكس نفسياتهن المضطربة والمتوترة، التي تتجلى في مشاعر الغيرة والتنافر والعداءات... [148] ص 209،" ينجم عنها صراعات بينهما، وما قد تؤدي إليه من ظهور للسلوك الإجرامي أو حتى ممارسته، وهذا نجد له دلالة خفية في المثل المصرح به، حيث وحسب عبارة تعانق الزوجات (الضرات)، هو وجود التفاهم والانسجام الاجتماعي الأسري السائد في العلاقات الاجتماعية الأسرية لهن، عكس ما تتميز به العلاقات الاجتماعية بين زوجات الابن الزوج، أو قد يكن زوجات لرئيس العائلة، فالدلالة الخفية المتضمنة في نص المثل والمتعلقة بتصرف هذه الضرات اتجاه ما وقع بين الزوجات (السلايف) من شجار وتشابك، قد تكشف عن وجود خلفية لهذه الجريمة التي جعلت الضرات يتعانقن نتيجة وجود صراعات اجتماعية تكونت لدى هذه الضرات وترجع أسبابها في ذلك إلى وقوع شجار وتشابك بين هذه الضرات، أدى إلى سخرية هؤلاء الزوجات (السلايف) منهن، ولهذا النمط السلوكي الإجرامي، حيث نعتبر كذلك موقف الزوجات (السلايف) يعد انحرافا وينم عن صلة فالنزعة الإجرامية لديهن أو بعضهن، وعليه فإن الموقف الصادر والمتخذ من جانب الزوجات (الضرات) اتجاه زوجات الابن الزوج، أو زوجات رئيس العائلة، والمتمثل في تشابكهن، على أنه موقف له كذلك علاقة بسخريتهن، المتضمنة لامتعاضهن وانتقامهن، من تلك الزوجات المتشابكات، اللائي صدر منهن نفس السلوك الإجرامي والمتمثل في سخريتهن المرتبطة كذلك، بنفس السلوك الإجرامي، أو في حدود وجود الخلافات والعداءات التي تكون أدت إليها نشوء الصراعات الأسرية بين هذه الضرات، يعد تعانق الضرات حادث لا يمكن توقعه، أو نادر جدا توقعه نظرا لطبيعة العلاقة بينهما التي طابعها السائد والغالب فيها الغيرة الزوجية، إلا في توفر عوامل قد تؤدي إلى مثل هذه السلوكات والمواقف الخارقة

المتعلقة بهذا الموقف، وقد تتعلق بأنماط شخصيات هذه الزوجات في جانبها التكويني الخاضع للفروق الفردية الوراثية والمكتسبة في إطار عملية التنشئة الإجتماعية التي تظهر انعكاسها في اكتساب مجموعة معينة من القيم الاجتماعية التربوية والثقافية وتأثير ذلك في السلوك الاجتماعي للفرد، كما يمكن أن تكون هذه الزوجات (الضرات) المتعانات هن من زوجات الأب (رئيس العائلة) مع زوجات من زوجات الإبن، أي وجود تعدد زوجات لدى الأب وكذلك أحد أبنائه أو أكثر من ابن، أو أحد إخوة رئيس العائلة ويظهر هنا المثل:

«وإذا طاح العيب ما بقات عشرة» [3]ص176. على أنه قد يؤدي وقوع الجريمة في الغالب بين جماعات وأعضاء الأسرة (العائلة التي تأثر العلاقات الأسرية سلبا ويعمل على إضعاف وحدتها الاجتماعية، ويكون نتيجة ذلك حدوث تفكك أسري، خاصة إذا ما اهتزت مقومات السلطة العائلية وتراجع وضع قوتها وهيمنتها لدى رئيس العائلة الذي يجسدها، يظهر ذلك التأثير السلبي للسلطة، في عدم التمكن من احتواء والتحكم في الاستقرار التام للحياة الاجتماعية الأسرية (العائلية) والحفاظ بذلك على الطابع التعاوني للممارسات اليومية للأعمال المنزلية، والنشاطات الأخرى المتعلقة بها، وهذا كله راجع للأسباب المتعلقة والمؤدية إلى وقوع الجريمة، وقد يكون من مظاهر ذلك التفكك الأسري (العائلي)، داخل العائلة الممتدة هو اضطرار الأزواج الأبناء المتزوجين إلى مغادرة الحيز المنزلي الكبير والبحث عن مسكن اجتماعي أسري آخر، أو البعض من هؤلاء الأبناء الأزواج، فيتقلص بذلك حجم هذه العائلة الممتدة، حيث قد يقتصر عددها على رئيس العائلة وزوجته وأبنائه غير المتزوجين، مع أحد الأبناء المتزوجين، وأسرته في إطار وحدة المسكن العائلي الكبير، وهذا التقلص في حجم العائلة، يظهر انعكاسه في تقلص كذلك حجم الأعمال وأداء الأدوار والوظائف المتعلقة بها، كما يتقلص حجم العلاقات الاجتماعية الأسرية داخل هذه العائلة، على خلفية الوقائع الإجرامية.

2.1.6. العنف الممارس ضد المرأة (المتزوجة)

باعتبار الاعتقاد السائد والراسخ إلى حد ما لدى العقل الجمعي، في المجتمع التقليدي الجزائري، بمقومات وقواعد تدعمها القيم الثقافية السلوكية المرتبطة بالعادات والتقاليد والعرف الاجتماعي بنسبة إجماع، بخصوص وجود ووجوب إقرار وربط تحقيق المكانة الاجتماعية عن طريق الزواج والتي مصدرها هو رسوخ الفوارق والمفاضلة الجنسية التي تعلي من شأن الرجل وتنقص من شأن المرأة ومكانتها الاجتماعية، إلى أقصى درجات الاحتقار والإهانة تكاد تساوي منزلتها بالعبيد، الذي يتلقى العقاب بالاعتداء عليه بالضرب بواسطة السوط، ظلما وعدوانا دون ارتكابه لسلوك انحرافي، كما يتضح في المثل الشعبي الآتي:

«اللي ما يذبح شاتو، ويسوط مراتو موتو خير من حياتو» [147]ص89. تبدو دلالات ظاهرة، ودعوة صريحة إلى معاملة هذه المرأة الزوجة، على أساس سلوكي عنيف، كأنها ضرورة حتمية اجتماعية، ذات قيمة أخلاقية، يحمل معاني التحقير والدونية وحتى السخرية، من حيث وجود علاقة مشابهة بين الرجل الذي لا يضرب زوجته والرجل الذي لا يقبل على ذبح شاته، حيث كان في الحياة اليومية في المجتمع التقليدي، وحسب ما ذكر من عناصر المثل لفظ "شاتو" يتضح أن مصدره ومنشأه هو المجتمع الريفي، وعلى أن الشخصية المصرحة به تنسب إلى رجل، فمن خصائص المثل الشعبي: «تتعدد منابع الأمثال، فهناك الأمثال الريفية، وهناك الأمثال الحضرية. ومعنى هذا أن الأمثال تنحدر من عدة أوساط أو طبقات اجتماعية... وأمثال النساء وأمثال الرجال» [149]ص85. حيث كان هناك شبه سخرية، من الشخص الذي يترك شاته تبلغ سنا متقدمة، دون ذبح، وهذا يجعله لا يستفيد من أكل لحمها أو بيعها، يعد هذا الاتجاه الخاص بنمط التفكير، تعبيرا عن الظروف الاجتماعية والثقافية، التي ميزها المتميزة بالاستغلال والاضطهاد الاجتماعي في أوضاع سادها الجهل والأمية ناجمة عن آثار الاستبداد والاستعمار الفرنسي في جوانبها المختلفة نفسيا، اجتماعيا وثقافيا، تترجمها صورا من السلوكات والسلمات السلبية والخطيرة، طابعها التوحش إلى حد ما، وتسلب الشخص القوي على الضعيف، ويدل المثل الشعبي التالي:

«أضرب مارتك ديما، إلا ما تعرفش علاه هي تعرف» [150]ص115. إنه تعبير عن موقف يصب في نفس المنحى والاتجاه، المتضمن للمثل السابق، على أنه وثيقة الصلة بالقواعد العرفية، التي تدعم النظرة الدونية والاتجاهات السلبية، التي تسمح بشكل عام كامل التصرف وممارسة السلوك العدواني والإجرامي للزوج، بالإضافة ما قد تمليه وتدفعه إليه غرائزه العدوانية، على أن الجنس الذكوري يتميز سلوكه بالعدوان، أكثر من جنس الإناث، وبالتالي يعد عاملا مؤثرا في ممارسة السلوك الإجرامي وتكراره في صورة هذا الاعتداء الجسدي العنيف إلى أن تصبح عادة متعارف عليها، لأنها جاءت نتيجة تجربة حياتية اجتماعية زوجية، واكتساب بذلك خبرات يكون صاحب المثل قد استفاد منها في ممارسته هذا السلوك الإجرامي، وهذا ما جعله يدعوا إلى الاستجابة المتمثلة في هذا النمط من المعاملة الزوجية، على أنه هو المعنى المقصود الكلي والمتضمن والظاهر في المثل، أما الفكرة التي يكون أراد تفسيرها المتضمنة في والمتعلقة بمعرفة الزوجة لدوافع هذا السلوك الإجرامي ضدها، يظهر أنها ذات صلة بالقيم والمعايير الاجتماعية، والقواعد العرفية، أي تحرم اجتماعيا وأخلاقيا، خرق هذه العناصر الثقافية الاجتماعية من طرف الزوجة، نتيجة للعوامل الفاصلة بين المكانة الاجتماعية العليا، التي تفرض على هذه الزوجة عدم مخالفة أو حتى انتقاد لموقف أو رأي، أو اتجاه، للدفاع عن حقها، أو اعتبار لكيانها الشخصي كما تكون خلفية هذا السلوك العنيف على أنه آلية للإبقاء والمحافظة على التمييز الجنسي، وباستخدام أساليب متنوعة الضغط السيكولوجي والاجتماعي، كما يمكن إرجاع الدوافع

السلوكية العدوانية في ممارسة العنف إلى إقرار العلاقة القائمة على أساس القوة والامساواة بين الرجل والمرأة: «النظر إلى المرأة ككائن ضعيف جسما وعقلا ومزاجا ضعفا جوهريا وليس عرضيا، وبالتالي لا بد أن تخضع لسيطرة الرجل وإشرافه وحمايته.» [151] من تقديم صاحب الكتاب. فالنظرة الدونية القائمة على أساس هذه الخصائص التكوينية للمرأة في المجمع التقليدي، الذي من سماته الداعية إلى تكوين الاتجاهات السلبية عن طريق الاستجابة لممارسة العنف (الجسدي) يعكس الخلفية الثقافية في علاقتها بالأوضاع التاريخية، التي أدت إلى الإلمام بالمعارف المتنوعة من خلال تجارب الحياة بوقائعها وظروفها الحياتية الإنسانية والمعيشية والاجتماعية، واكتساب على أساس هذه المعارف القواعد، والقيم، والأحكام المعيارية للسلوك أكثر من غيرها من المعارف الأخرى، كالدين، إلا في حالات نادرة وذلك راجع إلى الرواسب الثقافية، وبعض من القيم والمقومات الدينية الإسلامية الراسخة في ثوابت الشخصية القومية القومية للمجتمع التقليدي، وهذا في إطار عملية الاتصال والانتشار الثقافي، عبر المراحل التاريخية العربية الإسلامية.

تكشف لنا الأمثال الشعبية من خلال المعاني والأفكار والآراء والتصورات الفردية منها والجماعية، المعبرة عن مزاج وعقلية الجماعة ونمط التفكير الخاضع نوعا ما للمعتقدات والعادات والتقاليد والعرق الاجتماعي، على أنماط من التفاعل وأشكالا من النظم والضبط الاجتماعي، كالجزاء والعقاب، حيث يظهر ذلك في تأثيرها على السلوك وتوجيهه وتكوين اتجاهات معينة قد تكون سلبية أو إيجابية، في المجتمع التقليدي خصوصا، وبما أن القيم والمعايير الجماعية التي أقرتها الذهنية الشعبية، الخاصة بالفوارق الجنسية والمفاضلة بين الجنسين، يعني غياب الضبط غير الرسمي والرسمي الذي بالتأكيد لا يخضع ولا يقره العرف الاجتماعي والمتعلق بممارسة الزوج العنف ضد زوجته، وإفلاته بذلك من كل أنواع الردع والعقاب لهذا السلوك وتقويمه، وهذا عامل مؤثر في تعزيز اعتدائه الجسدية، في معظم الفرص المتاحة والظرفية، مثل ما صرح به في المثل الشعبي:

«مغلوبتي مرتي، وإذا كذبتوني نوض ليها» [18] ص 363، فهذا إعلان صريح قصد من خلاله ممارسته للعنف الفيزيقي، إتجاه الزوجة، التي أشار إليها المثل بالتغيير اللفظي الشعبي "مرت"، ذو صلة بتبليغ ضمني لهذا النمط السلوكي المؤيد من طرف اتجاهات الجماعة اتجاه المرأة في العرف الاجتماعي التقليدي، الذي يغلب عليها سمة ألاحترار والدونية، «فقد يكون الفرد اتجاها ما لأنه هو الاتجاه السائد في المجتمع» [115] ص 145 كما يظهر أن هناك دلالة خفية، قد يكون إشارة إلى وجود صراعا مع زوجته، على اعتبار خلفية الطبيعة للعلاقة الزوجية الأسرية في الإطار الاجتماعي، التي تجعل كل من الزوجين يشتركان ويتقاسمان الأدوار والوظائف والمتعلقة بالحقوق والواجبات اتجاه أسرتهما كالوظيفة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية، والخاصة في إطار الحدود الموكلة والمكلفة لكل منهما، قد تؤدي في الكثير من الأحيان إلى بروز العوائق والتناقضات المادية منها، كتوفير الحاجات والمتطلبات الإنسانية

الضرورة للرعاية الأسرية والشخصية، وهذا بدوره تبرز عنه الاختلافات في الآراء والمواقف والأفكار، والاتجاهات في إطارها الخاص بمرجعية ثقافة الزوجين، إلى جانب ارتباطها بالخصائص التكوينية والمكتسبة لكل منهما، وقد تظهر خلال هذه التفاعلات والعلاقات الاجتماعية ضغوطا نفسية واجتماعية، تترجم في شكل مواقف وردود أفعال سلبية قد تبدو ويراهما الزوج أنها انحرافا، وسلبية وعنيفة، فيستغل بذلك الزوج للاعتداء الفيزيقي على زوجته، يؤدي بذلك إلى توريث كل منها في اضطرابات اجتماعية تنعكس آثارها على الجانب النفسي والعاطفي، والعقلي لكل منهما، وقد تشمل آثاره كل أفراد العائلة كما يظهر، أن تكون خلفية نشوء صراعات اجتماعية لهذه العلاقة الأسرية الزوجية نتيجة صراعات معينة، قد تكون خاصة بهذا الزوج لنفسه ناجمة عن الميول والرغبات، خاصة إذا ما كان يعاني إخفاقات واحباطات، أدت إليها عوامل تتعلق بالفشل، أو العقاب، أو لها علاقة (الصراعات) بأشخاص، أو إحدى الجماعات التي ينتمي إليها وتربطه بها علاقة اجتماعية في المجال والمحيط المنظم التنظيمي والمنظم لهذه العلاقة، قام على أثرها (الصراعات) بتحويلها اجتماعيا في إطار الحياة الزوجية العائلية. حيث تظهر إشارة إلى ذلك قد تكون مقصودة شعورية أو العكس، ومن خلال الأسلوب التعبيري الساخر وبصبغة مزاجية عن ممارسته للعدوان الفيزيقي ضد زوجته، وتكشف الأمثال الشعبية، الخبرات المتعلمة والمكتسبة في هذا الاتجاه السلبي ضد المرأة (الزوجة)، التي تزيد تدعيم وترسيخ القيم النابعة من البنية الثقافية الشعبية للمجتمع التقليدي، حيث تعد بذلك الأمثال الشعبية الركيزة الأساسية لهذه البنية، نظرا لإرتباطها بتجارب الحياة اليومية الاجتماعية، خصوصا إذا ما تعلق تأثيرها بالسلوك وقد تكون نتائج ذلك سلبية أو إيجابية، وقد يحدث لكلاهما (سلبية وإيجابية) مثل ما يظهر في مضمون المثل الشعبي التالي:

«أضربها تعرف مضربها» مثل مأخوذ من عند العامة. مثل مأخوذ من عند العامة يظهر من خلال دلالاته الظاهرة والتي يكون قصد إليها صاحب المثل إشارة إلى فعالية ممارسة العدوان الفيزيقي، ضد الزوجة بالخصوص، دون غيرها من الأساليب المعاملة المتسمة بالخشونة والقسوة، والذي قد يعني ويدل على أن الأساليب الأخرى الاجتماعية الإيجابية، كالحوار والاتصال، المتضمنة تبادل ومناقشة الأفكار والآراء على أساس التفاهم والنقد، لا يتوقف، ولا يتناسب مع الطبيعة الفيزيكية والمزاجية للمرأة والتي ترى فيها من خلال ذلك الذهنية الذهنية الشعبية من خلال ذلك وحسب المعتقد السائد في المجتمع التقليدي على أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وبالتالي فإن تقويم سلوكها، يقوم على أساس الاعتداء الجسدي والمقصود به العدوان الفيزيقي (الضرب). وهم بذلك أقاموا رابطة بين سلوكها الذي يعد إنحرافه مصدره هو الخليفة الإلهية لهذه المرأة في جزء من تصورهم الخاص بها (الخليفة الإلهية)، كما يظهر من خلال الحيز المادي الذي افترضه وهو "مضربها" وعبر بواسطته عن دلالة ظاهرة، تتمثل في مجموعة من الاستجابات من جانب الزوجة، كلما تعرضت للعدوان الجسدي العنيف، كالخضوع أو

للتنازل عن مطالبها، أو الكف عن ما يتميز به ومعروف عنها الثرثرة، والانفعالات خاصة إذا كانت انفعالات سلبية. «المرأة أكثر انفعالات من الرجل وإن تظاهرت بالإبتسام وإن اتشحت بوشاح الرقة والسلام، لا تنسى خصال الحقد، لأنها مفطورة على ذلك... وهذه نظرية قديمة ترجع إلى عوامل فيزيولوجية بحتة» [152] ص 18، مثل مأخوذ من عند العامة. الدلالة الخلفية، فتظهر خلفيتها في وجود صراع قد تكون إفرزاته المباشرة لها علاقة بالإعتداء الجسدي العنيف، وشعور الزوجة بذلك، بحقيقة وحمية حياتها الاجتماعية الزوجية مع هذا الزوج، وكيف حددت لها المبادئ والأصول للعادات وسنن العرف الاجتماعي وأقامت معالم حياتها الزوجية، على أساس الخضوع لتسلط وسيطرة الزوج، لأنه هو الذي منح لها المكانة الاجتماعية والتي ارتضاها لها المجتمع التقليدي وثقافته، غير أن هذه المكانة تظهرها المخيلة الشعبية، على أنها هي الوضعية المناسبة. نظرا لطبيعة قوتها الفيزيكية وتبعيتها الاقتصادية للرجل، على أن البنية الاقتصادية في المجتمع التقليدي الجزائري قائمة على الزراعة في الريف، وبعض الحرف الصناعية في المدينة، وتمكن تحديد هذه الوضعية الاقتصادية للمجتمع في فترة الاحتلال الفرنسي خاصة، وما بعدها. حيث كان عمل المرأة يتمثل فقط في العمل المنزلي تقريبا، كما تكشف لنا الدلالة الخفية لمحتوى المثل إلى إلتماس وجود وعي ونضج فكري، نشأ وبدأ في الظهور والتطور، والخاص بشعورها بالحرمان الاجتماعي المتعلق بحقوقها، سواء كانت مادية، كحرمانها من الميراث، وهي ظاهرة كانت موجودة في المجتمع التقليدي والمعاصر كما هو في المجتمع القبائلي اجتماعية، كفرص التعليم. وإن وجدت فإنها قد لا تتعدى مرحلة تعليمية واحدة، وذلك في المجالات التعليمية المتوفرة في الفترات التاريخية والاجتماعية التي تميزت وأدت إلى تمتع الرجل بهذه الامتيازات والمكاسب، دون المرأة، «ولأنّ المكاسب التاريخية التي حقها الرجل على حساب المرأة أو في غيابها عن ساحة الخبرة والممارسة على امتداد العصور الماضية جعلته في موقف متميز عليها» [151] من تقديم الكتاب. ويعد عاملا في نشوء وإفراز الصراعات وتطورها كلما وقع الاعتداء الجسدي، تؤدي انعكاساتها إلى ظهور اضطرابات واهتزازات للعلاقة الأسرية الزوجية، ويجعل هذه الحياة الزوجية تتسم بطابع الاضطهاد والاستغلال العدوانى ينجم عنها مشاعر سلبية قد تملؤها صفات الحقد والكراهية، إلى جانب الإحباط الذي أدت إليه الضغوط النفسية المتعلقة بهذه الوضعية الصعبة التي تعيشها هذه الزوجة، وبالتالي تدفعها إلى التفكير في إيجاد واستغلال الفرص للتخلص من معتك هذه الحياة القاهرة، ما عبر عنه المخيال الشعبي في نص المثل التالي:

«ما تضرب المرا حتى تربطها» مثل مأخوذ من عند العامة. مضمون قصة هذا المثل، أن رجلا قدم لإبنه فكرة التي تعتبر حيلة يلجأ إليها تمكنه من ضمان سيطرته على زوجته، وبقائها في بيتها البيت الزوجي، على أن يكون ضرب هذه الزوجة بسبب تصرفاتها و التي قد لا تصل لحد الإنحراف بعد قيامه بربطها، فإذا ما جاءت الفرصة وتوافقت الظروف التي رآها هذا الزوج مناسبة لضرب زوجته، فقد

عمد إلى تنفيذ الفكرة المقترحة من طرف والده، وقام بربط زوجته بحبل ثم انهال عليها ضربا وبعد مافك قيدها والمتمثل في الحبل لم يجد لها هذا الزوج أثر لها في بيته، الذي تكون هربت منه -بيت الزوجية-، وبعلم أب الزوج بالحادثة الاجرامية، فقد أوضح لإبنه المعنى المقصود من الفكرة الخاصة بالربط هو ممارسة هذا النمط من السلوك (الجرامي) إتجاه الزوجة يكون في الفترة المتعلقة بإنجاب الأولاد، حيث أن وجود الأولاد لا يكون عائقا يحول دون فرارها من البيت الزوجية، فعاطفة الأم قد تجعل هذا الزوج لا تغادر تفكر في الانفصال عن هذا الزوج خوفا من تعرض أبنائها لظروف اجتماعية واقتصادية قاهرة، إذا ما هي أقدمت على ذلك، فإذا كان قبول العائلة التقليدية لرجوع وانفصال ابنتهما عن زوجها قد لا يسمح به في مثل هذه الوقائع الإجرامية التي تعرضت لها الزوجة ، أو في حالة عدم وجود إنجاب للأبناء، ويبدو أن ظاهرة فرار الزوجات قد كانت سائدة في المجتمع التقليدي الجزائري بسبب القهر الاجتماعي الناجم عن السلوك الاجرامي الممارس اتجاه الزوجات إلى حد ما. وقد يعمل النمط المميز لمعاملة الزوجة، بأسلوب اعتيادي متكرر اتجاه الزوجة، كلما صدر منها ما يؤدي إلى إثارة وانفعال الزوج، فيعمد إلى ضربها، مثل ما يظهر في المثل الشعبي التالي:

«مادري بالمزود غير المسوط بيه» [3]ص114. وفي صياغة أخرى لمضمون المثل ما «يحس بالمزود غير إلي ضرب، ولا نضرب» ولهذا المثل الشعبي قصة تقول أن رجلا تعود أن يضرب زوجته فكان كلما هم بضربها بالعصا تبدأ بالصراخ فيهب الجيران إلى افتكاكها من يدي زوجها، ففكر الزوج في حيلة تمكنه من منع تدخل لا الجيران...فأتى بمزود وملأه بالتراب ونزل به ضربا على زوجته، فلما هب الجيران في هذه المرة فوجدوه يضربها بالمزود فظنوا أنها عملية مزاح وأن صراخ الزوجة مفتعل، لأن الصرب بالمزود لا يألم قط! فانصرفوا عنها وحين إذ نطقت الزوجة بهذا المثل.

يعد وجود الفروق الفردية العقلية مثل أثر مستويات الذكاء والقدرات المزاجية (التفاعلات والانفعالات)، بآثارها الإيجابية والسلبية، قد يؤدي إلى وجود أنماط لشخصية الفردية، فالشعور بالنقص، إلى جانب السلامة العقلية (الإجرام / السواء). إضافة إلى الدوافع النفسية، كالميول والرغبات والأهراء، التي تتطلب ضرورة الضبط وعدم الانفعال، والقدرة على التحكم في غرائز العدوان الفطرية، غير أنه هناك حالات تؤدي إليها مواقف معينة، ناجمة عن العوامل والضغوط المتنوعة والمؤثرة التي تجعل الفرد أو الجماعة، ينفلتون عن هذه القواعد ومعاييرها، وبذلك يرتكبون الجريمة، كممارسة هذا الزوج للعدوان الجسدي ضد زوجته، كما أن هذا الضغوط والعوامل المؤثرة والداخلية في إعطاء الخصائص النمطية للجريمة المذكورة، قد ينطبق كذلك على الزوجة ويدفعها إلى ارتكاب سلوكات إنحرافية أو إجرامية في حدود معينة إتجاه هذا الزوج، أو من أفراد الأسرة، يضطره هذا الموقف إلى ضربها، وقد يكون لتأثيرات المحيك الاجتماعي، أثر في ظهور الصراعات الاجتماعية بين الزوجين، إلى جانب الضغوط الاجتماعية الأسرية، المتعلقة بأعباء الأسرة، وما يلقي على مسؤولية الزوجة، من رعاية

للأبناء وأداء الخدمات العائلية والزوجية، يفرض عليها قضاء كل أوقاتها داخل المحيط الاجتماعي الأسري، على أن القيم والمعايير والعادات والتقاليد للمجتمع الجزائري التقليدي، لا تسمح بخروج المرأة ولا تتعدى بذلك حدود المسكن الزوجي والعائلي، إلا لسبب قاهر، وبرفقة شخص قريب، أو جماعة من النساء، مع عدم كشف الوجه الذي يتم تغطيته بواسطة المعجر والمعروف في اللغة الشعبية "العجار" أو عن طريق "التنقاب" وهو مصطلح شعبي على أنه تسمية قد تكون خاصة بشرائح مجتمعية قبلية أو تنتمي لبيئات اجتماعية معينة، المحافظة والتمسكة جدا بتقاليدها إتجاه المرأة وذلك تجنباً لمعرفة انتسابها (المرأة) العائلي، كما أن هناك في بعض الشرائح المجتمعية الريفية وفي فترة الاحتلال الفرنسي كان خروج المرأة لزيارة عائلتها، أو أقارب الزوج لا يكون إلا أثناء الليل، لأن في النهار يمكن التعرف على انتسابها العائلي، نظراً لطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة في هذا الحيز المجالي المجتمعي الصغير الحجم والإطار الذي يسمح بمعرفة جل العائلات لبعضها البعض، وتعكس هذه الأنماط الثقافية في هذا النظام الاجتماعي العائلي، جانباً من بنية عقلية الرجل، الرجل الجزائري التقليدي، ساهمت فيها انعكاسات الأوضاع والظروف التي عايشها والناجمة عن عوامل الاحتلال الفرنسي الاستعماري، ما نتج عنها من فراغ وإنسداد لمجالات الحياة الاجتماعية العملية منها والثقافية، والفكرية، والاقتصادية، أعاق تقدمه الاجتماعي والثقافي المتعلق بهذه النظم الاجتماعية، «إن كل ثقافة تتكون من نظم اجتماعية، أي نظم اقتصادية ودينية وعائلية وأخلاقية وسياسية ولغوية و عادات وتقاليد...» [31]ص251. ، غلب على كثير من المفاهيم الجانب السلبي والخطأ لها فخرج المرأة مهما كانت صلة القرابة أو الرابطة الاجتماعية التي تربطه بها، هو نظرة أنثروبولوجية سلبية غير أخلاقية، تقلل من مروءة الرجل ونخوته، هذا على أن هذا النمط التفكير، تكون له علاقة بالامتيازات والفروق الجنسية، التي تعلي من مكانة الرجل دائماً، وتحتقر مكانة المرأة، في المجتمع التقليدي وبالتالي عمل على ترسيخ الاعتقاد الفكري والثقافي للرجل التقليدي عبر أجيال متلاحقة: «لأن الذكر قد تعود على أن المرأة قد خلقت من أجل البيت وتربية الأولاد، وأن العالم الخارجي هو خاص به» [17]ص16.

ويتبين من خلال الأداة المستعملة من طرف الزوج في ضربه لزوجته المسماة ب (المزود) وهي آلة موسيقية تقليدية، تكشف عن مصدر المثل الذي يدل على البيئة الاجتماعية، على أنها تكون بيئة حضارية (المدينة) في أغلب الظن بما تشتمل عليه من مغريات وملذات مادية ومعنوية، ووجدانية نفسية يؤدي إلى وجود رغبة شديدة لدى الزوجة للمشاركة والتطلع إلى هذا الأفق الخاص بالنظم الاجتماعية، ومؤسساتها المختلفة وما تقدمه من خدمات وحاجات ومطالب متعددة المصلحة الاجتماعية (العلم والعمل...)، ويمكن اعتبار حرمان المرأة من هذا المزاي والمكاسب، هو قيد من القيود التي هي

مفروضة على حريتها الشخصية، وقد يعد هذا عاملا في إثارتها وانفعالها، المفضية إلى الصراع الاجتماعي وزيادة قوته، وتعرضها بذلك إلى الضرب، وتسلبه داخل هذا المحيط المنزلي الذي قد تعتبره الزوجة في هذا الإطار والواقع الاجتماعي بمقارنتها له والمحيط الخارجي، على أنها تعيش حياة السجن بالمفهوم المعنوي للعربية الخاصة بالمرأة "البيت الكبير" ... حيث يتحدث عمر بألم عن هؤلاء النساء اللواتي يعشن باستمرار فيما بينهن في باحات مغلقة... «كانت دار السبيطار تبدو له عندها مثل سجن وتبدو جميع تلك النساء شرسات لا يطقن وقد قلبنها بانفعالهن الاعتيادي رأسا على عقب، فهن ينتسبن إلى الحيوان المتعجرف أكثر منه إلى الكائن البشري... ومامن شك إن وضعهن كأسيرات كان يزيد أيضا... من حياتهن» [148] ص229. وتظهر الآثار السلبية لهذا التفاعل الاجتماعي، المشحون بالصراعات الاجتماعية بين الزوجين على اهتزاز كيان الأسرة ويظهر ذلك من خلال إختلال لوظائف وأدوار الزوجة خاصة، إلى حد ما وخاصة اتجاه هذا الزوج، تخص شؤون الأسرة والعلاقات الزوجية ورعاية الأبناء، والوظيفة التربوية والاجتماعية، والوظيفة الجنسية، التي هي من خصائص الأسرة، وتظهر انعكاساتها على الاستقرار النفسي والاجتماعي والعاطفي الذي يعد من المقومات والدعائم الأساسية لعمليات الاتصال والتفاعل في هذا الإطار.

وقد تدفع هذه الأسباب الزوج إلى التفكير في إيجاد مخرج بحثا عن الاستقرار الأسري، ويتمثل في البحث عن زوجة أخرى (ثانية) كعقاب وانتقام لزوجته لأن وسيلة الضرب كانت لها نتج سلبية، واستفادته في هذا الشكل من العقاب الفيزيقي الضيق لردع لسلوك زوجته ومحاولة إخضاعها لطاعته في نظره -هذا الزوج-، كانت عكس توقعاته وتحقيق هدفه. ويكشف المثل الشعبي التالي:

«النسا تثبط بالنسا ماشي بالعصا» [153] ص114. القصد بمدلول الفكرة، المتعلقة باستخدام وإتخاذ هذا الشكل للتصرف اتجاه الزوجة (الأولى) أمام هذا الوضع الجديد للعلاقة الزوجية في موقف صعب يؤدي إلى توترها نفسيا وعاطفيا واجتماعيا، قد يتحتم عليها إتخاذ قرارا مصيريا، بخصوص علاقتها مع هذا الزوج، فإن كان هناك خوف من انعكاسات هذا التصرف خصوصا من حدوث تفكك أسري «فالأمثال الشعبية بوجه عام تعكس بوجه عام حياة أمه من الأمم تفكيرها وسلوكها ومعتقداتها وثقافتها، وتعامل أفرادها بعضهم ببعض» [154] ص68، ويتبين لنا جزءا من هذه الخصائص للمثل الشعبي المتعلق بالتفكير والسلوك، والثقافة من خلال القصد الذي يكون أشار إليه المفكر الشعبي وهو وجود دلالة خفية، يدل عليها في ذلك الوظيفة اللفظية للفظ -تثبط- وهو لفظ محرف ويعني (الضبط) ذلك وهي إشارة إلى إتخاذ زوجة (الثانية) بمثابة ضبط اجتماعي (للزوجات) ويفرض الخضوع والطاعة للزوج، لأن ممارسة العنف قد يؤدي إلى إلحاق الأذى بالزوجة، مسببا لها عاهات جسدية مستديمة، فإذا كان الضبط غير الرسمي والمقصود به العرف الاجتماعي، في المجتمع التقليدي قد لا يعرض هذا الزوج للعقاب، أو تطبيق عليه أحكاما معينة لجريمته، ، لأن سنن هذا العرف، تؤيد وتسمح بمعاملة الزوجة

بممارسة العنف الجسدي عليها (الضرب)، إلى جانب القسوة والضغط، وذلك لفرض كامل سيطرته على سلوكياتها وحريتها. فإذا ضمن هذا الزوج عدم تعرضه للجريمة للعقاب على جريمته، فإن هناك قوة جزائية تتعدى سننها حدود العرف الاجتماعي، الذي يجز المجرم للعقاب، والمتمثل في القانون «بممتاز القانون على العرف، وعلى سائر الضوابط الاجتماعية بما ينطوي عليه من إجبار واسع النطاق ملائم لجميع الأفراد على السواء...» [64]ص221. فالضبط في هذه الحالة، قائم على أسس وقواعد علمية موضوعية، -أي يغلب عليها الطابع الموضوعي- عكس ما هو موجود ويتميز به العرف الذي قد ينحاز إلى صفة الذاتية الاعتبارية للشخص ومكانته الاجتماعية، وإن كانت هناك صلة تربطهما، حيث «يستمد القانون في بعض سننه (نصوصه) من العرف، باعتبار وجود نصوص وعناصر ترتبط بالدين والأخلاق» [64]ص222..

كما يظهر أن هناك دلالة خفية للمثل تكشف عن تطور ونمو الوعي الاجتماعي والثقافي الذي يرمز للأفكار والتصورات المستخلصة من تجارب وخبرات الحياة الاجتماعية، وتأثيرها في تغير القيم والاتجاهات السلبية إلى جانب ارتباطها بالتغير الذي يتعرض له المجتمع. ويؤدي إلى انعكاسه على ثقافته، وشخصية الفرد، هذه الشخصية التي تعد عامل أساسي في إحداث والتأثير في هذه العملية الاجتماعية، على اعتبار الصفات والخصال التي تتمتع بها وقد تكون نادرة، تظهر في شكل صور للفعالية والفاعلية، والتعبير عن القيم السامية والمعايير السليمة وإصدار الأحكام الصائبة عن طريق القدرة على التمييز بين الحق والباطل، الصواب والخطأ نابعة من روح سامية وفطرة سليمة تتمثل في ملكات طبيعية نفسية طيبة يستند عليها إلى التصريح وتقرير القيم والقواعد المتعلقة بالسلوك خاصة إذا كان هذا السلوك له علاقة بشخصها مثل ما هو مصرح به في المثل الشعبي:

«ما يضرب المرا إلا العرا» [147]ص274. فهو ينتسب إلى رجل أو امرأة فإذا كان على لسان رجل فإن رؤيته لهذا السلوك المتمثل في ظاهرة الاعتداء الجسدي على المرأة تتدرج في الاتجاه الإيجابي من مبدأ عدم التكافؤ بين الرجل والمرأة، وقد توضح لنا الآية الكريمة ذلك: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض...» [155]. كما يعتبره من مبدأ ثقافي وأخلاقي على أنه سلوك يدل على قلة كمال الرجولية والشجاعة ويحمل الشدائد، وعلى أن هذه الصفات السلبية تتميز بها شخصية الرجل الذي تكون متأصلة في نفسه.

لقد تضمن هذا المثل وعبر عن قيمة إيجابية اتجاه نمط معاملة المرأة والمتميزة باستغلال لهذا المخلوق الضعيف -المرأة- من خلال مبادئ أخلاقية واعية، تعكس الصورة الصحيحة والسليمة للشخصية وترمز للضمير الأخلاقي والقيمي والديني. غير أن ممارسة هذا السلوك العنيف ضد المرأة لا يمكن فصلها عن تأثير العوامل التنشئية، التي تعرض لها الشخص عبر مراحل عمرية ودور الأسرة في

اكتساب هذا السلوك الإجرامي. وأثر نوع السلطة ونمط المعاملة الناجمة عنها، خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة التي قد تكون عاشت حياة اجتماعية مضطربة، بسبب وجود صراعات اجتماعية عائلية والمتعلقة بالوالدين والتي تظهر آثارها السلبية في الانحراف السلوكي للأبناء وتبقى إلى مرحلة متقدمة من عمر الشخص على أنه سلوك متعلم ومكتسب ويشكل طابع جزئي من الطابع الكلي للشخصية الفردية وقد يمارس بشكل شعوريا أو لا شعوري.

أما إذا كان المصرح بهذا المثل هو المرأة، فالإ جانب المزايا الشخصية للفرد المذكورة آنفاً، فقد يكون هذا المثل ناتج عن نفسية متأثرة لدى هذه المرأة التي تكون قد تعرضت لهذا النمط الإجرامي والمتمثل في العنف الجسدي، من طرف الشخص الذي تربطها به علاقة الزوجية على أغلب الظن وذلك لأن المرأة في المجتمع التقليدي وفي وقت مضى قد مرت به أجيال كان يتم زواجها في سن مبكر مما يعني أن قضاء معظم حياتها يكون في المحيط الأسري الزوجي كما يمكن أن تكون للشخص رابطة أسرية قرابية وتتعلق الأسباب المؤدية إلى ارتكاب جريمة ممارسة العنف الجسدي بالعلاقة الزوجية. كما يظهر على الأرجح في المثل الشعبي التماذي الخطير لهذا السلوك الإجرامي كما يتضمنه نص المثل التالي:

«اللي شقى على نسيبتو يذغ لها رأسها» [147]ص111. وتجده في صياغة أخرى كالتالي:
«الي بط نسيبتو يذغ لها راسها» [156]ص103. وبصياغة أخرى «كيشقى على نسيبتو يعطيها طريحة مليحة». ويمكن إرجاع هذه الاختلافات في الصياغة للمثل الواحد هو أن المثل «ينتشر بين أفراد الشعب قبل تحويره وتهذيبه، وقبل أن يتخذ شكله الأدبي الخاص به» [49]ص103. وهذا الانتشار للمثل يتخذ أشكالا لفظية لغوية. وفقا للبيئة التي يحل بها، يأخذ بذلك طابعها اللهجوي اللفظي الخاص بها وكذلك يرجع الاختلاف على أن «للمثل الواحد روايات متعددة. إذ أن لكل بيئة تقريبا رواياتها التي تختلف عن رواية البيئة الأخرى» [157]ص13.

إن تعرض أم الزوجة لهذه الجريمة الناجمة عن السلوك الإجرامي لزواج ابنتها يمكن أن تكون خلفيته وجود عنف ممارس على الزوجة -ابنتها- أدى إلى تدخل الأم إلى جانب فلذة كبدها والمدافعة عنها وحمائتها، غير أن أسباب وخلفية هذا السلوك الاجرامي الموجه ضد المرأة يعود إلى نشوء صراعات لدى هذا الزوج، ترى لها علاقة بشخصية أم الزوجة (الحماة)، كتدخلها في شؤون وقضايا حياتهما الزوجية، حيث أن الزوج يرفض مثل هذه السلوكيات ويراهما على أنها انحرافية، تعمل على إثارة وتوتر علاقات الزوجية، وقد تكون أم هذه الزوجة واعية بهذا الموقف والتصرفات اتجاه الزوجين أو العكس أي أنها تصرفات تلقائية دون شعور أو قصد إلى شيء ما. ما عدا عاطفة الأمومة التي تكون شدتها إلى تلك التصرفات. فإذا ما أخذت هذه التصرفات والمواقف لدى أم الزوجة اتجاها مضادا نتيجة

تكرار الزوج لسلوكه الإجرامي والاعتداء على زوجته نتيجة احتمال وجود صراعات بين هذا الزوج والزوجة، يزيد في إفرازاتها دعم هذه الزوجة وانصياعها ومساندتها لأمرها، وتعد كل هذه العوامل دافع قوي للزوج، حيث يتعدى اعتدائه حدود زوجته ليطلق أمرها ويرتكب جريمته ضدها دون مراعاة لمعانن هذه الأم الاجتماعية وتقدير كبر سنها، وترتبط هذه العلاقات المتميزة بطابع صراعي اجتماعي سواء كان ظاهرا أو ضمنيا والواقع يبين الأشخاص الثلاثة إلى الظروف المحيطة بها الاجتماعية والثقافية التي عاشتها والتي تعطي المميزات التنشئية في علاقتها بالتكوين الشخصي للفرد لكل من هؤلاء (الأشخاص) الوراثة والعقلية والنفسية والفروق الناشئة عنها والتي منها ما يؤدي إلى وجود نزعة إجرامية للزوج هذا مثلا، والتي تعد مؤثر يدفعه لارتكاب جريمته، خاصة إذا ما وجد أوضاعا ووضعيات معينة يستغلها في ذلك كالمكانة الاجتماعية أو أثر السلطة وأنواعها خاصة في غيابها مثل ما قد يتعلق بالزوجة وأمرها إذا ما كانا الانتساب العائلي بهما، تنعدم فيه السلطة في اتجاه المحور الرجالي الأبوي أو محرم الأم وفي مجتمع تقليدي يعطي أهمية كبرى واعتبار لهذا المكسب الاجتماعي نوعا ما.

وتظهر لنا مجموعة من الأمثال الشعبية، أثر نوع السلطة الأسرية نوعها أوفي حالة وجودها مع ضعف أو قصور يتخللها أو في حال غيابها نتيجة وفاة أحد الوالدين أو كلاهما، أو وقوع انفصال عائلي بينهما، إلى جانب نمط المعاملة الناجمة عن هذه الوضعيات المختلفة المشكلة لنوع هذه السلطة إيجابيا أو سلبيا وظهور أشكال للتعامل مع السلوك الإجرامي، خاصة مع الأشخاص الذين تظهر بيدون استعداداتهم الغرائزية العدوانية ومدى تأثيرها على العلاقة الاجتماعية مع الأفراد والجماعات التي تربطها بهم علاقة القرابة الأسرية عن طريق رابطة الدم.

كما يمكن لوجود الأهداف والمصالح المادية في أثناء وجود الوضعيات المختلفة للسلطة المذكورة سالفا والتي نقصد منها في ما يتعلق بالأهداف والمصالح هو غياب هذه السلطة الأسرية، وما قد ينجم عنها من أنماط للجريمة خاصة بهذا الوضع الاجتماعي الجديد الذي تعيشه أفراد الأسرة، حيث يعد ذلك عاملا في استغلاله لارتكاب نمط معين من تلك الأنماط للجريمة في هذا الإطار.

3.1.6. علاقة طبيعة السلطة داخل الأسرة وتأثيرها في نشوء الصراعات المؤدية للجريمة

1.3.1.6. ضعف السلطة الأسرية وأثرها في ظهور الشخصية السوسيوباتية (المضادة للمجتمع)

أثناء عملية الاتصال والتفاعل الاجتماعي في شكله الصراعي الأسري قد يظهر السلوك العدواني العنيف لدى فرد من أفرادها تدفعه في ذلك أنواع من الميول والرغابات والأهواء، أو تعبير عن رفض لقيمة أو معيار يؤدي به إلى إلحاق الأذى بعائلته أو أحد أفرادها، يؤدي تكراره لهذا السلوك العنيف إلى تأثر العلاقة الاجتماعية للأسرة، فيبتدأ بذلك ملاحظاتها لهذا السلوك المتنامي في الانحراف ووصوله إلى

حد ارتكاب الجريمة والمتمثلة في إلحاق الأذى اتجاه هذا السلوك الاجرامي (غير السوي) لهذا العضو يكون دافعا إلى التفكير في ابعاد الحلول المتوافقة والمتناسبة، ومنها اتخاذ قرار لحسم هذا الموقف المتعارض مع قيم ومعايير الأسرة، ويكشف لنا المثل الشعبي الخطوة التي تعد لها الأسرة، والمتضمنة في الرأي الذي يرمز إلى تصويره ونمط تفكيره بخصوص وضع حل لهذا السلوك الاجرامي وهذا دائما من خلال ما جالت به الذهنية الشعبية للجماعة، والمتمثلة هنا في الأسرة على لسان قائلها:

«خليه على هواه حتى بيان مولاه» مثل مأخوذ من عند العامة. وهي دلالة قد يكون القصد والمعنى الخفي المقصود هو فشل المحاولات المتمثلة للعائلة باصلاح شخصية هذا العضو وعدم فعالية أساليب جزائية التي تكون اعتمدها، قد تكون إيجابية كالوعظ والتنبيه والتحذير والإرشاد سعيا منها لإعادة الاتزان النفسي الاجتماعي وتقويم وتكييف سلوكه لإدماجه اجتماعيا، غير أنّ التكوين الشخصي لهذا الفرد المضاد للمجتمع إلى جانب الضغوط الاجتماعية المتعلقة بالمحيط الأسري الاجتماعي للفرد، والذي قد يفسر وجود صراعات يعيشها مع عائلته تعكس تعارض مواقف مع أفرادها أو بعضهم إلى جانب صراعاته النفسية الفردية لهذا العضو التي هي ناتجة عن خبرات في مراحل عمرية معينة مثل خبرات الطفولة والمراهقة، وأثر المعاملة التي تعد عاملا في ظهور النزعة الإجرامية اتجاه الآخرين «ومنذ الطفولة الباكرة يظهر السيكوباتي اضطرابات سلوكية ذات طبيعة مضادة للمجتمع» [86]ص55. وقد تزيد بافرازات هذه الصراعات إذا ما كان هذه الشخصية تعيش ظغوطا نفسية وعاطفية تترجمها أنواع من الاحباطات والتي قد تؤدي إلى تكوين العقد النفسية، فإذا ما استمرت وأخذت في تطورها السلبي والانحرافي وأدت إلى ارتكاب الجريمة، فقد يكون رد فعل العائلة اتجاه هذه الوضعية الخطيرة غير المتوقعة في طرد هذه الشخصية، كما يكشفه الرأي المتضمن في المثل الشعبي التالي:

«لوكان مقوم ما يطلقوه يهوم» [147]ص306 من خلال هذه الدلالات الثلاث التي أشار وقصدها هو أنّ هناك رابطة علائقية وظيفية حيث أنّ الأولى ترمز للسلوك غير السوي (الاجرامي) لهذه الشخصية، والدلالة الثانية ترمز إلى الحكم الصادر اتجاهها، والمتمثل في العزم على الطرد (الشخصية المضادة للمجتمع) باعتباره شكلا من الجزاء العقابي الذي أقرته ورأت -العائلة- أنه الحل المناسب لهذه المشكلة الاجتماعية، أما الدلالة الثالثة والتي تبدو خفية في مضمون هذا المثل فإنها ترمز لطريقة التعامل ونمط المعاملة المتبعة من طرف العائلة على أنها سلبية أكثر من ماهي إيجابية.

تعكس الأساليب التنشئية الذي قد يغلب عليها طابع الخشونة والعنف حيث يؤدي النسق القيمي للعائلة خاصة وظيفية في التعامل من الشخص المجرم بالنظر للبنية الثقافية للعائلة والتي تعود إلى الأسس التي تركز عليها. «وكل ممارسة اجتماعية خارج المعايير الدينية تمثل موضع شجب صارم كان أكبر عقاب يتعرض له الفرد هو الطرد أو العزل حيث يصبح محروما من الحماية الاجتماعية

والضمان الاقتصادي» [146] ص 8. وهكذا تجد هذه الشخصية نفسها خارج إطار محيط أسرتها تواجه ظروفًا صعبة وقاسية، وفي وضعية أخرى تتمثل في بيئة جديدة تتعدد وتتوسع أخطاره التي قد تؤدي إلى الهلاك نتيجة للزمن الذي تعيشه في مختلف الجوانب المتعلقة بطبيعة الحياة الإنسانية فيزيولوجيا ونفسيا واجتماعية تتعدى آثارها السلبية حدود الفرد والأسرة باعتبار الحالة هذه الخاصة بالشخصية المضادة للمجتمع، على أنها وصمة اجتماعية تظهر بوضوح في المجتمع وعليه فإنه سينفع تأثيرها عليه باعتبارها تشكل ظاهرة اجتماعية، تؤدي بدورها إلى ظهور انحرافات اجتماعية وظواهر إجرامية متعددة كالتشرد والتسول، وآثار نفسية اجتماعية لكن المجتمع مجموعة من الأفراد والنظم يؤثر كل منها في علاقته به.

«والأسرة هي عربة الوعي الاجتماعي والتراث القومي والحضاري. فهي التي تنقل هذا التراث من جيل إلى جيل. وهي مصدر العادات والعرف والتقاليد وقواعد السلوك والآداب العامة» [158] ص 45.

وفي علاقتها بالفرد الذي هو عضو من أعضائها تربطها بها علاقة قرابة دموية فإن كل منها يتأثر بالآخر. على أن الأسرة باعتبارها تمثل عناصر عاطفية ووجدانية قد يؤدي بها إلى تدارك لوظيفتها الأسرية الاجتماعية منها والتربوية، قصد تقويم وضبط سلوكيات أعضائها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية لإكساب وتلقين وترسيخ القيم الثقافية والاجتماعية، مبادئ التكيف وتحقيق إدماجهم الاجتماعي على أن تكون المعاملة لهذه الأسرة بأسلوب صحيح، يتوافق مع طبيعة الرغبات والحاجات المختلفة والاستجابات المترجمة في سلوكيات معينة، ويظهر لنا المثل الشعبي:

«المليح ما يسيح» مثل مأخوذ من عند العامة. من خلال الدلالة الخاصة بالموقف المتمثل في مغادرة هذه الشخصية المضادة للمجتمع لمحيطه الأسري أنه ناتج عن إرادته في هذه الحالة الثانية وليس بإرادة الأسرة -أي أن مغادرة المحيط الأسري كان عن طريق الطرد من طرفها- مثل ما تبين في المثل الشعبي السابق، وهذا ربما يكون نتيجة حدوث تطور إيجابي في طرق التعامل مع هذا النمط السلوكي الإجرامي، رغم أن نتائج فاعلية هذا النمط للتعامل كانت سلبية حيث لم تتمكن هذه الشخصية من التكيف الاجتماعي مع أعضاء عائلتها، والذي قد يعكس تثبيت وتمسك هذه الشخصية بالرغبات والميول المكبوتة والاصرار على السير في إطارها النفسي الذاتي، بعيدا عن الاتزان الاجتماعي، وهذا يعني -الحالة نفسها- حدوث استجابات العائلة لها، والخضوع لأهوائها حيث تكون الغرائز الفطرية العدوانية والعوامل الوراثية العقلية والنفسية -الخاصة بالتكوين النفسي- والميزاجية دافعا يؤدي بهذه الشخصية إلى ظهور اضطرابا وانفعالات شديدة تعكس العجز في التحكم وضبط الانفعال، وكذلك إلى غياب توقعات عواقب ذلك، لهذا فهو يسعى لأجل تحقيق أهدافه وطمحاته ولو أدى به ذلك إلى سوء التوافق والاضطراب داخل الأسرة.

2.3.1.6- الجرائم الواقعة بين الآباء والأبناء و (الأصول والفروع)

يكون نشوء الخلافات الأسرية والاجتماعية بين الآباء والأبناء بتكرار وبتعدد علاقاتها المتداخلة والمتراصة، حيث قد تأخذ بذلك منحاً صعباً ينجم عنه انحرافاً خطيراً قد يؤدي إلى ارتكاب جريمة، تكون نتيجة لتطور الصراع الأسري مثل ما صرح به المفكر الشعبي:

«اللي عطى رزقو لوليدو أحفر قبره بيده» [159]ص46. يظهر من خلال نمط هذه الجريمة على أنها ذات منفعة مادية اقتصادية قد يكون استغلال هذا الإبن لنمط المعاملة المرساة اتجاهه من طرف والديه، على أساس البنية السلطوية والتي تكون المرجعية الثقافية للأسرة والنسق القيمي الأخلاقي الدائر على محورها وما قد يشوبه من انحرافات و معتقدات خاطئة أدت إلى عدم التفطن و تدارك لتوقعات هذا الموقف الناجم عن هذه الجريمة كما يمكن أن تكون خلفيتها هو وجود الرغبة في رد الاعتبار لذات الشخص وانتقاماً للنفس وصورة سلوكية تترجم وجود نمط معاملة، قد تتخللها أخطاء كمفاضلة بين الأبناء على اعتبار خصائص قد تكون نفسية أو شخصية أو لاعتبارات ومزايا اجتماعية موضوعية مثل أداء الأدوار والقيام بالوظائف وممارسة الأعمال والنشاطات الخاصة بالحياة الأسرية الاقتصادية والاجتماعية، كما قد تأخذ هذه المفاضلة بين الأبناء توجهاً آخر يكون بين الكبار والصغار من الأبناء، خاصة إذا كانوا ينتمون إلى نفس المرحلة العمرية، على أن تكون مرحلة النضج في أغلب الأحوال.

وبالنظر إلى أثر عامل السن الفارق بين الآباء والأبناء، والذي يرمز إلى انتماء كل منها إلى جيل معين، ما قد يؤدي إلى ظهور نزعة الميل إلى القيم والمعايير التي يتمسك بها كل منهما، وتتجه في الاتجاه الصحيح والصائب على أن الجيل القديم يتمسك بقيمه وعاداته وتقاليده ويخشى التعبير، والجيل الجديد يسعى دائماً نحو التحول والتغيير والتجديد. فإذا لم يحدث الوفاق والتفاهم على أساس ما يتشبهون به من هذه القيم من الجيلين، فإن عواقب السلوكات الانحرافية وانعكاسها في ذلك، حيث تأخذ الصراعات بين كل من الآباء و الأبناء منحاً سلبياً، كما في المثل السابق فإن وقوع الجريمة قد لا يمكن إنكاره أو تجاهله. إذا ما زادت حدتها، واشتدت قوتها، كما يظهر في المثل نفسه نمط الجريمة المتمثل في إعتداء الابن على رزق أبيه، بأنها جريمة من الفروع إلى الأصول وتتعلق بالنعوت نفسه (الجنس)، فالمخيلة الشعبية من خلال تصورنا نحو تغيير القيم من الإيجاب إلى السلبية، التي تترجمها السلوكات الانحرافية اتجاه الأصول والخروج عن المعايير التي حدد إطارها العرف والعادات الاجتماعية، بخصوص هذا النمط للجريمة داخل العائلة ويظهر نص المثل الشعبي التالي:

«عندما يكثر الحجاج يغلا الجاج، الغني يولي محتاج والبننت تولى على بوها
تعواج» [149]ص74. يظهر أن هذا المثل حديث النشأة، يعكس الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي

المعاصر، كما أنّ صاحب المثل استعان بالزمان وقصد إليه للإشارة إلى ظواهر مختلفة، الاجتماعية منها وفي علاقتها بالظروف الاقتصادية الواقعة والتي تتعرض للتغيير الذي هو جزء من التغيير الاجتماعي وعن الظاهرة الخاصة بانحراف البنت، يكون قد أعطى صورة نمطية عن هذه الفئة الاجتماعية كاشفاً بذلك عن رؤية دينية باعتبار علاقتها بالجانب الديني الإسلامي، حيث تنص تعاليمه بخصوص هذه الظاهرة بوجوب طاعة الأبناء لأبائهم، يعد تناقص وتباين الأفكار واختلاف القيم بسبب التغيير الاجتماعي الثقافي والحضاري بين الآباء والأبناء، باختلاف أنماط وأساليب الحياة الاجتماعية على أساس انتساب كل منهما إلى جيله، كالحرمان المتعدد الأشكال الذي عرفه المجتمع الجزائري وما نجم عنه من آثار سلبية، كإنتشار الفقر والجهل والامية، والتخلف الثقافي وإعاقة تقدمه الثقافي الحضاري نجم عنها بدورها تكون بنية فكرية ومعتقدية قائمة على أساس المعارف العامة التي يغلب عليها نمط تفكيري خاضع للتجربة والممارسة اليومية الاجتماعية، فلا مجال لوجود الوسائل التعليمية التنقيفية في الغالب، المستمدة من أسس ومناهج نظامية علمية وفكرية موضوعية أكثر منها ذاتية وكذلك في جانب منها، ما يتعلق بالدين وقصور الوعي بتعاليمه، انعكاس آثاره على التطور الثقافي والفكري والأخلاقي، غير أنّ هناك من الفئات الاجتماعية التي حظيت بفرض في الحصول والنيل من هذه المعارف العلمية الفكرية في إطارها الثقافي والديني والأخلاقي، ونقصد بهذه الفئات التي عاصرت فترة الاستقلال الوطني خصوصاً، وهذا كان عاملاً مؤثراً في ظهور التغييرات الاجتماعية، بعد فتح مجالات العلم والمعرفة لكل من هم في سن ذلك، نتج عنه النضج العلمي المعرفي، عمل على ظهور الحراك العلمي في مناهج الاجتماعي.

3.3.1.6. وجود صراعات الاجتماعية المؤدية للجريمة بين الإخوة

وبالنظر لقيم ومعايير المجتمع التقليدي المحافظ عليها والمتسمك بها، لا يقبل التغيير بسرعة وبسهولة إلا بعد امتداد وبعد النظر في تقبله للقيم الجديدة، خصوصاً اتجاه فئة الإناث التي لا تحظى بحقوقها مثلما تحظى بها فئة الذكور، حيث تحرم الفتاة عليها الكثير من المنافع والمكاسب الاجتماعية منها قضية التعليم، والعمل خارج البيت خاصة في وقت مضى، مما قد يعرضها لكثير من الضغوط النفسية والاجتماعية تؤدي إلى نشوء صراعات، وفي أثناء وجود نمط معاملة أسرية قائمة على التمييز التفاضلي بين الجنسين تدعمها في ذلك ضعف السلطة خاصة من جهة الأب، أو في حالة غيابها، قد تدفع بوجود الأخ الأكبر خاصة إلى استغلال هذا الوضع الأسري في إظهار حيازته للسلطة وفرض بذلك سيطرته على أفراد معينين من أسرته وهم الإناث (الأخوات)، مثل ما صرح به المثل الشعبي التالي:

«الناس تغلب الناس وهو يغلب عايشة أختو» مأخوذ من عند العامة. وفي صياغة أخرى «الناس تبطني وأنا أبط خيتي عايشه» [18]ص228. تظهر الصياغتين المختلفتين لنص المثل على أنه يرمز لمصدرين يكون قد نشأ من أحدهما ونقصد في ذلك البيئته، قد تكون ريفية أو حضرية حيث يدين المنحني

اللفظي للمثل، الذي يعني تعرض المثل للانتشار والتحويل. حيث تعد هذه الجريمة المصرح بها في المثل قائمة على أساس غير متكافئ القوي الفيزيقيّة وهذا هو المقصود الظاهر والذي كشف عنه صاحب المثل في النص مماثل للمعنى المقصود

«قاع الناس تغلبنى وأنا نغلب خيرة خيتي»[18]ص228، فهذا النوع من الجرائم الواقعة بين (الأخ والأخت) لا تخرج من إطار كذلك الصراع الذي تولد عن الضغوط النفسية والاجتماعية الشخصية التي يعيشها كل من الأخ والأخت الناجمة عن الظروف والوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة حيث «توصلت العديد من الدراسات إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة العنف الأسري والظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة مثل الفقر والبطالة والآفاق المهنية المحدودة وعدد الأطفال»[160]ص9. حيث يكون لوجود الصراعات بين الأخ والأخت ترتبط صلتها في نسبة كبيرة بالبنية الاعتقادية المميزة للعقلية المجتمع التقليدي الجزائري، المعبرة عن القيم العائلية الجزائرية التقليدية المحافظة في الجانب العاطفي والاجتماعي المتعلق بعلاقة المرأة بالرجل، على أن هذه العلاقة خارج إطار الزواج، فهي تخضع لقواعد ومعايير تبدى في ذلك «أنّ الأنثى في المجتمع التقليدي تمثل جانب الشرف والعفة والحرص»[18]ص22.

ويعد تساهل العرف الاجتماعي للمجتمع التقليدي عامل يؤدي إلى تعزيز السلوك الاجرامي للذكر (الأخ) اتجاه الأنثى (الأخت) تتجلى بعض مظاهر التدخل والحرص على معرفة تصرفات الأخت خاصة بحياتها العاطفية، بما في ذلك العلاقات التي تربطها مع الآخرين، كعلاقات الصحبة، خصوصا مع الجنس الآخر.

تؤدي النزاعات الإجرامية والميل للسلوك الاجرامي لدى الأفراد من العائلة كوجود الشخصية السوسيوباتية (المضادة للمجتمع)، وباعتبار الفروق الفردية والشخصية، وأثر العوامل التنشئة الأسرية في ذلك إلى توتر العلاقات وظهور الخلافات المتكررة المفضية للصراعات العائلية (بين الإخوة) وتقع على إثرها الجريمة بشكل عام، وقد شملت مجموعة الأمثال المتضمنة في تعبيرها عن هذه الظاهرة (الجريمة) في المحيط العائلي، العاكسة لتفكير الجماعة ونقدها وتقييمها لنمط العلاقات الأسرية من هذا الشكل أصراعي، كما رصده المثل التالي:

«بيت الحس تفترق أو تنحرق» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي صياغة أخرى «دار الخصام تفترق أو تنحرق»[161]ص49. تظهر الدلالة الاجتماعية للمثل في التعبير عن ظاهرة العنف الأسري التي أشار لها المخيال الشعبي بعناصر لفظية (مصطلحات) يكون استعان بها في ذلك، للتعبير عن هذا الشكل من العنف الأسري والمؤدي للجريمة، من خلال حيز مادي هو "البيت" التي قصد بها الأسرة، أما

العنف أشار إليه وعبر عنه باللفظ المعنوي وهو "المس" وفي الصياغة الثانية "الخصام" حيث تؤدي انعكاساته إلى حدوث تفكك أسري، تتولد عنه ظواهر سلبية كالطلاق، إنحراف الأحداث والتشرد حيث تتعلق العوامل المؤثرة في حدوث هذه الظواهر الناتجة عن بعضها البعض إلى الخلل الوظيفي الذي تتميز به السلطة داخل محيط الأسرة، والذي يعكس ضعفها أو قصورها، هو ما قد يعني عدم القدرة والتمكن من التصدي للانحرافات السلوكية بالأساليب المستخدمة الملائمة للموقف من أشكال الضبط الاجتماعي لدى الأسرة اتجاه أفرادها سواء لجوءها إلى أسلوب الردع، أو المعالجة السلوكية، ومحاولة إصلاح الفرد، وبفشل العائلة في ذلك الذي قد يضطر من أفرادها إلى مغادرتها، بسبب هذه الصراعات وإفرازاتها الاجرامية التي أصبحت الواقع السائد للحياة الاجتماعية الأسرية لها، وقد تتقطع نتيجة لذلك صلة الأرحام -التي حرص ووصى بها الله ورسوله وهي من أهم أسباب سعادة الفرد في حياة الدنيا والآخرة- بين الإخوة نوعا ما بسبب تقلص العلاقات الأسرية، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الاضطراب للعلاقة القرابية الأسرية حيث يذكر في ذلك «من ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصبهم هلكة فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداة عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب» [132]ص249.

باعتبار وجود أثر نوع السلطة الأسرية، فإن انعكاسها على نمط المعاملة الذي سوف يوسع دائرة الصراعات بين الإخوة عبر المراحل العمرية التي يتعرض لها الفرد للتنشئة الاجتماعية الأسرية، خصوصا ما تعلق بتنشئة الطفل، التي اعتبرها بداية ظهور الصراعات ونموها، إلى غاية وصولها في مرحلة عمرية متقدمة يصعب فك خيوطها نتيجة للفروق الفردية الشخصية المختلفة منها الجسمية والعقلية والمزاجية، وحسب ما أشار إليه المثل باللهجة القبائلية في الموضوع الفكري للمخيال الشعبي:

«أمنوع أبا ثمان ذوق ربي ق مائسن» [162]ص122. ومعناه أنّ الصراعات بين الأبناء.... تحل وديا في أثناء حياة الوالدين، والذي يعني أن وجودهما (الوالدين) قد يساعد في التخفيف من وطأة واشتداد هذه الصراعات وكلما كان هناك بروز للأدوار ووظيفتها اتجاه الحياة الاجتماعية تتجلى خلالها أنماط معينة للشخصية الفردية، كما يدل في ذلك المثل القبائلي «بارزا أشاق واين بيز» [162]ص122. والمعنى أنّ الأطفال الصعاب (المنحرفون) يشكلون معاناة لوالديهم.

4.3.1.6. أثر غياب السلطة الأسرية في وجود الأهداف والمصالح الشخصية المادية

يعد استغلال وضعية معينة للسلطة كغيابها أو قصورها بشكل واضح وتأثيرها نتيجة عوامل متعددة داخل الأسرة خاصة إذا كانت غائبة كغياب الأب نتيجة وفاة، خصوصا فيحمل من لهم صلة

قربانية مع هذه العائلة إلى السعي والتوصل إلى تحقيق أهدافهم وغاياتهم مثل ما يتبين لنا في المثل الشعبي التالي:

«خالي خلاني وعمي عماني يحرق جد البو إلى خلاني» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي صياغة أخرى نجده: «خالي خلاني وعمي عماني ويح بوبا إلي خلاني» مثل مأخوذ من عندا لعامة. نجده كذلك بصياغة التالية: «الخال يخلى والعم يعمي» [161]ص66. كما يمكن أن تكون استغلال الوضعية الأسرية الناتجة عن تفكك أسري كالطلاق.

يظهر أن المثل المصرح به من طرف قائله التي تعرض هذه الجريمة المتمثلة في الاحتيال والنهب، على أن الشخص الأول هو "الخال" هو مرتكبها، وعن نمط الجريمة الثانية التي قصد بها الشخص الثاني وهو "العم" تظهر في بث هذه الشخصية لمجموعة القيم والمبادئ التي تظهر إنها منحرفة وخطيرة مثل التحريض على القيام بأنفعال تعرض فاعلها إلى العقاب. وهنا يكشف عن المرجعية الثقافية والتنشئية لهذه الشخصية (العم) وتأثيرها السلبي على السلوك الاجتماعي ومن ذلك في بناء شخصية المصرح بالمثل مما أدى به إلى إثارة غضبه وانفعاله الشديد المتضمن لأشكال من الحقد والتذمر والتهم على قريبه وخصوصا والده الغائب. ويبدو أن استفاقة وتفطن هذه الشخصية الضحية كان بعد فترة معينة قد ترتبط بسن النضج العقلي الأخلاقي، يعنى أن القريبين قد استغلا المرحلة العمرية للإقدام على أفعالهما الإجرامية ضد قريبهم كان في مرحلة معينة كالمراهقة، حيث في هذه المرحلة يكون التأثير على سلوك الفرد قد يتجه إلى الانحراف أكثر من السلوك غير أن خلفية هذه الأفعال والقصد منها هو خارج إطار مجال الجريمة قد يكون العكس -أي أن هذه الأفعال غير إجرامية- على أن القصد منها هو انحراف القريب. حيث يمكن أن الدافع لهذه الأفعال ليس وجود مصالح وإنما كانت انعكاساتها تدرج في إطار الجريمة وهذا راجع إلى نقص الخبرات المعرفية الثقافية في إطارها الاجتماعي والاقتصادي، كما يمكن أن تكون العلاقات الاجتماعية بين قريبي هذه الشخصية -الضحية- تعود أسبابها إلى وجود خلافات ونزاعات أدت إلى إفضاء صراعات اجتماعية بين كل م العم والخال وقد تشمل كذلك أب الشخصية الضحية.

ويكشف المثل التالي نمط آخر للجريمة يشبه مضمون المثل السابق ونصه:

«الدار دار بونا والكلاب طردونا» [147]ص143. وفي صياغة أخرى «الدار دار بونا والناس ينازعون فيه» [149]ص69. أثر غياب السلطة الأبوية خصوصا واستغلال هذا الوضع الاجتماعي للعائلة من طرف أشخاص قد يكون لديهم روابط أسرية قربانية معهم واستغلوا عامل السن، مثلا كأن يكون سن الأحداث أو عامل النوع (الجنس) على أن تكون فئة الإناث، كما يمكن وبغض النظر عن أثر

فقدان أو غياب السلطة الأبوية، ناتج عن العلاقة الأسرية في إطار نظام الزواج، إعادة الزواج مرة أخرى، من طرف الوالدة والاستقرار في بيت الزوجية الجديد، حيث يكون لهذه الزوجة أولاد من الزوج الأول ووجود أولاد للزوج (الثاني) من زوجته السابقة، مع وجود فارق السن، فإذا ما حدث غياب (وفاة) للزوجين الأول، يظهر بذلك التنازع بين الأبناء -الفروع- المفضية للصراعات المؤدية لوقوع هذا النمط الإجرامي المتمثل في طرد هؤلاء الأفراد الذين لديهم الأحقية في ملكية المسكن العائلي الذي يأويهم، حسب الصيغة الأولى المعبرة عن الجريمة، كما يمكن أن تكون هناك علاقة لوقوع هذه الجرائم بالأوضاع التاريخية التي عايشها (عرفها) المجتمع الجزائري إلى الوجود العثماني مثل العلاقة الأسرية التي أدت إلى ظهور فئة الكراغلة «...ظهرت فئة جديدة من المولدين العثمانيين من أمهات الجزائريات وكان أبناء هذه الفئة يطمعون بالميلاد واللغة والانتماء العائلي إلى الصعود إلى الرتبة الأولى في المجتمع ولكن.... منعوهم واعتبروهم كراغلة غير أصليين، أو أبناء عبيد» [163]ص155.

ومن خلال شكل البنية السلطوية الأسرية كما يظهر في المثل التالي:

«اللي ما عندها رجال تخبط صدرها بالحجار» مثل مأخوذ من عند العامة. حيث تكشف عن الوضعية التي كانت تعيشها الفئات المستضعفة وتعرضها للعنف والعدوان داخل البنية الاجتماعية للأسرة، و يعكس هذا الأوضاع المتردية القائمة على الظلم والاضطهاد واستغلال الاجتماعي للفرد القوي وتسلمته على الفرد الضعيف، والاعتداء على شخصه وأملاكه، ويتبين على الأرجح أن هذا الوضع الاجتماعي السائد له علاقة بالوجود العثماني في الجزائر، حيث سادت ظروفًا أدت إليها تمرد السلطة الحاكمة وما نجم عنها من اعتداءات إجرامية في فترة معينة من حكمها: «فضلا عما كانت تحدثه لديها من نفور تلك الانحرافات الكثيرة التي سجلتها الإدارة التركية أو البايك، نتيجة طغيان وازع الارتزاق والاستبداد العسكري» [164]ص24. وهذا يعني أن الفئات الاجتماعية التي تأهلها مكانها ونظرا لوجودها في مكانة اجتماعية تفتقد فيها دعائم القوة والحماية والمدافعة الاجتماعية، يظهر أنها تركز على أساس وجود العنصر الذكوري (الرجال) حسب ما صرح به نص المثل، فيظهر أن المرأة تمسها هذه الوضعية قد تكون أرملة على الأرجح، فاستغلال هؤلاء الأشخاص مكانتها الاجتماعية لارتكابهم للجريمة ضدها، الذي يجعل هذه الأرملة تتعرض بكل سهولة للسيطرة والاعتداء على حرمة أملاكها المادية منها والمعنوية، وشعورها بذلك بانعدام الأمن وفي غياب من يصد عنها العدوان من الرجال والمدافعة عنها، فإنها تعرض نفسها إلى الهلاك وهذا ما أراد الإشارة إليه في المثل من خلال إقدامها على إلحاق الأذى بنفسها بواسطة الضرب بالحجارة على صدرها وهذا تعبيرًا عن تهكمها وسخطها نتيجة لما تتعرض له من اعتداءات إجرامية متكررة مفضلة بذلك الموت، على تحمل هذا الاضطهاد والاستغلال الاستبدادي السائد في المجتمع «فإن هناك ثورات عديدة قد وقعت في العهد العثماني فبعضها كان له طابع ديني... وبعضها كان له دوافع اقتصادية،.... كانت أحيانا ثورة طريقة

صوفية بأسرها أو ثورة قبلية كاملة... وأحيانا ثورة جهة وأخرى ثورة عائلة»[163]ص210. حيث يظهر أن هذه الممارسات الاجرامية أدت إلى تكون الصراعات نتيجة للظلم والاستغلال الاضطهادي الذي كانت تتعرض له الفئات المجتمعية الجزائرية في تلك الفترة التاريخية السلطوية التي تميزت بحكم العثمانيين (الأتراك) في الجزائر.

وقد كان للتغير الاجتماعي الذي عمل على ظهور أنواع من الحراك الاجتماعي في المجتمع الجزائري، حيث مس عدد من الفئات والأفراد، وظهر بذلك علاقات اجتماعية جديدة ومغايرة داخل المحيط الاجتماعي الذي ظهرت فيه هذه العملية الانتقالية (الحراك الاجتماعي) ونقصد في هذا الجانب العلاقات الأسرية القرابية، مثل ما يظهر صرح به المثل «الدار داري ورجعت كراي» مثل مأخوذ من عند العامة، ويعني أن هذا الحراك قد نجم عنه وقوع اعتداءات على الأغراض والمنافع المادية لدى الأشخاص الذين عرفوا هذه الظاهرة الاجتماعية حيث قد تكون لها علاقة بتعرض البيئة العائلية الجزائرية لتغيرات اجتماعية ناجمة عن آثار الاحتلال الفرنسي للجزائر، «أهم عامل مس كيان العائلة الجزائرية ظاهرة الهجرة بنوعها الهجرة الريفية كالمناطق السهلية... ثم تطورت إلى هجرة داخلية نحو المدن الجزائرية... ثم ظهرت عملية أخرى للهجرة نحو الميتربول»[146]ص8. الذي يكون المصريح بالمثل قد أصبح عرف هذا النوع من الهجرة خارج الوطن (الجزائر) وعند عودته إلى أرض الوطن، وجد أنّ مسكنه قد أصبح شخص آخر ومن خلال التصريح المتضمن في نص المثل في إشارة لهذا النمط من الجرائم، الذي فيه يظهر عدم تمكن هذا الشخص المهاجر من استرجاع مسكنه الاجتماعي حيث استغل الشخص أو الأشخاص الذين يكونوا استغلوا غيابه (هجرته) لارتكاب جريمتهم المتمثلة في الاستيلاء على المسكن عن طريق الاحتيال واستغلال مدة غياب صاحب المسكن في المهجر للإستيلاء على ملكيته التي أقرها من خلال الدلالة الرمزية الظاهرة في نص المثل والمعبرة عنها "داري" على أنه خير مكان يرمز لهذه الملكية الخاصة، أراد من خلالها تفسير شيء آخر ويتعلق باضطرابه لكرام مسكن آخر وعملية الكراء هذه جاءت نتيجة لهذا الفعل الإجرامي.

وإذا كان هذا الشخص قد رضخ للوضعية الجديدة الناتجة عن عدم تمكنه في استرجاع مسكنه من طرف هؤلاء الأشخاص الذين يظهر أنه تربط بهم رابطة أسرية دموية -أي أقارب- قد تكون دوافع هذا الاعتداء الإجرامي لا يخرج عن إطار وجود صراعات، تكون نتيجة للخلافات وعدم التفاهم عن الظروف أو الأسباب المتداخلة في وقائع هذه الجريمة، وتبين في هذا الجانب ما صرح به في تشابه هذا النمط للسلوك الإجرامي الواقع بين أفراد لدى العائلة في المجتمع التقليدي، «الدار داري وأنا مولاه»[147]ص197]. فصاحب المسكن من خلال التصريح بملكيته الخاصة بالمسكن، وإعلانه بذلك عن عدم التنازل عنها ومغادرتها، إذا ما اعتبرنا أن الواقعة المقصود بها وقوع اعتداء على ملكية هذا المسكن، أو تتعلق بوجود محاولة للقيام بهذا الاعتداء، مما قد تكون خلفيتها وقوع نمط من الأنماط

الإجرامية بين الأشخاص (أفراد) أو جماعتين تنتميان إلى قبيلتين مختلفتين، حيث نجد أن وقوع الجرائم بين القبائل يؤدي إلى إثارة النزعة العصبية القبلية وقد تكون العامل الأساسي الذي تتحدد من خلالها التفاعلات العلاقات الاجتماعية في مختلف صورها كالتعاون والتنافس مع الجماعات المجتمعية في المجتمع التقليدي الريفي والتقليدي بشكل واضح مما هو في المجتمع المعاصر وتماشيا للمرجعية الثقافية من نظم وضوابط وقيم ومعايير، وتصورات، أنماط سلوكية.... وإلى تطبع ثقافة وشخصية المجتمع القبلي في جوانبها المختلفة النفسية، العاطفية، الفكرية.

وفي هذا الإطار نحاول معرفة والتطلع لحقيقة طبيعة الصراعات القبلية المفترزة والمؤدية للجريمة.

2.6. تأثير وقوع الجريمة في إثارة العصبية وخلفيتها الصراعية القبلية

1.2.6. خطورة تشكيل الصورة النمطية الإجرامية عن المجتمع القبلي

تعد الأمثال الشعبية سجلا هاما يحفظ جزءا من الإرث الثقافي والاجتماعي في السياق التاريخي والسياسي والاقتصادي، تعكس البنية الاجتماعية الثقافية التي من خلالها تقوم على تقوية دعائم كيان المجتمع الثقافي والشخصي ووحدته المجتمعية الشاملة لجماعته، غير أنه وفي وجود عوامل (متغيرات) مختلفة الاتجاهات والأبعاد، سواء كان لها أهداف فاعلة إيجابية يسعى أصحابها إلى إحداث التقدم والتطور الاجتماعي والحضاري في الإطار الثقافي أو أنها تسير في عكس ذلك لوجود أطماع ومصالح متعددة الأشكال، كما هو عليه حال الاستعمار إلى جانب الهجرات الوافدة على المجتمع الجزائري، الناتجة في أسبابها كالتفوحات الإسلامية وما عاقبها والتواجد العثماني، والهجرات الناجمة عن السياسة الاستعمارية الفرنسية، إضافة إلى هجرة الأندلس والوجود العثماني، تعتبر عوامل ساهمت بشكل واضح في عدم تمكن المجتمع بمختلف شرائحه ذات الأصول العرقية المختلفة، من الانصهار والتوحد في الجماعة الواحدة التي تضم كل المجتمع، وهذا يرجع إلى أن كل واحدة منها تحمل تراث ثقافي بما يشمل من قيم ومعايير وعادات وتقاليد ومعتقدات تتمسك به وتعزز به لدرجة التعصب إذا ما واجه تضاد أو تهجم عليه، فـ: «المجتمع الجزائري بمختلف انتماءاته العرقية (عربية، بربرية، إفريقية أوروبية، متوسطة) هو في غالبيته ذو طابع فلاحي فيما خلا بعض الجيوب الحضرية المتأصلة في المدينة الموروثة عن تاريخ طويل...» [165] ص 95. قد جعل هذه الشرائح المجتمعية تعيش حياة جماعية في نطاق جماعات منفصلة يسودها الانغلاق والانعزال نوعا ما بسبب الخلافات المؤدية إلى تقليل فرص الاتصال والتفاعل الاجتماعي بينها لتفادي التصادم والذي يعني إخفاق وفشل التعايش السلمي بينها إلى حد ما بينها أكثر من تعايشها، وينطبق هذا المثل بالنسبة للشرائح في بيئتها الاجتماعية الثقافية (البدوية /

الضرية)، ويكون للوجود الاستعماري الفرنسي عامل رئيسي زيادة عن إمكانية وجودها قبل احتلاله للجزائر الأثر الرئيسي الذي زاد إفراز هذا النوع من الصراعات الاجتماعية، نظرا للسياسة التي عمد بها إلى تشتيت وحدة هذه الجماعات وبتفريق منها، وتكون الأمثال الشعبية باعتبارها أكثر التصاقا بالحياة الاجتماعية فإنه بإمكانها صد مجموعة من السلوكات والوقائع الإجرامية الناتجة عن تصادم أفراد وجماعات هذه بانتماءاتها القبلية المختلفة، والتي نعتبرها (الأفعال الإجرامية) من قذف واستهجان وتشهير، تعطي بذلك صورة نمطية عن تلك الجماعة القبلية (المجتمع المحلي) من خلال الشخصية الفردية كذلك مثل ما هو مصرح به.

«مايه يهودي ولا بليدي» [150]ص23. وهو مثل شعبي معروف في أوساط اجتماعية والمجتمعة القبلية المختلفة، وحسب المعنى المقصود والذي أخذناه من المرجع نفسه فهو يرمز لشح الرجل البليدي وبخله، وصفة تتميز بها الجماعات اليهودية بالإضافة إلى صفات أخرى منها (المكر، الخداع) الحرص على أمور الدنيا ومتاعها: كالمال والثروة «اليهود (بخلاء، ماكرون، مجتهدون، طماعون، ماديون، متدينون» [110]ص78. إلى جانب الأخبار المتعلقة بهم وسلسلة الأنماط الإجرامية المعروفة عنهم من ما نزل في الكتب السماوية، ونقصد بذلك القرآن الكريم، كقتلهم الأنبياء، ومخالفتهم الوعود ونقص العهود، والتمرد والعصيان، قد يجعل المعنى المقصود الذي عبر عنه المفكر الشعبي يتجه ويصب في الجانب التاريخي الاجتماعي الثقافي وهذا سلبا على الشخصية الجماعية لأفراد هذه الشريحة المجتمعية وتشكيل بذلك صورة نمطية محددة بهذه الصفات الذميمة، عنها ومن خلال كذلك الأفعال الإجرامية الشائعة عن الجماعات اليهودية، على أن الخصائص العامة الاجتماعية والثقافية والجماعات القبلية، والتي تميز شخصيتها لا تخفي أثر للشخصية الفردية بما تحمله من قيم ثقافية مصدرها الجماعات الأولية، والتي تكون أهمها الأسرة وجماعات الرفاق، أو جماعة العمل، حيث تشارك في بناء واكتساب شخصية الفرد ومن خلال ظروف وأوضاع اجتماعية ثقافية المحيطة بالبيئة. وما قد ينجم عنها من اكتساب للقيم والاتجاهات السلبية تدفعها في ذلك للاستعدادات والميول والأهواء سواء منها الفطرية الوراثية أو المكتسبة والتي تطبعها النزعة الإجرامية، تجعل هذا النمط من الشخصية ذات طبيعة عدوانية وعنيفة في تعاملها مع الآخرين، وتأخذ ويغلب على مواقفها واتجاهاتها والطابع السلوكي والقيمي العدا والتعصب في منحاه السلبي أكثر من منحاه الإيجابي «يتضمن الاتجاه عنصرا انفعاليا يعبر عن تقييم الفرد ومدى حبه أو إستجابته الانفعالية لموضوع الاتجاه» [110]ص174. وقد يكون خطيرا، قد يتجاوز حدود معايير الجماعة وتأثيرها على تكون الاتجاه ويكشف المثل التالي في نصه:

«العربي عشبه للمال وحطبة لجهنم» [167]ص144. شكلا من التعصب للجماعة في انتمائها العرقي ومن خلال تصريح نص المثل من طرف قائله، على أن يكون ابن أصول عرقية غير عربية، الذي يؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية من خلال ضعف وتناقص فرص الاتصال والتفاعل بين

الجماعات ونشوء الصراع القبلي بين أفرادها، ويزداد بذلك الاعتزاز والولاء للانتماء للجماعة القبلية، وتقييمها وعاداتها، وذلك من خلال صدور أحكام قيمية تتعلق بانحرافات أو سلوك إجرامي صادر عن شخص معين، بإرجاع وإصاق الدوافع لتلك السلوكات الانحرافية أو الإجرامية بالمرجعية العرقية والثقافية المتمثلة في الجماعة القبلية وبذلك فهو يعد بمثابة وصمة إجرامية تميز كل أفراد هذه الجماعات وصمها بعيوب منافية للشخصية العربية بشكل عام، فإذا كان "العرق دساس" وهو قول منسوب إلى للرسول صلى الله عليه وسلم، يعني أنّ هناك من الأفراد في الخصائص العرقية الوراثية والمكتسبة، يميلون بحكم هذا التوجه المعرفي الخاص بهم والذي يدفعه إلى مثل هذا النمط السلوكي ذو النزعة الإجرامية اتجاه الإنسان الآخر ووضعه بالقيم السلبية والدونية، «السلالة سلالة والعرق جباد» [149]ص64. مما يجعل كذلك أن السمات الشخصية الفردية والأنماط السلوكية للشخص يتم تحديدها وتقييمها بانتسابها للشخص نفسه وشعوره بها في حدودها الفردية ولا تتعدى بإصاق وإحق مساوئها أو محاسنها في إطار الانتساب العرقي القبلي «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم». يظهر تأثير الثقافة العربية الإسلامية في هذا الجانب النفسي الاجتماعي الأنثروبولوجي، في أنها استطاعت إذابة الفوارق الاجتماعية والعرقية إلى حد ما، وتوحيد المجتمع بمختلف جماعاته غير أن وبحكم التواجد الاستعماري الفرنسي، الذي على توظيف أساليب متعددة ومتنوعة الأشكال وزرع الخلافات والخصومات بين أفراد المجتمع الجزائري والتفرقة بينهم كان من بينها استغلال عامل العرق. «والعنصر العربي الذي يعتبرونه وافدا على البلاد في غزوات همجية ما انفكت تتلاحق بعد الفتح الإسلامي، واستوطنت البلاد لتنافس أهلها الأصليين لقمة العيش، إلى أن جاء الفرنسيون أبناء عمومة البربر» [3]ص8. وقد ظهر أثر هذا العامل بشكل جاد واشتدت ضغوطه العنصرية مع قيام ثورة التحرير الوطني.

«العربي كحل الراس كويه لا تداويه» [3]ص94. وهو مثل يعود في أصله إلى المستعمرين الفرنسيين الذين أطلقوه على الأهالي العرب معاناة في الإهانة والاحتقار والإذلال... وهذا الإضعاف قوة الثورة والعمل على إفشالها فاستخدام المثل باعتباره يؤدي إلى التأثير توجيه السلوك ويحمل قيما قد تكون سلبية فيعمد إليها أعداء المجتمع من ضعاف النفوس، وظهور بذلك الصراعات القبلية غير أنّ محاولات هذا المستعمر الدسيسة لم تنجح في تحقيق خطتها، إلا أنّ آثار هذا المستعمر منذ احتلاله وسيطرته على هيئات ومؤسسات المجتمع وانعكاسات ذلك بظهور الحرمان الثقافي والتعليمي، وما نتج عنه من جهل وتخلف اجتماعي وثقافي وانتشار الأمية قد هيأت لأوضاع اجتماعية سادتها الانفلاق والعزلة بين الجماعات المجتمعية، فأدى إلى وجود العلاقات الاجتماعية وديناميكيته في إطارها القبلي المحلي، يتكون لدى أفرادها اعتقادات متشابهة تنزع لإعطاء صورة نمطية بأحكامها القيمية التي يكون مصدرها إثارة العصبية القبلية، خاصة إذا تعلق الموقف بوقوع الجريمة.

«المتيجي إلي يحصد للجدر عينو في التبن»[147]ص277. ومضمون هذا المثل يدخل في إطار النمط الفكري المعبر عن الأيديولوجية القبلية الخاضعة والمشدودة بالعصبية الدموية القرابية وتفسيرها للسلوك على أساس الممارسة العملية بما يميزها من اختلاف في أداء تلك الأعمال والنشاطات، مثل ما تبين في مضمون المثل، على أن ذلك قد يرجع إلى اختلاف الطقوس في القيام بهذا النوع من النشاط الزراعي، حيث يظهر أن الفكرة التي أراد توضيحها أساسها معرفة عفوية قد تغلب عليها الساذجة في دلالتها الظاهرة، غير أن هذا لا يخفي أن الدلالة السلوكية قد قصد إليها المخيال الشعبي، ونظرا لطبيعة العلاقات الاجتماعية بين هذه القبائل والتي فرضتها عليه العوامل التاريخية والسياسية، تقدم ذكرا، وإفرازاتها على ديناميكية العلاقات الاجتماعية القبلية، والتي منها ضعف وقلة فرص الاتصال والاحتكاك الاجتماعي أدت إلى وجوب الحذر والاحتراس واليقظة، لمتوقعات السلوك، الفرد والجماعة التي هو خارج الانتماء القبلي الواحد -يعني انتمائه لقبيلة أو شريحة مجتمعية أخرى- حيث قد تؤدي هذه التوقعات للسلوك أي تصادم القيم الاجتماعية الثقافية إلى صراعات قبلية وقد يبقى تأثيرها إلى بقائها ورسوخها في الذاكرة الجماعية.

«النابلي أقتله قبل ما يتكلم» يظهر أن هذا المثل صادر عن نفسية متأثرة جدا ومشحونة بالانفعالات السلبية، فإذا اعتبرت إيجابية ساققتها في ذلك عزة النفس ورد الاعتبار للشخصية، غير أنه وبحكم انجذاب للعصبية وتأثيرها على السلوك من خلال ما يتضمنه المثل المتمثل في دعوة هذا الشخص إلى ارتكاب الجريمة والتحريض عليها اتجاه الأفراد الذين ينتمون للقبيلة هذه (الشريحة المجتمعية) التي أشار إليها من خلال اللقب "النابلي" وهي جماعة قبلية معروفة في المجتمع الجزائري ب "أولاد نابلي" وبما أن للمثل الشعبي وقعه في النفوس، ينتشر بين أفراد وجماعات المجتمع، تحمل مثل هذه الأحكام والقيم السلبية وفي أوضاع وظروف، وبدت بخصائص اجتماعية وثقافية تشكل الأمثال الشعبية، بنيتها الثقافية والاجتماعية لغياب وسائل بديلة عنها نوعا ما والأخذ بها وتوظيفها في توجيه السلوك الاجتماعي والاتعاظ من التجارب النفسانية الاجتماعية من خلال الروابط والعلاقات الاجتماعية خاصة في هذا النوع من العلاقات بين الجماعات القبلية، وهذا يتوافق كذلك مثل ما أشار إليه مضمون المثل السابق مع المثل التالي:

«ما يجي من الغرب غير ألي يشوي القلب»[174]ص273. لقد أراد صاحب المثل تفسير مجموعة من الوقائع على أنها قد تكون سلوكيات أو مواقف على أنها منسوبة وتميز الشخصية لهذه الشريحة المجتمعية، والتي أشار إليها من خلال حيز مجالي، عبر فيه بمصطلح "العرب" قاصدا بذلك الشريعة التي تقطن الجهة الغربية للوطن (الجزائر) يظهر أن الدلالة الخفية التي أراد إيصالها ويتبين مضمونها من خلال العبارة الرمزية "يشوي القلب" هي مجموعة من السلوكيات العنيفة والإجرامية قد تكون لفظية أو فيزيقية طبع من خلالها الشخصية الجماعية لهذه الشريعة، وهي أحكام قيمية ناتجة كذلك

عن طبيعة الأوضاع والظروف الاجتماعية ، فرضتها الظروف التاريخية والاستعمارية واحتكاك من هذه الجماعات بالثقافات الوافدة إليها خصوصا في حدوث تخلف ثقافي واجتماعي والتي تنتج بدورها وهذا يعمل بدور في ظهور ظواهر سلبية، منها هذا المنحى السلبي للعصبية القبلية وتأثيرها على نشوء الصراعات القبلية، قد تصل إلى وقوع الجريمة. كما يمكن وجود علاقة لهذه السلوكات لدى هذه الشريحة المجتمعية التي وصفها بالعنف والعداوة حسب المعنى المقصود في ما صرح به صاحب المثل بخصائص البيئة الطبيعية في هذه الرقعة الجغرافية، منها المناخية. المتميزة بقلة الأمطار، تؤدي آثارها إلى ظروف معيشية قاسية، قد يكون أهمها الفقر، حيث يمكن اعتباره ظاهرة قد تكون خاصية مميزة لواقعة المعيشي لهذه الشريحة من المجتمع الجزائري التقليدي، خصوصا في فترة الاحتلال بالإضافة إلى مدى تأثير المناخ وظروف البيئة الطبيعية القاسية على طباع وأخلاق البشر، حسب ما بينه وأشار إليه عبد الرحمن ابن خلدون، فظاهرة الفقر قد تؤدي في كثير من الأحيان كذلك إلى حسب ما توصلت الدراسات في هذا الخصوص، على أن لأثر الفقر والمحيط الاجتماعي البيئي لها علاقة بالجريمة، حيث قد تتعلق حسب ما صرح به المثل بعنف السلوك الذي تفرزه هذه الظاهرة أي الفقر "كاد الفقر أن يكون كفرا" ويتعرض الأفراد لمثل هذه الظاهرة وا تؤدي إليه من عنف للسلوك أثناء المراحل التنشيطية التي يمر بها، فقد تتطبع سلوكا ته بالعنف ليصبح بذلك سلوك متعلم ومتوارث اجتماعيا كما تعد المجاعات والثورات الشعبية التي عرفتها هذه الجماعات من الإقليم المجتمعي الغربي عامل مؤثر أدى إلى إعاقة التقدم الاجتماعي الثقافي والاقتصادي، باستثناء العناصر المجتمعية الأخرى وفي نفس الإقليم التي قد لم تمسها وتتأثر بهذه الآفات الطبيعية المقترفة من ظرف المستعمر الفرنسي لأسباب تاريخية حضارية أدت إلى حدوث هجرات أعداد من السكان نحو الأراضي الخصبة لتوفر الظروف المناخية والمعيشية الملائمة للكسب والاستزراق، منها هجرة أعداد من السكان من منطقة وهران نتيجة للمجاعة التي أصابهم باتجاه بلاد القبائل، حيث يكونوا استقوا في أجزاء منها. كما كانت هناك من العائلات الفقيرة من هذه الشريحة المجتمعية تبعث بأبنائها إلى عائلات قاطنة بإقليم متيجة الخصب للاشتغال عندها والعيش عندها، إلى أن يصبحوا شبانا، ويتم إنهاء اشتغالهم عند هذه العائلات تكون عودتهم إلى عائلاتهم إجبارية أو يتحولون إلى عمال بالخماسة ويستغلون لخدمة أفراد الأسر. كما كانت هناك أعداد من الشريحة المجتمعية تأتي (تنزح) في مواسم فلاحية معينة إلى نواحي الإقليم المتيجي الخصب في فترة الاحتلال الفرنسي -دائما- لجمع وأخذ من خيرات هذا الإقليم الفلاحية، حيث يعد مؤشرا على الحرمان من الإشباع لهذه الحاجات النفسية البيولوجية الضرورية لضمان حياة الفرد وأمنه الغذائي، وهذه الدلالة التعبيرية الظاهرة في هذا المثل يمكن اعتبارها تعبيراً عن السرور لحصولهم على هذه الحاجات الضرورية للإنسان بالطريقة الخاصة بهم وكذلك المثل الشعبي المنتشر في الإقليم نفسه-متيجة- ونصه «كالغربي اللي طاح في اللنج» مثل مأخوذ من عند العامة. يعد مؤشر آخر على توافد هذه الجماعات نحو إقليم متيجة. ومن خلال هذه الأشكال للاتصال والتعامل من خلال هذه العلاقات الاجتماعية الواقعة بينها وبين الجماعات التي جمعتها

بها، قد تؤدي الأسباب خلالها إلى ظهور الخلافات والانحرافات السلوكية، نتيجة تعارض واختلاف القيم والمعايير التي تتمسك وتعزز بها كل منها، والمشدودة بإثارة العصبية في طابعها القبلي، كما يظهر كذلك من هذا المثل:

«القبائلي بالغمزة والشاوي بالدبزة» [18] ص 376. يتبين من خلال هذا النمط الجريمة المتمثلة في الاعتداء الجسدي من طرف الشخص المصرح بالمثل، في أغلب الظن، أن كل من المجرم والضحية ينتميان إلى شريحتين مجتمعيتين معروفتين في المجتمع الجزائري وهما "الشاوية" و "القبائل" حيث ربط كل من خصائص نمط شخصيته وخصائص نمط شخصية خصمه (الضحية) وحدد طابعها الاجتماعي الثقافي على أساس للقيم و المعايير التي يرى فيها أنها تميز القبيلة كل منهما، وعلى اعتبار ذلك فإن الاعتقاد السائد والراسخ لديه عن قبيلة "القبائل" ومن مبدأ اعتبار وقوع هذه الجريمة ناجم عن الظروف الفردية للشخصية الفردية، يعني ذلك حسب ما قصد إليه وبإثارة من العصبية فإن الحكم القيمي في هذا الخصوص هو لا وجود لهذه الفروق لدى قبيلته غير أنه يكون أراد بذلك إظهار البنية الشخصية والثقافية وإبراز المكانة الاجتماعية في منحها العرقي «إذ أن روح البربرية ضلت تحتكم إلى المرجعية الجماعية، وتضبط -وفقها- سلوكها وتكيفانها، وهو ما توارثته الأجيال عبر الأقطار» [164] ص 24. تعد هذه الصورة التي حدد معالمها بالنسبة للشخصية الجماعية القبلية "الشاوية" أنها شخصية تتسم بالخشونة والاندفاع من خلال تلك الفروق، حيث يعد عنصر السلوك أنه يتميز بالانحراف والعنف الذي يصل إلى حد ارتكاب الاعتداء إضافة إلى صفات السلبية التي تنفرد بها حسب ما يكون قصده، وهذا التصور الثقافي والذهني إتجاه الشخصية والتي تترجمها مجموعة من المواقف والسلوكيات بهذا الجانب للشخصية بتأثير من البنية الثقافية المشكلة لها، تفقد العوامل في ذلك إلى الحراك الاجتماعي الذي تعرض له المجتمع الجزائري عبر العهود الماضية. منها الهجرات العربية القبائل (الأعراب) التي استقرت في هذا الإقليم الذي يقطنه "الشاوية بالخصوص" كما سيكون لها الأثر الفعال في نقل الممارسات والسلوكيات الفردية والجماعية إلى المجتمع البربري. لا سيما القبائل الزناتية الضاغنة في السهوب «الشاوية»، يظهر بذلك أثر العوامل التاريخية الثقافية في هذا الإطار المتعلق بنوع السلوك والذي يبدو أنه يغلب عليه الطابع الخشونة من خلال تأصيلها بطباع تلك القبائل العربية (الأعراب) التي «... كانت وراء عملية تخشين وتبديته (من البداية) وهو الذي كان جزء منه مهياً قبلياً (المجتمع الرعوي البربري من شاوية زناته مثلاً» [165] ص 96.

ويظهر من خلال الدلالة الخفية في هذا المثل التالي:

"الشاوي مايوليش للور" مثل مأخوذ من عند العامة. وجود أثر لتلك العوامل السيوسو- الأنثروبولوجية في الإطار التاريخي لها والمتعلق بالهجرات العربية الخاصة بالقبائل (الأعراب) التي

استقرت بالإقليم الذي يقطنه "الشاوية" ومن خلال المعنى الذي يكون قصد إليه في تعبيره وتلميحه إلى سمات سامية تتميز بها الشخصية الشاوية، والتي يظهر أنه يؤكد عليها المفكر الشعبي، من خلال ترجمتها إلى سلوك، وفي أثناء المواقف الواقعة، التي قد يطغى عليها طابع العنف والاعتداء الذي يكون لفظيا أو فيزيقيا، من خلال أشكال التعامل وأنماط التفاعل الاجتماعي مع الآخرين والذي قد يعني أن الأساليب التي يلجأ إليها في فك الخلافات وفي مختلف المواقف التي قد ينجم عنها تصادم للقيم، أو تعارضها، يغلب عليها طابع الردع الاقتصادي الذاتي المعنوي للاعتداء ورد الاعتبار، باستخدام أسلوب الخشونة والاندفاع، على أنها ترمز للبسالة والشجاعة ورباطة الجأش، حيث قد يكشف كذلك عن وجود تلك الرابطة بين أثر الاحتكاك الاجتماعي المتجذر في عمق التأثير التاريخي الأنثروبولوجي الثقافي الاجتماعي، أي أن لها علاقة بطباع تلك القبائل المستقرة (الأعراب) المتميزة بالخشونة و الغلظة، التي هي خشونة وشطف العيش والبيئة الموحشة، فيما ذكره عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته في الجزء الخاص بمقارنته بين (البدو / الحضرة)، وقد تزداد قوة وحدة هذه الطباع إذا ما كانت تحركها العصبية القبلية، وتأثيرها في ذلك الذي قد يؤدي إلى وقوع الجريمة تعمل على نشوء النزاعات والعداوات والاعتداءات بين القبيلة والأخرى المتصادمة معها، وهذا يتطلب الحماية والمدافعة، لرد العدوان، والذي يظهر في الأخذ بالتأثر أحيانا حسب طبيعة النظام القبلي، وكذلك أثناء ظهور المنافسة على المكاسب المادية الاقتصادية، وما قد ينجم عنها من صراعات قبلية منحاها النفسي الاجتماعي.

وبهذا الخصوص نحاول من خلال التعرف على الجرائم المتضمنة والتي ساققتها مجموعة من الأمثال الكشف عن وجود صراعات تكون قد أدت تلك الجرائم.

2.2.6. أثر المنافسة على المكاسب والأهداف المشتركة وعلاقتها بالحماية والمدافعة

-يعد النظام القبلي المميز للحياة الاجتماعية القبلية بالنظر إلى المقومات الأساسية للبنية الاجتماعية الاقتصادية والسعي إلى الكسب والملك، وفي بيئة يغلب عليها الافتقار للمنافع والحاجات الاقتصادية الضرورية للحياة البيولوجية الإنسانية لضمان ذلك و كذلك فيما يتعلق بتحقيق الأمن والاستقرار للفرد والجماعة ومن هذه المطالب يعتبر أهمها عنصر (المعاش والأرض) أهمها، خاصة إذا كان الوضع الواقع عليها يضطرها للترحال والانتقال، وأثر حياة الشطف والسغب (الفقر) «ولعل أبرز وأحق ما يستدعي تكتل القبيلة وتوحدتهم هو توافرهم على أرض جماعية إلى جانب ملكيتهم العائلية» [135]ص146. ويعد هذا السعي في البحث للحصول على مصادر العيش القبلية يتشابه مع مثيلاتها من القبائل الأخرى، خصوصا إذا كانت مجاورة لها، يؤدي في أحيان ما وفي ظروف معينة إلى ظهور المنافسة والخلافات للإستلاء على أملاكها، وقد تزداد حدتها في حالة عدم حدوث تفاهم و اتفاق

يرضي كل من القبائل الطامحة في هذا النوع من الملك فينشأ على إثر خلفيتها صراعات بينها، وتتوتر العلاقات إلى أن تقع الجريمة والتي تتمثل في نشوب حرب بينها، مثل ما يظهر في المثل التالي:

«شرط المجاهرة على هبرة» [153] ص56. المجاهر وهبرة هما قبيلتان في الغرب الجزائري كانتا في خصام دائم على قطعة أرض المتاخمة لأرضيهما، قامت حرب بينهما فانتصرت المجاهر على هبرة، فاشترط المغلوب للمصالحة شروطا بالغوا فيها حتى ضرب المثل» [153] ص56. قد يكون الطلب الملتمس من طرف القبيلة الغالبة والمتمثل في المصالحة ناجم عن شعور بالذنب على أنها ارتكبت جريمة قد يكون المتسبب فيها أشخاص من أعضاء هذه القبيلة، يتميز سلوكها بالطابع الإجرامي، خصوصا إذا كانوا يمثلون سلطة هذه القبيلة، حيث تكون مصدر شرعيتها تستند إلى قوة وسيطرة السلطة، خاصة إذا توفرت هذه الصفات في شخصية زعيم هذه القبيلة كما قد يخفي هذا الطلب والدعوة إلى المصالحة تخوف هذه القبيلة من اشتداد الصراع وتربص القبيلة المغلوبة لمباغنتها والانتقام لكيانها وخاصة إذا وجدت لهذه القبيلة تحالفات مع قبائل أخرى وبذلك تخشى القبيلة الغالبة من تحامل هذه القبائل عليها. حيث يكون تجمع تلك القبائل المتحالفة الآلفة عن طريق عصبية (قرابة النسب) أو (قرابة السلف) مشكلة بذلك لعصبية الالتحام الجماعية، فالمثل التالي يجسد مضمونه لهذه الديناميكية للعلاقة الاجتماعية القبلية والمعبرة عن نفسية الفرد والجماعة لهذا النوع من الموقف:

«أنا وخويا على بن عمي. وأنا بن عمي على البراني». حيث يظهر القصد من الشخص الموصوف بهذا اللقب "البراني" إشارة إلى الشخص الذي يكون خارج هذا النمط من العصبية (قرابة النسب إلى الجد الواحد) الالتحام بالنسب ويتبين مدى تأثير العصبية في توحيد سلوك الفرد مع سلوك الجماعة، كاشفة بذلك صورا من العداة والصراع القبلي اتجاه الجماعات القبلية التي خارج إطار الانتساب العصبية النسبي (قرابة الدم)، وهذا يخفي في محتواه الدلالي المعبر عن القيم والمعايير والتقاليد والعادات والمرجعية الإيديولوجية التي هي من مكونات البنية الثقافية للجماعة القبلية والتي تحافظ وتتمسك بها وتنشئ عليها الأجيال مشكلة من خلال ذلك أحد بناءات الشخصية المكتسبة للفرد: «... لذلك لا وجود للتعليم في مجتمع البداوة، وإنما يمكن الكلام عن التربية بمعناه الواسع والتي تقضي إلى التنشئة العصبية» [105] ص27. يدل المثل نفسه على الامتزاج الثقافي والحضاري والتاريخي الذي أدى إليه الانتشار الثقافي الموافق للفتح الإسلامي (العربي) وبذلك الانتقال إلى النموذج من النظام الاجتماعي المتمثل في القبيلة، حيث عرف المجتمع العربي الحياة الاجتماعية في إطار هذا النظام لعهود طويلة ومازال آثاره حتى في الزمن الحاضر وهو مثل في صيغته العربية العامية الأخرى «أنا وخويا على بن عمي وأنا بن عمي على الغريب». غير أنه قد تتغير الأمور في هذا الاتجاه العصبية في إطاره الصراع القبلي ويكون بذلك التهيؤ والاستعداد للحوادث الطارئة والتي ظروف وأوضاع المجمع الواقعة، والمقصود في ذلك هو الاستعمار مثلا حيث قد عرف المجتمع الجزائري التقليدي وأثناء فترة

الاحتلال الفرنسي الكثير من الصدمات والحروب ضده، من أبرزها الثورات الشعبية، والتي كانت تقودها المجموعات القبلية في ذلك الوقت، فقد أشار إلى ذلك من خلال نص المثل التالي:

«ما جابتها مجانة وفرسانها، تجيبها مزينة وشرطانها» [153]ص27. ومضمون المثل يتمثل في واقعة في إحدى الثورات الشعبية أبرزها هو تحامل على قبائل مزينة، وقبائل تسكن شمال المنصورة، ولاية برج بوعر يرج حاليا... قامت بدور عظيم أثناء الحرب التحريرية الكبرى على غرار القبائل الأخرى... ولا شك أن المثل قبل أيام حرب أولاد مقران وسكان تلك الجهة ضد فرنسا... ولعل هذا المثل قيل أثناء أو بعد أن خسر المقراني حربه ضد فرنسا باستشهاده، وبقيت قرى تلك الناحية وقبائلها بما فيها قبيلة مزينة تواصل (الحرب) فيئس الناس من النصر، بعد مقتل القائد ورفاقه ومساعديه الأقربين، فقال القائل المثل...

علا أن كل قبائل تلك النواحي في ذلك العهد كانوا فقراء يمتنون الفلاحة ورعي المواشي وهو ما يشير إليه المثل ب (شرطانها) أي يلبسون أحذية بدائية من جلود الحيوانات ويربطونها على سوقهم وأرجلهم بأشرطة من حلفاء. [150]ص203.

يتضح المعنى المقصود المتضمن في نص المثل السابق والمتمثل في الشخص المعتدي (المجرم) خصوصا بالتصدي له، كلما أدت المواقف إلى ذلك، حسب العلاقة الرابطة التي تحركها العصبية، حيث أن المدافعة تسيير وفق هذا النمط التفكير في منحاه العصبي القبلي، وهذا يعني حصول إتحاد وتضامن جماعي لهذه القبائل، ضد المجموعات التي تهدد أمنها وكيانها، لشعورها بالخطر الواحد ويشملها جميعا، مثل الواقعة الإجرامية المرتكبة من طرف المستعمر الفرنسي التي ساقها لنا المثل، حيث يظهر أثر تحالف وتحامل هذه القبائل ضد المستعمر والتصدي لاعتدائه الإجرامية، ويرمز هذا المبدأ لهذا الموقف المتعلق بتحالف القبائل للتصدي ومقاومة المستعمر الفرنسي على وحدة القيم والمثل العليا والمعتقدات لهذه القبائل، والتي هي جزء من وحدة كيان الشخصية القومية وثقافة المجتمع الجزائري، باعتبار وحدة الانتماء الديني والتاريخي والحضاري المشترك لها (القبائل). كما يتضح وجود تفاوت اجتماعي بين هذه القبائل من خلال بقاء القبائل التي تحارب لوحدها قبائل (مزينة) إلى أن يئست دون القبائل التي فشلت قبلها، ويدل هذا التعاون الاجتماعي الاقتصادي بين هذه القبائل، على وجود صراع اجتماعي في طابعه المادي البيئي حسب التصور الذي كشف من خلاله عبد الرحمن بن خلدون والواقع (الصراع) بين (البدو /الحضر)، فالبدو وحسب ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون -دائما- مقاتلون وبواسل. ومنه فإن القبائل التي بقيت تحارب ضد المستعمر لوحدها هم القبائل نواحي القرى الفقيرة على أنهم هم قبائل البدو. أما القبائل التي توقفت عن مواصلة الحرب قبلها يكونوا هم سكان الحضر، الذين يخشون البدو، وهو ما كان سببا في عدم وجود إتحاد وتضامن قويين بين كل القبائل المحاربة وبالتالي قد يكون عاملا مؤثر على

قوة المقاومة الشعبية (المدافعة) و أدى إلى خسران المعركة، ويظهر أن المستعمر الفرنسي قد أدرك لطبيعة الديناميكية الاجتماعية التفاعلية الواقعة بين القبائل بما تتضمنه من صراعات بينهما خصوصا بين البدو والحضر، يمكن اعتبارها سببا في إطالة مدة احتلاله. وعليه فقد يكون قد استغل هذا النوع من (الصراعات والقبيلة) وعهد إلى خطته الصادقة إلى تفريق بين هذه الجماعات القبلية (البدو) وهم ريفيون عن سكان الحضر أثناء قيام ثورة التحرير الوطنية الكبرى (1954 – 1962) والمتضمنة لفكرة "فرق تسد" خصوصا إذا علم أن مفجري الثورة من أصول ريفية في الغالب. ومنهم الشخصيات التي درست في كتابات القريّة وتابعت دراستها في الجامعات الجزائرية وأن أغلب جماعات المجتمع الجزائري من الشرائح الريفية لأجل إضعاف الثورة ومن ثمة القضاء عليها.

وتظهر لنا كذلك الأمثال أثر العادات والخلافات القبلية التي تعمل على قوة إفران الصراعات والتي تؤدي إلى تولد مشاعر الحقد والكراهية بينها إلى درجة تصل إلى ضرورة الانتقام بالأساليب المختلفة المميزة للسلوك الفردي والجماعي القبلي كالأعتداءات الحربية وكذلك عادة الأخذ بالثأر. ومنه نحاول الكشف والتعرف على هذه النمطية للظاهرة الإجرامية المعروفة المتعلقة بالقبيلة.

3.2.6. أثر المنظومة الثقافية للقبيلة في حدوث ظاهرة الأخذ بالثأر وعلاقتها بالعصبية

يظهر أنّ ارتكاب الجريمة من طرف القبائل المتصادمة مع بعضها له علاقة بالقيم والأفكار والمعايير الخاصة بها.

بالنظر إلى العوامل المتنوعة والمتداخلة مع بعضها البعض مما يعطي النمط الغالب للشخصية القبلية، منها الخصائص الوراثية والتكوينية لها والمكتسبة من خلال نوعية عملية التنشئة الاجتماعية التي تتعرض لها، والوضع الاجتماعي الذي تعيشه في محيطها المادي حيث تجعل من السلوك الإجرامي المميز لهذه الشخصية من حيث نمط هذا السلوك ارتكاب نمط معين من الجرائم مثل الذي يتضمنه المثل التالي:

«انحازت الزريقة للفياض» [150]ص67، وزريقة اسم امرأة اختطفها قبيلة بينها وبين قبيلتها، فهبت قبيلة زريقة لإنقاذها لكن عندما التقى الجمعان زعم أحد رجال قبيلة زريقة أن المكان غير ملائم للمعركة، وأن أي محاولة قد تتعرض زريقة للهلاك... [150]ص67.

يتبين في المثل وجود نمطين من الجريمة، الأول يتعلق باختطاف المرأة حيث ترجع الأسباب في ذلك إلى وجود صراعات بين قبيلة المرأة المختطفة والقبيلة التي قامت بهذا الاختطاف (الجريمة)، التي تعد من الجرائم البالغة التأثير في النفس وإثارة الانفعالات والعواطف المتأججة بالسخط والتهكم، حيث

تعد أهم القيم والمعايير التي تعتنز بها القبيلة، وتجسد كيان شخصيتها -القبيلة- التي هي امتدادا وجزءا من نعرتها ، وأهم هذه القيم هي قيمة العرض متمثلة خصوصا في الشوق والحسب والنسب وهي الخصال المميزة لإشراف القبائل وما إصرارها على إعادة المرأة المختطفة، وشدها الهمة والحرب ضد القبيلة لأجل ذلك يعد دليلا على تمسكها ومحافظةها على هذه القيم، كما يعد دور السلطة (الزعامة) القبيلة إذا كانت تركز على مقومات أساسية، منها القدرة على التأثير والتي تجسدها القيادة الرشيدة، ممثلة في شخصية القائد الكاريزماتي، الذي ينفرد بخصائص وصفات قد لا توجد عند الكثير من الأفراد، وبما أن هذه القبائل تمثل مجتمعا تقليديا فإن من مقومات هذه السلطة (الزعامة) التقليدية «الحكمة والبلاغة والمعرفة بالأساطير القبيلة التي تمثل الأساس في حفظ البناء القبلي فتقاليد وأعراف المجتمع التقليدي تنتقل من السلف بالطريق الشفوي» [106]ص269.

ويمكن اعتبار الحرب الواقعة بينهما القبيلتين جريمة، باعتبارها قد تلحق الأذى بكل أعضاء القبيلتين صغار وكبار- فيظهر أن أحكام العرف الاجتماعي للقبيلة قاسية خصوصا المتعلقة بقضايا الشرف. فالمفروض البحث عن المجرم ومعاقبته وفقا ما ينص عليه القانون لكن العكس هو الذي يحدث في النظام الاجتماعي القبلي حيث العقاب يقع على كل أعضاء القبيلة وليس على المجرم وحده.

ويظهر أن الحرب لها علاقة بظاهرة الأخذ بالثأر. وتعد في الكثير من الأحيان الوسيلة والقرار الأخير الذي يتخذ للفصل في الصراعات القبلية، عندما تفشل كل الأساليب السلمية، ومن خلال ذلك يتضح أهمية الدور الوظيفي للسلاح وهو الشيء الذي قصد المخيال الشعبي من الدلالة الوظيفية الخفية إلى حد ما في نص المثل الآتي:

«شقلوفة خير من صرعوفة» [150]ص107. شقلوفة معناه البندقية، وصرعوفة المقصود بها قطع من الغنم ويكشف هذا المكسب المتمثل في السلاح للقبيلة عن انعدام الأمن والشعور بضرورة الترقب والتحسب لمواجهة أي خطر تتعرض له القبيلة في صراعها مع قبائل أخرى. وبخصوص الموقف المتعلق برفض المرأة العودة إلى قبيلتها وتفضيلها ورغبتها الناجمة عن إرادتها في البقاء عند القبيلة المختطفة، فهذا يعتبر عارا على قبيلتها أكثر ما هو عليها وفق التصور الذهني للقبيلة المتحكم للعصبية وأثر العرق القبلي في ذلك ويظهر هذا السلوك الانحرافي للمرأة أن له علاقة بالتكوين النفسي المرتبط بعوامل متعددة منها خبرات الطفولة، خلال عملية التنشئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية في هذا الإطار الثقافي الاجتماعي حيث تعد العوامل الوراثية البارزة والأكثر تأثير في حدوث هذا الموقف منها عوامل الضعف العقلي والذهني لدى الفرد ويكشف هذا مدى تأثير الفرد في الجماعة كما يتعلق ذلك في المثل التالي:

«ضربة بالفاس خير من عشرة بالقادوم»[149]ص45. مثل موجود في معظم المراجع المعتمدة عليها في انتقاء الأمثال والمعروف لدى الكثير من الأشخاص ومضمون المثل يتعلق بواقعة بين قبيلتين بينهما صراعات كانت إحداها تخطط للهجوم على الأخرى، وبما هو معروف ومتفق متفق عليه فالحرب خدعة وهذا يعني الإعداد لها بما تطلبه من وسائل مادية مثل (السلاح) ومعنوية مثل الخطط والأساليب الفاعلة في تحقيق النصر يتم في سرية تامة حتى لا تتسرب المعلومات إلى الخصم (العدو) ويؤدي ذلك إلى إحباط وفشل العملية الحربية وهذا ما قامت به إحدى القبيلتين، وكانت قد خسرت في المعركة (الحرب) مع القبيلة المتصارعة معها من قبل، فأرادت الأخذ بالثأر من خلال محاولتها ثانية القيام بحرب أخرى، غير أن أحد الأشخاص من هذه القبيلة قام بالكشف عن خطة وأسرار هذه الحرب التي تعد لها قبيلته فنقل المعلومات بخصوص ذلك، تفاجئ للقبيلة المتصارعة معها لتسبق هي بالحرب وتباغت قبيلة الفاعل الذي كشف عن أسرار الحرب، لتبدأ قبيلته في البحث عنه، وتوصلت إلى التعرف إليه الفعل وأقدمت على قتله بهذه الطريقة الفظيعة، المعلن (المصرح) عنها في المثل والمعنى هو أن الوسيلة المستعملة في تنفيذ عملية قتل الفاعل بواسطة "الفأس" لا يحدث معاناة شديدة تخفيفاً ورأفة به- إلا أن هذا يمكن اعتباره وإخفاء عدم القدرة على التغلب على قوة العصبية والانحراف الخطير الذي ينجم عنها هو إثارة وانحراف الذي قد يؤدي إلى تغييب أو غياب للوازع الروحي والأخلاقي والديني ، ويظهر أن انحراف الواقع ضد القبيلة والمرتكب من أحد أعضائها يكون أكثر إثارة لعصبية القبيلة، ما هو عليه إن كان واقع من طرف الأعضاء المنتمون لقبائل أخرى.

يعكس هذا الحكم الصادر عن العرف القبلي، ضد الشخص في قتله بتلك البشاعة واعتبار ذلك أنه العقاب المستحق وهذا يكشف أثر السلطة التقليدية المطلقة إلى حد ما وقداستها للتقاليد الشديدة الصلة والمرتبطة بالماضي والحفاظ والاستمرار على نهج الأجداد واتباع آليات التعامل و التصرف مع الآخرين بالتسلط والسيطرة والقهر، ويتعلق ذلك بالأشخاص (الأعضاء) الذين يتولون مسؤولية السلطة القبلية أكثر من غيرهم «ومن الأمثلة على ذلك سلطة شيخ القبيلة المطلقة والعرفية»[11]ص126. حيث تؤدي العوامل المؤثرة من خصائص وضغوط سواء تعلق ذلك بشخصية زعيم القبيلة أو رؤسائه (الأتباع) وبالمحيط وما يؤدي إليه من آثار نفسية واجتماعية للمجتمع القبلي تعمل على تشكيل أنماطاً للشخصية القبلية، بما في ذلك الأشخاص الذين يمثلون السلطة المقننة بسنن العرف الاجتماعي ، وبالنظر للتكوين الشخصي للفرد (المضاد للمجتمع)، أو في حالات قد تعترض الفرد كعدم التوافق النفسي وحالات الفشل وما ينجم عنها من إحباطات، حيث يظهر أثرها المجسدة في سلوكيات معينة من خلال الميل والاستعداد للنزعة الإجرامية أكثر من الميل إلى السواء، وقد ينطبق على هؤلاء من الأشخاص الممثلين للسلطة القبلية، بما في ذلك شيخ القبيلة الذي يرأسهم.

ومن المحتمل أن يكون وصول خبر وقوع الجريمة إلى عائلة القتيل بالغ التأثير في نفسها، ويهتز كيانها إذا تمت لها معرفة الطريقة التي قتل بها إلى جانب معرفتها بأسباب القتل -إفشاء السر الخاص بالحرب- ويؤدي ذلك إلى تأجج عواطفها حزنا وأسا على ابنها، تشحن نفوس أعضاء هذه العائلة بالانفعالات المتولد عنها مشاعر الحقد والكراهية والسخط على مرتكبي هذه الجريمة، ويتبين من خلال وضعية العائلة النفسية أنها ستؤدي إلى إخضاع صراع إثارة وقوة العصبية للعائلة الخاصة بها، وقد أشار ابن خلدون وجود هذا الشكل للعصبية «... ففيهم أيضا عصبية أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشيرة واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص...» [41]ص255.

وبالنظر إلى القيم الثقافية للعائلة التي تتدخل فيها عوامل تنشئية، يدفعها إلى التفكير في ضرورة الانتقام الذي سيكون بطبيعة الحال، الأخذ الثأر، وإعداد لهذا الفعل قد يتم مثل» الحادثة المتضمنة في المثل التالي:

«يقتلوا الميت ويمشوا في جنازته» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي صياغة متشابهة له «يقتلوا القتيل ويمشوا في جنازته» [167]ص79. وهو مثل معروف، وحسب الأشخاص الذين صرحوا به لنا، تتعلق وقائع هذه الحادثة المتمثلة في الجريمة أن قبيلة كانت بينها وبين أحد أشخاص من نفس القبيلة على الأرجح عداوة، وأرادوا لثأر لأنفسهم منه، وتمثلت الخطة المبدئية للفعل الإجرامي في تقديم دعوة إلى مأدبة عشاء وقاموا بإكرامه وبعد الانتهاء من ذلك، قاموا بارتكاب الجريمة ضده والمتمثلة في القتل، وحضروا جنازته، وترجع أسباب حضور الجنازة إلى تجنب ورد الشبهات عنهم، وهذا يدفع إلى القول أن الشخص القتيل له علاقة بالصراع الذي تعرفه العصبية ذات النسب المخصوص مثل العائلة المنتمية للقبيلة، حيث يأخذ هذا الصراع الناشئ لدى العصبية العائلية اتجاهها يتعلق بأحكام السلطة القبلية، ويعني هذا أن الصراع داخل القبيلة وبتأثير العصبية يغلب عليه الطابع السياسي في الإطار الاجتماعي مثل ما يتبين كذلك في هذا المثل:

«لو كان درى باه مات لكان عزا وفات وكما دراش باه مات عزا وبات» [167]ص79 فالدلالة الاجتماعية التي أراد المفكر الشعبي إظهارها وتفسيرها تتعلق بارتكاب جريمة، والمتمثلة في القتل، حيث تكشف عن وجود صراع لوجود عصبية من العصبية المشكلة للعصبية القبلية، ويظهر أنها خاصة بالعائلة، كما يتضح أن ارتكاب هذا الفعل الإجرامي حسب ما صرح به في نص المثل، يغلب عليه طابع السرية والكتمان قد يكون الدوافع في ذلك، إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية القبلية، المرتكزة على مقومات العصبية حيث تأخذ مجرى صراعي، تترجمه صور وجرائم الأخذ بالثأر، التي منها الواقعة في القبيلة نفسها، قد يكشف عن صلتها بالأحكام العرفية للسلطة القبلية المتميزة بالقهر والسيطرة والقسوة،

الذي يؤدي إلى انحرافها عن القيم السامية الفاعلة التضامن الاجتماعي، وبالتالي يتجه الصراع القبلي في هذه الأوضاع الاجتماعية المتوترة، كيان القبلية ويهدد استقرارها السياسي، ويظهر من خلال ذلك تعود للصراع بين فئتين مختلفتين لكل منها نظام خاص بها والأدوار المميزة لها رغم وجود علاقة متداخلة، ونقصد بذلك فئة المحكومين والحكام، وطبيعة الصراع الاجتماعي الذي ينشأ بين الجماعة الاجتماعية والجماعات الممثلة للسلطة الرسمية لهذا المجتمع السياسية منها والتنظيمية وهذا الذي نحاول معرفته من خلال مجموعة الأمثال التي رصدت في مضمونها المتعدد الجوانب لهذا الجانب للصراع الاجتماعي.

3.6. وجود صراعات اجتماعية بين الشرائح الجماعية في إطار الصراع الاجتماعي السياسي

وعلاقتها بالجريمة

1.3.6. دور شخصية الحاكم التركي (السلطان) في وقوع الجريمة

تظهر مجموعة الأمثال الخاصة بالجريمة والمتعلقة بفئة الأفراد الذين يمثلون السلطة داخل التنظيم السياسي والإداري للمجتمع والمجسد للدولة ومؤسساتها المتعددة والمتنوعة الأدوار الوظيفية المشروعة والمفروضة إتجاه أفراد المجتمع وجماعاته و التي هي الفئة المحكومة التي تخضع للممارسات السلطوية الحاكمة ذات العلاقة بالحياة الاجتماعية ومجالاتها المختلفة، إلى فترات التاريخية معينة من تاريخ المجتمع الجزائري في إطارها الاجتماعي السياسي، منها فترة الحكم العثماني الذي ميزته سلطة ترتكز مقوماتها على القوة العسكرية من حيث تعتبران السند المتين لممارسة هذا النمط من السلطة والمتمثلة في شخصية السلطان، وهو اللقب الذي يدعى به الحاكم العثماني كما هو مصرح به في الأمثال التي أشارت إلى هذه الشخصية الحاكمة والقائمة على إدارة و تسيير شؤون البلاد والعباد الذين يمثلون مختلف فئات وشرائح المجتمع الجزائري ويعد المثل الشعبي التالي مؤشر على هذا الحكم:

«سلطان بلا عدل كواد بلا ماء» [143]ص17. فالمعنى الظاهر للمثل يكشف في دلالاته الاجتماعية الخفية عن ظرف تاريخي ووضع اجتماعي تميز بالظلم والاضطهاد الاجتماعي الذي عايشه أفراد وجماعات المجتمع الجزائري بوقائعها الإجرامية التي تعد بمثابة مؤشر على القرارات الجائرة التي كانت تتخذها إدارة السلطة المحتكرة من طرف العثمانيين ضد الأفراد الجزائريين. حيث تبين من خلال هذا الاستغلال والاضطهاد بمختلف أشكاله وأساليبه وجود فوارق اجتماعية بين كل من العثمانيين حيث أنهم «كفنة متميزة وممتازة، كانوا ينظرون إلى السكان نظرة استعلاء واحتقار وازدراء وكانت الرشوة وجمع الأموال عن طريقها هي أساس العلاقات فيما بينهم وبين السكان» [163]ص153.

ويبدو أنّ الشكل الغالب والمميز لهذا النوع من السلطة التنظيمية والذي هو نابع من مصدر القوة العسكرية قد ساهم في إبراز انحرافات هذه السلطة واتسامها بذلك بطابع العنف والقهر والسيطرة ويظهر

انعكاس ممارستها الإجرامية في خلق أوضاع ميزها الخوف وسادتها حالات الهلع والهيبة بين السكان من أفراد المجتمع مثل ما يظهر في المثل التالي:

«الله يلعن السلطان في غيبته» مثل مأخوذ من عهد العامة.

كما لا يمكن فصل الرابطة بين هذه السمة المميزة لسلطة العالم العثماني الجائرة عن روح الزعامة التقليدية التي تطبع السلطة وقائدها إذا ما كانت تتوفر شخصيته على خصائص تميل إلى نزعة العنف الذي قد تصل درجاته إلى التقييد الكامل لحرية الأفراد والجماعات للمجتمع، وهو ما يدل على غياب الشبه كلي للقيم المعنوية والروحية والأخلاقية لهذا الحاكم (السلطان) الذي يتولى قيادة هؤلاء الأفراد والجماعات، فالمفروض والواجب يقر أن تتوافر في شخصية القائد ميزات مفعمة بالقيم الايجابية الفاعلة في إحداث التوافق مع المواقف والمطالب الصادرة سواء مع رؤسائه أو أفراد المجتمع (الرعية) لأجل ضمان واستقرار الحياة الاجتماعية في مختلف أبعادها الروحية والأخلاقية لهم، مثل الكثير من القادة الذين تركوا بصمات في السجل النضالي التاريخي السياسي من خلال تلك الأدوار التي مكنتهم من بلوغ الأهداف الأساسية والنبيلة والمترجمة في تحقيق الوحدة والتماسك لأفراد مجتمعاتهم وحمايتهم من خطر الجريمة سواء الآتي من خارج الحدود للمجتمع أو في أوساط أفرادهم وهذا قدر الإمكان.

وقد يوحد بين الأفراد أو الجماعات الذين تربطهم بهذا الحاكم روابط معينة، أسرية أو مهنية أو علاقات الصداقة التي تجمعهم به، ويتميزون بخصائص عقلية فكرية، تجعلها تبدي الرؤية الصائبة لعملية القيادة، مما يعني كذلك حضور الوازع القيمي الأخلاقي والديني، الذي يكون هذا دافعا يؤدي إلى مواجهة هذا الحاكم المستبد، وتنبهه إلى أفعال الإجرامية المرتكبة ضد مجتمعه، محاولين بذلك إصلاحه بالتأثير عليه، غير أن هذه الفاعلية قد تؤول إلى الفشل كما يتبين ويبدو من خلال المثل المصرح به «خالط الحداد تنال الحموم خالط السلطان تنال الهموم» [147]ص44. يكشف التصور الذهني للمفكر والمصرح بهذا المثل في إشارة إلى شخصية هذا السلطان (القائد السياسي) التي تميزها السلوكات الانحرافية الصادرة عنه والجرائم التي تكون قد ارتكبتها على خلفية ذلك اتجاه الرعية (أفراد المجتمع) ويمكن ربط هذا النمط السلوكي الإجرامي لمثل هذه الشخصيات بعوامل وراثية موصوفة بالاستعدادات الفطرية والنزاعات الإجرامية لممارسة السلوك الإجرامي، خصوصا إذا ما تداخلت عوامل أخرى وأهمها عامل البيئة الاجتماعية والثقافية، تجعل هذه الشخصية تنمو في إطار تنشئة إجرامية تحرض على اكتساب القيم السلبية وتعلم السلوك الإجرامي. ليجد هذا الشخص في علاقته مع ذلك السلطان، أن تقربه منه (السلطان) على أساس المشاركة في القضايا الهامة التي تخص الرعية (أفراد المجتمع) وتقديم في ذلك وجهات النظر والآراء الفكرية الأخلاقية والاجتماعية التي يكون تعمل على ترسيخ الحرية والمساواة بين فئات وجماعات المجتمع في حدودها.

وفي الغالب كان هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بهذه المهام العليا في إيصالهم للرسالات الرمزية المحملة بالأفكار والتصورات والمعاني القيم السامية والذين يعتبرون همزة وصل بين فئة الحكام وفئة المحكومين هم العلماء والمفكرين حيث يبرز دورهم الفاعل في أثناء ظهور الآفات المشاكل الاجتماعية غير أن هذا الدور في الفترة التي ساد فيها الحكم التركي والتي أدت إلى ظهور السلوكات الإنحرافية وارتكابها الجرائم المتعددة الأنماط، يظهر أن انعكاسه السلبي على هؤلاء المقربين من السلطان (الحاكم التركي) «تلك الانحرافات الكثيرة التي سجلتها الإدارة التركية أو البايك، نتيجة طغيان وازع الارتزاق والاستبداد العسكري» [164]ص180. ويظهر أن هذا الطغيان والاستبداد الذي طبع القيادة السياسية والإدارية كان عاملا مؤثرا في إخفاق محاولات هؤلاء المتمثلة في الحفاظ على أمن مجتمعاتهم واستقرارها الاجتماعي، حيث يظهر أن الإدارة والقيادة الحاكمة التركية تقابلها بالرفض وعدم القبول، ومما ينجم عنه من آثار نفسية محبطة لها ونشوء صراعات تتقاسمها مع بقية جماعات مجتمعهم قد يؤدي تطورها إلى ظهور الاضطرابات و الصدمات مع أفراد المجتمع في حالة وجود جماعات منحرفة أو مجموعة من الأشخاص الذين يعيثون في الأرض ظلما وفسادا تدفعهم إلى ذلك العوامل الذاتية كوجود الأهداف والمصالح الشخصية وقد يكون الوصول إلى تحقيقها ولو على حساب ارتكاب الجرائم والتي تتمثل في هذا الخصوص بإحداث الاضطرابات والنزاعات بين السلطة والرعية باستعمال مختلف أساليب المكر والخداع والاحتيال، مثل ما أشارت إليه مجموعة من الأمثال عن هذه الفئات (مجموعة الأشخاص) وأظهرت جانبا للانحرافات السلوكية والإجرامية لديها.

2.3.6. أثر السلوكات الإجرامية للأشخاص في ظهور الصراعات بين فئة الحكام وفئة المحكومين

يظهر هذا النوع من السلوكات الإجرامية التي تقدم عليها مثل هؤلاء الأشخاص أن لها علاقة بظهور النزاعات والصراعات الحربية في طابعها التاريخي والسياسي وكذلك الاجتماعي على أساس استهداف شرائح المجتمع التي تتعرض للظلم والتسلط من طرف القيادة الحاكمة لهم، يؤدي إلى إفراز صراعات بين هؤلاء الشرائح وقيادتها، كما عرفه المجتمع الجزائري في فترة معينة من الحكم وبروز مثل هؤلاء الأشخاص الذين قد استغلوا الوضع السيئ والناجم عن الجرائم المقترفة في حق الجزائريين، مثل ما صرح به في المثل الشعبي:

«الكلب ينجح والتركي عاقب». ومأخوذ (المثل) من عند العامة كذلك. من خلال حيز معنوي عبر وحدد من خلاله هذه الدلالة السلوكية والمتمثلة في تلك الانحرافات الإجرامية لدى الشخص من خلال الرمز الدال على المعنى والمتمثل في لفظ "الكلب" حيث يعد هذا الحيوان في الثقافة الشعبية بانتساب إليه الانحرافات الإجرامية للأشخاص وتشبيهها بسلوكات هذا الحيوان والمتمثلة في المحتوى للمثل الخاص بهذه نوع من السلوكات الإجرامية الصادرة عن الشخص الدال عليه للفظ والموصوف "بالكلب"

في نقل الأخبار إلى الشخص الذي يكون على الأرجح السلطان وقد أشار إليه في المثل بلقب "التركي" أو يكون من أحد الأشخاص العاملين أو المقربين إليه، على أن هذه الأخبار والأحاديث يكون قد أتى بهما من أوساط المجتمع الجزائري الذي يعيش أوضاعا وظروفا قاهرة نتيجة الاستبداد والاستغلال الإجرامي الذي نال من أفراد المجتمع الجزائري بأسره نتيجة للحروب والثورات التي كانت تشنها السلطة العثمانية (التركية) في أقصى درجات العدوان العنيف «... كانت الحروب الداخلية تعلن من أجل جمع المال. فكان الجندي البسيط يستغل المواطن الجزائري إلى أقصى الحدود، كما كان الباشا يستغل كبار الموظفين...» [163]ص154.

ويظهر أنّ تلك السلوكات الإجرامية لأولئك الأشخاص من خلال تتبع أحوال المجتمع والأحاديث والأخبار التي كانوا ينقلونها للسلطات والتي لها علاقة بالأفعال الإجرامية التي ترتكبها تلك السلطة، كانت أو يمكن اعتبارها العامل المؤثر في نشوء الصراعات بين كل من السلطان التركي والرعية (المجتمع الجزائري)، ويؤدي ذلك بالتالي إلى شن الاعتداءات الحربية الإجرامية، ويظهر كذلك وحسب تفسير طبيعة ومدلول السلوك الإجرامي للشخص الحامل للأخبار الجماعة إلى السلطان ومن المؤكد عن طريق التجسس، هو تعطي الجماعة لهذا الفعل (السلوك الإجرامي).

ويمكن اعتبار الدوافع التي تقف وراء هذا السلوك الإجرامي لمثل هذا الشخص (المجرم) لها علاقة بوجود مصالح وأهداف شخصية قد تتعلق بالحصول على امتيازات اجتماعية مثل تولي منصب عمل عالي في إدارة هذا السلطان. أو للحصول على مكاسب مادية، أهمها هو المال مثل ما صرح به المفكر الشعبي في نص المثل التالي:

«النخالة تحيب الكلاب» [154]ص72. ويصب مضمون هذا المثل في نفس المعنى الذي قصد به المخيال الشعبي ذلك السلوك الإجرامي، إرضاء لحاجاتهم النفسية، دون أي نوع لوازع، يحملون الأخبار. قد تكون كلها أكاذيب وأباطيل يتم نسجها ولا هي منقول عن الجماعات الجزائرية، خصوصا إذا كان هذا الفعل الإجرامي الخاص بالتجسس على الرعية ونقل الأخبار الجارية والأحاديث المتداولة بينها، بطلب من السلطان وإرادة من السلطان (الحاكم التركي)، قد يترك وقع تلك الأخبار في نفسيته أثارا تؤدي إلى ثورة غضبه وسخطه على الفئات والجماعات الجزائرية تزيد في نمو الصراعات كلما زاد نقل الأخبار إليه، ويتمثل الخطر في هذه الوضعية في التفكير في المكائد والدسائس ضد الرعية التي كانت ترجمها الاضطرابات في سوء وتدهور العلاقات بشكل واسع وشامل بين كل من السلطان الحاكم و (أفراد المجتمع) ووقوع الاعتداءات الحربية الإجرامية، وانتشار للخصومات والنزاعات بين الفئات الجماعية وظهور الثورات المتعددة الاتجاهات، قد يكون اتجاها دينيا أو سياسيا، أو حتى عائلي وهذا يكشف أن لهذه الممارسات الإجرامية لها علاقة بمحتوى وطبيعة تلك المنقولة إلى السلطان حيث يعد نمط السلوك

الإجرامي لأولئك الأشخاص الموصوفين في نص المثل ب "الكلاب" العامل الرئيسي في زرع تلك النزاعات والاضطرابات الحربية والثورية بين كل من أفراد السلطة الحاكمة وأفراد المجتمع:

«ليلة الخسارة ما ينبحو فيها كلاب»[144]ص16، وفي صياغة أخرى نجده باللفظ معبر به: «نهار لوخيذة ما ينبحو كلاب»[168]ص21، يدل محتوى المثل إشارة إلى المعنى المقصود والخاص بتلك الأنماط من الشخصيات المجرمة، على أنها تلتزم الصمت والاختفاء عن الأنظار هروبا وخشية من التعرض للخطر الذي قد يلحق بها والمتمثل في الانتقام منها، وذلك عقابا سلوكها الإجرامي المؤدي إلى وقوع الكثير من الاعتداءات الإجرامية ضد الفئات المختلفة للمجتمع وهو ما يستدعي ضرورة تتبع أثارها وملاحقتها كلما انكشف أمرها لتتال جزائها والمتمثل حسب نص المثل التالي:

«إقع الراس تزول الخصومة»[150]ص17. والمقصود بذلك حسب المعنى القيمي والسلوكي للمثل لمثل هذه الممارسات الإجرامية التي ارتكبتها تلك المجموعة المقربة من (السلطان الحاكم) والتي تسببت في إحداث الكثير من الصراعات المؤدية إلى ممارسة السلوك الإجرامي والفوضى بين مختلف الشرائح المجتمعية الجزائرية، ونتيجة ذلك هو إيجاد حل صارم لوضع حد لمثل هذه الممارسات السلوكية الإجرامية المتسببة في أنماط من الجرائم كالقتل والتشريد وبأساليب العنف المختلفة وذلك عن طريق تعريضها للعقاب الشديد وهو نفس الاتفاق المتضمن في محتوى المثل التالي:

«إذا قتلت الحنش اقلع له رأسه»[144]ص25، والمتمثل في إلحاق الهلاك تلك الأنماط الإجرامية الشخصية والقضاء عليها نهائيا، تتميز به من نزعات عدوانية إجرامية في إطار العوامل المؤثرة فيها الوراثية منها والمكتسبة، وهذا النوع من العقاب القاسي، حسب ما أقره تفكير الجماعة للذهنية الشعبية لأجل ضمان وتأكيدها على موتها المحقق بغرض منع ظهور مثل هذا النمط السلوكي الإجرامي التي ينجم عنه ترويع العباد وزعزعة أمنهم وتهديد حياتهم، وإزهاق الأرواح، وهذه النتائج وما تحدثه من آثار نفسية واجتماعية سلبية وخطيرة بدرجات متفاوتة حسب طبيعة الفروق الموجودة بين الفئات (السن والنوع)، وهذا يعنى أنها (الجرائم المرتكبة) قد وصلت إلى أعماق المجتمع، ويمكن القول في ضوء هذا السياق أن الانعكاسات الخطيرة للسلوكات الإجرامية المتسببة في نشوب الحروب والثورات، على أن خطورتها تفوق وحسب ما تضمنه نص المثل:

«سلطان جاير ولا فتنة معايير»[143]ص25 وفي صياغة لفظية أخرى «سلطان غشوم خير من فتنة تدوم» ، ويظهر أن الفكرة التي أراد توضيحها، تتمثل في إظهار الفارق بين كل من الجرائم المرتكبة من طرف السلطان والمتمثلة في الاستبداد والظلم والاضطهاد الاجتماعي، ولا تتعدى في حدود ذلك إلى وقوع الاضطرابات والنزاعات الإجرامية واستخدام أساليبها العدوانية العنيفة وإن كانت لها علاقة بإدارة

السلطان الحاكم، حيث يكون وجود أشخاص لهم مصالح وأهداف لدى السلطة الإدارية الحاكمة (السلطان) يهتمهم إبقاء الوضع الاجتماعي السياسي متآمرا، قد تسعى بكل أشكال الممارسات الإجرامية في هذا الإطار لجعل الأوضاع غير مستقرة، وزعزعة أمنها، كلما بدت لها مظاهر استقرارها ضمنا لمصلحتهم الشخصية وتحقيق أطماعهم، فإذا تحقق لهم ذلك، فإنهم يطمعون الاستئثار بالسلطة وتحقيق أطماعهم، فإذا تحقق لهم ذلك فإنهم يطمعون الاستئثار بالسلطة وتقوية نفوذهم بها، وهذا يؤدي إلى التنافس وظهور الصراعات التي قد تؤدي لارتكاب الجرائم وقد تنعكس آثارها السلبية على أفراد المجتمع، أكثر ما تنعكس ضدهم (عليهم) .

«يتصاكو لبغال وجي في ظهر الحمار» مثل مأخوذ من عند العامة. يظهر المدلول الخفي في المعنى الذي يكون قصده المفكر الشعبي هو التصادم والتصارع بين القوى التي تملك زمام القوة والقيادة التي تجعل الأفراد ينصاعون إليها، والتي تتولى إدارة شؤونهم في المجالات ذات العلاقة بالحياة الاجتماعية وديناميكياتها فالصراع الدائر بين هؤلاء الأشخاص، يتعدى الحدود في الإطار السلطوي الممثل للمجتمع الذي قد تفرض عليه تلك الانعكاسات السلبية الناجمة عن صراعات الأشخاص الممثلين للقوى السلطوية الحاكمة (السياسة والإدارية) وما قد يؤدي إليه من جرائم، تعمل على التغيير غير متوقع للقرارات والقوانين المسيرة للتنظيمات الاجتماعية وعلاقتها الخاصة والعامة من أفراد ومؤسسات المجتمع «التفكير البسيط يظهر أن الحكومات أو الطبقات العليا الضابطة تستحوذ على الكثير من الوسائل التي تهيب لها القدرة على تحقيق الإذعان. وهذه الوسائل تتخذ أشكالا عديدة، وبدونها لا يأتي التوازن في علاقة القوى التي يقوم عليها استقرار المجتمع» [169]ص48.

وقد عبر المفكر الشعبي عن الفارق في القوة بين الفئة السلطوية الحاكمة والفئة المحكومة بعلاقة مشابهة المتمثلة في القوة الفيزيائية (الطبيعية) بين هذا النوع من الكائنات العجماء مثل ما صرح به المثل نفسه في صياغة أخرى بسيطة «يتصاكو لبغال وجات في راس الحمار» [161]ص32، يكون هذا الحكم صادر عن مزاج ونفسية متوترة جراء أوضاع وظروف تاريخية اجتماعية في إطارها السياسي بحكم عوامل متنوعة اجتماعية حضارية وحسب ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون عن أسباب نشوء الدولة وتطورها ثم ظهور انحطاطها ومن ثمة سقوطها، وتنجم عنه آثار سلبية مثل الانحرافات الإجرامية وانعكاسها على أفراد المجتمع، ويظهر أن هذه الخاصية الحضارية المتعلقة بنشوء الدول ورقبها ثم تقهقرها، قد أصاب الدولة العثمانية (الإمبراطورية) الممثلة للخلافة الإسلامية، لأن الفترة التي مورست فيها السلطة الحاكمة أساليب الاستبداد والطغيان العسكري والجرائم المرتكبة في هذا الإطار كانت مع بداية انهيار هذا الحكم السياسي، وتراجع قوتها وهيمنتها السياسية والعسكرية وظهور قوى إمبراطوريات على رأسها الإمبراطورية الإنجليزية والفرنسية التي فرضت قوتها على المجال المجتمعي الدولي

وتغلبت عليها ويتمثل ذلك في سيطرتها واحتلال مكانها في الأقاليم العربية التي كانت تحل ولاية الخلافة الإسلامية فيما عرف التاريخ باقتسام تركة الرجل المريض، وهو بالفعل ما حدث، حيث احتلت الجزائر من طرف فرنسا سنة 1830م مستغلة حادثة المروحة لتبرير هذا الاحتلال، وبهذا التابع التسلسلي الذي عرفه المجتمع الجزائري جعله يتخلص من استبداد وطغيان السلطة التركية الحاكمة والانحرافات الإجرامية الخطيرة المسجلة في هذه المرحلة من حكمها. وتقع تحت سلطة استعمارية إجرامية أخرى، ارتكبت طيلة أكثر من قرن أنماطا متعددة من الجرائم ضد أفراد المجتمع وسلبت منه حريته التي طالما سعى إليها بكل الوسائل النضالية منها الحروب والمقاومات الشعبية، خاصة إذا ارتكبت الجرائم من طرف هذا المستعمر، إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية 1939-1945 حين طلب هذا المستعمر من الجزائريين المشاركة في هذه الحرب ووعده مقابل ذلك نيله حريته، غير أن حوادث 8 ماي 1945 حين خرج الشعب الجزائري للاحتفال بالنصر ونيل الحرية، فقد تفاجأ ويقع في مكيدة إجرامية من مكائد هذه السلطة الإجرامية، سقط خلالها 45 ألف شهيد، وعلى إثر ذلك أدرك الشعب وازداد وعيه بتقرير المصير ونيل الحرية وعرف بأنها تأخذ ولا تعطى، ولهذه الأسباب إلى جانب أسباب أخرى، تلتها بعد ذلك فترة زمنية سادها الهدوء والصمت لإعداد الثورة التحريرية وتفجيرها حيث تم ذلك بنجاح وأدت نتائجها إلى الحصول على الاستقلال، رغم التغيرات والصعوبات التي لاقتها والمتمثلة في الخلافات والاضطرابات بين قادتها، والتي يظهر أنها كانت تتجدد من فترة إلى أخرى حسب متغيرات الواقع الظرفي للمجتمع، والسلطة، والممارسات العملية الواقعة في ذلك، بداية من الإعداد للثورة إلى المراحل المتوالية التي عرفت عاشرت وقائعها وأحداثها، وانعكاس آثارها على أفراد وجماعات المجتمع سلبا نتيجة للخلافات السياسية بين القادة وتطوراتها التي وصلت إلى حد وقوع الاعتداءات العنيفة والاقنتالية. وهذا ما تكشف في إطاره الاجتماعي السياسي الأمثال المعبرة عن نفسية ومزاج أولئك الذين تأثروا للأوضاع التي تسببت فيها لدى الجماعات الحاكمة والمحكومة من بداية الإعداد للثورة التحريرية 1954 إلى ما بعد الاستقلال.

3.3.6. الصراعات الاجتماعية السياسية للثورة التحريرية الجزائرية وأثرها في نشوء الصراعات

الاجتماعية السياسية

1.3.3.6. الصراعات الاجتماعية السياسية قبل استقلال الجزائر

عرفت الأحداث التاريخية المتعلقة بالثورة من مرحلة الإعداد إلى مرحلة ما بعد الاستقلال خلافات في المواقف والآراء المختلفة الاتجاهات الفكرية منها والمتعلقة بالعمليات السياسية التخطيطية الحربية وعدم الوصول إلى مخرج نهائي نتيجة ذلك اتفاق موحد وشامل لتفجير الثورة، يمكن أن تكون خلفية المبادئ التي تنشبت بها جماعات القيادة والخاصة بها وحوادث الانشقاق والتفرقة نظرا لتلك الانحرافات

لمجموعة منها وعدم تمكنها من جعل الثورة تحت لوائها والتي ادعت زيفا أنها تعود للتنظيم الثوري باسم الكفاح والجهاد في سبيل تحرير الوطن، وقد استطاعت الوصول إلى فئات مجتمعية في الريف الجزائري حيث أن أغلب الجزائريين في ذلك الوقت (اندلاع الثورة) يعيشون في هذا المحيط الاجتماعي، يتمكنهم من ترسيخ فكرة الكفاح والجهاد في أذهان هؤلاء الجماعات الريفية المثبتة بالقيم الخيرية والقيم الدينية، ويقدم بعدها أعضاء تلك المجموعة التنظيمية التي سارت في عكس الخط الثوري المحقق للنصر والاستقلال، بالتبليغ عنهم لدى السلطات الاستعمارية العسكرية، التي كان رد فعلها عنيف المتمثل في قتل الجماعات من الرجال التي وثقت واستأمنت ذلك التنظيم المنشق والمنحرف عن التنظيم المفجر للثورة وتدخل في صراع في موقفها العدائي اتجاه التنظيم الثوري بشكل كامل بتعرضها للمؤامرة ووقوعها في مكيدة ذلك التنظيم ودسائسه حسب ما عبر عنه المفكر الشعبي في نص المثل الذي يضرب به في مثل هذه الوقائع:

«طاق على من طاق» [161]ص46. يظهر المعنى للمثل على عدم تكافؤ القوى في مثل هذه الظواهر المعتمدة على القوة والوسائل الدفاعية وامتلاك السلطة العسكرية والسياسية، أثناء وقوع الحروب يدفع ثمنها الجماعات من المجتمع التي تفتقد لها في النظم المتواجدة فيه، ويؤدي إلى عدم قدرتها على حماية وأمن على ضمان أمنها واستقرارها، وفي غياب القوى التي تنوب عنها في تنظيمها السياسي والعسكري المدافع عن كيانها وحققها في الحياة والعيش الكريم «إغظن الكل تيشغلوف، أنقروث ذي شيخ» [170]ص242، وحسب المعنى المقصود هو عدم تكافؤ القوى الفيزيائية (الطبيعية) والمادية كذلك من خلال المغزى المأخوذ من الشرح اللغوي للمثل من اللهجة الأمازيغية إلى اللغة العربية وهو «استفادة قطع الماعز كله من الرعي، لكن العقاب وقع على مؤخرة القطيع...» [170]ص242.

ونظرا لوجود هذه الفوارق والاختلافات في مصادر القوى وأنواع القوى التنظيمية، وهو ما يجعل الفئات الضعيفة تنزوي وتميل إلى قوة تنظيمية ذات السلطة القيادية للمجتمع، ويظهر أن تطور الصدمات وتواصل الخلافات بين قادة الثورة والانحرافات الواقعة من بعض تنظيماتها، عمل على زرع الخوف وحصول غموض بين أوساط الشعب، وتخوفه من وقوعه في المؤامرات والخيانات الدسيسة ضد الخط الثوري الصحيح وهو فعلا ما وقع لتلك الجماعات التي تعرضت لجرائم السلطات العسكرية الفرنسية جراء ذلك، لكن رجال الثورة وقادتها استطاعوا التصدي لتلك المؤامرة المحاكة ضد الثورة وأحبطوا تنظيمها ومحاولاتها لإفشال مخطط ثورة أول نوفمبر 1954 الذي هو تاريخ اندلاعها، رغم الصراعات الموجودة ونشوب واستمرار الخلافات بين قادتها ويتبين لنا ذلك حسب مضمون المثل التالي:

«تخلطت وجلطت ولعب خزها فوق ماها والله ما تصفاها غير إلا جا مولاهها» مثل مأخوذ من عند العامة. وهو مثل قيل أثناء الثورة نتيجة لتلك الصراعات السياسية الثورية وانعكاسها السلبي على

واقع حياة الشعب النفسية والفكرية والثقافية الخاصة بخصوص توجهات وتوقعات هذه الأحداث السياسية التاريخية الذي يرقب تطوراتها ونتائجها في الأفق على المدى القريب والبعيد، وهو ما يعكس النفسية والمزاج الذي عاشه المجتمع في أثناء اندلاع إلى غاية الاستقلال حسب ما يعكسه التصور الذهني لمضمون المثل الصادر من نفسية متأثرة شدها الانتباه والذهول أمام الأوضاع غير مستقرة والمضطربة «وربما تكشف الأمثال جانبا خطيرا من جوانب (المزاج العام للعصر)، قد لا تستطيع الدراسات التاريخية والاجتماعية المباشرة الكشف عنها... وهذا المزاج العام للعنصر لا تحدده مجموعة الحوادث التاريخية، ولا تكشف عنه بقر ما تحدده ردود الأفعال المباشر من جمهور الناس اتجاه الحوادث ونحوها» [171]ص35.

إضافة إلى هذه الظروف الاجتماعية الصعبة للمجتمع الجزائري في علاقتها بهذه الخلافات (الصراعات) بين الجماعات التنظيمية الثورية، إلى حياة القهر والظلم والسيطرة الناجمة من الاستيطان الممارسات الإجرامية للمستعمر، «لقد نشبت خلافات حادة، كادت أن تعصف بثمرة الاستقلال وتعود بالثورة كلها إلى نقطة الصفر». ويعود رسوخ الأفكار والتشبث بالقيم والمبادئ الثورية والسياسية اتجاه المستعمر وجرائمه المترابكة في حق المجتمع، إلى جانب الإيمان بالكفاح المسلح الذي رأت الجماعات الثورية لا خيار ولا بديل ولا رجعة فيه لأنه هو الوسيلة واللغة المناسبة للتفاهم والتخاطب مع المستعمر، وهي في ذلك تكون نابعة من ثقافة الشعب وزيادة وعيه من خلال تجاربه وخبراته مع المستعمر وممارساته الإجرامية وهذا عامل أساسي أدى إلى الإصرار على التصدي له بكل إرادة وعزيمة للقضاء عليه واستئصال جذور الاستعمار، ومواصلة الجهود التي تتطلب ضرورة الحذر والفتنة وضبط النفس تربصا للمؤامرات والخيانات المحتمل وقوعها، التي تعمل على الوقوف في المسار الإيجابي والصحيح، والأهداف المرجو تحقيقها لإنجاح الثورة والتمكن من إيصالها إلى عمق المجتمع والوثوق بشرعية مبادئها وهو بالفعل ما حدث، بتوسعها وتغلغلها المادي والمعنوي بين أوساط المجتمع (الشعب)، وتحقيق عمليات ذات فعالية ضد المستعمر والتنظيمات المتصارعة معها سياسيا، واجتازت مراحل متعاقبة في التقدم نحو تحقيق النصر.

«لكن الثورة استطاعت بقوتها تغطية هذه الخلافات وإذابتها في دماء الشهداء وحجبها بناورها ودخانها ودمائها...».

وقد أدت تلك الخطوات الإيجابية للثورة نحو التقدم وزيادة الانتصارات إلى زعزعة وإثارة مواقف السلطات السياسية والعسكرية الفرنسية وجعلها تبتكر وتعتمد بكل الوسائل المادية باستعمال أخطر أنواع السلاح والمعنوية، لأجل إفشال وتحطيم من قوة الثورة إرادة وعزيمة الشعب (المجتمع)، والتي كان أبرزها المشروع الذي أتى به رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة عندما حل بقسنطينة عام 1956.

عرف بمشروع قسنطينة، ويدخل في إطار الحرب النفسية، وكان من القرارات التي تضمنها. تمثلت في الحصول على امتيازات ومكاسب اجتماعية ومادية للأشخاص الذين ينضمون إلى جانب صفوف السلطات الفرنسية، وعن طريق بث أفكار أو قيما معتادة ومعادية للثورة، وقد تمكنت السلطة الفرنسية التأثير على جماعات من الأشخاص ويكون الدافع إلى ذلك العوامل الذاتية والشخصية التي مصدرها المرجعية الثقافية الخاصة بهم، قد تكون دوافعها لها علاقة أيضا بذلك العداء اتجاه التنظيم الثوري، الذي يظهر أنه لم يعد يثق فيه من طرف تلك الجماعات (الفئات) التي وقعت في المؤامرة والخيانة الناجمة عن الصراعات التي أدت إليها الخلافات بين قادة الثورة ورجالها. مما يظهر وجود صراعات نشأت نتيجة تلك الموقف الإجرامي من الثورة والشعب (المجتمع).

وإثر هذه الأحداث التاريخية السياسية وانعكاسها على حياة الأفراد والجماعات. وجدت الجماعات الثورية نفسها أمام مواجهة عدوين هما المستعمر وهؤلاء الأشخاص من جماعات المجتمع المساندة للسلطة العسكرية الفرنسية.

وأمام هذا الوضع الجديد المتمثل في حرب يمكن وصفها بالمزدوجة بظهور هؤلاء الأشخاص المساندين للمستعمرة، وتدخل بذلك الجماعات الثورية في صراعات بين هذه المجموعة والعزم على الإيقاع بها وتصفيتها جسديا مثل يكشف عنه المثل التالي:

«مذبوح للعيد والاعاشورا» [154]ص67 يبدو حضور هذا المثل الذي يتوافق محتوى مدلوله لمثل هذه الظروف الثورية الحربية، يكشف هذا المدلول الشعائري الديني عن المعنى الدال على الجرائم المرتكبة من طرف السلطات العسكرية الفرنسية والمتمثلة في القبض على الفدائيين والتنكيل بهم وتعذيبهم بغرض الاستنطاق للحصول بذلك على أسرار ومعلومات خاصة بالثورة والثوار، حيث تعتبر المجموعة المحاربين إلى جانب فرنسا، المعروفة بإسم "الحركى" هي المتسبب الرئيسي عن التبليغ وكشف مواقع وتحركات الثوار مثل زيارتهم لعائلاتهم وكان هذا دافع قوي بصدور قرار بالجبهة المنظمة والمفجرة للثورة بضرورة تصفية والقضاء على هذه الجماعات. حيث يعد ذلك بمثابة عقابا وانتقاما على موقفها المعادي للثورة، والمدعم من طرف المستعمر الذي عمد إلى وصف المجاهدين في سبيل الدين والوطن أنهم مجموعة عصابات إجرامية وقطاع طرق إلى جانب الخطابات المعادية والمناهضة للثورة والتي كانت تلقى في أوساط الشعب من تنظيمات كذلك رافضة للمبادئ والأهداف الثورية.

وباقتراب وتقدم الخطوات الناجحة المؤدية إلى تحقيق الاستقلال ونيل حرية الشعب الجزائري، رغم استمرار الصراعات والخلافات بين قادتها، حيث «... لم يكن أكثر الخصوم والمعارضين سوى

هؤلاء الذين كانوا يفكرون في اقتسام الثروة والثورة بالاستحواذ عليهما جميعا في حالة رفض مبدأ اقتسام غنائم الحرب»[172]ص19.

وقد برزت هذه الصراعات بين القادة السياسيين بعد حصول الشعب الجزائري على الاستقلال سنة 5 جويلية 1962، وتطورت إلى حد وقوع الاعتداءات استعمال السلاح، لأجل الوصول إلى السلطة، لاعتبارات متنوعة، قد تكون ذاتية وشخصية ومنها ما يخص المصلحة الشعبية للمجتمع. ويكشف المثل التالي:

«تخلطت وتجلطت ولعب خزها فوق ماها رياس في غير مرتبة هما سباب خلاها»[18]ص46. المصرح به من طرف الشخص والصادر عن نفسية تبدو متأثرة ومنفصلة على أن القصد به هو الإشارة للظروف المتأزمة والصراعات التي أدت إلى وقوع الاعتداءات بالسلاح بين المتنافسين من القادة على السلطة السياسية، كما يكشف مضمون المثل من خلال هذا التصور الثقافي للذهنية الشعبية، لممارسات السلطة السياسية والمعبر عن التهكم والاستهجان والقذف ضد الأشخاص الممارسين لهذا النوع من السلطة، كما يظهر أنه يعكس وعي وإدراك الجماعة الشعبية وتأثرها بهذه الوقائع والنزاعات (الصراعات)، المؤدية في نفس الوقت إلى تخوف وترقب المجتمع تطوراتها وأثارها السلبية على حياة أفرادها، خصوصا أنها جاءت مباشرة وفي خط متصل مع أحداث ثورة التحرير التي عاش الشعب تجاربها ووقائعها وخاض كفاحا ونضالا أدت نتائجها إلى استشهاد مليون ونصف المليون شهيد إلى جانب الآثار النفسية والاجتماعية على حياة الأفراد، وهذا يدل عن الاستنكار والتأثر بتلك الانحرافات العنيفة للسلطة.

«... إن رجال الثورة لم يكونوا يملكون أي إيديولوجية غير إيديولوجية تحرير الجزائر من ريق الاستعمار»[173]ص621 ويظهر أن هذا كان عاملا رئيسيا لغياب الأفكار والأسس المعرفية العلمية لبناء الدولة وتسيير شؤون وقضايا المجتمع في كافة الجوانب المتعلقة بحياة الفرد والجماعة ويفسر هذه الأسباب نشوء صراعات داخل إطار النظام السلطوي السياسي، بل قد يؤدي إلى تولد شعورا بعدم الأمن والاستقرار الذي طالما عاشه الجزائريين طيلة سنوات ثورة التحرير، إضافة إلى الجرائم المرتكبة والممارسات السلوكية الاستعمارية الفرنسية وقبلها أثناء فترة الحكم التركي، عاش خلالها تجارب حياتية اجتماعية تميزت بأشكال من الحرمان الاجتماعي والمعنوي في مختلف الأنظمة الاجتماعية والتنظيمات التي تشملها. بالنظر إلى التعدد والتنوع تجارب وخبرات الجماعة الشعبية في حياتها اليومية الاجتماعية ومسايرة مع التغيير الاجتماعي والثقافي، وباختلاف ظروف ومجريات هذه التجارب والخبرات يؤدي بدوره إلى اختلاف وتنوع النتائج المتوقعة وغير المتوقعة وهو ما تعكسه الأمثال الشعبية كونها تتميز بخصائص معينة في رصدها لأفكار وفلسفة الجماعة ونمط تفكيرها، من هذه الخصائص، نجد التناقض

والتضارب للأمثال حيث من خلال نص المثل الشعبي التالي: «خلطها تصفى» مثل مأخوذ من العامة . ويضرب هذا المثل ويحضر في الذاكرة الجماعية الشعبية، أثناء وقوع النزاعات العنيفة والمستخدم فيها السلاح مثل التي عرفتها القادة السياسيين، ويظهر أنها تواصل حتى بعد الاستقلال الوطني، كما تكشف عن وعي الجماعات المجتمعية الشعبية الممزوج بالتأثر النفسي وإن كان يبدو خفي، لتلك التطورات الخلافية السياسية، حيث يدور محورها الرئيسي حول الصراعات بين جماعاتها وفق الأهداف والمصالح المتنوعة المصادر والخلفيات المتعلقة بالجوانب المختلفة لهذه الجماعات.

والفكرة التي يكون قصد إليها من ذلك المدلول العملي المادي الظاهر للمثل والمتضمن لمعنى خفي قصد به مجموعة التوقعات والنتائج الايجابية التي بالإمكان تحقيقها على خلفية وتداعيات النزاعات العنيفة الواقعة بين جماعات الممثلة للسلطة السياسية، من منطلق أنها تؤدي إلى حدوث الاتفاق وحسم المواقف واتخاذ القرارات لضمان الأمن والاستقرار وانعكاس آثار وتطورات تلك الصراعات السياسية على حياة الفرد والجماعة والمجتمع.

يعترف أحمد بن بلة: "بأنه كان قليل الخبرة السياسية وقليل الثقافة لجهة ما يتعلق بتسيير شؤون الدولة وإدارة شؤون العباد والبلاد، بل لقد ذهب بعيدا عندما قال أن الثورة الجزائرية كانت تقتفر لأطروحة الدولة"[173]ص621.

2.3.3.6. الصراعات الاجتماعية السياسية ما بعد فترة الاستقلال وعلاقتها بالجريمة

باستمرار الوضع السياسي التي تمثله جماعات نظام السلطة بتطور الخلافات واضطراب وتوتر العلاقات ووقوع الانحرافات الخطيرة في هذا الإطار- يؤدي حتما وفي غالب الأوقات، خصوصا في الظروف المضطربة والمتوترة السائدة داخل نظام السلطة تأثيرها السلبي لجماعات وأفراد المجتمع وقد يكون هذا التأثير على المدى القصير أو المدى البعيد خصوصا وأن فئات المجتمع ومختلف شرائح جماعاته يتطلع دائما من قيادته السياسية توفير تلبية مطالب وحاجات الحياة المعيشية الإنسانية والاجتماعية، كما يحرص ويعمل وفق قيم الجماعة على الحفاظ والتمسك بالمكاسب والامتيازات المعنوية الثقافية والمادية الحضارية، التي ترمز إلى شخصيته القومية المجتمعية وهويته الحضارية الوطنية، وفي هذا المضمار تكشف لنا الأمثال عن وجود صراعات اجتماعية لها علاقة بالممارسات لنظام السلطة الحاكمة لفئات وشرائح المجتمع.

من الفئات الاجتماعية كذلك التي هي عبارة عن تنظيمات شعبية وحزبية، والجماعات المثقفة من العلماء والمفكرين، الذين قد يسعون وعلى اختلاف مذاهبهم الفكرية الأيديولوجية لمحاولات الإصلاح، إذا تبين أن قيادة السلطة السياسية لا تؤدي أدوارها الوظيفية الاجتماعية التي من المفروض تميل لصالح

خدمة ورعاية مصالح الفئات الشعبية الاجتماعية، مما يضطرها للتدخل ومواجهة هذه السلطة، لتدارك الأوضاع، فإذا حدث الاختلاف في الرؤى والأفكار لكل من هذين الفئتين، يفضي إلى تكون الصراعات، والتي قد تأخذ في تطوراتها مع الوقت، خصوصا إذا لم تستقر الوضع السياسي، نتيجة لعوامل مؤثرة في ذلك منها الاستعمار، وهذا ما ينطبق على تطورات الوضع السياسي وقيادة السلطة الممثلة والمجتمع الجزائري عبر المراحل المتعاقبة على هذه السلطة «... ومثلما دخل أحمد بن بلة في صراع مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد دخل في صراع مع رفاق دربه بالأمس حيث شعر العديد من مفجري الثورة الجزائرية أن البساط قد سحب من تحتهم، وأتهم باتوا من دون أدوار في مرحلة الاستقلال، وتم تشيخ أولى الاغتيالات السياسية في الجزائر في عهد هواري بومدين ووافقت كل العهود الجزائرية...» [173]ص623. ويظهر لنا مضمون المثل التالي:

«الحديد مع الحديد يولع» مثل مأخوذ من عند العامة، ومثل آخر باللهجة البربرية «إمشي هرق أقمسي» [170]ص141، ومعناه اللفظي العربي هو: النار تحترق بالنار، إدراك ووعي الجماعات الشعبية لتلك الخلافات والصراعات بين قادة السلطة السياسية وذلك من خلال النزاعات الحربية وسلسلة الاغتيالات الواقعة بينها، كما يكشف مضمون المثل إلى أثر استغلال القوة المادية والمقصود بها هنا - السلاح- كأداة تستخدم كأسلوب لحسم الموقف والتعبير عن المعاملة بالمثل.

ويمكن اعتبار تلك الصراعات بين الجماعات الممثلة لقيادة السلطة السياسية، مرتبطة بعدد من أنماط الصراعات في هذا النظام السياسي للمجتمع، كصراع الأدوار والصراع القيمي في لإطاره الاجتماعي والثقافي ووجود الدوافع الذاتية والموضوعية المحددة للأهداف والمصالح، وعلى أسس من الاختلافات والفروق الفردية الشخصية.

وقد تدارك تلك السلطة السياسية للانعكاسات السلبية الناجمة عن خلافاتها ونزاعاتها نتيجة نشوء الصراعات فيما بينها على النمو والرقى الاجتماعي والاقتصادي لأفراد المجتمع، قد يدفعها إلى اتخاذ أساليب معينة لتفادي كذلك تحول صراعها مع الفئات والشرائح الشعبية المجتمعية ويصبح بذلك الطابع المميز للعلاقة بينهما (فئة الحكام وفئة المحكومين).

ونظرا للدور الاجتماعي للمثل الشعبي وتأثير في النفس ويتميز به من رصد للأحداث والوقائع والسلوكات، والممارسات العملية للجماعات، من خلال التعبير عنها في جمل بسيطة مختصرة تحمل الكثير من المعاني والدلالات، إلى جانب انتشاره بين الفئات الشعبية والجماعات وبكشف من خفايا النفس من طموح وآمال وآلام، وشعور لطبيعة الظروف والأوضاع المميزة لواقع الحياة اليومية الاجتماعية

وسرها الذي تصرح به قاصدة بذلك سلوكات صادرة عن الجماعات المختلفة كما هو مصرح به في هذا المثل التالي:

«حوت ياكل حوت وقليل الجهد يموت» [143]ص22، ومثل آخر يحمل نفس المعنى ونصه:

«الحوت الكبيرة تأكل الحوت الصغيرة» ويضرب في باب الحكم والسياسة وغياب الضوابط الشرعية والقانونية" [161]ص25. ويظهر أنه (المثل) صادر عن نفسية متأثرة بواقعها الاجتماعي الاقتصادي، الذي عبرت عنه وشبهته من خلال تلك السنة الطبيعية الموجودة لدى "الحوت" وبهذا يكون قصد بها أثر اختلاف القوى الطبيعية واستغلالها للسيطرة والعدوان بين المخلوقات البشرية إشارة إلى المعنى الخفي الذي يحمل دلالات سلوكية اجتماعية تتمثل في التظلم والقهر المآسي الاجتماعية التي تبدو الطابع السائد والمميز لحياة الفئات والشرائح والجماعات، ويكشف عن تلميح للقوة السياسية التي تتولى مسؤوليات تسيير قضايا ومطالب أفراد المجتمع وفق الشرعية القانونية التي تسنها في ذلك ودور الجماعات في العمل والممارسة الصحيحة لها، فإذا لم تتمكن نتيجة لارتباطها بعوامل مختلفة والتي تكون تلك الصراعات والمؤدية في الغالب إلى العنف والعدوان المسلح، كالاغتيالات فقد يكشف المخيال الشعبي في تصويره للممارسة السلطة المتعلقة بالظاهرة السياسية بإرجاعها إلى عوامل اجتماعية نفسية ذات بعد اقتصادي أو اجتماعي، في وجود الذي قد يكشف عن صراع شخصي لدى الفرد بحكم تواجده في هذا المركز الاجتماعي وفي وجود للمكاسب والامتيازات المادية على رأسها الثروة، حيث وحسب ما يكون المثل الشعبي المصرح به والمعبر عن رأي المفكر الشعبي في جانب للممارسة السلطة السياسية وأثرها على انحراف السلوك .

«الرشوة تعمي قلوب الحكام» [147]ص279، يكون بذلك قد جعل لهذا النمط من الجرائم والتمثل في الرشوة أداء وظيفة سلبية في تأثيرها على السلوك الاجتماعي الشخصي الخاص بهذه الفئة الجماعية الحاكمة المتمثلة للسلطة السياسية ويكون كذلك قد حدد إطار تصوري من خلال إعطاء صورة نمطية إجرامية لهذه الجماعة القيادية لقضايا ومشاكل المجتمع دون اعتبار للضمير الأخلاقي الذي يعكس مراعاة قيم الجماعة والمجتمع يمتثل لها، وفي وجود الوازع القيمي والديني والأخلاقي، الذي يعمل على التصدي للفعل الإجرامي بمحاربة الأهواء الذاتية المؤدية لارتكابه، غير أن هذا النمط للجريمة هو "الرشوة" الذي جعل لها وظيفة تؤديها في تأثيرها على سلوك الفرد والجماعة السياسية، يمكن اعتبار سلوك ناتج عن طبيعة الفعل والتمثل في ارتكاب الجريمة على أن من تداعيات ارتكاب الفعل الإجرامي هو الشعور بعدم الأمن، والتوترات النفسية، والعصبية، ومجمل هذه التداعيات يخفي الخوف من التعرض للعقاب المتمثل في الضبط الرسمي الذي انتهى بصاحبه إلى الإخفاق وال فشل في

العلاقات الاجتماعية، وفقدان الكثير من المكاسب والامتيازات الاجتماعية ماديا ومعنويا ويكون المثل التالي:

«اللي في كرشو التين يخاف من النار» مثل مأخوذ من عند العامة. إشارة إلى الخوف والتعرض للضبط الرسمي وجزاءاته، أو التعرض رد فعل انتقامي مثل الاغتيال، بالنظر لهذا النوع من السلطة، ويمكن إرجاع ذلك دائما إلى الصراعات القائمة بين قادتها وتطوراتها السلبية. في باريس ألف محمد بوضياف كتابا بعنوان "الجزائر إلى أين" عالج فيه مصير الجزائر بعد استقلالها ووسط هذه الخلافات السياسية[173]ص624، وهو ما يدفع بالسلطة وقادتها إلى اتخاذ سلوك اتجاه الجماعات الشعبية ومحاولة التقرب منها بأساليب ووسائل متنوعة الاتصال الاجتماعي عبر مختلف وسائل الإعلام، أو اللقاءات الشعبية المباشرة في مواعيد معينة قد تكون تاريخية أو دينية مثل ما يكشف عنه المثل:

«صلاة القياد الجمعة والأعياد»[168]ص103، نجده في نص المثل التالي بصيغة نفسها تقريبا وهي: «كي صلاة القياد الجمعة والأعياد»[3]ص116. وهو منتشر بين الأفراد والجماعات، قد يكون التصريح به، إشارة دون قصد لها أو تلميح لمعنى اتجاه هذه العادة المميزة لجماعة السلطة، إلا أنّ هذا لا يخفي صورة الاستهجان والتهكم على هذه الجماعة، التي بدورها لا يمكن إنكار لوجود صراعات اجتماعية التي يبدو إخفاءها لا شعوريا، ويظهر ذلك في الصيغة النصية الأولى، عكس ما نجده في الصيغة الثانية، حيث يظهر تأثير نفسي مشحون بانفعالية، قد تكون إيجابية أكثر منها سلبية أو العكس، وفي كلا الحالتين، يمكن اعتباره مؤشرا على وجود صراع اجتماعي لدى الفئة المحكومة اتجاه الفئة الحاكمة، ويظهر أن التصريح بهذا الإقرار الشعبي المتضمن في المثليين ناتج عن مدى دور وسائل الإعلام في التوجيه والتأثير على أفكار وأراء وسلوكيات الفرد والجماعة بالنظر إلى القيم التي يحملونها والمكتسبة خلال عملية التنشئة التي حددت اتجاهها معينا يكشف عن أحد أنواع هذه العملية الاجتماعية، المتمثل في التنشئة السياسية الفرد والجماعة، إذ قد يدل ذلك على وجود انحراف بها أو غيابها نتيجة لعدم تلقي هذا النوع من التنشئة في معناه التربوي والمقصود بها في هذا المضمون التربوية الوطنية والتي هي كما يقول ناصيف نصار «تربة سياسية من أولها إلى آخرها»[107]ص145. كما أنّ التصريح بمثل هذه المعاني، والآراء، والتصورات من طرف الجماعات الشعبية اتجاه جماعات السلطة السياسية، قد تكشف كذلك علاقتها بالأوضاع والظروف الاجتماعية لحياة الفرد والجماعة الذين يسعون ويسودهم الترقب لتلبية المطالب والحاجيات والمنافع المادية الاجتماعية، وقد يصل هذا الانتظار إلى حد اليأس والمؤدي في أحيانا ما إلى انحراف للأفراد والجماعات الشعبية تصل إلى درجة التمرد وإحداث انتفاضة تأخذ مسارا خطيرا، يتمثل في السلوكات الإجرامية المؤدية إلى الإصرار بالتملكات ومكاسب المؤسساتية لدى المجتمع والدولة، تعبيرا منها على الإغرار والتزييف للحقيقة، المتمثلة في تقديم الخدمة الاجتماعية وتحقيق الرقي والرفاهية، وتدعو مثل هذا النوع من الانتفاضة إلى تذكر أحداث 05 جويلية

1988 التي عرفها المجتمع الجزائري، والتي تصدت لها السلطة باستخدام أساليب القوة الردعية للقضاء عليها وإظهار هيبة الدولة في ذلك وقد يحضر المثل الشعبي التالي:

«يأكلون الغلة ويشتمون الملة» [168] ص 91. في مثل هذه الحوادث ويضرب، في باب الحكم والسياسة والذي يظهر هذا النمط للسلوك الإجرامي من طرف الجماعة الشعبية التي عبرت عن احتجاجها وعصيانها وتمردا نتيجة لعدم تغيير أوضاعها الاجتماعية. ويبدو هذا ترجمة لمضمون المثل اللفظي ذو دلالة معنوية في محتواها القيمي والسلوكي.

«سلطان جاير ولا رعية فاسدة» [147] ص 177. ويتمثل الفعل الاجتماعي المتخذ من جانب السلطة السياسية تجنباً لوقوع السلوكات الإجرامية المتمثلة في تمرد الأشخاص من الجماعات الشعبية، في استمرارها في إيجاد الحلول للمشكلات الفرد والجماعة، ذات الأبعاد المختلفة والأساسية منها، العد الاقتصادي أهمها ظاهرة الفقر ومشكلة البطالة والمتفشية في المجتمع الجزائري، وما ينجم عنها من أنماط للجريمة، غير أن اختلاف الأهداف واصطدام المصالح بين الجماعة السياسية التي تترجمها الخلافات المؤدية أحيانا إلى وقوع الاعتداءات المسلحة، يعد عائقا يحول دون تحقيق المصلحة العاملة للفئات وشرائح المجتمع الشعبية، ويمكن إرجاع أسباب وقوع مثل هذه السلوكات الفردية للأشخاص، على أساس ارتباطها في الغالب بعوامل ثقافية، اجتماعية، التي تعكس القيم والمعايير الجماعات، وفق انتمائها للسلم الاجتماعي التدرجي للمجتمع الذي يشمل مختلف الفئات المتميزة بثقافتها الخاصة بها ولتي تختلف عن ثقافة الفئات المجتمعية الأخرى وثقافات هذه الجماعات، تشترك كلها مع الثقافة العامة السائدة في المجتمع الجزائري والمقصود بذلك الثقافات لفرعية، ويظهر الاختلاف بينهما في نمط القيم والمعايير والأنماط السلوكية والعادات والتقاليد وأنماط التفكير في حدود معينة، ينجم عن هذا الاختلاف في أحيان ما تصادم تلك القيم من خلال أحد أشكال الاتصال والتفاعل الاجتماعي، حيث يتوقع أن يكون طبيعة الصراع الناشئ في هذا الإطار العامل الرئيسي المؤثر، في سير تلك العمليتين الاجتماعية المذكورتين، مما قد يؤدي إلى الفشل في إقامة العلاقات الاجتماعية أو استمرارها في حالة وجودها، وقد يكون عكس ذلك. وفي مسار مخالف تماما وخطير، قد يكون سببا يدفع أشخاص من تلك الجماعات إلى ارتكاب سلوكا منحرفا، يؤدي إلى ارتكاب جريمة معينة، التي يمكن أن تقع في إطار البنيات الاجتماعية الثقافية في اتجاهها الصراع، الرامز للثقافات الفرعية، ومنه نتناول تحليل مجموعة الأمثال المتضمنة للجرائم الواقعة في هذا المضمار، والكشف عن وجود صراعات للجماعات الثقافات الفرعية في المجتمع الجزائري.

4.6. وجود صراعات اجتماعية بين الجماعات الثقافية الفرعية وعلاقتها بالجريمة

وفي هذا الصدد، فقد تضمنت الأمثال المحصورة لهذا الموضوع الخاصة بالجماعات الثقافية الفرعية موضوعين وهما:

1.4.6. أثر النمط الاقتصادي للبناء الاجتماعي للجماعات الثقافية الفرعية في نشوء الصراعات

ووقوع الجريمة

- حسب ما حملت محتويات الأمثال، يظهر أنها مثل ما يكشفه المثل الشعبي في صيغ تعبيرية متشابهة وهي كالآتي:

«إلي يدير رحو تشيشة يأكلوه الفلاس وإلي يدير رحو طعام يأكلوه المجالس» [168]ص88 وفي الصيغة التعبيرية الثالثة لنفس المثل «خلط روك مع نخالة ينقبك الجاج» [153]ص102. وفي الصيغة التالية: «دير روك نخالة ياكلوك الفلاس، دير روك طعام ياكلوك المجالس» [159]ص44، وكذلك نجده في صيغة أخرى ب: «إلي طلا نفسه بالنخالة كلاتو البقرة» [3]ص141، يعد هذا الحيز الذي اتخذ منه المصرح بالمثل أداة للتعبير عن رأيه، ولاعتقاد الخاص بديناميكية الروابط الاجتماعية بين الجماعات التي تتميز في بنائها الاجتماعي، حيث أن نتائجها وتداعياتها تؤدي إلى الإخفاق والعجز في تكوين علاقات اجتماعية متوائمة، التي يظهر أنه يطغى عليها طابع السلبية المؤدية إلى الانسحاب، وقد يخفي في دلالاته الاجتماعية، نشوء صراعات ناجمة عن الاختلاف في الخصائص والسمات المميزة لكل فئة مجتمعية، والتي يكون أبرزه الطابع الاقتصادي، وأثر في حدوث التفاوت الاجتماعي.

يظهر أن المصرح بالمثل، قد أشار إلى مستويين اجتماعيين مختلفين (أدنى / أعلى) وهو بذلك قد رسم صورة كل فئة مجتمعية، وفق الترتيب السلمي الذي تحتله في سلم التدرج الاجتماعي، كما يظهر الدلالة الخفية، على أثر السلوك الإجرامي، ناجم ويكشف في غالب الاعتقاد على وجود ذلك الشكل من الصراع الاجتماعي المتضمن لتصادم القيم والمعايير، حيث يمكن اعتباره عاملا أساسيا ومؤثر في ارتكاب السلوك المنحرف والذي يصل إلى حد الوقوع في نمط معين من الجرائم مثل ما صرح به المثل الشعبي التالي:

«أولاد الحمير بالركلة وأولاد الملوك بالسكين» [147]ص25. فقد اتخذ صاحب المثل للتعبير عن نمط الجريمة التي أشار إليها من خلال التعبير باستخدام الحيز المتمثل في وسيلتين (شيئين)، اللتان يراهما أنهما تتلاءم مع كل فئة مجتمعية المتميزة في خصائصها وسماتها وتظهر لنا الدلالة السلوكية من خلال نظرته يسودها الاستعلاء والاحتقار اتجاه الفئة المجتمعية التي تحل مستوى متدني في رأسمالها

الثقافي والاجتماعي وتعيش ظروفًا وأوضاعًا قاسية وتتواجد في بيئات اجتماعية تعرف ظواهر معينة تؤدي إلى انتشار الجرائم لدى أفرادها الذين قد خضعوا لتنشئة اجتماعية يميزه خلل معين نتيجة حدوث تفكك اجتماعي معين كالطلاق، أو غياب لأحد الوالدين أو كلاهما نتيجة وفاة، أو اضطرابات أسرية والظروف الاقتصادية لصعوبة لبعض الأسر وما ينجم عنه من ظواهر إجرامية ومشكلات مثل انحراف الأحداث، وعمالة الأطفال، والتسرب المدرسي. على أن هذه الخصائص والأنماط السلوكية المميزة لدى أبناء بعض الأسر المنحدرة من بيئات اجتماعية متدينة، يظهر أنه يعكس صورة نمطية من طرف الأشخاص الذين وفي إطار توافر عوامل تشيئية قد تسودها نزعة إجرامية، وبالنظر إلى وجود خصائص واستعدادات عدوانية وراثية فردية (شخصية)، والمنتتمين إلى فئات في أعلى المستويات الاجتماعية الاقتصادية، يرى الإمام محمد عبدو إلى أن «... أبناء "المسرفين" فاقدو للتربية ومتركون في زوايا الإهمال، يسرهم في كل ذلك فرحهم بأبنائهم الذين لم يكتسبوا شيئاً من الفضائل» [103]ص120، يتبين من خلال ما تضمنه المثل، التلميح إلى وجود اختلاف لأنماط الجرائم بين الفئات المختلفة. وبكشف النمط الإجرامي المتضمن في المثل التالي:

«إذا قالك سيدك ذيب قل أنت يا معناه» [147]ص25، وجود صراع للقيم التي تتميز بها فئة مجتمعية التي ينتمي إليها من هذين الشخصين المشار إليها في نص المثل، واللذان يجمع بينهما رابطة هذا النمط من الروابط الاجتماعية على أساس أداء الأعمال وخدمة المصالح، والمقصود بذلك فيما تكشف عنه الدلالة السلوكية اللفظية المتضمنة للجريمة هذا الاعتداء المتمثل في تبادل السلوكات الإجرامية اللفظية المشحونة بالانفعالات السلبية، وفي مجال يتميز بحراك اجتماعي ويظهر ذلك في انتقال الشخص الذي يقوم بخدمة سيده والذي يكون صاحب العمل الذي يشتغل عنده في منزله أو يكون صاحب أو رئيس معمل، ويمكن أن يكون لهذا النمط من الجريمة له علاقة بصراع القيم بين كل من جماعات (البدو/الحضر) أو (الفقراء /والأغنياء) وعلى أساس العوامل التنشئية والاستعدادات الإجرامية المميزة للأشخاص، ويخالف المثل التالي:

«أقتل الخديم وما تقتلش شي سيده» [147]ص51، في صياغة أخرى نجد نصه هو: «أقتل العبد ولا تقتل سيده» [153]ص126، وفي نص آخر: «أقتل العزري وما تقتلش سيده» [159]ص44. نجد التفريق في هذا المثل لارتكاب هذا النمط من الجريمة والمتمثل في القتل موجه ضد الشخص المسمى "بالخديم" في نص المثل في الصياغة الأولى، وبـ"العبد" وفي الصياغة الثالثة بـ"العزري" يظهر أن هذه التسميات الثلاث تدل على حقبة زمنية تاريخية اجتماعية والمتمثلة في التواجد التركي بالجزائر، حيث عرف فيها المجتمع الجزائري التقليدي ظروفًا وأوضاعًا اجتماعية، طغى عليها الاضطرابات والصراعات بين الفئات الاجتماعية التركية والجزائرية في كثير من الأحيان، ترجمتها أنماط المعاملة

المتميزة بالقهر والاضطهاد، ووقوع أنماط من الجرائم المتمثلة في القتل والسلب والاحتفال وعلى ممتلكات الجزائريين، إضافة إلى أشكال التعامل التي سادها الاحتقار والتسلط، وتحديدًا في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر.

فانتقال الشخص للعمل من فئة مجتمعية تحتل مكانة اجتماعية في أدنى أو أعلى مستويات التدرج الاجتماعي يعتبر حراكًا اجتماعيًا رئيسيًا إلى الفئة المجتمعية المتواجدة في المستويات العليا من التدرج الاجتماعي، وهو ما ينطبق على نمط الرابطة الاجتماعية المتضمنة في الأمثال نفسها، على أنّ الشخص الآتي من هذه الفئة المجتمعية في المستويات، المتوسطة أو المتدنية، للعمل عند الفئة المجتمعية ذات المراكز الاجتماعية المتميزة على أساس وجود معايير موضوعية مادية كالمكاسب والمنافع التي تقدمها بمثابة رأس مال اقتصادي إلى جانب نمط الاستهلاك، يمكن اعتباره معيار في التأثير يتحكم في تشكيل أنماط السلوك الخاص بها إلى حد ما. ويتدخل في رسم معالم ثقافتها والإحاطة بعناصرها من قيم وعادات وأفكار، أنماط تفكير متغايرة مع الفئات الأقل منها مركزًا، والتي تقطن في بيئات تنحدر من بيئات اجتماعية تتميز بظواهر سلبية وتعيش مشكلات اجتماعية أهمها قد يكون الازدحام السكاني والفقر الذي قد يدفع الجماعات المنحرفة للقيم الثقافية المتوارثة من جيل إلى جيل بانتقالها نتيجة عوامل تشيئية متجذرة في أصولها العائلية، تعتبر عاملاً في تكوين عصابات الإجرام، حيث تسعى بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى أعلى المستويات الاجتماعية، وصد الحرمان الذي عاشته من المكاسب والمنافع المادية الاقتصادية، والثقافية كالمهنة والتعليم، ونحاول التعرف من خلال مجموعة الأمثال التي يدخل مضمونها في هذا الجانب الثقافي بالسلوك الإجرامي الخاص يمثل هذه الجماعات وثقافتها.

1.4.6. أثر النمط الاجتماعي الثقافي وعلاقته في نشوء الصراعات الاجتماعية المؤدية للجريمة

أشارت مضارب هذه المجموعة من الأمثال إلى أنماط من السلوك الإجرامي الذي تتميز به جماعات تشترك في قيمها الثقافية التي تطبع حياتها الاجتماعية، حيث يظهر لديها الميل إلى النزعة الإجرامية وارتكاب الجرائم بهدف الوصول إلى أهدافها المختلفة.

قد اتخذت هذه الأمثال حيزًا بارزًا للتعبير عن تصوراتها وآرائها اتجاه الأفراد المنحدرين من الفئات المجتمعية الموصوفة في شخصيتها بالممارسة السلوكية الإجرامية ونمط الجرائم الناجمة عنها. ويتمثل هذا الحيز في الحيوان المسمى "الكلب" الذي تشبهه وتقيس الجماعة الاجتماعية الشعبية الأفعال الإجرامية والمنحرفة الخطيرة للفرد أو الجماعة في الثقافة الشفاهية مثل ما هو مصرح به في المثل التالي:

«الدق للباب والعصا للكلاب»[147]ص20 يكشف تصور صاحب المثل حيث يرى الإقدام عن طريق العدوان الجسدي (الضرب) ضد هذه الجماعة التي يظهر أنها تتميز بنشاطها المنحرف الخطير الذي يكون نتائجه ارتكاب الجرائم، هو بمثابة ضبط اجتماعي فعلي في تحقيق نتائج تقويمية لهذا السلوك الخاص بالجماعة الفرعية المنحرفة وأقرت بذلك البنية الذهنية بضرورة الجزاء العقابي باعتباره آلية لها واستخدامه كوسيلة ضبطية في التعامل مع سلوكها الإجرامي.

وهذا يتبدى منه إشارة إلى وجود صراع للقيم الثقافية للجماعات الفرعية في سلمها الثقافي الاجتماعي والذي يحمل في دلالاته القيمة الخفية، الانحراف عن القيم والمعايير للمجتمع. ويتضح هذا الانحراف لمثل هذه الجماعات في المثل التالي:

«ما يسيروا في الليل غير أولاد الحرام»[147]ص28. فالمقصود حسب الدلالة التفكيرية التصورية على أن الجرائم المرتكبة تكون من قبل أفراد الجماعات المنحرفة عن القيم الدينية والخلقية والتي تفتقد للوازع الديني وتتم ممارستها لسلوكها الإجرامي في فترات الليل وذلك خشية اكتشاف جرائمها والذي سيعرضها للوصمة الاجتماعية السلبية وكذلك العقاب الذي قد يكون رسمي أو غير رسمي. يمكن ربط مصدر وزمن صدور هذا المثل الشعبي بالحقبة الاستعمارية الفرنسية بالنظر إلى الوضع الاجتماعي المميز الذي كان يخضع فيه العقاب لسنن العرف الاجتماعي القائم على الضبط الغير رسمي في غالبيته دون اللجوء إلى القانون.

«شبع الكلاب عظام»[147]ص212. والمقصود به نيل الجماعات المنحرفة العقاب، نتيجة أفعالها الإجرامية التي تسعى من خلالها إلى الوصول إلى تحقيق أهدافها التي تميل في جانبها الرئيسي المتمثل في تحسين مستواها الاجتماعي الاقتصادي أو للحفاظ والإبقاء على مكانتها الاجتماعية التي تحقق وتضمن له حياة الرخاء والرفاهية والازدهار ويسعون لتسويقها لأبنائهم، وتكشف الدلالة الخفية الخاصة بالبنية الاعتقادية لمضمون المثل في تعبيرها عن الرفض والاستهجان لهذا النمط للجريمة، وتهكمها على النزعة الإجرامية لدى هذه الجماعات التي تحمل قيما غير تربوية وأخلاقية، ونكشف عن نمط الثقافة الفرعية التي اكتسبوا مبادئها وقيمها السلبية ذات الطابع الإجرامي، المؤدية لممارسة السلوك الإجرامي، وهذا يؤدي في غالب الأحيان إلى انعكاس آثارها الخطيرة على المجتمع وظهور مشكلات تعرض تنميته وتقدمه وازدهاره، كما يكشف نفس الدلالة الاجتماعية للمثل عن وجود ذلك الصراع الاجتماعي لقيم الخير والشر، بين الجماعات الاجتماعية وذلك وفق ثقافتها المميزة لها والتي تشترك كل منها في نوع معين من هذه القيم. وفي محتوى نص المثل التالي:

«تحابوا الكلاب على عرقوب الساسي» [153]ص85. وفي نص آخر نجده: «تحابوا الكلاب على عرقوب الساسي» [150]ص34، ويكشف مضمونه في دلالاته القيمة الثقافية من استهجان وتهكم الجماعة الاجتماعية لنمط آخر من جرائم الثقافات الفرعية للجماعات ويظهر حسب المعنى التالي الخاص بمضرب المثل «يضرب المثل في بطش الجماعة من الأقوات الذين يبطنون بالرجل الضعيف» [153]ص85. وهو ما يعطي صورة العوامل التنشئية لهذه الجماعة من الأشخاص، عاكسة السلبيات الخطيرة لهذا السلوك الإجرامي الناجم عن وجود خلل لعملية التنشئة الاجتماعية التي تلقتها في محيطهم الاجتماعي، وأثر النزعة الإجرامية الظاهر لديها والمجسد في ممارسة العنف اتجاه الأفراد، وقد يشمل هذا الاتجاه في إطاره الاجتماعي وجود ضغوط ومشكلات متعددة ومتنوعة، اجتماعية، نفسية أو اقتصادية، مما يؤدي إلى إخفاقهم في تحقيق الاتزان النفسي والتوافق الاجتماعي، على أساس القيم التربوية التنشئية التي يبدوا غيابها الكلي، هذه القيم التي تعد الأساس الجوهرية في بناء شخصية الطفل وإعداده ليكون فردا صالحا لنفسه وجماعته ومجتمعه، وحسب الجريمة الواقعة على الفرد المصرح به في نص المثل بـ "الساسى" وهو مصطلح لغوي عامي (شعبي) والمقصود به الفرد المتسول الشخص المتسول، الذي يحتل أدنى مكانة في السلم الاجتماعي، يمكن اعتباره مؤشر للانحرافات الخطيرة لدور الأسرة الوظيفية التربوي والاجتماعي والذي يتمثل أساسا في تحويل الكائن البشري من حيوان بيولوجي إلى كائن اجتماعي، خصوصا إذا تميزت شخصيته بالميل إلى النزعة الإجرامية التي تعكس تلميها الغرائز الفطرية الوراثية والفروق الفردية الشخصية، العقلية منها أهمها الذكاء والنفسية والمزاجية، خصوصا إذا تعلق بالشخصيات السوسيوبياتية (المضادة للمجتمع)، المعروفة باستعدادها الإجرامي الذي يجسده السلوك الإجرامي المؤدي مثل هذا النمط من الجريمة المتمثل في الاعتداء الفيزيقي على الأشخاص خصوصا إذا ما تعرضت إلى ضغوط معينة قد تكون نفسية أو اجتماعية، وتأثير العوامل الذاتية لها، المتمثلة في تحقيق الرغبات والأهواء والحاجات، وإصرارها على تلبيتها وإن كانت تتعارض مع قيم ومعايير وأهداف الجماعة، حيث ترى إيجاد الوسيلة الفاعلة لردع السلوك الإجرامي لمثل هذه الجماعات الإجرامية وثقافتها النمطية ونمطية ثقافتها المنحرفة، مثل ما يظهر في المثل التالي:

«أذكر الكلب أو وجدلو عظم» [147]ص31. والمقصود به ووفق ما قرأته الجماعة والذي يعكس "الوعي الجمعي" اتجاه النمط النمط الثقافي للجماعات المرتكبة للجرائم، ضرورة تطبيق الجزاء المتمثل في العقاب الفيزيقي وهذا يعكس ووفق التصور الذهني المتضمن للطريقة النموذجية التي تراها الجماعة الأسلوب الملائم عند الجماعات المجرمة، وهذا يعكس نمط تفكيرها والأحكام التي هي صادرة عن العرف الاجتماعي وقد عبر المفكر الشعبي عن ذلك الشكل من التفاعل الاجتماعي المتمثل في الصراع بين القيم الثقافية الموجودة بين الجماعات الفرعية، باستخدام أداة (شيء) وهو "عظم" وهو

تعبير معنوي المقصود به هو العقاب، عكس المعنى المقصود في المثل الآخر، حيث كان المقصود به ويظهر لنا المثل التالي:

«خير من أولاد الكلبة ندي الكلب» [159]ص43. وفي صياغة أخرى «خير من أولاد الجروة ندي جرو» مثل مأخوذ من عند العامة. النقد الذي يمكن طرحه في المعنى والاتجاه الأخلاقي والثقافي وفق ما ذكره الإمام أبو حامد محمد الغزالي في تصوره للنفس البشرية "...أنّ استعداد الإنسان بما يسر شهواته البدنية، لكن هذه الملذات ترتقي مع نمو الإنسان ومع تطور أعضائه واكتسابه للتجارب الجديدة..." [103]ص113.

النمط الآخر من الثقافات الفرعية للجماعات المنحرفة يتمثل في دلالاته الاجتماعية التربوية إلى النمط الانحرافي لأعضاء معينين من الأسرة، من خلال حيز قصد به كل من الأم وأبنائها، والأثر الذي يعكسه دور الأم في توجيه سلوك أبنائها، والذي يتوجب دورها الوظيفي التربوي السلبي في إطار المجال الاجتماعي الثقافي الذي يميز حياة مثل هذه الأسر، والتي تعيش في الغالب على هامش المحيط الاجتماعي الكلي للمجتمع، وتحتل أدنى مستويات في السلم النموذجي التدرجي للمجتمع على اعتبار أن العرف الاجتماعي للمجتمع الجزائري خاصة المحافظ المتمسك بمعايير أخلاقية، ترفض إقامة روابط و علاقات اجتماعية مع هذه الفئة المجتمعية، خصوصا ما تبين وجود للسلوك الإجرامي المؤدي إلى جرائم أخلاقية مثل جريمة البغاء، والدعارة، التي تؤدي آثارها إلى انتشار الفساد والانحلال الخلقي، وتكون عصابات إجرامية ترتكب أنماطا أخرى للجريمة، وظهور مشكلات اجتماعية أخرى في المجتمع، مثل انحراف الأحداث، وتداعيات هذه الجرائم الناجمة عن ممارسة السلوك الانحرافي والإجرامي، قد يرتبط ظهورها وخطورتها أساسا عندما يكون المتسبب والمرتكب لها من جانب الأم التي تعد المحور والركيزة الأساسية في تنشئة الطفل وإعداده فردا صالحا، «إن الأم دورها في فساد أو صلاح شخصية الطفل وتنعكس مشاعرها على الأطفال مباشرة» [105]ص23. قد يزيد الوضع الاقتصادي السيئ للأسرة وبالإضافة إلى وجود الاضطرابات بها، كالصراعات المترجمة في صور العنف الأسري وكذلك تصدع الأسرة نتيجة لتفكك أسري ك انفصال الوالدين، أو وفاة الوالد، وغياب امتيازات ثقافية، أهمها الشهادات وفرص التعليم، ومجمل ضغوط هذه العوامل، باعتبار الخصائص الانحرافية الثقافية الفرعية لمثل هذه الجماعات (الفئات المجتمعية) يغلب عليها الطابع الانحرافي والإجرامي يعد حاجزا تضعه الجماعات التي تمثل قيم ومعايير الجماعة المولدة للسلوك الاجتماعي السوي، الفاعل في المجتمع بمعادلة للسلوك الإجرامي وارتكاب الجرائم، وهذا يعد وفق هذا التصور الذهني الثقافي للشخصية المنحرفة أخلاقيا. الذي يكون قصده المفكر الشعبي في مضمون المثل، على أن التفاعل الاجتماعي مع مثل الشخصيات المنتمية للفئات المجمعية الهامشية، سيأخذ شكله الصراعي الذي تكون عواقبه وقوع الجريمة ضد الفرد، الذي هو

خارج عن محيطها الاجتماعي ونمطها الثقافي المنحرف، مثل حيث يكشف لنا المثل التالي جانبا لهذه
الذهنية الشعبية الجماعة الاجتماعية ونص هذا المثل هو:

«الخلطة تردي والجرب يعدى يا زعطوط يا ولدي» [149]ص53. وتكشف دلالاته التربوية
الاجتماعية والثقافية الظاهرة في تقديم الوعظ والترشيد والنصح والتنبيه من جانب والد اتجاه ابنه، وهذا
من باب عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية الوالدية، المتمثلة في تلقين الأبناء القيم الثقافية والتربوية
الأخلاقية وتدل الإشارة في هذا الصدد، إلى مدى تأثيرها للجماعة الرفاق على الفرد، والمقصود في ذلك
نمط الثقافة الفرعية للجماعات المنحرفة التي تترجمها أنماط من السلوك الإجرامي المرتكب المؤدي إلى
ارتكاب الجريمة في علاقتها بالصراع القيم واصطدامها. غير أن تأثيرها بجماعة منحرفة على الفرد، قد
لا يصبح في أحيان كثيرة، إذ قد يحدث العكس حيث نجد تأثير الفرد له كذلك فاعليته في الجماعة،
خصوصا إذا كانت ثقافته الفرعية تتميز بقيم ومعايير إيجابية تؤدي إلى تغيير القيم السلبية والسلوك
الإجرامي وتقويم سلوك الفرد المجرم والجماعة المنحرفة تربويا وأخلاقيا «أما الجماعة السلبية فهي
الجماعة المرجعية السلبية فهي الجماعة التي يشارك الفرد في معاييرها دون تقبل منه لهذه
المعايير» [103]ص457.

ويظهر المثل التالي: «الذيب ما يعض خوه» [144]ص78. ونجده في نص آخر ب «الكلب ما
يعض خوه» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي نص آخر ب «الكلب ما ياكل خوه» [144]ص79، في
دلالاته السلوكية الاجتماعية الخفية، وجود لصراع قيمي المميز لثقافات الفرعية والمقصود حسب ما عبر
عنه المفكر الشعبي في فكرة أراد من خلالها تفسير نمط التفاعل الاجتماعي الواقع بين ثقافة الفئات
المجتمعية المنحرفة، وذلك من خلال حيزين رمزيين منسوب إليهما الأفعال الإجرامية وهما الحيوانين
المذكورين في كل من نصوص تلك الأمثال وبذلك ودائما من خلال هذه الأفعال الإجرامية العديدة
والمتنوعة التي تنسب لهما يكون المفكر الشعبي قد أشار إلى مجموعة الأنماط للجريمة، وفي هذا
الخصوص نتطرق بالتحليل لمجموعة الأمثال الخاصة أنماط الجريمة والمحصورة في موضوع الفرضية
الثانية كما يلي: تعرض نصوص الأمثال تحديدا نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري.

5.6. بناء الجداول الخاصة بالفرضية الأولى وجود الصراعات العائلية.

جدول رقم 01: توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال المحصورة والخاصة بالجريمة وعلاقتها

بإمكانية

النسبة المئوية	مج ك	ك	المواضيع الفرعية	المواضيع الرئيسية
%50	13	3	-وجود خاصية التعاون الاقتصادي الزراعي المشترك.	-الجرائم الواقعة على خلفية التغير الاجتماعي التاريخي للمجتمع الجزائري .
		2	-أثر البنية الاجتماعية للعائلة الممتدة	
		8	-العنف الممارس ضد المرأة.	
%50	13	3	-ظهور الشخصية السوسيوباتية (المضادة للمجتمع).	-الجرائم الواقعة في إطار الروابط الأسرية والعائلية
		2	-الجرائم الواقعة بين الأصول والفروع.	
		3	-الجرائم الواقعة بين الإخوة.	
		5	-أثر غياب السلطة الأسرية وفي وجود المكاسب المادية والأهداف الشخصية.	
%100	26	26	/	المجموع الكلي

جدول رقم 2: توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الشعبية الخاصة بالجريمة وعلاقتها
بإمكانية وجود الصراعات القبلية

النسبة المئوية	مج ك	ك	المواضيع الفرعية	المواضيع الرئيسية
50%	8	8	-خطورة تشكيل الصورة النمطية الإجرامية عن المجتمع القبلي.	-تأثير وقوع الجرائم في إثارة العصبية القبلية ونشوء الصراعات القبلية.
18,75%	3	3	-أثر المنافسة على المكاسب والهداف المشتركة وعلاقتها بالحماية والمدافعة.	
31,25%	5	5	-دور المنظومة الثقافية القبلية وعلاقتها بظاهرة الأخذ بالثأر.	
100%	16	16	/	المجموع الكلي

جدول رقم 3: توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاصة بالجريمة وعلاقتها بإمكانية وجود الصراعات بين الشرائح الجماعية في إطار الصراع الإجتماعي السياسي

النسبة المئوية	مج ك	ك	المواضيع الفرعية	المواضيع الرئيسية
%40.90	9	3	-دور شخصية الحاكم العثماني (التركي) في وقوع الجريمة.	-أثر الجرائم الواقعة ضد الجماعات الجزائرية من طرف السلطة العثمانية (التركية) وعلاقتها بالجريمة.
		6	-أثر السلوكات الإجرامية لدى الأشخاص العلماء في وقوع الجريمة.	
%59.09	13	6	-الصراعات الاجتماعية السياسية قبل الاستقلال الوطني 1962.	-الخلافات السياسية أثناء الثورة التحريرية أول نوفمبر 1954 وإفرازاتها في نشوء الصراعات الاجتماعية السياسية.
		7	-الصراعات الاجتماعية السياسية بعد الاستقلال الوطني 1962.	
%100	22	22	/	المجموع الكلي

جدول رقم 4: توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاصة بالصراعات الاجتماعية بين جماعات الثقافات الفرعية

النسبة المئوية	مج ك	ك	المواضيع الفرعية	المواضيع الرئيسية
%100	12	4	أثر نمط الطابع الإقتصادي للثقافات الفرعية وعلاقتها بنشوء الصراعات الاجتماعية.	-وجود لصراعات اجتماعية بين جماعات الثقافات الفرعية وعلاقتها بالجريمة.
		8	-أثر الطابع الإجتماعي الثقافي وعلاقته بنشوء الصراعات الاجتماعية.	
%100	12	12	/	المجموع الكلي

6.6. تحليل الجداول والنتائج الخاصة بوجود صراعات اجتماعية بين الفئات والشرائح في

المجتمع الجزائري (الفرضية الأولى)

-بالإمكان الإقرار ومن خلال نظرة شاملة ومعقدة ومدققة في مضامين الأمثال المحصورة لموضوع الفرضية والمتضمن وجود صراعات اجتماعية بين فئات وشرائح المجتمع الجزائري، على أن الجرائم الواقعة بين هذه الجماعات والتي منها (الجرائم) ماله علاقة بالتغيير التاريخي الاجتماعي، «فمنطق الصراع الاجتماعي إذن يعود لتحول وتغير غير طبيعي في تاريخ الإنسان، ويمكن بناء على ذلك تفسير الجريمة في نظر الاتجاه الصراع الاجتماعي». وقد كشف مضامين مجموعة الأمثال إلى جانب من التغيير الاجتماعي في إطار تاريخي تعرض له المجتمع الجزائري، نتج عنها ظروف معيشية وأوضاع اجتماعية قاهرة، كما أن الفئات الاجتماعية التي دارت وقائع الجريمة بينها مثل الأسرة حيث بنيت مضامين الأمثال في هذا المضمار وجود ظاهرة العنف الأسري، كان أبرزها على الإطلاق العنف الممارس ضد المرأة (الزوجة) خصوصا، والتحرّيش عليه والمتمثل بشكل واضح في الاعتداء العنف الفيزيقي (الجسدي) بنسبة فاقت كل النسب المئوية وهي 11.53 الخاصة بموضوع الصراعات الاجتماعية العائلية فالعلاقة الرابطة بين هذه الظاهرة ضد المرأة وبين الأنماط المختلفة للصراع تتعلق في هذه الحالة بصراع الأضداد بين (الرجل والمرأة) كما يمكن ربطها كذلك بالصراع الناشئ (المتواجد) عن الفوارق الفردية الشخصية، العقلية منها والميزاجية، النفسية، وينطبق هذا كذلك على الأعضاء الآخرين للأسرة في أثناء حدوث اتصال اجتماعي أو شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي، ونفس الشيء يمكن أنه ينطبق على الجرائم الواقعة بين الشرائح القبلية، فيمكن أن يكون وقوع الجريمة يؤدي في افراز صراعات صراع قبلي، كما أن لوجود صراعات ناشئة عن خلافات على أساس الروابط الاجتماعية القائمة بين القبائل المتصارعة وبخصوص هذا النمط للصراع الاجتماعي (القبلي) الذي وصلت أعلى نسبة مئوية لأحد موضوعاته الفرعية ب 10.25% وهي خاصة بموضوع خطورة تشكيل الصورة النمطية الإجرامية عن المجتمع القبلي وينطبق نفس الاتجاه المتعلق بعلاقة الصراع بالجريمة بين الشرائح المجتمعية تضمنتها الأمثال المعروضة للتحليل والمقصود بها الشرائح الاجتماعية المحكومة والحاكمة، حيث كشفت نتائج التحليل في المضمار أن النسبة المئوية مثلها موضوع الانحرافات السلوكية الإجرامية للأشخاص وأثرها في وقوع الجريمة ونشوء الصراعات الاجتماعية وذلك أثناء فترة زمنية من الحكم التركي بالجزائر 7.69% وهي نفس النسبة التي مثلها موضوع الصراعات الواقعة بين الأشخاص القادة وعلاقتها بالسلطة والثورة التحريرية 1954-1962 ونشوء نتيجة ذلك وحسب محتوى الأمثال التي أشارت بوجود نزاعات واصطدامات عنيفة صرع اجتماعي بين الجماعات (الفئة المحكومة) وبين الفئة السياسية الحاكمة هذا أثناء وقائع ثورة نوفمبر إلى غاية الاستقلال، وعن النزاعات الواقعة بعد الاستقلال، فإن الأمثال قد كشفت كذلك وجود لهذا الصراع بين هذه الفئتين الاجتماعيتين في

الإطار السياسي، وقد مثلت عدد الأمثال الخاصة بهذا الموضوع أعلى نسبة وذلك ب 8.97%، وهي نسبة مساوية للموضوع الفرعي المتعلق بالنمط الثقافي المتميز للفئات المجتمعية وأثر نشوء الصراعات الاجتماعية ووقوع الجريمة.

ومن منطلق تراكم التراث العلمي السوسيولوجي قديما وحديثا ومن خلال الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوع الصراع الاجتماعي، قديما وحديثا، فإنها قد تناولت هذه العملية الاجتماعية (الصراع) بين هذه الفئات والشرائح التي ضمها موضوع الفرضية الخاص بالصراعات الاجتماعية بينها: كالصراع الطبقي للمجتمع، وقد تطرقنا بالتحليل للأمثال المتضمنة إلى وجود تفاوت في المستويات الاجتماعية في السلم الاجتماعي والذي يعكس الصورة الكاملة للصراع الطبقي بمعناها الكامل بعدم وجود خاصية الطبقة للمجتمع الجزائري، ونجد كذلك الصراع في الإطار الاجتماعي السياسي الذي تطرقنا إليه بالتحليل من خلال الأمثال المتضمنة إليه وقد عرف هذا المثل الشكل للصراع في التراث العلمي الثقافي والأدبي ب: «جد ليه الحاكم والمحكوم»، وكذلك موضوع الصراع الاجتماعي وفي مجمل هذه الصراعات الاجتماعية الخاصة بالمواضيع المذكورة، والتي حصلت مضافا إلى الأمثال الخاصة بالجريمة المرتكبة في هذا الإطار المتعلق بالصور المختلفة للصراع الاجتماعي بين الفئات والشرائح المجتمعية للمجتمع الجزائري، والذي يعني وجود علاقة قوية تربط بين عملية الصراع والجريمة، يمكن اعتبارها وجهات لعملة واحدة، غير أن أثر وجه الصراع يبدو هو البارز بالنظر واعتباره سمة مميزة وموجودة بي الفئات والشرائح الاجتماعية التي تضمنها موضوع الفرضية، فيمكن القول أن وقوع الجرائم بينها أدت إليها تلك الصراعات الاجتماعية الموجودة بينهما، كما أنه: «تولد الحياة الاجتماعية بطبيعتها الصراع»، إلا أنه وفي الاتجاه الآخر للصراعات المكتشفة ضمن عملية التحليل لمحتوى الأمثال وحسب النسب المئوية الخاصة بوجود هذه الظاهرة بين الفئات، حيث تبين أنها نسب ضئيلة جدا، ونقصد بذلك تلك النسب المتعلقة بالصراعات العائلية والخاصة بفئة الأصول والفروع بنسبة 2.56% من مجموع 78 مثل الخاصة بالصراعات الاجتماعية بين الفئات والشرائح للمجتمع.

ويمكن تفسير ذلك أي وجود صراعات بين الأصول والفروع المفضية للجريمة- وفي حدوث تلك النسبة الممثلة لمثلين فقط بخصوص هاتين الفئتين الاجتماعيتين وهما: الأصول والفروع، وللجريمة الواقعة بينهما على أساس القيم المترسخة والتي تعلق من المكانة الاجتماعية وتمنح السلطة الكاملة للشخص و فئة كبار السن وخصوصا الوالدين، وهذا يعني الخضوع والطاعة ووجوب الاحترام من طرف فئة الصغار السن وبالذات في المحيط الاجتماعي العائلي التقليدي خصوصا والمعاصر، نظرا لتجذرها العميق وبالقيم الدينية الإسلامية وارتباطها الثقافة الإسلامية رغم الحقة الزمنية الطويلة التي سادت فيها ظاهرة الأمية وتغشي الجهل، التي عارضها المجتمع الجزائري التقليدي، وينطبق هذا كذلك بخصوص الجرائم بين الواقعة بين الأقارب كالأخوة، حيث مثلت نسبة ذلك لمثل هذه الجرائم العائلية

أدنى الدرجات، كما أن للروابط القرابية القوية والتماسكة التي هي ميزة للمجتمعات التقليدية، والتي يغلب عليها الطابع التعاوني للعيش والعمل يعد عاملا يحد من وقوع الجريمة إلى حد ما.

-وبناء مما يقدم يمكن الإقرار بأن الوقائع الإجرامية التي سردتها مجموعة الأمثال قد عبرت وكشفت عن وجود الصراعات الاجتماعية بين الفئات والشرائح المجتمعية الجزائرية وبالتالي فإن الفرضية تكون قد تحققت بنسبة عالية.

7.6. الدراسة التحليلية السوسولوجية لوجود صراعات اجتماعية بين الفئات والشرائح في المجتمع

الجزائري

في البداية ربطنا بشكل عام تقريبا على أساس التغير الاجتماعي والثقافي الذي ميز المجتمع الجزائري تماشيا خصوصا مع الظواهر التي عرفها وأثرت انعكاساتها في بروز الثقافة الشعبية الشفاهية منها قضية الأمية برزت نتيجة لأثر المرحلة الاستعمارية الفرنسية، دون إغفال أن المثل الشعبي يصدر من مختلف جماعات فئات المجتمع بغض النظر عن أنها متعلمة أو غير متعلمة.

وعليه وحسب مجموعة الأمثال المتضمنة للجريمة والتي حصرتها في إطار موضوع الصراعات الاجتماعية بين الفئات وشرائح المجتمع الذي تمت صياغته في شكل فرضية تبين من خلال عملية تحليل لمضمون (محتوى) التي خضعت لها الأمثال، أنها كشفت عن مجموعة علائق متباينة، ناتجة عن الظروف والأوضاع التي ميزت حياة المجتمع التقليدي ويظهر ذلك حسب الوقائع والأحداث الإجرامية التي رصدتها مضامين هذه الأمثال، أنها تتحد بين فترتين تاريخيتين سياسيتين هما: فترة تمثل مرحلة من تاريخ الحكم العثماني في الجزائر، وبعد نهاية هذا الحكم الذي ساد طيلة حقبة من الزمن حل محله الاحتلال الفرنسي، عمد إلى سياسة إجرامية مارس خلالها وارتكب أنماط من الجرائم، أدت إلى تحطيم معظم بنياته المشكلة لكيان المجتمع حيث انعكست أثارها الخطيرة على حياة أفراده وجماعاته في مختلف المجالات، فكريا واجتماعيا ونفسيا وثقافيا واقتصاديا، التي تخص كل التنظيمات الاجتماعية المشكلة للبناء الاجتماعي للمجتمع التقليدي، بدءا من العائلة إلى القبيلة ثم الدولة، حيث أشارت الأمثال التي بلغ عددهامثل إلى مجموعة من أنماط الجرائم الواقعة في إطار هذه التنظيمات الاجتماعية بما تشمله من نظم خاصة بها وفئات وشرائح تعتبر عناصر مكونة لها.

ويتبين كذلك أيضا حسب ما تكشف لنا الأمثال، على الآثار السلبية الناجمة عن تلك الأوضاع والظروف التي عاشها المجتمع التقليدي من المعاملات وأشكال التعامل مع الجماعات المجتمعية وأنماط السلوك التي نحاول التعرف من خلال نتائج التحليل الخاص بالفرضية المتعلقة بهذه الصراعات بين

الفئات والشرائح المجتمعية والجوانب (العوامل) الداخلة في تكون وظهورها (الصراعات) بداية من علاقة الصراع.

7.1.6. علاقة الصراع في إطار التغيير الاجتماعي التاريخي

ونقصد بذلك فيما كشفت عنه الأمثال التي أشارت الوضع الاقتصادي المعيشي الذي كانت نتيجة حتمية أدت إليها الممارسات الاستعمارية الإجرامية حيث تعرض خلالها غالبية عمليات نهب وسلب للأراضي التي كان يمتلكها، وطردها إلى المناطق (الأراضي) الجبلية الوعرة، ليجد نفسه في بيئة طبيعية موحشة تنعدم فيها أسباب وعوامل الحياة المدنية الحضارية، عاش فيها ظروفًا وأوضاعًا اجتماعية معيشية قاسية يميزها هذا طابع الحرمان الاقتصادي والثقافي والحضاري، أدى إلى تشكيل بنية اقتصادية معيشية زراعية، ذات طبيعة مشتركة تتمثل في العمل الجماعي التعاوني والمشارك، الذي يتطلب أداء أدوار وظيفية خاصة بهذا العمل، إلى جانب الاشتراك في أدوات العمل، وبناء على هذه الخصائص لهذا النوع من العمل وممارسته اليومية في حياة الجماعات المجتمعة التقليدية لاجتماعية والاقتصادية بينهما وحسب الأعمال الخاصة بكل نوع -رجال ونساء- بالإمكان نشوء صراعات اجتماعية، نتيجة طبيعة العوامل المؤثرة في هذه الوضعية الاجتماعية الاقتصادية والتي تترجمها السلوكيات الإجرامية المؤدية لأنماط متعددة للجريمة وهي في هذا الإطار ترتبط بالعوامل الفطرية من غرائز العدوان الذي تعد ظاهرة العنف على درجاته، إلى جانب العوامل الوراثية المؤدية إلى وجود الفروق الفردية الشخصية منها الاختلاف في القدرات العقلية والنفسية والعاطفية التي تظهر على أساسها الاختلاف في مستويات الذكاء، إلى جانب الظروف المحيطة بالبيئة وأثرها في ظهور أنماط مختلفة للشخصية الفردية منها الشخصية المضادة للمجتمع حيث نحاول معرفة التوصل إلى خلفية الأسباب المؤدية إلى المعاملة العائلية اتجاه هذه الشخصية وفق البنية الذهنية والاعتقادية التي بينت الأمثال الشعبية أثرها في تلك المعاملة النمطية اتجاه الشخصية السوسيوباتية (المضادة للمجتمع).

6.7.2. طبيعة الصراعات الاجتماعية وعلاقتها بجريمة الشخصية السوسيوباتية

-رغم ذلك العدد القليل من الأمثال الشعبية الخاصة (المتعلقة) بهذه الظاهرة (السلوك الإجرامي) للشخصية المضادة للمجتمع - السوسيوباتية- إلا أنها أي الأمثال قد أبرزت موقفاً موحداً ومتشابه اتجاه نمط المعاملة الأسرية التقليدية. حيث تبدو مظاهره استعمال أسلوب العفوية والتلقائية، الذي يغلب عليه طابع وجداني وعاطفي، قد يكون خاضع لعوامل الذاتية ونفسية للأعضاء الذين يمثلون أسرة هذه الشخصية، أكثر ما هو يخضع للأسباب الموضوعية والمقصود بها ردود الفعل اتجاه السلوك الإجرامي المضاد للمجتمع لهذه الشخصية، حيث يعكس هذا النمط للتفاعل الاجتماعي البنية الاعتقادية المميزة

للوضعية الاجتماعية الثقافية التي تسير عليها طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المحيط العائلي للأسرة (العائلة) التقليدية، في غياب لوسائل التعليم والتنشئة، نظرا للسياسة الاستعمارية الإجرامية الذي عمد إلى تحطيم المقومات الثقافية للمجتمع، ما لجم عنه وطيلة هذه الحقبة الزمنية للوجود الاستعماري الفرنسي، إذا ما إعتبرنا أن صدور هذه الأمثال يتعلق بنفس الحقبة. ظواهر سلبية أثرت بشكل واضح في حدوث تخلف فكري وثقافي واجتماعي، مثل الجهل والامية، والفقر، وانعكاسها نتيجة ذلك على السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية.

كما كشفت الأمثال عن طبيعة العقاب الذي يتعرض له الفرد الذي تتميز شخصية هذا النمط للسلوك الاجتماعي الذي ترى فيه البنية الاعتقادية للذهنية الشعبية على أنه تمرد وخروج عن قيم ومعايير الجماعة، والمتمثل -العقاب- في الطرد والعزل عن المحيط العائلي.

وتكون الأمثال كذلك قد بينت سمة الصرامة والتشدد اتجاه التعامل مع السلوك الاجتماعي غير السوي، حيث يعكس سلبية الأساليب التربوية أكثر من إيجابتها مما يدل على نقص الخبرات والأسس المعرفية الصحيحة والسليمة بخصوص تنشئة الطفل والمحاولة والعمل على تعريض لعملية التطبيع الاجتماعي للشخصية المضادة للمجتمع في صراعاتها النفسية والاجتماعية.

وما يمكن التوصل إليه واستخلاصه في هذا الإطار للسلوك الاجتماعي للشخصية المضادة للمجتمع من ما أبرزته الأمثال، هو أن الوظيفة التربوية للأسرة التقليدية والريفية، تعمل على خدمة العادات والتقاليد والعرف الاجتماعي الذي يقر على خضوع وطاعة الفرد للجماعة خصوصا العائلة، لذلك تمارس ضغطا مستمر كلما وقع انحرافا للمعايير صادر من طرف الشخصية السوساتية خصوصا. أكثر مما تقوم به من دور وظيفي اجتماعي، يقوم ويهتم ببناء شخصية الطفل لإعداده فردا صالحا لنفسه وجماعته وللمجتمع.

3.7.6. ظاهرة العنف الممارس ضد المرأة والعلاقة بين الصراعات المؤدية لها

-لقد أبررت الأمثال في هذا الخصوص الظاهرة بشكل واضح وذلك من خلال الدلالات السلوكية الاجتماعية التي دعت إليها لممارستها ضد ما تراه الذهنية الشعبية والتصور الاجتماعي عن المرأة (الزوجة)، المتمثل في الخضوع والانصياع للأوامر الصادرة خصوصا من طرف الزوج، كما كشفت الأمثال من التأييد والتحريض لاستخدام وممارسة أسلوب العنف المجسد في الاعتداء الفيزيقي، عن الصفات الدونية التي تميز وتعكس المكانة الاجتماعية التي حددتها الذهنية الشعبية للمجتمع التقليدي من تهوين وتحقير واستغلال ضعفها الفيزيقي والميزاجي لفرض السيطرة والتحكم في حريتها الشخصية

والاجتماعية من طرف الرجل، هذا الذي يعلي العرف الاجتماعي من مكانته عن طريق المفاضلة الجنسية التي يعتقد بها المجتمع التقليدي بين كل من (الذكور والإناث).

ويعد وجود هذه الظاهرة (العنف) في المجتمع التقليدي مؤشرا في علاقته بوجود ظواهر ومميزات عاشها المجتمع منها التخلف الثقافي، وانتشار بذلك للجهل والأمية، والتي لها علاقة بالتغير الاجتماعي الذي تعرض له الناجم عن العامل الرئيسي المنغلق بالظروف والأوضاع التاريخية السياسية التي عرف فيها جرائم الاستبداد والسيطرة، وجرائم الاستعمار الفرنسي، خصوصا. مستغل قوته السياسية والعسكرية التي مكنته من إذلال واضطهاد أفراد المجتمع وجماعاته (الشعب البسيط والأعزل)، وتعرض غالبية إلى التهجير والتشريد في البيئات الطبيعية (الموحشة) والمعزولة، أما البقية من هذه الجماعات وفئات المجتمع الباقية في بيئتها الحضرية، فقد وجدت نفسها وسط مجتمع ونقصد بذلك المستوطنين الأوربيين، تختلف عنه في كل المتغيرات والمفاهيم جنسا وعرقا، وثقافة ودينا، يمكن وصفها بوقوع صدمة ثقافية مجتمعية نجم عنها آثار نفسية وإجتماعية للفرد الجزائري أدت على تكون مختلف العقد كالأضطهاد والظلم والانغلاق والانطواء على الذات حيث يمكن إعتبار جزءا من انعكاس آثارها كان إتجاه متعاملا به وممارس ضد المرأة و يعد هذا عاملا مؤثرا دفع المجتمع التقليدي، أجبره على التمسك والحفاظ على عاداته والتزاماته الاجتماعية، وعدم الانحراف عنها تقرها القيم والمعايير، للعقل الجمعي، ومن مظاهره هو حصر المجال الاجتماعي للمرأة الذي بات لا يتعدى المحيط الأسري، حفاظا على كيانها وشرف العائلة التقليدية، وهذا ما أدى إلى نشوء صراع لدى المرأة إضافة إلى العوامل النفسية الناجمة عن القهر والاستغلال والاضطهاد الاجتماعي والثقافي في الفترة الاستعمارية، وسيطرة المستعمر وتحكمه في إدارة وتسيير شؤون المجتمع وفق سياسته الإجرامية العنصرية، تولدت ضغوط نفسية واجتماعية تنعكس سلبا على السلوك الإنساني الاجتماعي، وصدور انحرافات إجرامية منها استخدام أسلوب العنف القائم وحسب طبيعة وفي قل هذه الظروف المعيشية والاجتماعية على أساس سيطرة القوي على الضعيف، ويمكن إعتبار ذلك حالة من اللاوعي القهري وانعكاساتها في ظهور الظواهر السلبية الوضعية هذه تجعل الرجل التقليدي في ممارسته للعنف الفيزيقي ضد المرأة (الزوجة) خصوصا، قد يكون لا شعوريا بل هو ترجمة وانعكاس القوة والسيطرة والاستبداد الاجتماعي المتعمد من طرف السلطة الاستعمارية، والتي يتعرض لممارستها العنصرية والإجرامية بشكل جلي وبصفة مستمرة.

4.7.6. الجرائم الواقعة بين الإخوة والأقارب وعلاقتها بالصراعات الاجتماعية

-اشارت الأمثال في هذا المضمار الخاص بالصراعات الاجتماعية الأسرية وأثر في وقوع الجريمة إلى أثر نمط السلطة في نمط المعاملة الأسرية وما يحدث نتيجة ذلك من صراعات بين أعضاء

الأسرة، حيث أظهرت الاضطهاد القائم على السيطرة القوي على الضعيف، مثل علاقة الأخ بالأخت، بالنظر إلى السلطة الأسرية ونمط المعاملة المؤدية لها، كالتسلط والاحتقار نتيجة لما يميزها (السلطة) من ضعف أو قصور كما بينت الأمثال وكشفت عن أثر غياب هذه السلطة من جانب آخر وفي وجود مكاسب ومنافع اقتصادية، واستغلال مثل هذه الوضعيات الناجمة عن تأثر السلطة وعدم قدرتها على حماية وضمأن أعضائها من الأشخاص الذين يجمع بهم روابط أسرية قرابية معينة، لتحقيق مصالحهم ورغباتهم الشخصية، مستغلين في ذلك الصراعات الأسرية الموجودة لإرتكاب الجريمة في حق الأقارب.

-ومن منطلق العدد الممثل للأمثال المعبرة عن الجريمة المتعلقة بوجود المكاسب والمنافع الشخصية والاجتماعية في خلفيتها بالصراعات الموجودة تعدى عدد الأمثال الخاصة بهذا النوع النمط من الصراعات الاجتماعية داخل العائلة المؤدية للجريمة بين سواء بين الإخوة، أو بخصوص الجرائم الواقعة بين الأصول والفروع، حيث ونظرا لقلة مثل هذه الأمثال، يرجع إلى القيم والمعايير التي يتمسك بها المجتمع التقليدي، أهمها القيم الاجتماعية في منحاها الديني والعاطفي، والروحي، الذي تعرض وتعمل على وجوب الطاعة والاحترام بين أعضاء الأسرة، أهمها طاعة الفرد الصغير للكبير، والمرأة للرجل باختلاف المكانات الاجتماعية الأسرية والأدوار المنوطة بكل من هؤلاء.

5.7.6. علاقة الجرائم الواقعة بين الشرائح المجتمعية القبلية بوجود الصراعات

-انطلاقا وحصرًا من عدد الأمثال المعبرة عن الجرائم بين الشرائح المجتمعية القبلية تبين أن منها -الأمثال- قد أشارت إلى الشرائح القبلية المنتمية إلى أقاليم جغرافية مجتمعية تمثل نواحي جهوية للقطر الجزائري تشمل كل من الناحية الوسط والناحية الغربية والشرقية ومنها ما صب مضمونها في اتجاه عرقي (عربي، قبائلي) ومنها ما صب مضمونها في اتجاه قيمي مثل الصدمات العنيفة التي تكون وقعت في هذا الإطار نتيجة لاصطدام القيم المجتمعية الفرعية التي تحملها تلك الجماعات أو الأشخاص الواقع بينهم الجريمة وتعميمها وفق نمط ذلك التصور على كافة المجتمع المحلي التقليدي وإعطاء صورة نمطية إجرامية معينة على ذلك المجتمع مثل (المجتمع البلدي، والشريحة المجتمعية للغرب والمجتمع النابلي...).

وقد أظهرت هذه الجرائم التي حملتها الأمثال في هذا الإطار المجتمعي إثر الإثارة العصبية، حيث يتبين أنها تعد العامل الرئيسي المؤدي إلى تشكيل وإعطاء صورة نمطية إجرامية على شريحة مجتمعية معينة.

-وعليه ونظرا لوقوع التصادم القيمي الناجم عن اختلافات ثقافية، قد تكون لها علاقة بعوامل تشيئية فردية أو جماعية، أي خاصة بجماعة اجتماعية معينة في إطارها البيئي الاجتماعي أو النوعي،

أو العمري، أكثر ما يتعلق بالثقافة في مضمونها القيمي والأخلاقي... الذي قد تتميز به تلك الشريحة المجتمعية القبلية عموماً، وفي أعرافها وتقاليدها الخاصة بها إلى حد ما. بالإمكان أن يكون وقوع الجرائم وفق هذه الرؤية السوسولوجية والأنثروبولوجية، يؤدي إلى وجود صراعات اجتماعية بين هذه الشرائح وجماعاتها وذلك وفقاً ودرجات متفاوتة في حد ذاتها لهذه الصراعات على أساس العوامل التنشئية والبنى الثقافية التي تقوم عليها وتدعمها، كالأمثال.

والملاحظ أن وجود الصراعات الاجتماعية القبلية قد أظهرت وكشفت عنه بشكل واضح تلك الأمثال المعبرة عن الجرائم الواقعة بين القبائل المتجاورة والقريبة من بعضها البعض، ولتي تنتمي إلى إقليم مجتمعي واحد من الأقاليم المجتمعية التي يضمها المجتمع الجزائري، حيث تعد ظاهرة جريمة الانتقام والتمثلة هنا -الأمثال في عادة أخذ الثأر بأنماطها المختلفة كما بينت ذلك الأمثال المعبرة عنها، مثل الاختطاف والقتل (الاغتيال).

وتظهر لنا الأمثال في مجملها ككل في إطار هذا الصراع القبلي الذي تبين وجوده بين القبائل التي يبدوا أنها عاشت حياة البدوية والريفية والتي تعيش حياة اجتماعية متشابهة في خصائصها، وظروفها المعيشية، عكس ما تبين بالنسبة للأمثال التي عبرت عن الجريمة بين الشرائح المجتمعية التي أشارت وقصدت بها أثر العنصر العرقي والتواجد والانتماء الإقليمي المجتمعي الفرعي.

ويظهر كذلك وحسب ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته على أن العرب الذين تميزت حياتهم ويغلب عليها طابع البداوة، ويرتكز تحصيل المعاش على الرعي والفلاحة، وجدوا عند حلولهم بأرض المغرب العربي، وجدوا سكانه الأمازيغ كذلك تقتصر حياتهم على ما كان به حاجة وضرورة، حيث كانوا أقرب إلى حياة البداوة من الحضارة، حيث تتميز الحياة الاجتماعية بطابع الانغلاق والعزلة إلى حد ما، خصوصاً إذا وقعت النزاعات القبلية المؤدية إلى وقوع الجريمة.

وقد كان لأثر التواجد الاستعماري والأجنبي عاملاً في ذلك التباعد الاجتماعي، خصوصاً التواجد الفرنسي الذي عمد بمختلف الأساليب الإجرامية إلى إحداث النزاعات القبلية والقضاء على كل مقومات المؤدية إلى وحدة وتماسك المجتمع التقليدي، وتغريق بين شرائحه الجماعية على اختلاف انتماءاتها العرقية والإقليمية المجتمعية.

6.7.6. وجود الصراعات الاجتماعية بين الشرائح المجتمعية في الإطار الاجتماعي السياسي

-لقد كشفت الأمثال في حدود العدد الممثل والمحصور للجرائم المعبرة عنها في تلك الأمثال في سياقها التاريخي السياسي، عن الحقب الزمنية التي عرف فيها المجتمع التقليدي تواجداً للعنصر الأجنبي

منها ما له علاقة بالحكم العثماني وفي فترة تاريخية من هذا الحكم والتي رصدت الأمثال عن الجرائم المرتكبة في حق المجتمع الجزائري التقليدي، نتيجة لانحراف السلطة السياسية حيث كان من آثار ومظاهر هذا الانحراف الذي يعد خطيرا هو الاستبداد والاستغلال الاجتماعي والاقتصادي والتمرد على الممتلكات ونشوب الحروب ضد السكان.

وما كاد يتخلص المجتمع التقليدي من طغيان واضطهاد الحكم العثماني، الممثل لنمط سلطة استبدادية وقهرية إجرامية، ليجد سلطة استعمارية، إجرامية أخرى حلت مكانه، وسيطرت على مقاليد الحكم، ونقصد في ذلك الاستعمار الفرنسي الذي ارتكب منذ احتلاله إلى غاية خروجه مهزوما مخذولا أبشع الجرائم، منها بالخصوص بداية من اندلاع ثورة التحرير الكبرى 1954-1962، حيث عرفت هذه الفترة الثورية الحربية، خلافات بين القادة السياسيين وانعكاساتها السلبية التي أدت إلى وقوع الجريمة، ونشوء بذلك الصراعات بين الفئات الاجتماعية والمقصود بها الجماعات التي مستها أو تسببت في وقوع الجرائم المعبر عنها من خلال مجموعة وأشارت إلى الصراعات الناجمة عن تلك الجرائم الواقعة بين الجماعات وعلاقتها بأهداف كل جماعة، ودوافعها الخاصة، والجماعية خلف ذلك، كما بينت الأمثال وكشفت عن الجماعات التي شملها الصراع وهي الفئات الشعبية، والقادة السياسيين والجماعات الثورية والجماعات المعروفة ب "الحركي".

-كما تبين كذلك من خلال مضمون الأمثال المتعلق بالصراع الاجتماعي وعلاقته بنظام السلطة السياسية حيث يظهر استمرار هذا الصراع حتى بعد نهاية حرب التحرير الوطنية وإلى ما بعد الاستقلال، كاشفة بذلك عن الممارسات الفعلية السياسية للسلطة التي يبدو أنها لم تستقر بها الأوضاع وبقاء الخلافات والصراعات التي أدت في بعض الفترات الزمنية إلى وقوع نزاعات حربية، واغتيالات للشخصيات، نتيجة اختلاف الأهداف والمصالح تصادمها، والآثار السلبية الناجمة عن تلك الأوضاع المضطربة وغير المستقرة وإن لم تبدو ظاهرة الشرائح المجتمعية، إلا أن تعرض هذه الشرائح من فئات الشعب لظواهر ومشاكل اجتماعية، والظروف الاجتماعية التي تعد الطابع المميز لواقع المعاش، حيث تكون مجموعة الأمثال قد أثارت ولمحت لرؤى والمنظور الشعبي اتجاه نظام السلطة الحاكمة وتطوراتها لهذا النوع من ممارسة السلطة وشعور ووعي الجماعات بذلك، الذي يبدو أنه يطغى عليه طالع السلبية ويعبر عن عدم الرضا والتوافق مع تلك الممارسات السلطوية السياسية.

-إن الحقبة الزمنية التاريخية التي غاب عنها المجتمع الجزائري تبين منها ومن خلال الأمثال أشارت إلى فترة الحكم العثماني بالجزائر وبعدها حلول الاستيطان الفرنسي، وحكمه السياسي الذي مثلته سلطته الإجرامية طيلة قرن وربع قرن من الزمن، أدى إلى غياب ممارسة فعلية أساسية في المجتمع لهذا النوع من السلطة السياسية الممثلة للشعب في إدارة وتنظيم شؤونه وقضاياه المختلفة الأهداف والمطالب،

وهذا خلال مدة زمنية تصل إلى قرون معينة على أن هذه العوامل التاريخية السياسية المؤثرة، أدت انعكاساتها إلى غياب تقاليد او حتى خبرات خاصة بهذا النوع بممارسة هذا النوع من السلطة التنظيمية العملية، وغياب بذلك للخبرات المتعلقة بالعمل الخاص بتنظيم وإدارة الأعمال والقضايا الاجتماعية المتعددة المطالب والأهداف وخدمة بذلك الصالح العام وضمان الخدمة الاجتماعية، وهذه الآثار السلبية لنانجمة عن هذا الغياب الطويل عن نظام السلطة السياسية، التي يتعرض لها أفراد المجتمع الجزائري وجماعاته، بانعكاساتها التي طبعت آثار عملية سلبية في التنظيم والمعاملات الإدارية والسياسية قد يشوبها الكثير من القصور والخلل الوظيفي إلى الوقت المعاصر من صورها حدوث اغترابا اجتماعيا بين الفرد والسلطة الإدارية التنظيمية.

6.7.7. وجود صراعات اجتماعية بين لفئات المجتمعية المتميزة في ثقافتها الفرعية وعلاقتها

بوقوع الجريمة

أظهر التحليل الخاص بمجموعة الأمثال المنضمة للجريمة لواقعة بين الفئات المجتمعية المتميزة في ثقافتها والمشاركة في الثقافة العامة والسائدة في المجتمع أثر النمط الثقافي للجماعات المنتمية إلى مستويات اجتماعية متفاوتة في السلم الاجتماعي للمجتمع التقليدي خصوصا، حيث أن مضامين أغلب الأمثال المحصورة لموضوع الصراعات الاجتماعية بين هذه الجماعات التي نجم عنها ارتكاب للجريمة نتيجة تعارض القيم والمعايير التي تحملها كل منها.

ويمكن تفسير النمط الثقافي الذي يعد الميزة الغالبة في وجود لهذه الصراعات الاجتماعية وأثرها في وقوع الجريمة بإرجاع ذلك إلى تمسك الجماعة بالقيم والمعايير العليا للمجتمع ذات البعد الديني المستقطب جانبا لوجدان وعواطف الجماعة الاجتماعية دون إغفال لأثر الوعي الجمعي والضمير الأخلاقي، وهو العامل الأساسي والظاهر في ما اتفقت وأقرته الجماعة في أرائها واعتقاداتها المتعلقة بالثقافات الفرعية، خاصة تلك التي تتميز قيمها بالسلبية والانحراف وممارسة السلوك الإجرامي، وردود أفعال الجماعة في اتجاه التعامل مع السلوك الإجرامي للأشخاص المنتمين لتلك الثقافة الفرعية المنحرفة والتصدي لها بأساليب متنوعة تمثلت أهمها في رفض الجماعة إقامة علاقات اجتماعية معها في إطار القيم وأنماط السلوك المنحرفة المميزة لثقافتها.

كما يمكن تفسير أثر النمط الثقافي وعاملا في وقوع الجريمة والغالب في وجود لهذا الصراع الاجتماعي وفق مضامين الأمثال، وبالنظر للبنية الاقتصادية للمجتمع حيث تبين ضعيف للعامل (النمط الاقتصادي) في علاقته لوقوع الجريمة، إذ برز هذا الأثر في حدود مثلين، وهذا يمكن اعتباره إلى وجود طابع اقتصادي مميز لكل فئات المجتمع، بمعنى أن لها مستويات متقاربة في حياتها المعيشية

الاقتصادية. حيث يكون قد سادها الفقر التي ميزت حياة المجتمع التقليدي والتي لها علاقة بالظروف والأوضاع الاجتماعية أثناء وجود الاستعماري الفرنسي، الذي عمل للقضاء على أفراد المجتمع الجزائري باستخدام أساليب إجرامية عديدة من سلب أراضيه الخصبة وتجويعه ومحو آثار شخصية الإنسان الجزائري، المندرجة في إطار سياسة الأرض المحروقة وعلى أن ظاهرة الفقر التي عرفتها الغالبية المتمثلة في الفئات المجتمعية في علاقته والأوضاع الاجتماعية التاريخية التي تعرض لها لذلك المتصلة الجذور إضافة إلى أثر الوجود الاستعماري الفرنسي خاصة، كذلك يظهر أثر للحالة الزمنية التاريخية للوجود العثماني التي من انعكاساتها السلبية في مرحلة معينة لهذا الوجود في طابعه الاجتماعي الأساسي، أدى إلى إحداث لفوارق الاقتصادية بين كل من الجماعات أفراد المجتمع الجزائري والأترك.

غير أن التحليل السوسيولوجي في تضافر مجمل العوامل والآثار، المؤدية للأنماط العديدة للجريمة، فقد أظهرت مضامين الأمثال معالم لها تنبئ بعدم وجود أثر بارز وعامل أساسي المقصود بالتميز المجتمع الجزائري بظاهرة الطبيعية التي تعمل على إبراز التفاوت الاجتماعي بين الفئات المجتمعية بالمفهوم العلمي الاجتماعي للطبقة، مثل ما أظهرته دراسة ثريا التيجاني عن المجتمع الصوفي، وادي سوف وذلك من خلال مضمون القصة السوفية تبين أن الطبقة في مد المجتمع قد «لا تتجلى بالمفهوم الماركسي، الذي يتكون من فئات اجتماعية متميزة وذلك حسب طبيعة النفوذ الذي تتمتع به الفئة من غنى أو سلطة أو علم والحرمان الذي تعاني منه».

كما يمكن أن يجتمع العاملين المتمثلين في طابع الاقتصادي (البنية الاقتصادية) وكذلك الطابع الثقافي لمميزات ذلك البناء الاجتماعي للفئات المجتمعة صورة عاكسة تطبع ثقافتهم المنحرفة والمؤدية للجريمة، سواء كانوا يحتلون مراكز اجتماعية في أعلى مستويات السلم الاجتماعي أو في أدنى ذلك. فمثلا أنه يوجد جرائم الفقراء وكذلك يرتكب الأغنياء الجرائم مثل ما يعرف بجرائم ذوي الياقات البيضاء.

ملخص الفصل

كشفت لنا نتائج التحليل الخاصة بالأمثال الشعبية والمتعلقة بوجود صراعات اجتماعية بين الفئات والشرائح في المجتمع الجزائري فإن تلك النتائج قد بينت لنا وجود لهذه الصراعات.

وعليه وجدت صراعات عائلية مؤدية للجريمة، تتعلق بأعضاء العائلة الممتدة واثر النمط الاقتصادي التعاوني المشترك وعلاقتها بالتغير الاجتماعي الذي عرفه المجتمع الجزائري وكذلك علاقة هذه الصراعات بالعنف ضد المرأة والشخصية السوسيوباتية (المضادة للمجتمع) وصراعات بين فئتي الأصول والفروع وبين فئة الإخوة وبخصوص الصراعات القبلية، قد كانت العصبية القبلية الأثر القوي في خلفية نشوء تلك الصراعات التي أدت لجرائم كالحروب وظاهرة الأخذ بالثأر.

بخصوص الجرائم المتعلقة بالصراع الاجتماعي السياسي قد أظهرت لنا الأمثال علاقتها بالمسار التاريخي السياسي في إحدى مراحل الحكم العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي تحديدا في مرحلة الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى، ثم ما بعد الاستقلال الوطني والمشاكل والخلافات الاجتماعية المصاحبة لها.

وقد أخذ التفاوت في السلم الاجتماعي بين جماعات الثقافة الفرعية طابع تمثل في صراع القيم لكل منها وتميزت بنمطين كان لهما الأثر في وقوع الجريمة، أحدهما يتعلق بالنمط الاقتصادي لجماعة الثقافة الفرعية، أما النمط الثاني فيتعلق بالنمط الاجتماعي الثقافي.

تمهيد الفصل

بداية عرض محتويات هذا الفصل المتضمن تحليل محتوى الأمثال الخاصة بموضوع الفرضية الثانية: "تعرض الأمثال الشعبية وجود محددات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري" حيث شمل موضوعها على مواضيع فرعية تم حصرها حسب المضامين المعبرة عن نمط الجريمة و المحددة في أولا: الجرائم ذات البعد التربوي و قد تم تحديد هذا النمط في جرائم العدوان الجسدي و اللفظي.

ثانيا: تمثل تحديد النمط الثاني حسب مضامين الأمثال دائما في الجرائم الاقتصادية. وتشتمل على جرائم السرقة و الاحتيال و النصب و كذلك جرائم الخيانة.

ثالثا: النمط الإجرامي المتمثل في الجرائم الأخلاقية الخاصة بالانحرافات و الجرائم الجنسية وبعد ذلك نتناول تحليل النتائج المتوصل إليها من خلال النسب الموزعة في الجدول، و في الأخير نتطرق للدراسة السوسولوجية لنتائج هذه الفرضية.

الفصل 7

وجود محددات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري

1.7. تحليل محتوى مجموعة الأمثال الخاصة بالفرضية الثانية

-أثناء القيام بعملية انتقاء و حصر الأمثال الشعبية من بين مجموعة الأمثال الشعبية الخاصة بالجريمة، حيث رأينا أنها تدرج ضمن موضوع الفرضية الثانية وهو: "تعرض الأمثال الشعبية وجود تحديدات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري".

وما ميز مجموعة الأمثال المتضمنة لموضوع هذه الفرضية، هو قلة الغموض في معظم مضامينها حيث، تبين من خلال التصريح بالجريمة في المثل الشعبي أنها تتعلق بأنماط متعددة من الجرائم المرتكبة، عاكسة بذلك أكثر أنماط السلوك الإجرامي الممارس، سواء ضد الأفراد أو الممتلكات ومن طرف الفرد أو الجماعة، كما أنه يتبدى ورود انطباعات وأحكام تباينت أحيانا و اتفقت أحيانا أخرى في مقاصدها، و مداركها وذات أبعاد مختلفة تمس الحياة الإجتماعية في النواحي المتفرعة و المتصلة بها، نفسيا، تربويا، أخلاقيا، اقتصاديا، ثقافيا، معبرة بذلك عن أنماط للتفكير و التصور الذهني الثقافي، الذي يشكل البنية الذهنية الشعبية الجماعية الاجتماعية.

وفي هذا الإطار فقد تم تحديد أنماط الجرائم المصرحة بهما في مجموعة الأمثال المصنفة حيث منها ما يظهر في نمطية هذه الجرائم، أنها تتصل بروى لها أبعاد متعددة الأهداف، و الوسائل الموصلة بهذه الأهداف، وعليه فإن تحديد أنماط الجرائم المتميزة فيما بينها جاء حسب المضامين لمعبرة عنها في الأمثال حيث كانت كالتالي:

1.1.7. الجرائم الاجتماعية ذات البعد التربوي

و التي بدورها تنقسم إلى صنفين (فئتين)، حيث يتعلق الصنف الأول بالجرائم المرتكبة ضد الأشخاص والتي يظهر أنها تمثلت في نوعين من الاعتداءات وهي:

أ-الاعتداءات الفيزيائية(الجسدية).

ب-الاعتداءات اللفظية.

2.1.7. الجرائم الاجتماعية ذات البعد الاقتصادي

وهي الجرائم المرتكبة ضد الممتلكات و إن كانت تخص الأشخاص لوجود علاقة وثيقة و مباشرة بهم لأنها تسهم و تترك أثارا متنوعة على الذين تعرضوا لهذا النمط المادي للجريمة، وقد تم تصنيف هذه النمطية الإجرامية الاقتصادية إلى حد بعيد إلى صنفين و هما:

- جرائم السرقة.
- جرائم الاحتيال و النصب.
- الجرائم الأخلاقية.

الجرائم والانحرافات الجنسية و تماشيا مع هذا الترتيب الخاص بتصنيف و تحديدات النمطية الإجرامية في المجتمع الجزائري، نسعى للتعرف عليها بما تضمنته مجموعة الأمثال المحصورة في إطار مضمون(موضوع)الفرضية الثانية.

1.1.7. تحليل الأمثال الخاصة بالجرائم الاجتماعية ذات البعد التربوي

وهي كما سبق الذكر تضمنت نمطين من الجرائم المرتكبة، و المتمثلة في جرائم الاعتداءات الفيزيائية(العدوان الجسدي) و النمط الثاني جرائم الاعتداءات اللفظية العدوان اللفظي.

1.1.1.7 جرائم الاعتداءات الفيزيائية(الجسدية)

تظهر لنا الأمثال مجموعة من الآراء و الاعتقادات التي تصب و تتجه في نفس المنحى الخاص بالتعامل مع السلوك الإجرامي، حيث نجد هذه الأمثال تظهر دعوة صريحة في مجملها تقريبا إلى اعتماد واستخدام الوسيلة التي تراها ملائمة في ذلك وهي الضرب العمدي كما أنها تظهر أحيانا التحريض

عليه، باعتباره يؤدي وظيفة ايجابية لتقويم سلوك الفرد المجرم. وتحقيق عملية الضبط الاجتماعي و تفعيلها في الحياة الاجتماعية ومن ذلك المثل الشعبي التالي:

"أضربو على التبن ينسى الحب"[150]ص114. ويوجد كذلك في مراجع أخرى، ويتضمن هذا المثل إضافة على جريمة الاعتداء الجسدي (الضرب العمدي) في وجود جريمة ضد الممتلكات والمتمثلة في السرقة، فالوظيفة التي يكون قصد إليها المفكر الشعبي، و رأى أنّ فاعليتهما تؤدي إلى نتائج ايجابية، تظهر على المدى القريب أو البعيد، حيث تجعل السلوك الإجرامي لدى هذا الفرد المجرم الذي تعرض للضرب بتراجعه في ممارسته لهذا الفعل المرتكب، الذي يكشف وجود قصور أو خلل لعملية التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها، التي من آثارها على الفرد أنها تؤدي تكوين شخصية تشوبهما الانحرافات الخطيرة و ذلك نتيجة لنقص اكتساب الخبرات والقيم الاجتماعية والثقافية، فالذهنية الشعبية ترى الطريقة المثلى في التنفيذ أو الحد من الجريمة، و المتمثلة في هذا النوع من العقاب الجسدي العنيف، وهو اللجوء إلى الضرب دون غيره من الوسائل الضبطية الأخرى، ويزداد الوثوق بممارسة هذه بفعالية الجزاء العقابي المتمثل في الضرب دائما كما صرح به المثل الشعبي:

«أضرب القطوسة تخاف لعروسة»[145]ص16. نجد في هذه المرة أن انعكاس آثار عملية الردع الهادفة إلى إصلاح الفرد عن طريق التعرض للعقاب الفيزيقي، وحسب المعنى المقصود والبال على ذلك للذهنية الشعبية لدى الجماعة الاجتماعية، لا تظهر على مستوى الفرد الواحد فقط، بل تتعدى إلى أفراد آخرين من المجتمع، وبذلك فإنّ الذهنية ترى في هذا الشأن كذلك أن أسلوب العقاب الجسدي ايجابياته كفيلة في أداء وظيفة اجتماعية تربوية وأخلاقية و ثقافية، لهؤلاء الأشخاص الذين يصدر منهم السلوك الإجرامي، و ينطبق المعنى الدال و المقصود لنفس المثل المصرح به:

«أضرب الكلب يتأدب الضيع».[149]ص16. و محتواه في هذا الإطار، فيما أشار إليه عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم Emile Durkheim على أن الجريمة باعتبارها ظاهرة مرضية، ذات خطورة على المجتمع إلا أنه تعد، ظاهرة سوية كونها تضر بالأفراد الآخرين وتدفعهم إلى التقيد بالمعايير والامثال للقيم الرافضة للفعل الإجرامي، وبالتالي تؤدي إلى التخفيف من آثارها الخطيرة، وهذا يعكس تأثير قوة الضمير الأخلاقي ووعي الأفراد والجماعات المجتمع بسموا القيم الاجتماعية ذات المنفعة والمصلحة الجماعية والفردية الخاصة بالحياة الاجتماعية.

وتكشف الأمثال الشعبية في جانب آخر استخدام أسلوب الردع والمتمثل في العدوان في أقصى مظهره وهو العنف الجسدي(الضرب) أثر العوامل الشخصية المميزة للفرد بسلبياتها في حدود معينة التي تجبر وحسب المعتقدات الخاصة «بالعقل الجمعي» إلى إقدام الشخص للاعتداء على الشخص

المتورط معه والذي تربطه رابطة اجتماعية معينة (أسرية، مهنية، وصداقة) أو دون وجود لهذه الروابط ، حيث تحتوى هذه الأمثال في هذا الخصوص وعي الجماعة بأثر العوامل العقلية لدى الأفراد وما ينجم عنها من فروق فردية، في مكونات الشخصية دون فصلها بتأثيرات البيئة الاجتماعية بإيجابياتها وسلبياتها، ونجد المثل يحتوي جانبا اجتماعيا في علاقته بهذه العوامل العقلية التي تعكس كذلك تلك التأثيرات الناجمة العوامل البيئية المحيطة بالفرد ونص المثل المقصود إليه:

«أللي ماعدو كيف تحب له ضربة بالسيف»، [147]ص87. يدور حضور وعي الجماعة بالقيم والمعايير المتفق عليها مبدئيا التي تعد من المكونات الهامة المميزة للتوافق الاجتماعي والانسجام في المواقف المختلفة على أن إخلال الفرد وعدم تمكنه من الاتزان والضبط النفسي، في مسابرة لطبيعة وميزات ومراعاة الجوانب المختلفة والمتعلقة والمحيطية بذلك الموقف أو الحادثة أو الواقعة، وهذا ما يدفع حسب إعتقاد الجماعة إلى اللجوء إلى استخدام أسلوب الضرب باعتباره في هذه الحالة المتورط فيها هو الأنسب لحل المشكلة وتصحيح الخطأ المرتكب من طرف الشخص المعتدي عليه، يتشابه به محتوى المثل الشعبي ويندرج في هذا المنظور الاجتماعي للجماعة الشعبية ونصه (المثل) هو:

«ما يرجع فارس حتى يتهرس» [147]ص87. الدلالة الخفية، تكشف عن شبه اتفاق وقبول في التعامل مع السلوك الإجرامي، باستعمال أساليب العنف الجسدي كما يظهر وجود صراع بين الطرفين (الشخصين)، أو أنه يتعلق بعوامل تنشئية قائمة على نمط معاملة تتميز بالسيطرة والتسلط، قد تعكس هذه الطريقة التنشئية، تعرض لظروف وليدة حياة اجتماعية ناجمة عن تأثيرات (البيع العوامل البيئية المختلفة، وإفرازاتها السلبية من فقدان للاتزان النفسي وأنواع للحرمان النفسي والعاطفي، وحدوث الاضطرابات المزاجية والعقلية، والانفعالات السلبية ، كالفلق والتعصب السلبي.

يعد مثل هذا النمط التفكير الذي يقر ويعترف باستعمال أسلوب العنف باعتباره، معيارا هاما في تقويم السلوك لاجتماعي للفرد، والذي يساهم في تكون البنية الاجتماعية الثقافية في إطار عملية التنشئة أو إذا ما تعلق بأشكال التعامل مع الفرد خصوصا المجرم، كما يكون توافر عوامل معينة اجتماعية، ثقافية ، شخصية ، أو محيطة بالبيئة كوجود ظاهرة الأمية، الحرمان الاقتصادي، العاطفي، إلى التأثير في ممارسة العنف الجسدي يصبح عبارة عن سلوك اعتيادي، بل والتحريض عليه مثل ما يظهر في مجموعة من الأمثال المتضمنة لهذا الفعل الإجرامي.

تكشف هذه الأمثال عن تجارب وخبرات أدت إلى نتائج تبدو حسب المضمون لها (الأمثال) أنها إيجابية والتي تعكس أهدافا، وتبريرات هذا السلوك العنيف اتجاه الأفراد المتعمد والمتمثل في الضرب العمدي ونجد المثل التالي:

«أزرق عينيه لا تحرث ولا تسرح عليه»[154]ص64. يتبين من معنى نمط التفكير القائم على إعطاء أهمية لممارسة العنف الجسدي لحسم المواقف، دون غيره من الأساليب الأخرى، والتي هي بمثابة عقاب معين، مثل ما يحتويه مضمون المثل المتمثل في الضغط على الفرد وإجباره على القيام بأعمال معينة، وتظهر الدعوة الى سلوك مثل هذا النوع من الضرب، إلى تجاهل وعدم اللامبالاة وعدم الاكتراث بخطورة هذا الفعل الإجرامي الذي قد يتسبب في عاهة مستديمة يعاقب عليها القانون مرتكبها، و يندرج محتوى المثل التالي في هذا المنحى والذي نصه:

«إذا ضربت أوجع وإذا طعمت شبع»[147]ص87 يظهر التعريف في هذه الحالة على سلوك العدوان في أعنف صورته وهو الضرب الاعتداء الجسدي والدعوة في ذلك تومئ بدلالة سلوكية خفية، تحتوي النصح، لإعطاء مسحة لها مفعولها الإيجابي للتجاوب مع هذا النمط المميز للمعاملة السلوكية، وعلى أن فعاليه هذه المعاملة تزداد في تعديل السلوك وتقويمه، كلما كانت قوة هذا النمط العدواني الجسدي إتجاه الفرد الذي ارتكب خطأ ، قد لا يصل إلى حد الفعل الإجرامي، وكذلك ما يحتويه نص المثل التالي والذي يظهر في عبارة مقدمة في إطار النصح والتوجيه:

«ما تضرب حتى تقرب وما تصاحب حتى تجرب»[145]ص78. يحتوي هذا المثل على حيزين معنويين، أراد المفكر الشعبي من خلالهما إيصال فكرتين حسب التصور الفكري لاعتقادي للعقل الجمعي وبالنظر للأمثال السابقة التي دارت محتوياتها في هذا المضمون والمتعلقة دائما بسلوك العنف (الاعتداء الجسدي) والعاكسة للبنية الذهنية الثقافية في هذا الجانب الاجتماعي، حيث تبدو الفكرة الأولى واضحة من خلال التدليل على الطريقة (الأسلوب) الملائمة الخاصة بالاعتداء الجسدي (الضرب)، أما الفكرة الضامرة بخصوص هذا السلوك في المعاملة العنيفة، فقد أشار إليه من خلال عملية الصحبة (جماعة الرفاق) في دلالة اجتماعية خفية، غير أنّ أسلوب الضرب واللجوء إليه من خلال عبارة «ما تصاحب حتى تجرب» قد تكون عواقبه سلبية، وعليه يظهر اتخاذ الحذر والتحلي بالفتنة واليقظة أمرا مفعولا وهذا قد يكشف عن دلالة اجتماعية لمحتوى المثل في أن هذه الممارسة السلوكية العنيفة تكون إتجاه الأفراد الذين يشتركون في تواجد مجالي (محيط) معين، تربطهم روابط اجتماعية معينة (قربانية، الجيرة، معاملات اجتماعية معينة في إطار أداء الأعمال والنشاطات الخاصة بها، أكثر مما أو عكس ما إذا كانت في إطار حوادث اجتماعية عارضة، والمقصود بذلك مثل ما يتبين من محتوى المثليين الشعبيين التاليين:

تعد المزاي الوظيفية المتعددة الجوانب للمثل الشعبي مثل توجيه السلوك و(عملية تقييم) القيم، وبالتالي اكتساب قواعد سلوكية جديدة، التي قد تكون لها علاقة مباشرة بنمط المعاملة الاجتماعية التي يظهر عليها طابع ممارسة العنف مثل ويتضمنه المثل:

«بطه يعقل عليه» [153]ص55. وهو مثل موجود في مرجعين فالتوجيه والحكمة التي يكون أشار إليها والدعوة إلى الاستجابة لسلوك ممارسة العنف تبنيه كمقوم فاعل في توظيفه تربويا والذي يظهر على مدى معين، يبدو حسب هذا القصد بأنّ التنبؤات لهذه الممارسة السلوكية العدوانية العنيفة لها إيجابياتها في التأثير على شخصية الفرد وإصلاحه وذلك يظهر كذلك في التقييد من الميول والرغبات والأهواء التي يكون لها دخل والخاصة بالشخص المعتدي عليه والتي هي متعارضة حسب ما أقره هذا النمط التفكيرى، ويكشف في هذا المنحى نص المثل التالي:

«أضربو يعرف مضربو». مثل مأخوذ من عند العامة. وقد عرضنا مثلا مشابها في التحليل الخاص بموضوع الصراعات العائلية الذي تناولنا فيه ظاهرة العنف الممارس ضد المرأة، غير أنه يظهر القصد به في هذه الوضعية الحالة يظهر بصيغه المذكر، فالأمثال، تتميز بالتشابه كما أنها تتميز بالتناقص.

ويدل الأمر الحاصل حسب الاعتقاد المتعلق بدعوة اعتبار العدوان العنيف آلية مدعمة لعملية الضبط الاجتماعى غير الرسمي قد يؤدي الإقرار والوعى الجمعي الخاص بفعالية هذا النمط للعدوان الممارس ضد الأفراد إلى إطلاق العنان للتمادي في اتخاذ هذا الأسلوب العدوانى الإجرامى، بل وتبريره مثل ما يكشف عنه المثل:

«إذا ضربوك حبوك» [147]ص21. كما يبدو وجود دلالة خفية وذلك في إشارة إلى مساندة وتساهل العرف الاجتماعى مع الأشخاص الذين يرتكبون هذا السلوك العدوانى (العنف) متسببين في وقوع جرائم عديدة، خصوصا إذا كان هذا العرف يعد الأمثال الشعبية جزاء هاما في إقرار سننه المتعلقة بالجزاءات العقابية، والدعوة إلى التمسك به على أنه عادة سلوكية اجتماعية مستجابة ومستحسنة ذات وظيفة ضبطية في بعدها التربوي، قد تكون أحد العوامل الدافعة لمواجهة التصرفات الانحرافية والسلوكات الإجرامية لا بديل عنها ويظهر ذلك جليا إذا ما وقعت نمط معين من الجرائم مثل مايتبين في هذا المثل:

«أللي جابوه رجليه الحديد ليه» [159]ص39. يظهر واحتواء نص هذا المثل الشعبى على جريمتين ذات علاقة سببه، حيث أن الجريمة الأولى في دلالاتها الخفية والمعبر عنها من طرف المصرح بالمثل باستخدام حيز مادى عضوي متعلق بالفرد، وذلك إشارة إلى الجريمة المرتكبة من طرف هذا الفرد (الشخص).

ومن خلال هذا يتضح نمط الجريمة، والمتمثلة في الاعتداء على الممتلكات عن طريق السطو (السرقه)، حيث يظهر أن القبض على المجرم يتعرض للعقاب المباشر والمتمثل العدوان الجسدى

والعمدي وليس باللجوء إلى سلطة القانون والذي يعرف بأنه «فن معرفة ما هو مناسب وعادل» [90] ص 28، رغم أن القانون يستمد بعض قواعده من العرف الاجتماعي الذي تربطه علاقة قد تكون شعورية مباشرة أو العكس بالأمثال الشعبية وذلك يرجع لطبيعة الثقافة السائدة في المجتمع ومستوياتها بين الأفراد والجماعات الاجتماعية.

ويدور محتوى المثل التالي في نفس المنحى الخاص بالضبط الاجتماعي السلبي ونص المثل هو:

«اللي جابتهالو يديه لعصا ليه» [3] ص 130. كما تظهر (تكشف) الدلالة الخفية لنفس المثلين عن أثر وجود عوامل مؤثرة ذاتية والمقصود بذلك أن العدوان الممارس ضد الأشخاص المرتكبين للجريمة أو تورطوا في مجالها تدفعه الضغوط النفسية أو العاطفية في إطاره الدفاعي المرتبط بالاستعدادات الوراثية ووجود نزعات الإجرام التي تكون نتيجة عوامل تنشئية خاصة بالفرد الذي قام بصد (رد) العدوان عن نفسه، باعتبار وجوده في حالة الدفاعية الذاتية والذي يتضمن القصد والنية من لارتكاب الجريمة المتمثلة في الاعتداء الجسدي ضد الشخص ، غير أن هذا لا يرفع عنه المسؤولية لهذا الاعتداء ، حيث يمكن اعتباره خروجاً عن الحدود الضبطية الملائمة المتوافقة للفعل، وعن الامتثال للقواعد والمعايير الجماعية للمجتمع، بما في ذلك السلطة القانونية، يؤدي إلى نمو السلوك الإجرامي الجريمة من هذا النمط (العدوان الجسدي) وزيادة خطورته، خصوصاً في ظل الإفلات أو غياب التصريح بالجرائم لدى الهيئات القانونية المسؤولة والمكلفة بالنظر والفصل في الجرائم ويمكن لنا الكشف عن نماذج تشمل جانباً لخطورة ردود الأفعال العدوانية الإجرامية اتجاه الأشخاص المعتدي عليهم ومرتكبي الجريمة وذلك من خلال محتوى مجموعة الأمثال التالية:

يظهر التناقض المعبر من خلال حيز في نص المثل:

«لسانو رطب ويدو حطب» [147] ص 72، نموذج للسلوك الشخصي يتضمن في شقيه الإيجابي والسلبي والقصد الكامن في الدلالة الخفية الذي يمثل جانباً للشخصية الفردية هو إشارة لنقد أخلاقي (مبدأ) قد يعكس البنية الفعلية لهذه الشخصية في إحدى جوانبها السلبية اللاواعية، والمتمثلة في عملية إخفاء العيوب في اللاوعي الأخلاقي أو التغاضي عن الفعل الإجرامي الممارس وهو حسب المعنى المقصود للمثل الاعتداء الجسدي (الضرب) والذي قد يكون له خط متصل بصراع معين لدى هذه الشخصية الفردية، وعليه يلجأ هذا، الشخص لممارسة هذا النوع من العدوان الفيزيقي للتخفيف من هذا الصراع وطبيعته، ويعد هذا إحدى وظائف الصراع السلبية الاجتماعية على أن يكون مصدر هذا الصراع له علاقة لرفض معين كالامتثال لمعايير معينة لأن، «...الحقيقة التي مؤداها أن الشخص عندما يتمثل تماماً لمعيار معين فإنه ينتهك بالضرورة معياراً آخر على طول الخط» [90] ص 29.

فقد تؤدي الوظيفة السلبية للصراع إلى ظهور أشكالاً من الانفعالات السلبية كالغضب والتباغض، والتوترات النفسية منها القلق، الاضطرابات تتطور إلى أشكال من الاستعداد والنزوع للفعل الإجرامي، أو الاضطرار للأقدام عليه من ذلك لتوقع العدوان والمقصود في ذلك معنى المتضمن لمحتوى المثل الشعبي التالي: «اللي تعش بصاحبك بفطر بك» [145]ص18.

تؤدي مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية، منها، عدم القدرة على إشباع الحاجات وتلبية الرغبات، إلى جانب مجموعة الإحباطات النفسية المتكررة والمتصلة، إضافة إلى وجود ظروف تربوية تخللها معوقات نفسية وعاطفية، كالخبرات الضاغطة في المرحلة، الطفولة: تكون لها آثار وانعكاسات سلبية، تؤدي إلى تكون شعور معين مثل الشعور بالدونية والنقص الذي ينتج عنه صراعا للفرد إتجاه الآخرين ومنه الرغبة في العدوان عليهم كلما وجدت فرصة تتعلق بموقف أو حادث ما ليترجم عدوانه في إلحاق الأذى بالشخص الذي تربطه به علاقة اجتماعية في الحياة العامة والمتمثل في الاعتداء الجسدي، هذا في حدود الواقعة الإجرامية التي حسب ما يظهر في التصريح بها في المثل كأن يكون هذا الاعتداء (الفعل الإجرامي) التشاجر، التعرض للضرب العمدي، فالميل للعدوان والاستعداد له إذا ما توفرت عوامل تؤدي إلى تعزيزه وازدياد قوته يعمل حتما على الفشل في إقامة علاقات اجتماعية واكتساب بذلك المعارف والخبرات الخاصة بها، خصوصا في وجود ذلك الصراع الذي يعيشه الفرد مع الأشخاص المحيطين به، أو تربطه بهم علاقات فقد يفوتون له الفرصة في الإيقاع بهم مثل القصد والمعنوي لمحتوى المثل التالي:

«نتعدى به قبل مايتعشى بيا» [145]ص72، قد يظهر الاعتداء في أشكال للعدوان العنيف، منها السخرية والتي قد تؤدي في تطور ونمو الصراع لدى الشخصين وتوتر العلاقة الاجتماعية بينهما، تغذيها الشحنات الانفعالية، لكل منهما، أو أحدهما، خصوصا في وجود الأهداف والمصالح الشخصية والعامة والمتعلقة بالقيم ويكشف الحيز في جانبيه المادي البيولوجي الظاهر والمعنوي الخفي للبنية الذهنية للفرد الجزائري في حدودها البيئية وبما تتضمنه من عوامل ومؤشرات نفسية واجتماعية وعاطفية وثقافية واقتصادية، تجعل الشخص لا يتوانى في التساهل للثأر والانتقام للنفس والذات معا، وفي إطار ضبطي يبدو له التحكم الاستناد إلى (القوة/الضعف) المتمثلة في استخدام الأساليب العدوانية المتفجرة أحيانا كما يظهر في كل من المثليين وهما:

الأول: «يسوط هذا بهذا» [150]ص101، والثاني: «ورى له الزنباع وين ينباع»

[147]ص306.

رغم أنه ليس لدينا دراية بوقائع المتعلقة بكلا الفعلين الإجراميين في مضمون نص المثلين إلا أنه ومن خلال المعنى المعبر عنه، عن طريق استعمال لحيزين في إشارة دلالية سلوكية اجتماعية، بين المفكر الشعبي وصول حالة العدوان الفيزيقي إلى أقصى تطوراتها للشخص المعتدى (المجرم، تظهر صورة لإطلاق العنان للغرائز العدوانية الفطرية الوراثية والمكتسبة، في صلتها بضغوط صراعات لها جذورها المتعددة والمتنوعة الجوانب، وتعطي بذلك صفات من السيطرة والتسلط والتوحش والهمجية، ويزيد في بلورة صورها ووضوحها، استغلال لعوامل شخصية ذاتية مثل التمتع بسلطة قاهرة واحتلال لمركز اجتماعي، تسمح بإمكانية عدم الخضوع بالتعرض لأساليب الضبط الاجتماعية الرسمية أو غير الرسمية خصوصا، وهذا قد يدفع بالشخص في وجود معطيات بنيوية مختلفة المنشأ المعرفية والأخلاقية والذهنية المحيطة بالشخص والتي تحرك سلوكه في اتجاه اللاوعي بالمسؤولية اتجاه الفعل الإجرامي، المرتكب في أشخاص ومن ميزات تلك المعرفية والذهنية والثقافية في البيئة الاجتماعية للفرد والمجتمع وجود ظاهرة الأمية، ففي دراسة تتعلق بسلوك في حق الأشخاص عبد الملك مرتاض في هذا المضمار أن «...من سلوك الأميين في مألوف العادة تراهم على غلطة في طباعهم، وفضاظة في شنشنتهم». [154]ص54.

يعد التمادي في الاعتداء وإيذاء الآخرين من الأفراد (الأشخاص) الذين تكون لديهم الاستعداد في ممارسة للعدوان في المواقف المتعددة المقاصد والنوايا تعد وخروج عن المعايير والقواعد الأخلاقية وحدود المعقولية السلوكية مثل ما هو مصرح به في المثل:

«اللي يقول الصح راسو ينتخ» [3]ص106، يكشف محتوى المثل عن المعنى الخفي والمقصود والمتعلق بهذا النموذج للسلوك الاجتماعي المنفر للعلاقات وأنماط التفاعلات الاجتماعية مع الأشخاص المتميزون بنمط شخصية تتسم بالانهزامية والاستسلام للمواقف التي تتطلب التحكم النفسي (الاتزان النفسي) وبالتالي تحقيق التوافق الاجتماعي والتكيف وفق طبيعة تلك المواقف بأساليب يغلب عليها المسالمة، دون أي اعتداء. «يشير العنف إلى إيذاء أو تدمير الجسد أو العلاقة يقوم به شخص اتجاه آخر أو جماعة اتجاه أخرى» [80]ص33. كما يظهر المعنى المقصود الذي نلتسمه لدى وعي الجماعة «العقل الجمعي» نقدها وعدم قبولها لهذا التصرف المخالف واللامعقول الذي يكتشف عن غياب للوازع الأخلاقي أو ضعفه.

كما أن مثل يرسم صورة للعلاقة التي تبدو في معناه بين السلوك والعدوان على أنها علاقة مباشرة، ويظهر ذلك وأكثر وضوحا في المثل الشعبي التالي: «إلي غلط يخلص» [3]ص106، يكشف هذا التصور من اتجاه أخلاقي الخاص بوعي الجماعة، الآثار الخطيرة الناجمة عن الاستجابات المثيرة والمتمثلة في إعانة الأفعال المرتكبة، قد تكون لأنفه الأسباب في إطار هذا التصور للجماعة الاجتماعية،

«الضمير الجمعي»، يكشف عن ذلك الإيحاء والتبني لسلوك العدوان وفي وضعية اجتماعية تتميز بالانحراف عن المعايير الأخلاقية، والتي يوسع من دائرتها غياب الصرامة المتوافقة مع التعامل ومواجهة الأفعال الإجرامية على أساس العمليات الضبطية الشرعية والقانونية، فهناك محددات تتدخل في وصف الفعل الاجتماعي المنحرف في مقام الجريمة مثل إلحاق الضرر لممتلكات الأفراد أو التسبب في إيذائهم معنويًا، أما بالنسبة للمحددات الخاصة بالشخص المرتكب الخطأ الذي عرضه العقاب سواء كان مادي، معنوي، على أنه جريمة (الخطأ)، فتمثل في متغيرات متنوعة منها، الكفاءة (الأهلية)، المسؤولية الذي تشمل عامل الذكاء .

من النتائج المتوصل إليها في دراسة الباحث أحمد بن نعمان، «على أن من سمات الشخصية للشخص، الجزائري نبين منها: عدم تقبل النقد، النرفة...» [3]ص14.

تبدو سمة «النفرة» المميزة والشائعة عن سلوك الفرد الجزائري في صبغتها الاجتماعية الثقافية للبنية العصبية والتي تظهر صلاتها بالبنى التحتية للظروف والأوضاع عاشها المجتمع الجزائري في مراحل تاريخية اجتماعية أدت انعكاساتها إلى إحداث تغيرات في مسارات الحياة الاجتماعية وما يتصل بها من جوانب، نفسيًا، ثقافيًا، عاطفيًا، اقتصادنا ساهمت في تشكيل العناصر البنية الذهنية في إطارها وعلاقتها بتلك التغيرات الواقعة بتأثيراتها المتعددة والمتنوعة على تلك الجوانب المتصلة بالحياة الاجتماعية بشكل عام، التي منها «النفرة» حيث يظهر أن خطورتها تؤدي في الأحيان إلى التورط في ارتكاب جريمة مثل الواقعة المتضمنة في النص هذا المثل:

«الخرز أعلاش قتل ابنه» [174]ص53، قتله لأنه حجب عنه أشعة الشمس الدافئة [174]ص53. وفي صيغة لفظية تقريرية «الخرز اللي قتل ابنه» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي الصيغة باللهجة القابلية «اخارازيفاد ميس» [162]ص302 يعمد كثير من الآباء في المجتمع الجزائري التقليدي وحتى المعاصر في نمط المعاملة اتجاه سلوكات الأبناء المتميزة باستعمال أساليب عنيفة المتمثلة في الضرب والتعنيف والزجر والتوبيخ اللفظي وذلك بتوجيه عبارات تحمل معاني ومدلولات لها مواصفات الفعل الإجرامي كالقتل أو والتعنيف والقهر الذاتي دون الانتباه لخطورة هذا وغير الاجتماعي، والتخلي بالصفات الحميدة في مقدمتها الطاعة والخضوع فقد يرتكب الطفل أخطاء قد يرتكبها حتى الكبار، ومع ذلك فإنه قد لا يسلم من التوبيخ الجسدي المتمثل في الضرب العمدي أو توجيه إليه عبارات التلطف بالشتائم والاهانات المختلفة وبما أن ميزة المجتمع التقليدي الجزائري والريفي تسود فيه ظاهرة الأمية، والتي حيث نجد البنية الثقافية المكتسبة والمتوارثة من الآباء والأجداد يظهر أن الأمثال الشعبية تعد أهم الميكانيزمات الرئيسية للأشخاص ووفق الأمثال المتضمنة للدعوة إلى ممارسة الضرب كوسيلة

معالجة للسلوك فإن الجريمة المتضمنة في المثل السابق تعتبر قدوة وأنموذج للتحكم في السلوك واجتياح العنف في التعامل خصوصاً مع الطفل.

2.1.1.7. جرائم الاعتداء (العدوان) اللفظي

تكشف لنا الأمثال الشعبية والمتضمنة لعدد قليل جداً (بخصوص هذه الظاهرة والمتمثلة في أنماط من الفعل الإجرامي اللفظي، القذف والتشهير والتجريم اللفظي والتلاعن والتهمك والسب مثل ما يتضمنه المثل الشعبي للنمط الإجرامي اللفظي وهو:

«على حاجتي نعمل السب ونعيط سيدي للكلب» [147]ص20، أثر البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد المقصود والمصرح به في نص ذلك المثل، حيث تبدو في منحاها القيمي التربوي والأخلاقي المعيب إلى درجة الفعل الإجرامي، الذي ينبئ يظهر نقص أو وجود قصور في عملية الضبط الاجتماعي والتي تعكس حسب المعنى الظاهر للمثل على الاستخدام لهذا الأسلوب في التعامل الاجتماعي يعد من الأساليب الهادفة لتحقيق الحاجات والرغبات الشخصية، حيث يظهر غياب الوازع الأخلاقي ناجم وإضافة إلى المحيط الاجتماعي الخاص بعملية التنشئة وعملية الضبط الاجتماعي الخاصة بها في هذا الإطار، وجود آثار لعوامل مختلفة تتعلق بمختلف الضغوط التي يلقاها الشخص والصعوبات النفسية والاجتماعية والعاطفية التي لها علاقة بالظروف الاقتصادية المعيشية، كظاهرة الفقر، البطالة وفي إطار العلاقات الاجتماعية التي تربط الشخص بالأفراد الآخرين ومن جماعات أخرى كجماعة العمل، الأسرة، الأصدقاء...

كما أن البيئة المادية يمكن اعتبارها خلقية اجتماعية في الوقوع وارتكاب لهذا النمط الإجرامي المتمثل في العدوان ووفق التبرير المتمثل في المثل الشعبي التالي:

«إذا شفتو يسبو، أعرف بلي يحبه» [147]ص20. يكشف المثل في دلالاته الاجتماعية الظاهرة ومن خلال حيز معنوي أراد به تفسير هذا الفعل باعتباره فعل سوي لديه فاعليته المتمثلة في إظهار العواطف السامية، مثل عاطفة الحب وهي المقصودة في المعنى المثل، وتعبيراً عن قوة وتماسك العلاقة الاجتماعية في المثل، حيث يمكن إعطاء (إرجاع) هذه السمة الموصوف بها ذلك العدوان اللفظي (السب)، باعتبار أنها تؤدي وظيفة عاطفية في منحاها الاجتماعي حسب المعنى للمثل، إلى أثر تميز الحياة المدنية، على سلوك الكثير من الأشخاص، حسب ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته عن تأثير الحياة المادية الحضارية التي يعانون فنون ملاذها وعوائدها والإقبال على الدنيا بكثرة حتى تلوثت نفوسهم من فواحش القول لا يصدهم الحشمة .

غير أنّ الدلالات الخفية للمثل والتي يظهر عليها الإبهام في إشارة إلى وجود أثر لهذا الوازع وإن كان ضعيف، وذلك بالنظر إلى المنحى العاطفي، الذي يصب فيه المعنى المقصود والمذكور آنفاً، حيث يظهر هذا الوازع مختفي في ذلك المنحى كما أنه وحسب ما توصلت إليه دراسات بخصوص العدوان، والتي تبين من خلالها على أن الجنس الأنثوي، أكثر تورطاً في العدوان اللفظي من الذكور، مما يجعلنا نرجع مصدر ذلك المثل إلى فئة النساء، على أساس أنه تعويض لضعف القدرات الفيزيائية والمزاجية في الإطار المحيط الاجتماعي المحدد وفي الظروف التي يعيشها بغض النظر عن جنسه، من جانب ارتباط هذا العدوان اللفظي بأحد الأمراض النفسية، كالهستيريا، القلق العصابي أو ماله علاقة ويندرج ضمن الأعراض الخاصة بالمرض العقلي، أو هو ناتج عن اضطرابات فيزيولوجية لها علاقة بهذا الفعل الإجرامي (العدوان اللفظي) مثل اختلال الوظائف للغد الصماء.

كما لا يمكن إنكار أو إغفال لأثر الصراع الذي قد يكون الخلفية لهذا العدوان الذي قد يكون الدافع الأساسي لظهور وتطور الفعل الإجرامي في تلك الظروف المذكورة سابقاً والتي يعيشها الشخص عنصر نوعاً أو أكثر منها، وعلى اعتبار منظومة القيم التي هي المرجعية العاكسة لأخلاق وثقافة الشخص المتورط في هذا النمط للفعل الإجرامي فإنها على هذا المبدأ للأخلاقي المطبق في مواجهة المواقف المختلفة لأنماط التفاعل الاجتماعي والذي يتعارض مع القيم والمعاني الأخلاقية والروحية السامية التي ترتقيها الجماعات الاجتماعية المحاربة لهذا الشذوذ والانحلال الأخلاقي، مثل ما يحتويه مدلول المثل الشعبي وهو:

«ضرب السيف ولا قطاع النيف» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي صيغة لفظية أخرى نجده: «ضرب السيف ولا ضياع النيف» [3]ص151 ويقابله مثل يحوي نفس المعنى باللهجة القبائلية وهو: «وين إيفرضن ذي العرضين، أزكا أخيرس» [3]ص151، المعنى الذي أراد صاحب المثل إيصاله وقصد إليه، يتعلق بالأثر الذي تتركه الجريمة على شخصية الفرد وكذلك الجماعات الاجتماعية، في النواحي الروحية والنفسية والعاطفية الاجتماعية، وذلك انطلاقاً من مبدأ قيمي فكري وأخلاقي، يبرز الفرق الفاصل بين الأثر المادي وبين الأثر المعنوي والروحي في نفسية الأفراد والجماعات الناجم عن التعرض للفعل الإجرامي، من قذف لقيم الشرف والعرض، والتشهير والتجريح العمدي الذي يجعل صاحبه المعتدى عليه يتصف بالوصمة الاجتماعية بما تتضمنه من العار والمنافرة، خصوصاً إذا كان هذا الفعل غير السوي المتمثل في العدوان اللفظي إتجاه الشخص (الضحية) يعد ظلماً واقتراء وليس له صلة بحقيقة الشخصية كما أن الشخص المرتكب والموصوف بهذا الفعل الإجرامي (غير السوي) والتمادي فيه قد يعرضه للضبط الاجتماعي، رسمي أو غير رسمي مثل محاولات تقليص فرص التعاملات الاجتماعية، وعدم التقبل في المشاركة الجماعية المتمثلة في أنماط التفاعل، كالتعاون، والمنافسة وحتى الصراع، فهو بذلك وحسب ما صرح به المثل التالي:

«اللي جرح القلب ودماه واش من عين تلقاه» مثل مأخوذ من عند العامة، سوف يصطدم بحتمية اجتماعية ضبطية، تتمثل في مجاراته وتجنب ملاقاته، والذي يعكس الضمير الأخلاقي «العقل الجمعي» للجماعة الشعبية، حيث أنه يرفض مثل هذه السلوكات غير السوية والإجرامية والتي تتنافى وتتعارض مع قيم ومعايير الجماعة ولا تقبل بعضوية هذا الشخص في إطارها الاجتماعي، بل يتعدى ذلك إلى درجة التعامل اليومي في مجالات الحياة، ويصبح موصوما اجتماعيا.

يؤكد خطورة هذا السلوك العدوانى اللفظي للمجرم مثلين شعبيين آخر: «خفيف اللسان ينذل ولووجهه مراية» مثل مأخوذ من عند العامة و«اللسان الخفيف يستهل القص» [147]ص227. يكشف هذا التصور المتعلق بالضمير الأخلاقي للجماعة الاجتماعية ورد فعلها ضد الشخص الموصوم بهذا الفعل الإجرامي المعنوي، تمسك الجماعة الشعبية وحضور الوعي الجمعي وصول في مواجهة هذه الجريمة في مجتمع يغلب على طابعه العرفي التقليدي المحافظ، الذي يعكس المعايير القيم والمعاني الايجابية السامية للمجتمع الجزائري، والتي لا يزال يتمسك بها، ولا يرضى الخروج عن إطارها، خصوصا وأنها ترتبط بنسقه القيمي المتأصل الجذور في صلة بالروابط التراثية الموروثة عن الثقافة الكلية للمجتمع، منها القيم الدينية الإسلامية، حيث نجد في هذا الصدد، كثير من أنواع الجزاءات العقابية في الدنيا والآخرة، منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في حوار بينه وبين الصحابي معاذ بن جبل في قوله: «ثكلتك أمك، وما يكب الناس في جهنم غير حصاد أسنتهم»، وكذلك في الحديث الذي رواه لصحابته الكرام بتوجيه سؤال لهم حول معرفتهم الأشخاص المفلسون، فأخبرهم بهم، ويتعلق الأمر بالعواقب والمهالك الأبدية للشخص الموصوف بهذا النمط من السلوك الإجرامي.

وقد عبرت الذهنية الشعبية للجماعة ومن خلال حيز عضوي مادي وهما (الوجه والمرأة) عن حقيقة الشخصية الإنسانية والاجتماعية وجوهرها الروحي، بناء بما ترتكبه من أفعال لفظية من أقوال وعبارات القذف والشهير أو العكس وعلى أن الشخص بهذا النمط الإجرامي من الانحلال الأخلاقي، يعد في أدنى المستويات الأخلاقية وأنها شخصية منحطة لا تحظى بأي احترام في محيطها الاجتماعي وغير صالحة من خلال ديناميكية التفاعل، وذلك بالرغم ما تتميز به من صفات مظهرية جمالية عضوية، ويذكرنا بالحديث النبوي الشريف لقوله صلى الله عليه والسلام: «إياكم وخضراء من قيل يارسول الله وما خضراء الد من قال عليه الصلاة والسلام المرأة لحساء في مثبت السوء». كما يدل على استعانة بالحيز واستخدامه كأداة في إشارة إلى دلالة ضبطية تتمثل في الجزاء العقابي الذي يستحقه الشخص المجرم وهذا الحيز يتمثل في للسان وبتعريضه لفعل، القص، ويبدو أن الجزاء المتمثل في العقاب المستحق ذلك الشخص المجرم، يندرج في عملية الضبط الاجتماعي غير الرسمي، ويكشف عن الصرامة الشديدة والقاهرة في التعامل مع هذا النمط الشخصي للفرد المجرم، كما يكشف كلا المثلين عن وجود صراع اجتماعي في منحاه السلبي في النمط ويؤدي إلى الاضطرابات والتأثير في ديناميكية

التفاعلات الاجتماعية، وتوتر العلاقات بل وقوع حالات منافية وتطبيق مجالها، إلى درجة تقطع هذه العلاقات والتي يمكن إرجاع خلفياتها إلى عوامل نفسية شخصية مؤثرة تنبئ بوجود ضغوط تعارض وتعد بدائل دون الوصول إلى تحقيق الأهداف والرغبات، نتيجة كذلك إلى عجز ذلك الشخص مقاومة والتصدي لها وبذلك يفقد السيطرة ويخفق في عملية التكيف والتوافق الاجتماعية ذات الصلة المتجذرة في عملية الامتثال للمعيارية الأخلاقية: «المثال الجمعي» المنضمة للأفكار والعرف الاجتماعي والعادات والتقاليد للمجتمع.

من بين تلك العوامل المؤثرة المتعلقة بالإشباع النفسي والاجتماعي الشعور بالإحباط كالفشل في الوصول إلى تحقيق الآمال وزيادة نسبة الطموح، الشعور بالملل، والاعتراب، الواقع الحياة اليومي، وقت الفراغ... وهذا ما يجعل الفرد المجرم لا يتورع عن اعتداءاته اللفظية العدوانية نظرا للخصائص والاستعدادات للنزعة الإجرامية المميزة له. ويكشف لنا المثال التالي الأثر السلبي الذي يتركه هذا النمط السلوكي الإجرامي الخاص بالعنف الرمزي في أقصى تجرباته الخطيرة والمتعادية والمتجاوزة بذلك الحدود المعيارية للجماعة «الضمير الأخلاقي»، ونص المثال هو:

«الكلمة كي وجه البارود إذا خرجت ما ترجعش» [44]ص26. وفي نصي نص آخر نجده «الكلمة كي وجه البارود إذا خرجت ماتوليش» مثل مأخوذ من عند العامة. وهو موجود في مراجع أخرى، ويظهر أثر الاختلاف اللهجوي الخاص بالإقليم المجتمعي في الكلمتين الأخيرتين من نفس المثليين، كما نجد نص لمثل شعبي آخر يتضمن نفس المعنى الرمزي للمثل وهو:

«الكلمة رصاصة رصاصة» [145]ص70 ونجد نفس المعنى لهذا المثل باللهجة القبايلية كما يلي: «أول ثرصاصت ميش فاع أوردى توغال» [144]ص21، يحوي إذن المعنى الرمزي والموحد للأمثال المتضمنة له والذي قصد إليه صاحب المثل بتمريره من خلال حيزين مختلفين مادي معنوي وهما الكلمة (البارود، الرصاصة) مدلولاً اجتماعياً خاصاً بالعلاقات وبالتفاعلات الاجتماعية التي يصدر منها مثل هذا العدوان اللفظي، الذي يعمل على تدميرها وبروز الخصومات ونشوء الصراعات التي قد تأخذ منحى خطيراً، تنعكس على شخصية الفرد والجماعة واتخاذ بذلك قرارات جديدة خاصة بنمط التعامل وإقامة الاجتماعية، بين الجماعات سواء الأولية، كلمة الرفاق، القرابة، أو الجماعات الثانوية، تتمثل في وفق التغيير الذي طرأ وتأثرت به العلاقة الاجتماعية الواقعة بين الشخصين أو الجماعتين في تحويل مسار هذه العلاقة في اتجاه اجتماعي مغاير لوجهة تلك العلاقة التي كانت قائمة أو نمط التفاعل الاجتماعي المتضمن لوقوع الفعل الإجرامي اللفظي، على أن يكون حسب خطورته التي لمح إليها في نفس الأمثال المذكورة والتي نكتشفها في دلالة رمزية، عميقة وخفية حيث يظهرها ويشبهها ويضعها بمثابة جريمة خطيرة والتي هي أقرب لجريمة القتل، يظهر أنه تم التعبير عنها لاشعورياً، أو معبر عنها

بطريقة غير مباشرة، يعكس الأثر المادي للجريمة التي تتركه في نفسية الفرد الجماعة، الذي يجمع الجسد والروح الإنسانية وتآثر كل منهما بما يتعرض له من عدوان سواء كان ماديا(جسديا) أو معنويا (روحيا)، وانعكاس آثار كل جانب منهما على الآخر، فالشخصية الفردية أو الجماعية كيان بشري اجتماعي بمكوناته المادية (المزاجية، الفيزيولوجية، العصبية...) وكذلك المعنوية (القيم والمعاني، التصورات، الأفكار...).

2.1.7 الجرائم الاقتصادية (جرائم ضد الممتلكات)

1.2.1.7.1.2.1.7 تعد جريمة السرقة

من الجرائم المرتكبة والتقليدية الأكثر ارتكابا من طرف الأشخاص المجرمين تحت تأثير عوامل وأسباب عديدة ومختلفة، وقد يكون الجانب المادي القاسم المشترك والدافع الرئيسي والمتمثل في تلبية الحاجات المادية وذلك من عبر مجموعة من الأساليب الممارسة لتحقيق ذلك الغرض وهو ما يدلنا عليه نص المثل الشعبي التالي:

«باش باع السارق ربح» [144]ص59، فالمعنى المقصود من طرف الشخص المصرح بالمثل، أن المجرم السارق، يحقق مكاسب مالية، في جميع الأحوال الخاصة بالثمن الذي يعرض به حاجات وممتلكات الآخرين التي تحصل عليها بالطرق غير الشرعية والتي يستحق عليها التعرض للجزاء العقابي والسخط والاستنكار الاجتماعي، وقد يكون ذلك سببا يدفع بالسارق إذا كان لديه وعيا وخبرة، وبانعكاسات ممارسته لهذا السلوك الإجرامي والذي بالتالي تحدث له ويتعرض إلى حالات من الاضطرابات والتوتر النفسي، كالقلق وعدم التحكم في الأداء السلوكي، ويكثر مثل هذا النمط للجريمة في مجال التعامل التجاري بشكل عام، حيث يكون وجود قليل للضوابط الجزائية العملية والمختصة في التصدي للجريمة ومحاربتها، مما يسمح بإمكانية اغتنام الفرض وضمن قدر كبير من عدم الوقوع في عمليات العقاب.

والظروف المعززة والمدعمة بتعلم السلوك الإجرامي، واحترافه كلما كان التوفيق في مجاله يحقق المكاسب والمنافع الشخصية وبالتالي قد يجد الشخص المجرم صعوبة في التخلي عن ممارسة ذلك النشاط المتمثل في جريمة الاعتداء على الممتلكات الآخرين وسلبها من أصحابها، وترجع خلفية ذلك للمبادئ والقيم التي تزود بها الشخص في محيطه الاجتماعي، التي تعكس غياب الأخلاقي والديني، والدور الوظيفي للجماعة الأولى التي تلقى فيها الشخص نمط تنشئته الاجتماعية، والجماعات تأثير الأخرى كالرفاق والصحة والجيرة، التي قد يجد فيها الشخص المجرم، أسباب تعلم وعوامل لتعلم ونمو

السلوكي الإجرامي الخاص بجريمة السرقة عن طريق الاحتكاك والتقليد بتلك الجماعات وقد يكون من بداية المراحل العمرية الأولى حيث يكون الشخص طفلاً ويفسر لنا المثل التالي:

«اللي سرق إبرة يسرق بقرة» [147] ص 111، المعنى المقصود في نفس المعنى وقد يؤدي نقص أو عدم توفر رسائل إشباع الحاجات المادية إلى التوجه وممارسة هذا النشاط الإجرامي، بشكل مستمر وواسع ويشمل الاعتداء على الممتلكات على اختلاف أنواعها ومنافعها، مادامت تجلب المنفعة والكسب من دون دفع التكاليف، أو جهد عملي مأجور عليه، غير أن قد يكون الهدف من المتعلق بهذا النمط للجريمة مخالف لها، تضمنه المثل السابق، حيث يظهر هذا النمط في المثل التالي:

«السارق إذا ما صاب ما يدي يرفد كمشه رمل» [147] ص 111. وفي نفس المعنى نجده في مضمون المثل باللهجة الأمازيغية: «لحرام إسنييت ومشييش، غاس نفقاس أعريش أنيس زذات أمار» [162] ص 213.

من خلال الحيز المادي الذي استعان به صاحب المثل في تصويره للسلوك الإجرامي الخاص بالشخص المجرم الموصوف بجريمة السرقة، حيث يعطي صورة مغايرة للطابع الحقيقي للهدف من جريمة السرقة، حيث يظهر أنها تعدت الحدود المرسومة في إطارها والمتمثلة في الكسب وإشباع الحاجات المادية والمنفعة الاقتصادية، فالطابع لهذا النمط الإجرامي يأخذ شكلاً غريزياً، يعبر عن سلوك غير سوي (مرضِي)، يضطر صاحبه المجرم إلى سلب وسرقة أغراض الآخرين، حتى وإن لم تكن لها منفعة يستفيد منها وتلبي نوع معين من الحاجات الاقتصادية كالمال، أو شيء كأداة أو جهاز يصلح لاستعمال العملي أو المهني، فالدافع في هذه الحالة للسرقة يكون خارج إطار الحاجة والرغبة إلى الإشباع للحاجة؛ بل تتعلق بالظاهرة نفسها (السرقة) قد تكون لها علاقة بالظروف التي طبعت حياة الشخص المجرم تتعلق مظاهرها في أنواع للحرمان العاطفي، من الناحية عن نوع من التفكك الأسري، التعرض المتولد عنها المشاعر السلبية، كالدونية والنقص، والتعرض للانفعالات الشديدة المنحرفة، والاحباطات والفشل تخلق لديه صراعات اجتماعية إتجاه الآخرين، ويترجمها في هذا النوع من السرقة، وتكون تلك الصراعات بين الأفراد المقربين منه والذين يعيش معهم في محيطه الاجتماعي.

كما أن حصول المجرم السارق على تلك الملكية وسلبها من صاحبها واستفادته المكسبية المالية منها عن طريق عملية البيع التي تتم بين البائع والمشتري لا تصيبه وتعود عليه بذلك وحده؛ بل تشمل كذلك الشخص الذي دفع ثمن أو مقابل مال لحصول على ذلك المكسب المادي مثل ما يظهر في المثل الشعبي التالي:

«اللي جا للسارق ربح» [144]ص34، فالمعنى المقصود والمصرح به يحمل دلالات فيميه سلبية ظاهرة في صورتها المادية المتمثلة في الربح والكسب النفعي الاقتصادي على خلفية المتعامل التجاري المتضمن لعملية الشراء مع الشخص المجرم، ويخفي هذا النمط للتفكير غياب أو عدم وجود اعتبار للقيم والمعايير التي تمنع وتخالف كل التعاملات والممارسات المشبوهة التي تؤدي إلى نمو ومن ثمة تعزيز السلوك الإجرامي للشخص المجرم والشخص الذي لديه استعدادا ونزعة وميل لهذا النمط للجريمة، كلما توافرت الظروف وإفرازاتها المحيطة بالشخص نفسه، مؤدية واجتماعية مثل الاحتكاك بالجماعات المنحرفة وجود صراعات تتعلق بالفشل وعدم التوافق وتحقيق مكاسب اجتماعية في طابعها المادي المؤدي إلى تحسين الواقع المعيشي وتحقيق المكانة الاجتماعية التي يرتضيها لنفسه وتخفي هذا الفكرة في دلالاتها القيمية، غياب القيم الأخلاقية والوعي الديني، التي تكشف في دلالاته ضمنية نوعا من الرضى والقبول المتعلق بالاستفادة وتحقيق الربح عن طريق ممارسة هذا النشاط الاقتصادي غير المعقول وبالتالي فهو غير شرعي ولا قانوني وهذا يبني بغياب الضمير الأخلاقي والوازع الديني، كما أنه يتضمن مدلولاً يتعلق بالخصائص الشخصية، المصرح عنها بهذا المثل أو صاحب المثل نفسه، يكشف عن مستويات الذكاء المترجمة للبنى والقدرات الفكرية، التي تجعل الشخص يتصف بأوصاف تحوي معاني السلبية المورطة في ارتكاب الجرائم المختلفة، منها (الأوصاف) الغباء، الحمق. ويظهر السياق النمطي للتفكير السلبي، ومن خلال المثل التالي:

«ما تسرق قدام السارق» [144]ص34 المتضمن في دلالاته الظاهرة التوجيه والنصح بخصوص ممارسة هذا النمط السلوك الإجرامي المؤدي لظاهرة السرقة، التي نجد في غياب للحس الأخلاقي والوازع الديني، أن لها علاقة بعوامل تنشئية خاصة بجماعات أسرية التي ترى في ممارسة هذا الظاهرة نشاط، إيجابي يتميز به أشخاص بصفات الكفاءات والمهارات العملية المؤدية إلى التوفيق وتحقيق المكاسب وتلبية الحاجات، وبالتالي، فهي لا تتورع في تطبيق هذا النهج واتخاذ مبدء من مبادئ تنشئية أبنائها عليه وتنمية السلوك الإجرامي بأساليب تعزيز مختلفة، قد يكون دون وعي منها بخطورته وعواقبه على أبنائها، والذي يكشف عن بنية اعتقادية خلفياتها وجود خلل وعيوب تشوب عملية التنشئة التي تعرضت لها وتوارث بذلك هذا النمط السلوكي المتعلق بظاهرة جريمة السرقة حيث ترى في هذه الظاهرة قيمة إيجابية وتعكس صورة الشخصية القوية الناجحة في هذا المجال الإجرامي، يمكننا الكشف مثل هذه البنية الاعتقادية في المثل الشعبي التالي:

«السارق الشاطر اللي يسرق السارق» [147]ص2، ويحوي في دلالاته المعرفية المتضمنة للتصور الخاطئ والمخاط المتعلق بفعالية الشخصية المجرمة الموصوفة بظاهرة السرقة، حيث ترى وفق ذلك أن تكون ظاهرة السرقة موجه ضد الأشخاص المتميز سلوكهم بممارسة السرقة، دون غيرهم من الأشخاص الآخرين من مختلف الجماعات والفئات الاجتماعية واستغلال ما تتميز به من خصائص

شخصية أو اجتماعية تسمح بالتوفيق و تحقيق الأهداف الخاصة بالقيام ب:- السرقة- دون مخاوف ردعية عقابية إلى حد ما، عكس ما إذا كان حدوث عملية السرقة ووقوعها ضد الأشخاص الممارسين لهذا النشاط الإجرامي كجماعة العصابات، حيث يكون التخوف من الوقع في عواقبها الإجرامية أشد وأخطر حيث يتوقع التعرض هؤلاء المنحرفين لجريمة من طرف تلك العصابة مثلا قد تصل إلى حد جريمة أخرى كالقتل، مثل ما هو مصرح به في المثل الشعبي التالي:«السراق كي يجوا يتقاسموا يتقاتلوا»[144]ص22.

تحمل الفكرة التي أرادت الجماعة توضيح معناها وفي سياقها المتضمن لنمط السلوك الإجرامي الممارس في الاعتداء على أموال وممتلكات الأفراد والجماعات، وجود الميول والاستعدادات تتعلق بنماذج من السلوكات الإجرامية، والتي تظهر بشكل واضح خلال الحوادث والمواقف التي يتعرض لها الجماعات الإجرامية، ولو كانت هذه المواقف تحصل بينهم، وفي حالات بروز الرغبات والمصالح الشخصية مثل عملية تقسيم المكاسب المادية التي تحصلوا عليها، فقد يكون مجرد اختلاف في توزيع الحصص على أنفسهم، يكون عامل مؤثر ودافع إلى استخدام العنف والعدوان في أعلى درجات خطورته، لانعدام الثقة الكاملة نظرا لممارسة جميعهم للنشاط الإجرامي المتمثل في سرقة ممتلكات الآخرين، كما أنها الوسيلة الوحيدة التي يرى فيها هذه الجماعات الإجرامية نيل مكاسبها التي تحصلت عليها بطرق غير مشروعة، تعرض صاحبها إلى أحد أنواع العقاب (الضبط الاجتماعي الرسمي) خصوصا، المجرم في هذه الحالة ليس لديه حق شرعي للمطالبة بتقديم شكوى بأموال أو أشياء تمت سرقتها بأحد الأساليب الخاصة بمظاهر جريمة السرقة كالنشل والسطو أو الاختلاس، وذلك خوفا من اكتشاف جريمته وإدانته عليها.

والعامل الرئيسي الذي يبرز أثره في مثل هذه الأفعال الإجرامية الصادرة من طرق تلك الجماعات المنحرفة والإجرامية، المكونة العصابات والتي يزداد نشاطها كلما سمحت لها فرصة الانفعالات من عمليات الضبط الرسمية وغير رسمية إلى جانب وجود آليات تؤدي توفر الشروط

2.2.1.7. جرائم الاحتيال النصب

تظهر لنا مجموعة الأمثال المنضمة لظاهرة السرقة في صورة متباينة تعكس نماذج من السلوك الإجرامي للأشخاص الذين قد يستغلون وضعيتهم ومستواه المعيشي الاقتصادي المتميز بالحرمان والفقر لتحقيق لرغبات والميول المتعلقة بإتباع نموذج من السلوك أو الذي يتناسب مع والوضع الاقتصادي الذي يطبع حياتهم الاجتماعية، وقد يكون مخالف لذلك ولا يعكس واقعهم المعيشي ومن ذلك فإنهم يتورطون في جرائم التسول كما تبين لنا في المثل المصرح به في هذا الخصوص. ونصه:

«ساسي ومنتشر بحث غير اللي غالي»[147]ص والمقصود من خلفية هذا التصور الخاص بممارسة هذه الظاهرة المتمثلة في التسول ومرتكبها الذي تراه الذهنية الجماعية، بأنه توقع وجود تزييف الحقيقة الواقع الاقتصادي لهذه الفئة الاجتماعية التي تعيش على هوامش المجتمع، حيث أنها تعرض نفسها لردود أفعال منافية وتخفي أنواعا الإنكار ومراودة للشكوك اتجاه الأساليب التي يعمد إليها من أفراد هذه الفئات الاجتماعية الفقيرة، والشروط التي على أساسها يرون يتم تلبية حاجاتهم المتفاوتة القيمة والمنفعة وبالتالي يلبون عن طريق المداومة والتمسك بها إلى أقصى حد يضمن لهم ذلك ولا يكشف جريمتهم المقنعة لهذه صورة النمطية الاحتمالية، وتصبح لديهم في مقام مهنة يرتزقون منها وتضمن لهم معاشهم اليومي، أما إذا كان هنالك جماعات وأفراد يمارسون فعلا هذا النمط السلوكي رغم وفي ظروف معيشية تسردها الاكتفاء المعيشي والاقتصادي، الطابعة لحياتهم الاجتماعية، فقد تكون الرغبة في تحقيق أهداف ومكاسب اقتصادية للوصول واحتلال مكانة اجتماعية ذات مستوى أعلى مما يسودها من وضع اجتماعي، فإن هؤلاء، وفي غياب اللوازم الديني والأخلاقي، والقيم السلبية والمنحطة التي بنيتهم الاجتماعية الثقافية والنمط المشكل لشخصيتهم الإجرامية، فإنهم قد لا يسبب لهم إقدامهم على ممارسة ظاهرة التسول كمهنة تعود عليهم بالمكاسب الوفيرة والمتنوعة، شعورا بالعار أو حرجا وإحساسا بتأنيب الضمير، كما يزيد في توسيع مجال هذه الظاهرة الإجرامية وتناميها بين أصحابها، الاستجابات المتكررة لمطالب هذه الجماعات (العصابات التي تمتن وتمارس هذا النشاط الإجرامي، ويتعلق الأمر باستغلال عواطف الأفراد للتأثير في نفوسهم والوصول إلى الغرض الممنهج للخطط الإجرامية المكتسبة ويكشف لنا المثل الشعبي جانبا يندرج ويشمل تداعيات لجريمة التسول في صورته التي أدت إلى نتائج سلبية ونصه كالاتي:

«اللي طاوع السواسي من ساسي»[147]ص289. فالمعنى الظاهر للحقيقة المصرح بها، تكشف عن قيم سلبية تنعكس آثارها على الأشخاص الذين يسعون للحاجات المادية والمالية من منطلق واعتبارا للقيم الإنسانية الخيرية والاجتماعية منها التضامن والتراحم، مع هذه الشريحة المجتمعية وهم المتسولين المصرح به في نص المثل بـ: "السواسي" غير أن الانحراف الذي يسلك طريقة من هؤلاء المتسولين، قد يحولون هذا النشاط إلى ممارسة عملية، قد يجعلهم لا يفكرون في البحث عن عمل مشروع لتأمين حاجاتهم البيولوجية من مأكّل ومشرب والنفسية وحتى الكمالية، والشخص الذي تعود على الاستجابة لمطالب هؤلاء المتسولين المالية والمادية وان على الإنفاق بما استطاع من أمواله والأشياء التي يمتلكها فإنه بذلك يعرض وضعه المعيشي والاقتصادي إلى أضرار تؤدي إلى افتقاره، وتدهور مستوى من مكانه اجتماعية أعلى إلى مكانة أدنى منها، قد تصل إلى مستوى الفئات الفقيرة والمعدومة.

ويكشف المثل الشعبي نموذجاً للسلوك غير السوي الذي تراه، الجماعة حسب البنية الاعتقادية،
ناجم خروجاً عن المعايير والقواعد السلوكية والمبادئ الشخصية العقلية، وغيض المثل:

«دير روحك مهبول تشبع كسور» مثل مأخوذ من عند العامة، وموجود كذلك بمرجع آخر، فهناك
من الأشخاص الذين يعانون من الاضطرابات العقلية يتميز سلوكهم الاجتماعي بالانحراف وعدم الامتثال
لقيم الجماعة ومعاييرها باتخاذهم الأساليب والوسائل الكفيلة واعتمادها كسلوك يحقق مطالبهم وحاجاتهم
المادية التي تلبي حاجاتها البيولوجية، دون بذل أذى جهد للحصول على عمل مشروع وشريف، ويحوي
المدلول الخفي للمعنى المقصود عن الخصائص والمميزات التي تتكون منها البنية الشخصية لهذه
الشريحة الاجتماعية المنحرفة التي تترجمها سلوكياتها المنحرفة والإجرامية والتصرفات غير معقولة،
مثل التصرف المتضمن في نفس المثل والذي يتعلق بجريمة التسول، كما يعد رأي الجماعة اتجاه هذا
النمط للشخصية، تعبيراً عن الأباكار والاستهجان وعدم الرضى والقبول عن سلوكياتها الإجرامية المتمثلة
في التطفل والخداع وهي صفات مذمومة منحطة تترجم انعكاسات لمميزات خاصة بها «التحديات أو
المخالفات التي تسمى اضطرابات عقلية تنطوي على: الهروب من الاحتكاك بالآخرين، السلوك القهري،
الوسواس، المزاج المتقلب... وكل المجتمع بسمع بمستوى معين من التساهل، ولكن الاضطرابات العقلية
غالباً ما تتحدى كل حدود التسامح» [91] ص 287.

يعتبر هذا النمط الإجرامي لظاهرة التسول التي يتخذ مرتكبيها مجالاً بيئياً يتوافق مع سير نشاطهم
الممارس وفي محيط اجتماعي بعيد عن الرقابة الاجتماعية، التي قد يكون لديهم توقع بملاحقتها لهم
والترصد لنشاطها الإجرامي، حتى لا ينكشف لدى الآخرين الذين تربطهم علاقات معينة، كالأقارب،
الأصدقاء أو الأفراد الذين تربطهم معاملات في مجال أنماط التفاعل الاجتماعية ومما يجعلهم يفضلون
الابتعاد والخروج عن حدود ذلك المحيط الاجتماعي الذي ينتمون إليه، وتجنباً من الجراء والمتمثل في
الضبط الاجتماعي الرسمي، كالعادات والأعراف والتقاليد التي تعبر عن القيم والمعايير السامية للجماعة
الاجتماعية؛ غير أن هناك صوراً نمطية للجريمة التي تقع بين أشخاص قد تربط بينهم علاقات اجتماعية
متينة وقوية تدل التماسك والانسجام، والإخلاص في أنماط التعامل وتعبر عن القيم الفعلية والايجابية
وقيم روحية وعاطفية، أما في حقيقتها الكامنة فإنها تخفي عكس هذه القيم إلى حد ما وهذا ما نجد له
اتجاهاً في مجموعة الأمثال التالية:

3.2.1.7. جرائم خيانة الشخصية الفردية

تكشف مضامين لهذه النمطية الإجرامية التي عبرت عنها البنية الذهنية للجماعة الاجتماعية
الشعبية وبقيت محفوظة في ذاكرة الكثير من أبناء الأجيال المتعاقبة في المجتمع الجزائري التقليدي

والمعاصر، عن نماذج من السلوك غير السوي (المجرم) التي تتصف وتتشابه الشخصيات المرتكبة لهذا النمط الخاص بجرائم الخيانة وفقدان الثقة بنفسها، وثقة الآخرين بسلوكها الإجرامي؛ غير الظاهر إلى أن تتكشف عند ظهور الجريمة التي تسببوا في وقوعها، ونص المثل الشعبي التالي يدل على المنحى الخطير لعملية التفاعل الاجتماعي ودينامكية العلاقات الذي يقع فيه الأشخاص مع الراعي» وفي صيغة أخرى مطابقة في المعنى نجده كما يلي:

«يسرق مع الذيب وبيكي مع الراعي» [149] ص 96، وفي صيغة أخرى نجده كما يلي: «يأكل مع الذيب وبيكي مع الراعي» [144] ص 52. يحمل هذا التصور الذي استعان فيه صاحب المثل بحيزين وهما (الذئب/الراعي) وهما حيزين معروفين للتعبير عن السلوكات النمطية في الثقافة الشعبية للمجتمع في مجال العلاقات الاجتماعية المتسمة بالتوتر الاضطرابات في التصرفات والانحرافات السلبية المتعددة الأهداف والصور التي قد يكون يؤدي وظائف إيجابية لهذه الانحرافات مثل الكشف والإيقاع بالأشخاص المجرمين وتعريضهم للجزاء الاجتماعي المناسب لجريمتهم والذي وحسب الأسلوب المصرح به والمتعلقة بجريمة بأحد أنماط السرقة في صورتها السرية والمضمون في محيط اجتماعي تربط بين أفراد علاقات تعد ذات طابع اقتصادي، يسعى الشخص المجرم للكسب المادي عن الطريق النفاق وبالحيل المخادعة واستغلال لوجود خصومات ومتافرة بين الشخصين، فيستغل هذه الظروف المميزة للعلاقة وللقيام بجريمته لصالح مصلحته الشخصية ويتبين من خلال وقائعها (الجريمة) أن خلفيتها لها صلة ترتبط نشوء بين هذه الجماعة التي بينت إليها الشخص المجرم، كما يحوي المثل مدلولاً سلوكياً ويعبر عن القيم التربوية والاجتماعية المنحرفة والإجرامية التي ساهمت في تكوين هذا النمط الشخصية المجرمة في الإطار البنيوي المرجعي الثقافي الخاص بها، ويتضمن المثل التالي جانب يتوافق لمثل هذا السلوك الإجرامي المادي والنمط التكويني والمكتسب للشخصية الإنسانية ونصه:

«فلان كالبر طال يأكل الحَب ويقابل مولاه» [149] ص 52. الجريمة المصرح بها تتعلق بالسرقة من طرف الشخص المجرم ضد الشخص الضحية حيث يظهر لنا تصور صاحب المثل، أن بينهما علاقة اجتماعية، كالتقاربة أو الصحبة أو الجيزة وقد استعان بحيز مادي وهو البر طال [4] ص 31، الذي هو في الأصل التسمية العربية الفصحى حسب ما جاء في المنجد: هو البر طال وله معانٍ مختلفة إذ يقصد به الحجر المستطيل ويقصد به كذلك الرشوة، أما إذا كانت أصل التسمية من البر طال [4] ص 31، فإن المقصود به القلنسوة وهو نوع من قبعات الرأس ويكشف كذلك باستخدام بصيغة التشبيه كذلك الشيء البر طال عن دلالة نفسية، تحمل شحنة انفعالية إيجابية رغم أنها تتضمن صفات التذمر والاستهجان والتهكم، والنمط على هذا الفعل الإجرامي، الذي يعكس نمط شخصية هذا الشخص بسبب هذا التصرف الذي يقوم به وموقفه اتجاه صاحب المادة التي تعرضت للسلب، يظهر أن الغرض الظاهر فيها، هو رغبة المجرم معرفة إذا كان الشخص الضحية قد اكتشف جريمته، التي يمكن أن تكون خلفية وقوعها

تتعلق بوجود صراعات، تطورت إلى منحى سلبي وخطير بازدياد قوتها وشدتها، أدت انعكاساتها إلى ارتكاب هذا النمط الإجرامي، يمكن اعتباره كأسلوب انتقام شخص واعتباره، وفق نمط التفكير الخاص به.

وفي مثل آخر كما يلي: «أعطى الدوارة للقط يغسلها والغنم للذئب يعسها» مثل مأخوذ من عند العامة. وفي صيغة مشابهة نجده: «أعطى الدورة للقط يغسلها والغنم للذئب يحرسها» [149] ص 71، يعكس في دلالاته الظاهرة التي قصد من خلالها الإشارة إلى نمطية إجرامية للشخص في معنى رمزي خفي، استعان لتقريرها وتوضيحها بحيزين وهما (القط والذئب) المعروفين في إطار هذا المعنى بالتهب والخطف، حيث ربط العلاقة بين ذلك وتصرف بعض الأشخاص في مجال اجتماعي يتعلق بأداء الأعمال المهنية والوظيفية خصوصا في الجانب العملي الخاص بحماية الأملاك، الخاصة بالمجتمع أفراده وجماعته ومؤسساته المتمثلة في كثير من مختلف أنواع المنتجات والمتعددة المنافع والخدمات والاستخدامات للصالح العام، حيث نجد الأشخاص من يستغلون المناصب التي يشغلونها لارتكاب مثل هذه السلوكات المنحرفة التي تصل إلى حد الجريمة حسب النظام المتبع والخاص بالعمل ويندرج هذا النمط للجريمة في هذا المحيط المهني والعملي، بما هو معروف بالفساد وإشكاله المتعددة خصوصا في القطاع العام، حيث نتعرف على مثل هذه السلوكات الخطيرة الشخصية للأفراد سواء كانت مقصودة، أم مخالفة كذلك ويرجع هذا إلى النية والقصد المتعلق بالجريمة نفسها، حيث نجد التصريح بمثل هذه النمطية الإجرامية في مجال الكتابات الصحفية اليومية، «وهناك حالات لا حصر لها من المخالفات والانتهاكات بلغت مستويات إجرامية خطيرة في الوظائف العامة» [91] ص 287، ومن أشكال وصور هذا الفساد كالرشوة، الاختلاس، نصب، التزويد، كما أنّ وقوع مثل هذه الأفعال التي تكشف عن سلبيات كثيرة خاصة بعمليات التنظيم والأداء الخاصة بالعمل، حيث قد يكون يغلب عليها الطابع اللامسؤول، غياب الالتزام والتقييد الكامل بالقوانين والنصوص المشروعة الخاصة بسير الأعمال في الاتجاه الذي تنعكس آثاره على المصلحة العامة وليس الخاصة والمقصود من هذه العمليات، سلطة الضمير المهني والوظيفي. وذلك بمراعاة الكفاءات وفق المعايير الموضوعية، المتعلقة بالتحصيل العلمي، والخبرات في اختبار الأفراد في المناصب ووفق مؤهلات مادية ومعنوية تتعلق بالقدرات الشخصية، منها امتلاك الخصائص القيادية لإدارة الأعمال والقدرة على ضمان حمايتها، بالنظر للقيم السامية الايجابية والصفات السمات الخاصة بقيادة الجماعة وليس باحتلال المناصب على اعتبار إتباع نمط الاختيار الأشخاص وفق معايير ذاتية تتعلق بتفضيل ومحابة القرابة الوسيطة والمحسوبية الذي قد تكون من انعكاساته ظهور وصراع الأدوار الخاص بأداء المهام والقيام بالنشاطات بل قد يكون عاملا إضافيا بالنظر على أساس أن هذا الصراع قد يكون قائما في غالب العادة المتعلقة بالعمليات الأداء العلمي المهني والوظيفي.

كما يمكن ربط مثل هذه التصرفات الشخصية الشاذة التي تكشف عن نماذج السلوكيات النمطية المنحرفة والخطيرة على نمط التفكير لدى بعض الجماعات والبنية العقلية الخاصة بها، والتي تتمثل في السلبية كما هو معروف في المحيط الاجتماعي الشعبي: «البايلك» والمقصود بهذا ضعف الوقاية وغياب المسؤولية التي تضمن الحرص والحماية على أملاك الصالح العام «ولى الذيب يسرح بالنعجة» [144]ص90، بالتالي يكون استغلال هذه الأملاك وتسييرها وفق وتماشيا مع تلك المبادئ غير المسؤولة لصالح المنفعة الخاصة إلى حل ما على حساب المصلحة العامة وهذا في دلالة خفية تعبيراً عن تدبير الاستعدادات للممارسة مثل هذه النشاطات الإجرامية في هذا الإطار، ويبدو أن مثل هذه تلك النمطية الإجرامية، قد سادت بشكل واضح وعام، في أثناء الفترة الزمنية التاريخية للنظام الاشتراكي في الجزائر كما هو مصرح به في المعنى المقصود بذلك حتى المثل القبائلي نصه «أغبول فرما يتمصغ بلاكاس» [170]ص151، ترجمته باللغة العربية الفصحى هو «الحمار المشترك يظل بدون بردعة» [170]ص151، المغزى من بين الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها مجتمعنا أنهما الأملاك العمومية (البايلك) بسبب ضعف الوعي الحضاري فبالرغم امتلاك القطاع العمومي لإمكانات اجتماعية الهامة بسبب الإهمال والتسيب» [170]ص151 فإذا كان الطابع السائد لتلك النمطية الإجرامية الممارسة لدى بعض الأشخاص في مجال القطاع الاقتصادي العام، وهم بذلك يحملون وصمة اجتماعية إجرامية كما عبرتم إسقاط أفعالهم تلك بالأفعال المميزة وخصائص من خلال الحيزي المعبر عنها، خصوصا الحيز- الذئب- فيظهر ومن خلال الجريمة المعبر عنها في المثل الآتي:

«كور و أعطي للأعور» [150] ويوجد في عدد من المراجع أنها تخص قطاع الاقتصاد الحر أكثر والمثل واسع الانتشار نظرا كذلك انه يتعلق بكثير من صور الجرائم الاقتصادية الممارسة عن طريق الاحتيال المتمثل في عمليات الغش ترتكبها نماذج من الأشخاص، دون مراعاة والتقييد بالالتزامات والشروط المفروضة عليهم إتباعها في مجال أداء نشاطاتهم وفي المعاملات التجارية الاستهلاكية خصوصا الغذائية منها وهي المقصودة في المعنى الظاهر للمثل والمتعلقة كما يبدو على الأرجح بمادة الرغيف- الخبز- الواسعة الاستهلاك بين الأفراد وجماعات المجتمع باعتبارها عنصر غذائيا أساسيا ورئيسيا، وكذلك يعد تحضيرها من أولى وأقدم المهن نظر لارتباطها بالحاجة البيولوجية للإنسان، وعليه فإنّ وقوع الكثير من الانحرافات السلوكية الإجرامية في إعداد وتحضير هذه المادة الغذائية الأساسية، كوجود أشياء تخالطها تثير القرف والتقرز في النفس والانفصال إلى جانب وجود مواد أخرى مؤذية وخطيرة مثل قطع الزجاج، وهي ظاهرة لا تزال واقعا تحدث من حين إلى آخر ، ويقاس ذلك على بقية المواد الغذائية التي تدخل تدرج في مجال هذه الصناعة الغذائية في حدود معينة، وكذلك مختلف المنتجات الصناعية غير انه ومع التغير الاقتصادي المتمثل في الانفتاح على السوق الحرة، وازدياد بذلك ممارسة النشاطات الاقتصادية المهنية التجارية، وإن هذه الظاهرة سادت كثيرا من الأعمال المهنية،

لتحقيق أرباح لحساب المصلحة الخاصة المتمثلة في الكسب والربح السريع وبأقل التكاليف المادية والمالية والكمالية في نفس الوقت ويعد ذلك خروجاً عن القيم والاقتصادية التي منها تحسين المنتج والجودة والخضوع والعمل بالشروط الأساسية الضرورية المتعلقة خصوصاً بالنظافة في المواد الاستهلاكية الغذائية على اختلافها لان انعدام ذلك ينعكس سلباً على صحة الفرد والجماعة وقد يلجأ الأذى أو يؤدي إلى الهلاك، كما ترجع أسباب خلفية هذا ونمط السلوكي الإجرامي الممارس في النشاطات المهنية الذي يعرض صاحبه إلى والوقوع في جريمة إلى ضعف الزارع القيمي الأخلاقي والديني، وقصور الوعي الناجح عن الغياب سلطة المراقبة الضمير الإنساني خطورة قيامه بأعماله ونشاطاته المهنية كما يعد غياب أو قصور المراقبة الاجتماعية الخاصة والمسؤولة عن المتابعة لهذه النشاطات المهنية فرصة قد يستغلها هؤلاء الأشخاص ويؤدي بهم ذلك إلى اللامبالاة، والتهاون في مراعاة والتقدم بالالتزامات الواجب التقيد بها لضمان إنتاج استهلاكاً سليماً في مختلف الصناعات الاستهلاكية، كما تكشف مثل هذه المظاهرة الخطيرة الإجرامية عن اللامعيارية الاقتصادية في أثناء فترات الركود أو الانحدار الاقتصادي الذي يتعرض له المجتمع كما هو واقع في مجتمعنا.

3.7. الجرائم الأخلاقية

1.3.7. خيانة الزوجية والانحرافات الجنسية

تظهر لنا الأمثال هذا النمط للجريمة، المرتكب من جانب المرأة في مجموعها دور الرجل، مع أن هذه الجريمة والسلوك الإجرامي يتورط فيه الرجال أكثر من النساء وذلك لأسباب جنسية تكوينية وأنتروبولوجية ثقافية متمثلة في العادات والتقاليد المجتمعية خصوصاً في المجتمع التقليدي خصوصاً التي تحرص بشدة على المراقبة الاجتماعية للمرأة والأخطاء التي ترتكبها أو تقع فيها وتعرضها للجزاء، خاصة في هذا النمط للجريمة، حيث يعتبرها المجتمع من الجرائم الخطيرة إذا كانت من جانب المرأة والتي تلحق العار الأكبر بعائلتها، وبزوجها إذا كانت متزوجة، مثل الجريمة المصرح بها في المثل التالي:

«أقتل الكلبة يروحوا الكلاب» [150]ص175 وفي صيغة أخرى نجده ب: «أضرب الكلبة تعف الكلاب» مثل مأخوذ من عند العامة. وقصته هذا المثل تتعلق بجريمة خيانة من جانب الزوجة، التي اكتشفها زوجها، فأراد الانتقام من الشخص الذي تربطه علاقة عاطفية بزوجه والتي تطورت إلى حد الوقوع في جريمة الزنا ويعد هذا الانتقام انتقاماً لشرفه وعرضه، غير أن والد الزوج، اقترح عليه الانتقام لزوجه، فاعطب الآتي من الشخص القريب يكون وقعه أقوى وأشد، خصوصاً من الدلالة القيميّة للفعل المرتكب هو إمكانية تكرار الزوجة لهذا السلوك الإجرامي وذلك بإعفائها من العقاب، وهي التي

يستحق تطبيق العقاب الذي أراد صاحب المثل انه يكون بقتل هذه الزوجة، في نص الصياغة الأولى للمثل، أما في نص الصياغة الثانية، فيتمثل العقاب في الضرب، ويمكن إرجاع الأسباب حسب درجات ومستويات الخطورة الناجمة عن هذا النمط الإجرامي الجنسي الممارس من قبل الأشخاص الذين عبر عنهم صاحب المثل بالحيز المتمثل في حيوان (الكلبة والكلاب) والذي يرمز في الثقافة الشعبية لمثل هذه السلوكات الإجرامية خاصة، والتي تبدأ من علاقات عاطفية يلعب عليها طابع الانحراف لتصل خطورتها إلى جرائم خطيرة مثل، الدعارة، البغاء، كما أنّ وجود عاطفة الحب التي تقع بين رجل والمرأة، بإمكانها أن تؤدي إلى الوقوع في الانحرافات الجنسية، والجرائم الخطيرة التي تنتج عنها مثل ما سبق ذكره، إذا تعدت هذه العاطفة إطارها العفيف، والمحا صن لكل الشبهات التي قد تصيبها هذا تظهر مضمونه في نص المثل الشعبي التالي:

«خلات راجلها ممدود ومشات تطل على محمود» [149]ص64، وفي نص آخر: «خلات راجلها ممدود، وراحت تعزي في محمود» [159]ص43، ويوجد كذلك بمرجع قادة بورتاد، تكشف هذه الدلالة الرمزية بالنظر إلى الاعتقاد لدى الجماعة الصادر نتيجة تصرف هذه الزوجة وقيامها بتلك الزيارة في وجود ظرف خاص يمر به زوجها، يتعلق بمرض أو بحالة نوم، حيث تكون استغلها، للقيام بزيارتها للشخص خفية عن زوجها أدت بها إلى الكشف عن وجود علاقات جنسية تربطها بهذا الشخص حيث تعتبر هذه العلاقات في إطار الزواج محرما اجتماعيا (عرفيا) ودينيا، تعرض الزوجة إلى أقصى العقاب، قد يندرج تصرف هذه الزوجة في إطار انتقامي يتعلق بالمعاملة بالمثل، والمقصود بذلك اكتشافها لعلاقة جنسية ترتبط بين زوجها وامرأة محبوبة لديه واقعة فعلا أو تكون غير حقيقية... يمكن تعكس هذه العلاقات الجنسية المشبوهة لدى الزوجين أو من جانب واحد فقط وجود صراعات محتدمة بينهما لها علاقة بالعنف المضطهد للزوجة، حيث، قد ترى أفضل وسيلة لرد الاعتبار لكرامتها، وعزتها والحط من كرامة زوجها؛ غير أنّ هذا التصرف الجنسي المنحرف، كما يكون تعجب الجماعة لتصرفها باعتباره خارج عن الأطر المرجعية الثقافية للمجتمع من قيم وعادات وتقاليد، تعبير الجماعة عن «المحافظة على السمعة والاستعانة في الدفاع عن الشرف» [3]ص15. وسمة بارزة في شخصية الفرد الجزائري، الذي كشفت عنه دراسة أنثربولوجية لأحمد بن نعمان عن سلوك الفرد الجزائري.

كما تكون المرجعية الثقافية المرتبطة بالقيم لدى بعض الجماعات والأفراد على اعتبارات للقيم الشخصية الناجمة عن الفروق الفردية الوراثة العقلية والاجتماعية، ويمكن اعتبارها حالات شاذة في مجتمع محافظ، حيث يشمل مجال علاقاتها، الاجتماعية مثل هذه العلاقات والمرفوضة من قبل «العقل الجمعي» للجماعة، ويبرز في هذا الإطار القصور وتغطي التجارب والخبرات المتعلقة بعملية التنشئة كما يظهر لنا المثل الشعبي التالي جانبا للانحرافات التنشئية والإجرامية ونص المثل هو :

«إذ بلها الجدي، وروسلها تجي»[159]ص43. والتصريح بهذا التصرف، يكشف كذلك في إشارة للجرائم والانحرافات الجنسية عن امتعاض واستهجان، الجماعة لهذه الروابط الاجتماعية في إطار العلاقات نمط معين من التفاعل الاجتماعي، نظرا وعلى أساس أنه خروجا عن العادات والتقاليد والقيم والقواعد الأخلاقية للجماعة، مهما كانت الدواعي أو الظروف التي تدفع بالشخص، ونقصد في هذا المثل-المراة- التي قد تدفعها ظروفها المادية والنفسية للاستجابة لهذا الحدث في حدود الخصائص الشخصية والقيم الفردية التي تكون خلفيتها مرتبطة العوامل تربوية إجرامية، تفرض وتدفع لممارسة هذا السلوك الإجرامي تنبيه للحاجات باعتباره وسيلة للكسب وإرضاء الشهوات، والذي ينبئ بغياب للوازع الديني، أو غياب للوعي الديني والقيمي لدى الشخص، ويذكرنا في هذا المنحى المثل العربي القائل: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» ويندرج مضمون المثل الشعبي التالي في جانب لنمط هذا السلوك الإجرامي.

«البارح بتي عند الخياط وغدوة وين تباتي؟»[18]ص354. ويكشف مضمون هذا المثل المصاغ في شكل سؤال، وجود هذه الظاهرة، الإجرامية المتمثلة في جريمة البغاء والدعارة التي هي نتيجة حتمية للانحلال الخلقي في أعلى درجاته والذي يتولد عنه مشكلات اجتماعية، منها الولادات غير الشرعية، المؤدية بدورها إلى أنماط إجرامية أخرى كالتشرد وجرائم الأحداث، ويبرر المثل التالي مثل هذه الجرائم.

«فلان بلا عرق كالترفاس»[153]ص161، ومضمونه يعد مؤشر لوجود الظاهرة الإجرامية المتمثلة في الأطفال غير الشرعيين، كما يظهر في الدلالة الأخلاقية الحفية للمثل التماس لسخط واستهجان الجماعة للفعل الإجرامي، الذي يتورط فيه النساء من زاوية وجود أسباب وعوامل يستغلها الأشخاص المجرمين، أهمها عامل السن بالنسبة للفتاة القاصر للتأثير عليها بأساليب مختلفة، كالاستمالة العاطفية، والمكاسب المالية، والوقوع في الأخير في الخطيئة، وهذا يكشف كذلك القصور التربوي الخاص بالبنات من طرف الأسرة، فالتربية في الصفر كالنفش عن الحجر، ويكون لجزاء العقابي الذي ينتظرها إذا أكتشفت مؤشرات هذه الجريمة، إما الطرد من قبل عائلتها، أو الحجز في البيت والتستر على الجريمة والتخلص منها بأساليب أخرى، فالدور التربوي للأسرة في اتجاهه الصحيح بخصوص تنشئة البنات قد يمنع ظهور ردود الأفعال الانتقامية للفتاة والمراة مثل الهروب من البيت العائلي الأسري، هذه الظاهرة التي أصبحت تعرف في مجتمعنا بهروب الفتيات وهي ظاهرة فاعلة في تعزيز وتوسيع مجال جرائم الزنا وامتھانها من طرف المراة.

ويكشف رد فعل الفتاة الانتقامي من العائلة والمجتمع لوجود انحرافات وأخطاء تنشئية تربوية لقواعد ثقافية واجتماعية وأخلاقية، سليمة وعادلة تؤدي إلى تولد صراعات نفسية اجتماعية واحباطات

ناجمة عن الضغوط المختلفة التي تفرضها الأسرة عليها-البنات- لأسباب قد تتعلق وتخضع لعادات وتقاليد موروثة عن المجتمع كالتمييز بين الجنسين الذي يؤدي إلى تمتع الذكر بمستحقات مادية اقتصادية واجتماعية، التي تعلي من مكانة هذا الذكر وتتنظر بالنقص والدونية الذي يؤدي إلى حرمانها العاطفي ومشاعر مهزوزة ومؤلمة...وجود ظاهرة العنف ضد المرأة، جرائم زنى المحارم.

ويبرز سخط الجماعة ورفضها القاهر للممارسة للظاهرة الإجرامية الأخلاقية من قبل المرأة وامتهانها للظاهرة على اعتبار كامل تقدم السن وارتباطه بالوازع الديني والعقاب الإلهي.

«شبيه النار» [150]ص109. ويستعمل هذا المثل في علاقته بهذه الممارسات الإجرامية الأخلاقية الجنسية أخلاقية، وهو مثل منتشر.

4.7. بناء الجداول وتحليل النتائج الخاصة بالفرضية الثانية

جدول رقم 01 توزيع المواضيع المتضمنة في الأمثال الخاضعة للتحليلي والخاصة بالفرضية الثانية.

النسبة	المجموع	ك	المواضيع الفرعية	المواضيع الرئيسية
%57,5	13	6	جرائم الاعتداء الجسدي	الجرائم ذات البعد الاجتماعي التربوي
		7	جرائم الاعتداء اللفظي	
%27,5	11	6	جرائم السرقة	الجرائم الاقتصادية
		2	جرائم الاحتيال والنصب	
		3	جرائم الخيانة والثقة العامة	
%15	6	6	الجرائم الانحرافات الجنسية	الجرائم الأخلاقية
%100	40	40	/	المجموع

الملاحظ من خلال النتائج المبينة في الجدول والمتمثلة في النسب، حيث نجد النسبة العالية مثلها الجرائم ذات البعد الاجتماعي التربوي ب:57,5%، أما النسبة الخاصة بالجرائم الاقتصادية، نجد %27,5

ونجد 15% هي النسبة الخاصة بالجرائم الأخلاقية والمتمثلة في الجرائم الانحرافات الإجرامية الجنسية.

وبناء وانطلاقاً من التحليل الكمي، يمكن تفسير ان الجرائم التي عبرت الأمثال الشعبية بالنسبة عالية وهي 57,5% هي جرائم العدوان بنمطها الجسدي اللفظي، هي الطابع النمطي الغالب على السلوك الإجرامي للفرد المجرم، وقد تساوت الأمثال لكل من الجرائم الخاصة بالاعتداءات الجسدية واللفظية ويتبين من خلال ذلك مدى تأثير غرائز العدوان التي ارتبطت بنمطية هذه الجرائم، وترجع عوامل ذلك الى أثر كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية الغالبة في أوضاعها وظروفها على حياة الفرد والجماعة للمجتمع الجزائري، ظهرت انعكاساتها على الحياة العاطفية والنفسية في جانبها السلبي المؤدي للعدوان اللفظي (المعنوي) النفسي والجسدي بشكل أكبر.

كما أظهرت النتائج أنّ نسبة 27,5% والتي تخص الجرائم الاقتصادية، حيث ميزتها جريمة السرقة بصورها النمطية المتعددة، أبرزها حسب ما صرحت به الجماعة والفرد في الأمثال الشعبية، تعلقت بالسرقة التقليدية ثم جرائم الخيانة والاحتيال والنصب وهي جرائم ترتبط بالحاجات البيولوجية والنفسية وكذلك الاجتماعية، يهدف مرتكبيها إلى تحقيق المكاسب والمنافع المادية التي تمكنهم من الوصول إلى المكانة الاجتماعية في الدرجات العالية في السلم الاجتماعي وتحقيق الثروة.

كما تبين في هذا النمط الإجرامي المعيشي والاقتصادي كما عبرت عنه الأمثال بروز متغير النوع (الجنس)، حيث يظهر أن هذا النمط الإجرامي، يتورط فيه العنصر الذكوري دون الإناث، وترجع الأسباب في ذلك إلى طبيعة الاجتماعية الاقتصادية والحتمية المسؤولية المتعلقة بالالتزامات وتوفير الحاجات المعيشية لاجتماعية، عكس ما هو يتعلق بالجرائم الأخلاقية حيث نجد الأمثال المصرح بها، بخصوص هذا النمط الإجرامي المتمثل في الانحرافات والجرائم الجنسية ، الزنى، الفسق، البغاء... بنسبة 15% وقد صرحت بها الجماعة في جانبها المرتكب من قبل الإناث، حيث ركزت في تصورهما لهذه الممارسة النمطية الإجرامية بتوجيه مسؤولية التورط فيها بإرجاعها إلى متغير الفرع الأنثوي وقد كشفت وقصدت (الجماعة) في ذلك عن تأنيبها وتهكمها واستهجانها الموجه ضد المرأة من خلال دلالة خفية ترتبط خلفيتها بالعرف والعادات والتقاليد المحافظة والتي يتمسك بها المجتمع الجزائري في هذا الجانب الاجتماعي الأخلاقي، المعبر عن القيم والمعايير والقواعد السلوكية الأخلاقية الضابطة لانحراف المرأة خصوصاً، والذي قد لا يرحمها في حالة الوقوع في هذه الجريمة.

وبما أن مجمل هذه الجرائم المعبرة عن النمطية الإجرامية للفرد الجزائري والتي ارتبطت بمتغيرات بيولوجية ونفسية وغريزية، من تلبية حاجات بيولوجية ومادية وأهواء وشهوات فقد اعتبرتها

من منطلق العدد المحصور لها في الأمثال والذي فاق وفي حدود العينة فإنه يمكن اعتبار هذه الجرائم مقارنة مثلا بجرائم أخلاقية من نمط آخر القتل وإدمان الخمر، حيث أن عددا الأمثال التي صرحت بها قليل جدا عكس الجرائم التي تم التطرق إليها من خلال الأمثال المعبر عنها والتي تم تحليلها كذلك في إطار هذه الفرضية. وعليه يمكن القول أنها عبرت عن النمط الإجرامي الغالب لدى سلوك الفرد الجزائري المجرم، ونستطيع بذلك التصريح بان الفرضية قد تحققت بنسبة.

5.7. الدراسة التحليلية السوسولوجية

لقد تبين من خلال النتائج المتوصل إليها والخاصة بتحليل الأمثال التي يدور محتواها الموضوع الخاص الأمثال التي تعرض تحديدات نمطية للجريمة في المجتمع الجزائري، على أن هذه التحديدات تمثلت في صور مختلفة خاصة النمط الجريمة، بعد تصنيف الأمثال وتحليلها حسب نمط الجريمة المتضمن فيها، فإنها أبرزت صورتين لها إحتلت المرتبتين الأوليتين من خلال ويتعلق الأمر بجرائم العنف المؤدي إلى العدوان بنوعيه الجسدي واللفظي التي تكشف بعمق وجود هذه الإجرامية في المجتمع، بعدها تأتي الجرائم الاقتصادية على اختلاف وتعدد أشكالها.

ويمكن ربط الطابع الغالب لهذين النمطين للجريمة وهي جرائم العنف المفضي إلى العدوان بنوعيه المذكورين أنفا بعوامل مؤثرة تخص كل مجموعة من الجرائم سوف نوضحها وفق طبيعة العوامل الرئيسي وعلاقته المباشرة وغير المباشرة وتأثيره بذلك في ظهور السلوك والعدواني للفرد والجماعة

5.7. أثر طبيعة العامل البيئي وعلاقته بجرائم العدوان والعنف

انطلاقا من المعاني والقيم التي احتوتها مجموعة الأمثال والتي عكست البنية الذهنية (العقلية) للجماعة والرمزة للعقل الجمعي الذي يعد مصدرا للأحكام وتحديد المعايير بخصوص نظرتة ورؤيته الاجتماعية الثقافية التي ترى فيها ملائمة استعمال العنف وتطبيق العقاب البدني وفق دعوتها والتحرير على ممارسته باعتباره الوسيلة التي قد ترى فيها لا غنى ولا بديل عنها لتقويم السلوك المنحرف، ومعنى ذلك أن الجزاء المتمثل في ضبط السلوك وان تمثل في ارتكاب أخطاء بسيطة وغير مقصودة، فان الأسلوب الردعي القائم على الضرب العمدي والعنف اللفظي بدرجة اقل، يؤدي وظيفة تربوية تعمل على توجيه السلوك ت وجيها صحيحا.

والبحث عن الأسباب في المتضمنة في خلفية هذه الظاهرة المتعلقة بعنف السلوك المفضي إلى الاعتداء الجسدي بشكل رئيسي وذلك حسب ما أوردته ورصدته لنا الأمثال الخاضعة للتحليل والتي بلغت عدد معتبرا وأكثر من بقية الأمثال الخاصة بموضوع تحديدات نمطية للجريمة الخاصة بالفرضية، وان

تلك الخلفية لا يمكن فصلها أو إنكارها والمقصود في ذلك تلك الظروف والأوضاع المعيشية والاجتماعية في علاقتها المباشرة بالممارسة السياسية الاستعمارية الفرنسية الإجرامية المفروضة على المجتمع الجزائري، عملت على تشريده وتهجيريه في الأراضي الجبلية الوعرة والقاحلة بعد ما سلبت منه الكثير من غالبية جماعاته الأراضي الخصبة التي كان يملكها الجزائريون، ليجدوا أنفسهم يواجهون حياة إنسانية معيشية صعبة وقاسية ناجمة عن الميزة الخاصة بالبيئة الطبيعية الجديدة التي ستفرض عليهم التصدي ظروفها القاسية ويتعلق هذا بالنمط الاقتصادي الذي طرا على التغيير، ميزته في ذلك الطابع الزراعي والرعي المعيشي ، لا يتعدى تلبية الحاجات الغذائية الأساسية، وسادت ظروف معيشية بما يعرف بخشونة السلوك ويظهر ويغلب على ردود أفعاله طابع العنف، وخشونة المعاملة التي هي من شظف العيش والخشونة المتولدة هي من خشونة البيئة. والمقصود بذلك البنية المتمثلة في نمط التفكير والذي سيكون في حالة هذه الحياة الاجتماعية يقوم في جانب منه على ارتباطه بالطبيعة. وابتعاد عن الحياة المدنية الحضرية طيلة حقبة زمنية قدرها قرن ونصف القرن لغالبية أفراد المجتمع الجزائري، أدى معايشة للحياة البدوية الرعوية تركت أثارا وطباعا على سلوكه ومصدرها كذلك الممارسات العملية المعيشية التي لعبت دورا بارزا في تشكيل أنماط السلوك المتسمة بالعنف والعدوان، فمثلا مهنة الرعي، التي تشمل حيزا ممثلا في الراعي والغنم والعصا التي يستعملها كوسيلة ليسوق بها قطيع الغنم (الضأن) منذ طفولته الى ربما بلوغه سن الشيخوخة، يجعله يستعين بها في استخدامات وأغراض متنوعة منها تطبيق الجزاء (العقاب البدني) على الأبناء والآخرين الذين يقع بينهم وبينه خلافات معينة، وعلى أنها رقيقة الدرب (العصا) وحسب ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته، فإنّ الإنسان ابن عوائده، وهو يجعلنا نربط تلك الاستخدامات المتنوعة، التي الاعتداء الجسدي (الضرب) يتم بواسطتها في العقاب البدني أكثر من أي شيء آخر، وعلى أن الإنسان كلما كان قريبا للطبيعة كان أقرب للفطرة.

ويتبين لنا أنّ انعكسات ظاهرة العنف المتمثلة في الاعتداء الجسدي الذي تقر به الجماعة كأحد الأساليب الفعالة من خلال تطبيق الجزاء العقابي، حيث نجد وحسب البنية الذهنية الشعبية للجماعة، التي تعتبر العصا أحد رموز هذا العقاب وهو ما صرحت به الكثير من الأمثال المتضمنة لها، فان لهذه الانعكسات آثار سلبية أكثر منها إيجابية النفسية والاجتماعية على الأفراد الذين تربطهم صلات قرابية، أو علاقات اجتماعية، والذين يتفاعلون معهم في نفس المحيط الاجتماعي كالجيران، والأفراد الآخرين كما يكشف كذلك هذا الطابع الغالب الذي يدعو الضرب العمدي ضد الأشخاص وعلى اختلاف انحرافاتهم وارتكابهم للأخطاء إلى غياب الضبط الرسمي الذي يؤدي الى والسماح بممارسة العنف والعدوان بحرية، وفي غياب كذلك اللجوء إلى الهيئات القانونية المكلفة والمسؤولة في التدخل والفصل في ظاهرة الجريمة بأنماطها المختلفة خصوصا، ظاهرة الضرب العمدي وهذا من منطلق درجة الجريمة.

ويمكن اعتبار اعتماد العقاب البدني في عملية التنشئة الاجتماعية خاصة بارزة في توجيه السلوك الأفراد داخل الأسرة، في مجتمع سادت فيه الأمية بنسبة إليه ولفترة زمنية طويلة وهذا يعد عاملا إضافيا في نمو ممارسة العنف والعدوان وبالتطبع بالسلوك والذي تتوارثه الأجيال إلى حد ما فان سمة تبقى آثارها واضحة بعض الشيء اتجاه عملية تنشئة الطفل خصوصا في المجتمع الجزائري المعاصر.

2.3.7. العامل الاقتصادي وعلاقته بالجريمة

أظهرت لنا عملية تحليل الأمثال الخاصة بالجريمة الاقتصادية، أنّ المظهر البارز فيها يتعلق بالجريمة التقليدية، المعروفة بالسرقة، وقد صورتها لنا الأمثال بأشكال متباينة المظاهر بدورها وصلتها النماذج السلوكية الإجرامية الممارسة للأفعال الذميمة والمستهجنة منها الخيانة والمكر والاحتيال الباعث على خداع الأفراد والجماعة عن طريق الغش والاختلاس ، كجريمة التسول، والنصب.

وتولد تلك الممارسات الإجرامية، يكشف على الأخطاء والمزالق الناجمة التنشئة الاجتماعية لفئة المجرمين نتج عنه تعلم هذا النمط الإجرامي للممارسة المتمثل في ظاهرة السرقة بكافة صورها الخفية في وقوعها، والظاهرة في آثارها.

كما بينت لنا الأمثال فيما يتعلق دائما بظاهرة الجريمة، بإصدارها الأحكام ومعايير تصور من خلالها معرفتها بالظاهرة ، وشجبها واستهجانها لها في حدود لا تصل إلى الوعي اللازم والشامل بحقيقة القيمة الإجرامية الفعلية للظاهرة، حيث تظهر أنّها تنحصر في عوامل شخصية تتعلق بالسمات والخصائص المميزة للشخص المعتدى (المجرم) أو المعتدي عليه ومن تلك السمات ، نذكر، الفطنة واليقظة والتفكير الذهني والوعي المكتسب من خلال التجربة في التعاملات ومجالات الاتصال والتبادل الاقتصادي التجاري خصوصا، كما كشفت هذه الأمثال وجود أثر لتأييد يبدو لا شعوري، على أساس ارتباطه بالنظرة الخاصة بالسمات الشخصية وهذا يمكن اعتباره كمؤشر لغياب الآثار الضارة بالفرد والجماعة والمجتمع لهذه الظاهرة، وكذلك علاقة بغياب تعرض الأشخاص للضبط الرسمي القانوني، بالنظر للأوضاع والظروف الاجتماعية التي عاشها معظم المجتمع الجزائري الواقعة والتي ميزت حياة أفراده المعيشية على خلفية الجرائم السياسية من قبل الاستعمار الفرنسي، وكانت سببا في وجود الحرمان الاقتصادي المعيشي المعين على العيش الكريم، إلى جانب ظاهرة الجهل والأمية التي بدورها أثرت بشكل واضح على البنية الاعتقادية الخاصة بظاهرة الجرائم الاقتصادية، فيمكن ربط ذلك الحرمان الاقتصادي الذي أدى ظاهرة الفقر وحصول المجاعات طيلة فترة الاستعمار نفسه، إلى جانب تفشي ظاهرة الأمية بالتالي فإنّ هذا له علاقة بغيان المعارف الدينية الإسلامية هما النصوص الشرعية، التي تجرم ظاهرة الجريمة الاقتصادية بكل أنماطها، وعليه فالتصور الخاص بالوعي الديني للظاهرة بالإمكان

اعتباره عامل مساعد في إعطاء ذلك التصور الاعتقادي للظاهرة؛ غير أنّ هذا العامل لا يكون مؤثرا لدى الأشخاص الذين، قد لا يمنعهم عن جموح سلوكهم لهذه الممارسة الإجرامية أمام عوامل مؤثرة، خصوصا إذا لا تعمل على إشباع حاجاتهم المادية، ومعايشتهم حياة الفقر والبطالة، يتعلق ذلك في قصدنا إليه التقلبات الاقتصادية وأثرها في ظهور المتغيرات والمشكلات الاجتماعية، مما يؤدي إلى زيادة هذا النمط للجريمة وبذلك يبدو اثر الرادع والوازع الديني والأخلاقي ضعيف أو يكاد يكون منعدما، رغم الضوابط الجزائية القانونية التي يقع فيها الكثير من المجرمين ومعرفتهما ووعيهم بذلك ضمنية قائمة، وهو الواقع المعاش في الوقت الحاضر والناجم عن التفكير الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع الجزائري.

ملخص الفصل:

بعد الانتهاء من عملية تحليل الأمثال المحصورة في إطار الفرضية المشتمة في مضمونها مواضيع فرعية تدور حول المحور الرئيسي لموضوع نفس وهو المتعلق بالنمطية الإجرامية المعبر عن سلوك الفرد الجزائي المجرم.

وقد أظهرت النتائج، أنّ نمط هذه الجرائم تمثل في العنف والعدوان بشقيه الفيزيقي (الجسدي) واللفظي (المعنوي) بشكل واضح عما عبرت عنه، الأمثال المتضمنة للجرائم الاقتصادية والتي تمثلت في جريمة السرقة بصورها المتعددة، أو لها جريمة السرقة التقليدية ثم جرائم الاحتيال والنصب والخيانة والثقة الفردية والجماعية.

بخصوص جرائم الأخلاقية، فقد أظهرت نتائج، تورط العنصر الأنثوي والذي اعتبرته البنية العقلية للجماعة، في تصورهما وأقرت بتصريحها في هذا الإطار عن تهكمها واستهجانها وإنكارها لهذا السلوك الإجرامي للمرأة، باعتباره يلحق بالعائلة العار والفصيحة وعواقبه الوخيمة المسطرة على المرأة في كثير من الأحيان، خصوصا المحافظة والتماسكة في عاداتها وقيماتها السامية.

وفي الأخير عرضنا للدراسة السوسولوجية للمحددات للنمطية الإجرامية المذكورة آنفا.

نقوم في هذا الفصل الخاص بالتوجيهات الأخلاقية المنظمة في الأمثال الشعبية، التي تم تصنيفها في ثلاث فئات حسب المضامين لهذه الأمثال، فالفئة الأولى تناولنا فيها موضوع أثر الذكاء الحذر وتجنب السلوك الإجرامي والوقوع في الجريمة وعن الفئة الثانية فقد تضمنت الأمثال الشعبية بتوجيهات أخلاقية تتعلق بالاعتدال، والتسامح في المعاملة الاجتماعية، وبخصوص الفئة الثالثة، فإن التوجيهات الأخلاقية التي رأينا أنها تحتويها هذه الفئة فإنها تخص، عواقب الانحراف والسلوك الإجرامي، والآثار الناجمة التي تتعدى إلى مختلف الأفراد والجماعات، وفق ما تراه الجماعة الشعبية، في بنيتها الاجتماعية الثقافية.

ونعرض النتائج المتوصل إليها من خلال النسب المئوية لمجموعة الأمثال المحصورة في إطار هذا الموضوع، وفي الأخير نتناول الدراسة السوسولوجية.

الفصل 8

وجود توجيهات أخلاقية إيجابية

للتعامل مع السلوك الإجرامي

1.8. أثر الذكاء في الحذر و تجنب السلوك الإجرامي

تحوي الأعداد المحصورة لمجموعة الأمثال المتضمنة في نصوصها، عبارات ومقاصد، تبدي من خلالها مواظ وحكم ومعاني، تخص سمات وخصائص، ينبغي للفرد والجماعة التمسك والاحتراس، والتقليد بها لتجنب الشخص من الوقوع في انحرافات خطيرة قد تعرضه لارتكاب جريمة وعليه فإن توخي الحذر في الحياة الاجتماعية بطابعها المتميز بالممارسات النمطية للسلوك والظواهر الاجتماعية السلبية منها والايجابية.

كما يصرح به المثل الشعبي التالي: «الحذر يغلب القدر» [147]ص99.

- ويوجد هذا أيضا مذكورا في «اللي خاف سلم واللي سلم سعدوا ايامو» مثل مأخوذ من عند العامة. الأمثال يستخدم هذا المثل إلى جانب آخر ويشترك معه في نفس المعنى ونصه: بشكل عام لمختلف الأخطار والمصائب التي قد يتعرض لها الفرد والجماعة، بسبب حوادث ووقائع متباينة، طبيعية، أو نتيجة ممارسات نشاطات لها علاقة بالسلوك الإجرامي لدى بعض الأشخاص والجماعات الإجرامية التي ومن منطلق بنيتها النمطية الشخصية، تدفعها استعداداتها التي تكشف عن نزعتها الإجرامية للترصد بالأفراد والاعتداء عليهم حسب النمط الخاص للظاهرة الإجرامية التي يمارسونها ونجد مثل شعبي آخر في نفس هذا المعنى ونصه هذا المثل كما يلي:

«كن ذيب لا يأكلوك الذيابة» [168]ص148 وفي صيغة لفظية مشابهة نصه: «ألي ما هو ذيب كلاتو الذيابة» [150]ص164. يوجد كذلك في مراجع أخرى وهو له صلة بالمثل العربي "من لم يكن ذئبا أكلته الذئاب" [175]ص337. لقد اتخذ صاحب المثل الحيز المتمثل في الحيوان المعروف، الذي تنسب إليه الأفعال الموصوفة والخداع وإسقاطها على الأفعال الإجرامية المرتكبة من طرف الأفراد والجماعات المتميز سلوكهم بعدم السواء، ويطغى عليه طابع السلبية في مجال التفاعلات الاجتماعية في المحيط الاجتماعي، غير أن المعنى المقصود من الأفعال المنسوبة والموصوفة بها هذا الحيز-الذئب-في الدلالة الخفية تحمل الطابع الايجابي لهذه الأفعال، في الجانب الذي يعكس الفطنة والحيلة والحياة، هي في هذا الإطار تكشف مستويات الذكاء وأثره في وقوع الجريمة وهو المعنى المقصود بهذا المثل للمثل، فالانتباه والإدراك والقدرة على التكيف مع المواقف المختلفة، تعد مؤشرات الذكاء، التي تبين وجود علاقة بينه وبين الجريمة وذلك بمدى انخفاض نسبة الذكاء لدى الشخص، على أن الكثير من الجرائم المرتكبة من طرف الأشخاص ترجع إلى الخاصية السلبية المعاكسة للذكاء وهي خاصية الغباء، التي تعد حاجز يحجب التفكير السليم ويعيقه، وهو في ذلك أيضا يعبر عن انخفاض القدرات الذهنية، أو التأثيرات العادات التي قد تتعرض لها في ظروف معينة، والحالة هذه قد ينجم عنها ارتكاب جريمة إذا ما توافر لها تداعيات لذلك ويعكس المثل التالي جانبا منها ونصه كما يلي:

«كثرة التنباش تجرح السنين» [150]ص164. ويحوى نص مثل آخر جزءا في هذا المعنى «تقلاب لحجار يجيب العار» [149]ص53، لقد استخدم صاحب المثل بين حيزين ماديين كأداة للتعبير عن نمط من التفاعل الاجتماعي أو في العلاقات الاجتماعية التي قد يصيبها ضعف أو توتر شديد ناجم وهو المعنى المقصود في المثيلين والمتمثل سلوك الشخص الذي يقوم نقده سلوكات معينة خاصة بالآخرين نقدا من منطلق كشف العيوب، هذا الانحراف السلبي النقد يساهم في نمو الصراع واشتداد حدته، قد يصل إلى درجة خطيرة تصل إلى تورط الفرد أو الجماعة في الجريمة، لذا وجب على فرد أو الجماعة الأخذ بالنقد البناء نوا الفاعلية الايجابية في تقوية الروابط الاجتماعية وتماسك وحدة الجماعة، وحفظ وصيانة كرامتها وشرفها، وعزتها، وجزاء الذين قد لا يأبهون ويسعون في هذا السلوك الخطير لمصلحة خاطئة تدفعها نزعات الشر، مصدرها عوامل ذاتية فيما تمليه الأهواء والميول والرغبات الفردية للشخص، التي تعكس لنمط شخصية تنقصها الخبرة في التكيف مع والتوافق الصائب مع مختلف المواقف الاجتماعية، لكن وبالنظر إلى المميزات الخاصة بالأمثال التي منها التضارب فإنه نجد منها ما يخالف نوعا مضامينها، وعليه تكون الدعوة إلى التغاضي عن المعايير السلوكية الشخصية لدى الآخرين الذين تربط بينهم علاقة اجتماعية كالصحة وهو ما يمكن التعرف عليه في التصور المتضمن في المثل التالي:

« إذا كان صاحبك أعور شوفو على العين الصحيحة» [149]ص53. لقد استعان صاحب المثل بحيز عضوي يشبه به القيم والأفعال السلبية التي تميز جزءا من نمط شخصية الفرد الذي تربط علاقة الصحبة (الصدقة) بالحاسة البصر (العين) المصلبة بفقدان الحس والمعنى المقصود في ذلك يتعلق بعدم التأثير بها، حفاظا على تلك العلاقة الاجتماعية لأنه المقابل من خلال الشق الثاني لنفس الشخصية المتميز بالمعاني والقيم الصادقة والقيم السامية التي يرتضيها العقل الجمعي وتعكس الصورة الصحيحة والمنطقية للأصول والمبادئ الملقنة عن طريق عوامل تربوية تشيئية سليمة، وجملة هذه المزايا قد أثار إليها وعبر في المثل بالحيز المتمثل في حاسة البصر السليمة للفرد فكل شخصية فردية أو جماعية يمكن أن يشوبها بعض النقائص والقصور التي تظهر في ترجمتها إلى نمط سلوكي معين، أو في المواقف والآراء، لكن خطورتها لا تتعدى المعايير والقواعد السلوكية والأخلاقية المرسخة في البنية الثقافية والاجتماعية الخاصة بالجماعة والمجتمع وتعتبر أساسية للامتثال لها، أما إذا حدث العكس، وكانت توقعات تلك التصرفات والمواقف الصادرة عن نفس الشخصية المذكورة، يظهر خلالها التمادي في الانحراف وهذا قد يكشفه، لتورطها في ارتكاب لجريمة مقصودة، يعاقب عليها العرف الاجتماعي والقانون، ويمكن أن يمتد وتصيب العلاقة القائمة بين الشخص وصاحبه فالشخص الذي يتوحد مع الجماعة، لكن لا يضاع إلى معاييرها ومبادئها التي يغلب عليها الطابع الانحرافي والسلبى، مهما بلغ ضغطها على الفرد، وعليه فإن الأخذ بالقاعدة الخاصة اختيار الصحبة (الجماعة) لها أهميتها في ذلك، حيث أن إقامة العلاقات الاجتماعية الخاصة بجماعة الرفاق ينتمي إليها أشخاص يتميز نمط شخصيتهم بالنزعة الإجرامية، بإمكانه أن يؤدي إلى تصادم القيم والوقوع في الجريمة، إذا لم يحدث تدارك وفهم للواقعة.

يقر المثل الآتي: «الصاحب يجلب للجنة وللنار» [147]ص42، ضرورة التثبيت والتمسك بالمعايير والقيم السامية التي تصد الفرد وتحفظه من الانحراف الخطير والإجرامي، اعتبار الإقامة علاقات وتفاعلات مع الأشخاص الآخرين وأخذ الحيطة والحذر في كشف الجوانب السلبية والإجرامية والخوف من التأثير بها تمثل السلوكيات الانحرافية الخطيرة ومن ثمة تبنيها وقد رمز صاحب المثل للأفعال الخاصة والمميزة للشخص- الصاحب - بحيزين كبيرين وعظيمين وهما: (الجنة/النار) باعتبارهما حيزين يرمز كل واحد منها نمط الأفعال المتعارضة تماما مع بعضها البعض والمتضمنة للصراع بين الخير والشر والمقصودة بالحيز الأول: الأفعال السرية و المرغوب فيها التي تعكس القيم والمعايير والمعاني الفاعلة والتي تحقق لصاحبها الجزاءات الايجابية كالثواب والمكافآت والقبول من طرف الجماعة والأشخاص الآخرين وهذا يعتبر مرآة عاكسة للقبول والرضا عن النفس والشعور بالطمأنينة التي بها يتحقق الشعور بالرضي الإلهي الذي يكون ثوابه الفوز بالجنة؛ أما الأفعال غير السوية وغير المرغوب فيها التي تؤدي بصاحبها إلى الرفض من قبل الجماعة والتي قد تطبق عليه الجزاء المتمثل في

الردع بأشكاله المادية والمعنوية وقد تصل به إلى حد النبذ والعزل، ومثل ذلك إشارة إلى الجزاء الإلهي، المتمثل في العقاب والذي هو الحيز الثاني المقصود وهو النار.

فالتمسك والانصياع للمعايير والقيم والعادات والتقاليد التي تظهر فاعليتها في اكتساب القواعد وأنماط السلوك الاجتماعية الايجابية وتقوية الروابط الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الأساسية (الأولية) خصوصا منها الأسرية، وجماعة الرفاق (الصحة) والحفاظ على بقائها والدفاع عنها من الأخطار التي قد تؤدي إلى انهيارها أو تصدعها، والمقصود بذلك النماذج السلوكية الإجرامية وهم الأشخاص المجرمين والذي أشار إليهم بالقيمة المتضمنة والموصوفة بالشر، في المثل التالي:

«خالط الأخيار تنجى من الأشرار» [147]ص42. باعتبار الحياة الاجتماعية اليومية، وحسب الفكرة المتضمنة للمثل تكشف عن إحدى خصائص المثل الشعبي والمتمثلة في كونها حصيلة تجارب وخبرات الفرد في علاقاته المتنوعة في نشاطاته اليومية ومع محيطه البيئي المادي والاجتماعي الذي يتفاعل مع أفراد وجماعاته، فإن النتيجة التي توصل إليها والمعبرة عن الفكرة المذكورة توحى بالوعي القيمي بأنماط السلوكية الايجابية لدى الأشخاص الذين يحملون الطابع الكريمة التي تعكس معالم شخصيتهم ومعارفهم إتجاه التعامل الايجابي الفاعل في بعث روح الجماعة والتعاون والتماسك والسعي على الحفاظ على وحدتها، وهذا يكون بعزيمة وإرادة الأشخاص الفاعلين المؤثرين في ديناميكية الجماعة وتفعيل الآليات الهادفة إلى تحقيق عملية الاختيار للأفراد الذين تسمح لهم الجماعة بالاندماج وتقمص قيمها وقواعدها الأخلاقية والسلوكية على أساس البنية العقلية التي تحدد مقاييس السلوك السوي للشخص، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للسلوك غير السوي المرضي-، وعليه فالأشخاص الذين يشملهم هذا النمط السلوكي الإجرامي تحاول الجماعة تجنب أصحابه وتدعو عناصرها بعدم التفاعل معهم بل أكثر من ذلك فالدلالة الظاهرة للمثل تنبئ بخطورة الالتقاء بهم والتي تحمل في معناها الخفي، تغلب قيم الخير على قيم الشر التي تعد كل نمط من هذه القيم المتضادة، الطابع الغالب لأفراد الذين يحملونها، والتي تؤدي في كثير من الأحيان إلى نشوء الصراع التقليدي والأزلي بين الأخيار والأشرار، حيث تعد الفروق الفردية للقدرات العقلية الفردية عاملا مؤثرا فيها، على اعتبار تدخل عوامل التنشئة وتأثيرها في إكساب الشخص نماذج سلوكية تدفعه إلى الميل إلى الانحراف السلبي والإجرامي المحتوي، قيم الشر في ظاهره وباطنه، فيصبح بذلك مجرما وهذا على خلفية الظروف الاجتماعية والبيئية التي يترنح تحت ضغوطها فتؤدي إلى تغلب هذه القيم السلبية وتجعل الفرد يجد صعوبة في التحكم وتقويم سلوكه وبالتالي يصده عن الوقوع في الجريمة فقد ذكر مفكرون وتوصل الباحثون والدارسون إلى الأثر المادي، كالفقر أو التواجد في بيئة مادية(طبيعية) أو اجتماعية يسودها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية البيئية تساهم في نمو وتعلم نمو الانحراف لدى فئات الأحداث والتحول على ذلك السلوك إلى سن متقدم إذا لم يتم تقديم الرعاية والمعالجة النفسية والتكفل بتحقيق آماله والحل من المشاكل التي يواجهها، في أسرته ومع جماعة الرفاق فقد تكون

العامل الرئيسي في سبب آلامه النفسية الاجتماعية، وتعيق نمو الجماعي أو يحدث العكس، فيتدارك ويعي أفعاله غير الواعية وسلوكاته غير السوية التي أعاقته استقراره في الجماعة مما تجبره وتضطره الجماعة للانسحاب منها ومغادرتها باتباع أساليب منهجية للمعالجة السلوكية، وبالتالي فإنّ الأشخاص الذين يوفقون في التكيف الاجتماعي يتحقق البقاء في الجماعة.

«ما يبقى في الواد غير أحجارو» مأخوذ مثل من عند العامة. ويوجد في مراجع أخرى، وهو كذلك واسع الاستخدام في المحيط الاجتماعي الشعبي بشكل عام، وقد اتخذ صاحب المثل حيزا كبيرا للتعبير عن الدلالة المعنوية للتصور الفكري الخاص بطبيعة العلاقات الاجتماعية، والتعاملات والتفاعلات التي تظهر صورها في نماذج من السلوكات الفردية الايجابية، والسلبية والانحرافية والإجرامية، أثناء التعاون والتضامن والمنافسة فيما بينهم أو العكس، وذلك ما قد يقع بينهم من خلافات وخصومات واعتداءات جسدية أو لفظية (معنوية) تؤدي انعكاساتها إلى نشوء الصراعات الاجتماعية واستمرارها لزمان يطول أو يقصر وقد تنتهي إلى حد ما، بانتصار القيم والمعاني الايجابية الصادقة التي تعمل للصالح العام للجماعة، وأفرادها وضمان لهم الإشباع النفسي والعاطفي والروحي، على حساب المصلحة الشخصية الذاتية الضيقة لتلبية نزعات وميول تخفي الرغبة في حب التملك والتسلط والسيطرة والقهر ولو على حساب الأهداف الجماعة السامية: وهذا تعده الجماعة خروجاً عن مبادئها والنظام المطبق والمفروض على الأفراد إتباعه والانضباط في خطه، «النظام يعطي عادات الإدارة وهو يتعارض مع الردع». [15]ص122.

ويكون ذلك التوفيق والانتصار لتلك القيم بطبيعة الأمر بالتغلب على نقيضها من القيم الأخرى السلبية والخطيرة المؤدية إلى تفكك وانهيار العلاقات التفاعلية بين الجماعات والأفراد أنفسهم، وهذه القيم المتنوعة الايجابية والسلبية والخطيرة- الإجرامية - ترتبط في مصدرها وأصولها بقيم الخير والشر لدى الأشخاص الذين لديهم نمط خصائص نمطية شخصية وراثية ومكتسبة وعلاقة التي تربطها بالاستعدادات الإجرامية، النفسية منها كالسلوك السيكوباتي، أو الأنماط الأخرى المتعلقة بالنقائص والعيوب التي تلحق وتصيب التكوين الشخصي للفرد في أثناء المراحل العمرية التنشئية، وعلى اعتبار الفروق الفردية «فالعقل والاجتماع يساويان إنسانا» [46]ص188. و«والعقل يلعب دورا رئيسيا في العلاقات الاجتماعية...» [46]ص188 .

ويتفق هذا التفكير الذهني في المنحى الاجتماعي ويتضمن جزءا في ما يعكس البنية العقلية للوعي الجمعي بذلك الدور الذي تقر به الجماعة الشعبية الاجتماعية للعقل وتعتبره بمثابة الوازع الأكبر في الاحتراز واليقظة من السلوك الإجرامي سواء بارتكابه بالتعرض له كما صرحت به في المثل التالي:

«اللي عندو عقل أو راس عمرو ماينداس» [168]ص121 تكشف البنية العقلية الاعتقادية الخاصة بالعقل الذي تعتبره العنصر الفعلي والأساسي الذي يحفظ الشخص من الوقوع في الجريمة، أو تحت تأثير ضعف النفس وفقدان الاتزان في التحكم في السلوك إرضاء لنزعة إجرامية قد تصيب الفرد، فيفقد بذلك سيطرته على غرائزه الفطرية والعدوانية وجعلها تتحرف على مسارها الصحيح الذي يصون ويحفظ النفس وعزتها وكرامتها، كما عبرت في ذلك من خلال الحيز السلوكي المتعلق بالفعل (ينداس) إشارة في دلالة معنوية إلى الجزاء الذي قد يلحق بالشخص، ويتمثل في العقاب في إحدى أشكاله، بدني أو نفسي معنوي، يوسم بالوصمة الاجتماعية في شخصية، في جماعته وبين الأفراد الآخرين، كما لا يمكن إغفال دور العامل الديني الذي يستند إليه العقل في توجيه سلوكه والامتثال لقيمه التي تدعو في مجملها للتصدي أو تجنب السلوك الإجرامي، والعقاب الذي يستوجب تطبيقه موازاة مع درجات خطورة هذا السلوك، يظهر أنّ المثل يكون قد أشار وقصد إلى- العقاب- مصرحاً به من خلال الحيز نفسه، وهذا يعكس أساليب المعاملة و التعامل بها من طرف العرف الاجتماعي للذين لا يتمثلون للقواعد السلوكية والأخلاقية، ويخرجون عن النظام الجماعي، قد تكون لها علاقة في الجانب السلبي لهذا العقاب بممارسة العنف، حيث أن المثل الشعبي قد تكون إحدى لآليات المدعمة له.

«كن صحيح مع ربي عمرك ما تطيح» [168]ص121. وبالرجوع إلى العلاقة القوية التي تربط العامل الديني الملكة الطبيعية الإلهية المتمثلة في العقل الذي هو كذلك نور رباني يتمكن الشخص عن طريقه وباستخدامه في التزود بالعلم والمعرفة لإدراك الصواب من الخطأ والحق من الباطل، وبالرجوع إلى أحكام الدين، الذي بعثه لاستكمال القصور الذي يصيب العقل في أمور عديدة تخص حياته الاجتماعية فإن العمل وتطبيق هذه الأحكام والتعاليم الدينية الإسلامية، يضمن للفرد التوفيق وعدم ارتكاب السلوك الإجرامي والشعور بذلك بالسعادة والطمأنينة والذي يعكس إخلاص وقوة إيمان وعدم انصياعه للأهواء والرغبات التي تفرط وتشتت اتزانه النفسي والاجتماعي وتتملكه بعد ذلك الحشرات والاحباطات.

ويحتوي المثل في دلالة خفية حضور الوعي الديني، ونلتمسه من خلال الصلة الرابطة والمناصرة بين كل من العقل والمجتمع والدين، الذي جاء لإصلاح حياة الفرد والجماعة والمجتمع ككل، لذا فهناك اعتراف صريح من جانب العقل بالايجابيات والفوائد العظيمة لهذا الدين، وأن ما حرمه ونهى ليس قهراً أو ظلماً للفرد أو جماعة، بل إن الأصل في ذلك إتباع الأساليب والمعارف الصحيحة والسليمة بأفعال الحق والخير، وترجمتها إلى سلوكات سوية تنعكس آثارها الايجابية في النجاة من العقاب الدنيوي وتحقيق الحياة الكريمة المتمسة بالسعادة والرفاهية والازدهار.

وترجمة تلك القيم والمعاني والمعايير الايجابية في جانبها الروحي والنفسي والعقلي والأخلاقي والتربوي وارتباطها وتأطيرها بمبادئ وأصول الحق والخير الذي «الانسجام للعزم الفعلي. وهو موازي تماما للحقيقة» [122]ص11.

وتتجلى وتتجسد بوضوح المعاملات السلوكية اليومية في واقع الحياة الاجتماعية داخل الجماعات المختلفة وتكشف بذلك نمط المعاملة والاتجاهات التي تصدرها القواعد والأحكام الخلفية للجماعة الخاصة بالنسبة للذهنية الشعبية ودونها في صيغ تعبيرية في الأمثال، منها ما يتعلق نمط المعاملة اتجاه الممارسات الفعلية للسلوك الإجرامي.

2.8. الاعتدال والتسامح في المعاملة:

«هيب لا تعيب» [153]ص 102 هذا المثل مأخوذ أيضا من عند الأشخاص، والمقصود من الوعظ والنصح به والذي يخص عملية تنشئة الطفل، التي تتخذ أساليب تربوية عنيفة اتجاه هذا المخلوق الضعيف من طرف بعض الآباء، عن طريق إلحاق الضرب الشديد بمثابة عقاب وتأديب لهم في نفس الوقت، الذي يؤدي، الطفل بعاهة جسدية ويكون هذا الأسلوب التربوي الخطير في درجة شدته مستخدما اتجاه الأطفال الذين يظهر على سلوكهم علامات العدوانية الشديدة والانفعالات السلبية المتكررة ، وكذلك اتجاه المراهقين، حيث قد تكون هذه المرحلة الخطيرة وعلى اعتبار خصائصها المتعلقة بالنمو الشخصي العام، فقد يزداد تسلط الآباء أو أحدها في هذه المرحلة بالمعاملة غير السوية كالضرب الشديد، تؤدي في كثير من الأحيان إلى إعاقة النمو الطبيعي للطفل والمراهق في مختلف جوانبه (العقلي، الانفعالي، النفسي، الاجتماعي...) قد يؤدي إلى ظهور آفات وظواهر اجتماعية، منها انحراف الأحداث، هروب الأطفال وهجر العائلة، والتشرد، التسرب المدرسي، وتعلم السلوك الإجرامي وارتكاب ذلك الجريمة.

فإذا كانت حسب ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون: «أنّ القسوة والشدة في معاملة الأطفال الصغار تدعوهم إلى المكر والخبث والخديعة» [103]ص116 ، فإنّ ممارسته العنف المتمثل في الاعتداء الجسدي للطفل خصوصا دون غيره من الأشخاص الآخرين في الجماعات يعد بمثابة ارتكاب جريمة في حق هذا الطفل وبراءته خصوصا في حالة إلحاق الأذى الفعلي بجسمه الضعيف، لذا فإنّ الاعتدال المساواة في نمط المعاملة الذي يفرض ويتوجب على الآباء خصوصا والمربين العمل به تظهر آثارها الإيجابية في تكوين والبناء الصحيح لشخصية الطفل يرى الفيلسوف ابن سينا بخصوص تنشئة الطفل اجتماعيا ما يلي «يجب على والد الصبي أن يبعده على مقابح الأفعال، ومعائب العادات بالترهيب والترغيب والتوبيخ فإن احتاج إلى الضرب فليكن» [103]ص109 .

يتبين من خلال مضمون فكرة الفيلسوف، أنها تشمل جزءا في المعنى ومحتوى المثل نفسه، وعليه فإن الاعتدال في إتباع أساليب تربوية تركز على مبادئ وأهداف أخلاقية واجتماعية، قد تجنب هؤلاء الآباء الإصابة بالندم والحسرة في إفراطهم اتجاه المعاملة الموصوفة بالضعف.

وهذا يكشف علاقته بعدم التحكم في غرائز العدوان بشكل كافي وملائم والاستعداد لإظهار النزعة الإجرامية، وتجنبنا لعواقب ذلك، ينبغي التحكم في السلوك الإجرامي وعدم إظهاره قد يتطلبه الموقف، مثل ما صرح به المثل الشعبي التالي:

«بات في غيظ لا تصبح في ندامة» مثل مأخوذ من عند العامة .عكس الاعتقاد السائد في محتوى المثل بالبنية العقلية الجماعة الاجتماعية الشعبية في دعوتها لتوجيه السلوك الإجرامي والتحكم فيه من خلال وبناءا على الاتزان النفسي والسلوكي للشخص، كبح الدوافع والميول الإجرامية المضادة تمس السلوك الإجرامي الصادر من طرف الفرد المجرم أو الجماعة، وذلك تجنباً للوقوع في جريمة قد تكون خطورتها تتعدى درجة خطورة السلوك الإجرامي نفسه، قد تجعل الشخص يندم على فعله فالحكم في السلوك، اتجاه الأفعال والتصرفات المنحرفة غير أخلاقية الصادرة من الأشخاص الآخرين، يكشف عن ملامح الشخصية الأخلاقية، التي تبني تصرفاتها بالتقيد والالتزام بالقيم والمعايير الموضوعية، العقلية الأكثر منها الذاتية، والتصرف وفق قواعد خلقية صحيحة، تعكس القيم الشخصية والروحية والمبادئ العقلية، التي تعمل على تحويل الصراع الاجتماعي من طابعه السلبي إلى طابعه الإيجابي، الذي يرسخ دعائم التماسك والتوافق الاجتماعي والتكيف الناضج والواعي مع الأنماط السلوكية الشخصية، حفاظا على العلاقات الاجتماعية، وأشكال التفاعل والممارسات الاجتماعية الخاصة بأداء الأعمال خصوصا اتجاه الجماعات الاجتماعية الأولية كجماعة قرابة والعمل الجيرة.

«سكر باب دارك لا تخون جارك» [147]ص97 .لقد استعان صاحب المثل بأشياء للتعبير وإيصال فكرة تعدد كمعيار أخلاقي وعقلي تتعلق بإصدار أحكام أخلاقية اتجاه التصرفات الذاتية التي قد يخطئ فيها الشخص وينجم عنها عواقب خطيرة تكون سببا في ارتكاب أو احتمال وقوع جريمة، على أساس أنها كانت نتيجة لممارسة إجرامية لم تحدث أصلا والمتمثلة في جريمة السرقة، وهذا الاتهام المفترض ضد الشخص (الجار)، دون وجود أدلة (رؤية شهود...) تؤدي بالشخص إلى الانحراف عن السلوك السوي، وتجعله شخصية تتميز بخصائص وصفات مذمومة ومنحطة، وتشوه صورته الحقيقية التي كانت تأطرها أحكام القيمة الأخلاقية، وتجسدها التصرفات الواعية والسليمة، ونجد مثل آخر يحوي نفس المعاني والقيم والأحكام ونصه:

«عس دارك ما تسرق جارك» [150]ص130. وفي صيغة تعبيرية أخرى في مثل آخر: «لمد روحك لا تخون جارك»، [145] ص 75. هي دعوة أخرى مشابهة للتعامل الإيجابي مع المواقف والحوادث والتوقعات السلوكية، بالتصرف الملائم الدال على الوعي بالفعل الأخلاقي السوي ويعطي التصور الصائب للتصرف: «فعل التصرف هو الشكل الأول والشامل للأخلاقية» [122]ص111 وينمو ذلك الفعل الأخلاقي المضاد للقيم السلبية. والتصدي للممارسات المجسدة لها في المعاملات الجماعية في مختلف النشاطات في إطارها التفاعلي والعلاقات الاجتماعية حفاظا على استقرارها ومن ثم استمرارها وهذا يؤدي إلى تعزيز التضامن والتعاون الاجتماعي والتقليل من الانحرافات السلوكية والإبقاء على وحدة الترابط الاجتماعي بين الأفراد وسد الفجوة إلى بإمكانها إحداث التباعد والتفكك هذه الروابط والشعور باغتراب ونشوء الصراع للفرد مع نفسه والمجتمع الناتج عن هذا بالاغتراب ، والخروج عن المعايير الأخلاقية قد يكون العامل الرئيسي المؤثر، وهذا ما ترفضه المبادئ العقلية التي تدعو إليها البنية الذهنية للجماعة مثل ما عبرت عنه في المثل التالي:

«ما تخذع ما تأمن» [150]ص130. تظهر الدلالة الاجتماعية نمط المعاملة السلوكية الفاعلة في نمو المشاعر الشخصية المعبرة عن قيم الأمانة والصدق ومن جانب الفرد والجماعة اتجاه الآخرين، والتقييد قدر الإمكان بالسلوك الأخلاقي الواعي في نفس الوقت بالتعامل مع مختلف الأنماط السلوكية المميزة لنمط شخصيات الأفراد، على أساس مبادئ تنشئية تربوية نطبع التكوين الشخصي الوراثي والمكتسب والذي يحدد معالم الشخصية السوية والفرد الصالح من الشخصية المنحرفة أو الشاذة في سلوكها غير المرغوب، ولذلك يكون توقع ارتكابها للجريمة فعل متوقع حدوثه، وعليه فإن التماس الحذر واليقظة من أنماط هذه الشرائح الشخصية والجماعية والتي تندرج سلوكها الإجرامي ضمن الأخطاء عملية تنشئية، وتلقين الأفراد خصوصا داخل الأسرة، قيما ومبادئ مهزوزة ، تدفع بهم إلى طريق الشر والردائل، التي يجنون بها عدم القبول والتهمك والاستهجان في أي جماعة يتواجدون بها أو يتعاملون معها في مختلف المجالات المرتبطة بالحياة الاجتماعية مادام يحملون تلك القيم الإجرامية التي تعرضهم للجزاء العقابي، مهما طالت جرائمهم وتصدهم عن الدمج الاجتماعي، إذا لم تكن هناك مراعاة للوضعيات والظروف التي قد تكون عاملا في تفعيل استعدادهم الإجرامي، سعيا لمعالجة سلوك هؤلاء وإصلاح للبنية المهزوزة المميزة لنمط شخصياتهم.

3.8. عواقب الانحراف والسلوك الإجرامي

وفي هذا الإطار تحمل لنا مجموعة أمثال أخرى الانعكاسات والآثار السيئة والخطيرة للسلوك الإجرامي والعواقب التي تعرض مرتكبها وتؤدي إلى تشويه الصورة الأخلاقية لشخصه وجماعته الأولى والأساسية وهي الأسرة التي تعد اللبنة الأساسية في إعداد الفرد صالحا بما تلقنه من قيم ثقافية

واجتماعية، تعمل لصالح المنفعة الفردية والجماعية والمجتمعية، وليس للمصلحة الذاتية الخاصة دون حضور للضمير الأخلاقي وعليه يطغى عامل التنشئة الاجتماعية وتبرز أهميته البالغة في داخل هذه المؤسسة الاجتماعية، حيث يتولى الوالدان مهمتها بالدرجة الأولى ويشمل المثل الشعبي في هذا المنحى جانبا بخصوص الدور التربوي الأساسي لهذين الحيزين- الأب والأم-

«لو كان نهائي بما على الإبرة ما تكون في ذي العبرة» [147]ص97. يكشف المثل في دلالاته السلوكية الاجتماعية للانحرافات والأخطاء العديدة والمتنوعة الناجمة عن عملية التنشئة الاجتماعية، حيث فكل من الخطورة في ذلك إذا كان تعلم السلوك الانحرافي والإجرامي، صادر عن المعاملة الوالدية بأساليب تربوية تتمثل في تلقين الآباء مبادئ وقيما، وأنماطا سلوكية، تخضع لأهداف جزئية تكون لفائدة الأسرة، لإشباع بعض الحاجات المادية، وقد يكون ذلك بوعي منهم أو دون ذلك بالنظر إلى الخبرات المكتسبة في المحيط الاجتماعي الذي عاشوا فيه:

وقد أشار في نص المثل إلى أثر العامل والدور الشخصي في وقوع للأُم في المشكلة التي وقع فيها الشخص والمعبر عنها في المثل بـ «العبرة» وهذا يكشف أن عملية التنشئة التي يكون تعرض لها كانت من قبل الأم دون الأب، لها علاقة بأحد أنواع التفكك الأسري، كالطلاق، وفاة الأب أو ناجم عن الاضطرابات الأسرية كوجود صراعات بين الزوجين، أدى إلى بروز الدور الرئيسي لتربية الطفل إلى الأم، حيث يكون لتلك الصراعات باحث في قيام الأم تلقين الابن وتعليمه أنماطا للسلوكيات الخاصة بالممارسات والنشاطات والأعمال الإجرامية التي يغلب عليها الطابع الإجرامي وكما هو مصرح به في المثل نفسه، فإن الجريمة التي يكون قصد إليها ، تتعلق بالسلوك الإجرامي الخاص بالكسب المادي والمقصود بذلك جريمة السرقة لإشباع الحاجات المادية، الاقتصادية، يرى بيتر رسل: «أنّ للأُم دورها في فساد أو صلاح شخصية الطفل وتنعكس مشاعرها على الأطفال مباشرة» [123]ص105. كما نجد في التراث الإسلامي، خصوصا من جانب- الرسول صلى عليه وسلم في توجيهه الخاص بضرورة اختيار للطفل المرأة الصالحة. تتضح إذن الانعكاسات والآثار السلبية والخطيرة للدور التربوي المنحرف خصوصا من قبل الأم حيث أن الطفل يكون تفاعله الأول للجماعة مع الأم، بالتركيز على المرحلة العمرية الأولى للطفولة، التي يكون التكوين والنمو الشخصي للطفل يعكس ظهور البناءات الأساسية لتكون شخصيته، وعن المشكلة المشار إليها بالعبرة، قد تتعلق بخضوع الشخص للجزاء العقابي في المؤسسات الخاصة بإعادة التنشئة.

والجريمة المتضمنة في المثل في نمطها الاقتصادي المتمثل حسب المدلول المعبر عنه بأحد الأشياء وهي الإبرة، قد تكون لها علاقة بعوامل اقتصادية، ناجمة عن متغيرات اجتماعية، أو طبيعية، سياسة، تؤدي إلى ظهور سلبية، كالفقر والبطالة، التي تكون دافع مؤثر لدى بعض الأشخاص لممارسات

اقتصادية إجرامية، تؤدي بهم إلى الأضرار بأنفسهم وأموالهم نتيجة محاكاة أو تقليد أو تعلم لهذا النمط الإجرامي.

وتظهر لنا مجموعة من الأمثال في هذا المعنى للفعل الإجرامي والعاكسة للوعي الجماعي للجماعة الشعبية لعواقب القيم السلبية اللاخلاقية التي تعطي الصورة النمطية للشخصية المجرمة «المال السايب يعلم السريقة» [168] ص 134، ترى الجماعة الشعبية في نمط الجريمة المتمثلة في السرقة التي ترتكب في المحيط الاجتماعي الخاص بتسيير الأعمال والنشاطات الممارسة للصالح العام، وهذا يتطلب الاستعمال اللازم والكافي للمال العام للقيام بهذه الانجازات والخدمات المقدمة للفائدة ومصلحة الأفراد والمؤسسات الاجتماعية وتحقيقها بصفة كاملة غير أن الاستخدام غير المشروع من قبل بعض الأشخاص لهذا المال العام، نتيجة التصرفات غير السوية الناجمة عن النزعة والاستعدادات السلوكية الانحرافية، إلى جانب غياب أو تغييب الشعور بالضمير المهني، والأخلاقي التفكير السلبي الخاص بالنظرة للملكية الجماعية المشتركة، والتي تعكس الاعتقادات الخاطئة اتجاه ذلك، مما يدعمها البعض كباعث ويتمسك بها، فيرتكب أخطاءه في تسيير وتصريف ذلك المال حين قد يرى لا مانع في هذا التصرف الخاص باستخدامات من هذا المال للمصلحة والمنفعة الاقتصادية الشخصية.

وترى الجماعة في هذا التصرف الخاطئ المؤدي لارتكاب جريمة السرقة، وذلك عن طريق الممارسة لذلك التصرف الذي بتكراره والإصرار والاستمرار في ممارسة هذا الخطأ، يصبح سلوكا متعلما، يتوافق ويتطابق مع السلوك الإجرامي، في ارتكاب الجرائم الاقتصادية التي من مظهرها الشائعة ظاهرة السرقة، وقد يتطور هذا السلوك الإجرامي ويتفرع إلى ارتكاب أنماط أخرى للجرائم، كلما كان هناك دافع، الذي يستغله هذا الشخص ولا يتورع عن فعله، خصوصا في الظروف الصعبة التي قد يتعرض لها كما يعكس ذلك المثل التالي:

«الاحتياج يعلم الخيانة» [147] ص 4. ومنه فإن تعلم السلوك الإجرامي المؤدي لارتكاب جرائم السرقة، فهذا يفتح المجال واسعا لاتخاذ الأساليب والوسائل المادية منها والمعنوية والموصوفة بمختلف أشكال المكر والخداع والاحتيال بغرض الوصول والامتلاك الحاجات، وعليه فإن الشخص المجرم عند قيامه بارتكاب جريمة السرقة، فإن هذه الجريمة يتم الإعداد والتخطيط لها بارتكابه لجرائم أخرى يمكن اعتبارها جرائم تمهيدية لتحقيق الغرض المتمثل في جريمة السرقة.

«ياحافر جب، احفر قياسك أليّ حافر له يمنع وأنت تطيح برأسك» [145] ص 81. يعكس محتوى المثل لنمط الشخصيات وفق نمط القيم المكتسبة والخبرات في تعاملهم وتفاعلهم مع الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى وقد عبر صاحب المثل عن تفاعل هؤلاء الأشخاص منه إلى السلوك الإجرامي

وذلك باستخدامه واستعانتته بحيز فعلي مكاني في نفس الوقت والمتكون في عناصره: (حافر- جب - احفر- يطيح برأسك) يكشف في دلالاته، الخفية، لوجود صراعات اجتماعية، تكون لها علاقة بالفروق الفردية الشخصية العقلية خصوصا المتعلقة بالذكاء، كما يمكن وجود لها صلة بالصراعات الثقافية الفرعية للجماعات المجتمعية، المؤدية إلى حدوث اصطدامات القيم النمطية الفرعية الإيجابية منها والمنحرفة السلبية والإجرامية. نجد نفس المثل في صيغة أخرى بـ:

«الشاي والحليب واللي حفر حفرة لخواه يطيح فيها»[174]ص68. وله مثل آخر بنفس المعنى باللهجة القبائلية ونصه: «أوين إينغيزين تسراف أورو إالأذقس»[159]ص39 ويوجد في مراجع أخرى، وكلها تحمل في رمزيتها التعبيرية دلالات للنمطية المميزة لسلوك الشخص المجرم مع الأشخاص الذين قد تربطه بهم الروابط الاجتماعية ذات الصلات القوية، كالرابطة الأسرية القرابية، على أن انعكاسات هذا الفعل الإجرامي للشخص يؤدي به إلى الوقوع في عواقب وخيمة تتمثل في إلحاق الأذى والأضرار بنفسه مثل ما يتضح في محتوى المثل التالي:

«اللي يزرع السدرة يحصد شوكة»[153]ص188. وفي نص آخر: «اللي يزرع الشوك يحصد السدرة» مثل مأخوذ من عند العامة.

لقد استخدم صاحب المثل أشياء نباتية، تحمل في دلالاتها التعبيرية الرمزية معاني أحكام القيمة تخص الآثار السيئة الناجمة عن الممارسة الفعلية للسلوك الإجرامي المؤدي إلى ارتكاب أنماط للجريمة، كالسرقة في طابعها التقليدي المعروف، أو بإحدى الصور الكثيرة لها بطرق تعاملية في المجالات الاجتماعية المختلفة، وهو ما يفسر للبنية الشخصية في محيطها وواقعها الاجتماعي الذي يعد بدوره أحد، العناصر المؤثر والبارزة في نمو الحس الاجتماعي والأخلاقي من خلال النمو العقلي والذهني السليم، وإذا كانت الذهنية الشعبية، حسب انطباعاتها حول آثار انعكاسات السلوك، الإجرامي تعود على الفرد نفسه، أو الجماعة مثل جماعة عصابات الأشخاص المجرمين، فإن محتوى المثل التالي:

«راح المجرم في المجرم» مثل مأخوذ من عند العامة، يمتد في عمق دائرة تلك الآثار السيئة والخطيرة الناجمة عن ارتكاب الجرائم، من منطلق تأثيرها على غالبية أفراد المجتمع، بمؤسساته أي أن إلحاق الأذى والضرر يكون عاما وشاملا لمختلف البناءات والنظم الاجتماعية وذلك حسب نمط الجرائم المرتكبة وانعكاساتها في اتجاه خطها ومنحائها الاجتماعي المتضمن لتلك البناءات أو العلاقات الاجتماعية كذلك، ويكشف تصور «العقل الجمعي» للذهنية الشعبية ووعيها الاجتماعي الخاص بها السلوكات الإجرامية، والممارسات الانحرافية لأشخاص الذين يميلون للنزعة الإجرامية، العاكسة للقيم الثقافية

السلبية، حيث يكونوا تلقوها عن طريق أخطاء تنشئية، إلى تكوين وتشكيل بنية شخصية فردية منحرفة وإجرامية.

وبما أن المثل الشعبي، هو حسيلة خبرات وتجارب اجتماعية، يؤدي نتيجة ذلك إلى التفكير في إيجاد وثمة صياغة الأفكار والتصورات العاكسة بذلك الوعي الجمعي اتجاه سلوكيات الأشخاص وتصرفاتها في المواقف والوقائع والحوادث المختلفة، منها المتعلقة بالظاهر الإجرامية والمجرم، ويمكن الإشارة لوجود هذا الوعي الجمعي: «يوجد في كل مجتمع «وعي جمعي» يؤدي إلى تمثيلات اجتماعية والمثل والقيم والعواطف المشتركة لكل الأفراد في هذا المجتمع» [29] ص 26، من خلال المثل الشعبي التالي:

«الظالم ما يروح سالم» [159] ص 45. ويوجد هذا المثل في مرجع آخر لرابح خدوسي، يرى للجماعة الشعبية، وفق تطور الوعي الذي تضمنه معنى المثل والمتمثل في ضرورة إلحاق الشخص المجرم للجزاء العقابي، واقتصاص الحق منه، بهدف ردع السلوك الإجرامي، ويكون انعكاس هذا الفعل الجزئي الجماعة بمثابة ضمان وحفاظا على الاتزان والاعتدال في السلوك الاجتماعي للأفراد للحد من اتساع مجالات ممارسة السلوك المنحرف الإجرامي، الذي قد يؤدي إلى خلق أنواع من المشكلات الاجتماعية والجرائم الخطيرة، كالتفكك الاجتماعي وأنماط جرائم السرقة، الإدمان على المخدرات، حيث يمكن أن يكون، تطبيق الضبط الرسمي عاملا فعليا وفاعلا في صد وتقليص للممارسة الإجرامية وظواهرها في هذا الإطار، وذلك بتوفر الإرادة والعزيمة اتجاه الأفعال الإجرامية الخطيرة، التي تتعارض كلياً مع المبادئ العقلية والأخلاقية والقيم للجماعة، خصوصاً تلك الجرائم التي تقع خطورتها مباشرة على فرد وذلك بالاعتداء الجسدي القاتل كما يتضمنه المثل التالي:

«يا قاتل الروح وين تروح» [150] ص 229. يوجد هذا المثل في معظم المراجع خلفية هذه الجريمة الواقعة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان يرددها الجميع في القرية وخارجها، وقد تمت وقائع هذه الجريمة بين شخصين صديقين تميزا بالسفر إلى بلدان كثيرة مع بعضهم وفي مدة معينة، تشاورا حول فكرة التعاون فيما بينهم لخدمة الأرض التي هي ملك مشترك بينهم حسب راوي القصة وكان أحد هذين الشخصين صاحب عائلة يصرف عليها، والآخر عكس ذلك، وهذا الفارق الموجود بينهما، كان دافعا أثر على نفس الشخص الذي يملك عائلة مسؤول عن توفير غذائها لتراوده فكرة التخلص من صديقه لأجل الاستيلاء على الأرض ومحصولها وتكون كلها وحدة فاستغل لظروف المناسبة في إثناء تواجدهما في مكان بعيدا عن أنظار أهل (سكان) القوية ويقدم على تنفيذ جريمة القتل ضد صديقه، غير أن جريمة قد كشفها سكان القرية الذين ثاروا سخطا واستنكار لهذا الفعل الإجرامي، وباتوا يرددون ذلك المثل، حيث اعتبروه خارج قيمهم ويظهر تعارض العرف الاجتماعي من خلال

مشاعر الشجب والاستنكار والاستهجان المتضمنة للمعايير والأحكام والقواعد السلوكية السوية المضادة للسلوك الإجرامي وارتكاب الجرائم، في دعوة الجماعة وإقرارها بضرورة التطبيق العقابي عن طريق الضبط الاجتماعي الرسمي الخاص الذي تنص عليه المبادئ والنصوص الشرعية والقانونية لدى المؤسسات المسؤولة عن حفظ النظام العام للمجتمع والأشخاص الممثلين لهذه العملية الاجتماعية-الضبط الاجتماعي الرسمي-مثل الاتجاه المعبر عنه في المثل التالي:

«السماح عند القاضي»]. يعكس هذا الحكم الصادر من الوعي الجمعي وتصورات الجماعة والشخصية الفردية، التي ترى في قراره نفسها، ضرورة ردع السلوك الإجرامي، على اعتبار الانعكاسات السلبية الناجمة عنه، التي بإمكانها أن تؤدي إلى تعزيز وتدعيم هذا النمط السلوكي، كلما كان الانفعالات أو غياب ردود فعل الجماعة في التصدي له، ويعمل كذلك على تكراره الفعل الإجرامي الذي يحل بالنظام الاجتماعي، وتغيير مسارات العلاقات الاجتماعية نحو الوقوع في مشاكل اجتماعية جديدة ومتنوعة بخصوص الآثار الناجمة الجريمة، ويمكن اعتبار ذلك في الدلالة الخفية للمثل، إبراز الأهمية الدور الوظيفي للضبط الاجتماعي الرسمي في ردع السلوك الإجرامي ومحاولة لتقويمه في نفس ذات الفعل لكي لا يفسح المجال بشكل متزايد في ظهور النمطية الإجرامية للأشخاص.

كما يمكن أن يكون العقاب الذي قد يتلقاه الفرد المجرم، وحسب النمط التفكيرى للجماعة الشعبية، يرتبط بالعقاب الإلهي، الذي هو بمثابة انتقام من الأشخاص المجرمين، وهذا يكشف في جانبه الديني الاجتماعي، للوعي الديني للجماعة ما يكشفه المثل التالي:

«اللي قطعوا الشرع يدو ما يسمى تليس» مثل مأخوذ من عند العامة وفي نص مثل آخر: «اللي قطع لو الشرع أذنه ما يتسمى قرماط» [147]ص78، فالبنية العقلية للجماعة في نظرتها للعقاب المطبق على الشخص المجرم ينبع من الانتقام الإلهي، ضد هذا المجرم، وعقابا له كذلك، ويظهر أن هذا الحكم الصادر لدى الشخصية الفردية أو الجماعية ويخفي في دلالاته القيمة، أحقية وعدالة هذا العقاب، الذي يعني أنه حكم عادل لا يشوبه ظلم أو باطل، ويظهر في نفس المعنى المتمثل في تبرير الجرائم المرتكبة وإصدار الأحكام ضدها على اعتبار القيم الدينية التي تعترف بها وتقرها القواعد الأخلاقية للجماعة اتجاه، العقاب الإلهي المجسد في تعريف الشخص المجرم ووقوعه في الضبط الرسمي للمجتمع.

«ربي يخلف على الشجرة وما يخلف على قطاعها» [161]ص88، وهو موجود في مراجع أخرى ونجد مثل آخر بنفس المعنى نصه: «ربي يخلف على الدومة ما يخلف على حشاشها» مثل مأخوذ من عند العامة. يظهر من خلال استعانة صاحب المثل بالأشياء المذكورة في نصوص المثليين، والمتمثلة

في الشجرة، الدوامة-وتعرضها للفعل الإجرامي والمتمثل في القطع من قبل الشخص المجرم، التوضيح فكرته المتضمنة في الدلالة السلوكية الرامزة للفعل الإجرامي والفرد المجرم معا.

ونلتمس من خلال تلك الدلالة، حضور الوعي للقيم الدينية، المتعلقة بعقاب الفرد المجرم، الذي يعد بمثابة انتقام الله، عز وجل في الدنيا وقد يتصل ذلك بالعقاب الأخرى، في حالة عدم إصلاح هذا الفرد المجرم لنفسه بنفسه أو قد يكون عن طريق أحد المؤسسات الاجتماعية القائمة بتنشئة الفرد وإعادة تنشئته.

بناء الجداول التكرارية الخاصة بموضوع الفرضية الثالثة«تحمل الأمثال الشعبية توجيهات أخلاقية للتعامل مع السلوك الإجرامي» ويوجد جدول واحد.

4.8. بناء الجداول وتحليل النتائج الخاصة بالفرضية الثالثة

جدول رقم 01: توزيع مضامين الأمثال الشعبية الخاصة بالفرضية الثالثة

النسبة المئوية	التكرار	المواضيع الفرعية	المواضيع الرئيسية
39,13%	9	/	-أثر الذكاء في الحذر وتجنب السلوك الإجرامي
17,39%	4	/	-الاعتدال والتسامح في المعاملة
43,47%	10	/	-عواقب الانحراف والسلوك الإجرامي
100%	23	/	المجموع

يتبين من خلال هذا الجدول، وانطلاقاً من عدد الأمثال المحصورة لموضوع الفرضية التضمن ثلاثة مواضيع رئيسية، حيث مثلت النسبة العالية لموضوع عواقب الانحراف والسلوك الإجرامي بـ:

تليها النسبة المتمثلة بـ: 39,43% والمتعلقة بموضوع أثر الذكاء في الحذر وتجنب السلوك الإجرامي ونجد نسبة 17,39% المتعلقة بموضوع الاعتدال والتسامح في المعاملة 43,47%.

ومن خلال التحليل الكمي للنتائج، نجد أن مضامين (محتوى) الأمثال المتقاربة مواضعها في النسب، وهما موضوعي، عواقب الانحراف والسلوك الإجرامي بنسبة : 43,47 % موضوع أثر الذكاء في الحذر وتجنب السلوك الإجرامي وعن هذا الوضع، فإننا نلتمس فيه، عمق التصورات والأفكار، في معانيها ودلالاتها والمتضمنة في أبعادها، مجموعة من المواعظ والتنبهات، والعبر المستخلصة من خلال عملية التفكير والاستقراء للوقائع والمواقف التي عايشها أو عاشها الفرد والجماعة، في تجارب حياته الاجتماعية، المتمثلة والخبرات المكتسبة مع الأفراد والجماعات الآخرين حسب أنماط السلوكيات الصادرة عنهم والتي يكون منها الطابع الإجرامي غالب عليها، لهذا فإن دعوة الجماعة الشخصية الجماعية وكذلك الفردية المتمثلة في تفعيل وتجسيد تلك المبادئ والمعاني العقلية الثقافية، الأخلاقية في أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية التي تؤدي إلى توجيه سلوك الفرد والجماعة نحو اكتساب قيم ومعايير وقواعد أخلاقية ذات فاعلية إيجابية في نمو الحس الأخلاقي وتطور الوعي القيمي والسلوكي وذلك تمييز بين قيم الخير والشر والحق والباطل والصواب والخطأ والمرغوب فيه من السلوك وغير المرغوب فيه بغرض اجتناب عدم الوقوع في الجريمة التي تتمثل انعكاساتها في أنواع من الجزاء العقابي، الذي يتعرض له الفرد أو الجماعة، كجماعات المنحرفين والعصابات الإجرامية، وفي هذا السياق المتضمن لعواقب الانحراف وممارسة السلوك الإجرامي الذي هو الموضوع الرئيسي الثاني تشتمله الفرضية في نسبتها المتمثلة ب: 43,47% من مجموع الأمثال المحصورة له، حيث حملت مضامين هذه الأمثال آراء وانطباعات وأحكام التي وصفت بها الآثار السلبية والخطيرة الناجمة عن الميل والنزعة الإجرامية والممتدة في المجال المجتمعي بما يشكله، من بناءات وعناصر بشرية ومادية.

وبرؤية متعمقة وشاملة للأحكام والانطباعات المبدئية العقلية للجماعة والشخصية الفردية المفكرة المنتجة للمعايير والقواعد السلوكية الأخلاقية ومن خلال النسبتين المذكورتين سابقا فإن الجماعة الشعبية المفكرة، عبرت عن دعوتها الخاصة بالتعامل والمعاملة السلوكية الاجتماعية والأخلاقية وفق مبادئها ومعاييرها وقواعدها الأخلاقية واتجاهاتها وهذا يمثل جانبا لبنيتها الشخصية الاجتماعية، أما الجانب الآخر الذي يظهر عكس الجانب الأول، فإن الجماعة الاجتماعية، تعلن وتصرح من خلال العواقب الناجمة عن الانحراف والسلوك الإجرامي، التي حملتها مضامين الأمثال معبرة بذلك عن رفضها إنكارها، إتجاه أولئك الذين ينحرفون ويخرجون عن معاييرها، وعاداتها وتقاليدها، بارتكابهم لمختلف أنماط الجرائم التي تحدث انعكاسات سلبية خطيرة في العلاقات وأنماط التفاعل.

وعليه، فإن الجماعة لا تتعارض بنيتها العقلية مع تفعيل وتطبيق الجزاءات الخاصة بردع السلوك الإجرامي، حيث تحده بمثابة نتيجة حتمية إلى حد ما للتصدي والتعامل المناسب اتجاه الفرد المجرم، غير أن هذا لا يدل ولا يعد مؤشرا بالمعنى الكامل في اتخاذ واستخدام أساليب الردع وتطبيق العقاب بشكل مطلق اتجاه التعامل مع السلوك الإجرامي وإنما بما يتطلبه طبيعة الموقف المعرفي للعقاب صاحبه ومن

خلال النسبة الممثلة لموضوع الاعتدال والتسامح في المعاملة وهي : 17,39 % التي تظهر لنا وتكشف دعوة الجماعة إلى الشعبية الاجتماعية التصدي للسلوك الإجرامي من خلال التحكم في السلوك على أساس قواعد أخلاقية سليمة وسوية، وذلك بإخضاعها السلطة العقل الممثل للوازع القيمي والأخلاقي والديني لهدف التأثير الايجابي في شخصية الآخرين تظهر انعكاسات هذا التأثير في تولد بمشاعر والعواطف السامية بين الأفراد كالمحبة واللغة، العطف، والتي تؤدي إلى إحداث التماسك والتضامن الاجتماعي في مختلف البناءات والعلاقات الاجتماعية.

ومما تقدم، وما حملته لنا الأمثال للقيم والمعايير والانطباعات والتصورات في سياق البنية العقلية الأخلاقية للجماعة، والعاكسة للوعي الجمعي إتجاه السلوك الإجرامي والجريمة، ومن خلال المعارف الثقافية المكتسبة، التي يطلب عليها الطابع العلمي الأخلاقي بتوجيهات السليمة والصائبة والتي تعطي وتعكس الصورة المثالية بإيجابيتها المتعددة والمتنوعة للبنية الشخصية للجماعة والفرد في منحها الثقافي الأخلاقي الاجتماعي، فإن هذا يجعلنا نقر ونشيد بحقيقة تلك المعاني والقيم المتضمنة في موضع الفرضية وهو أنّ هذه الأمثال تحمل توجيهات أخلاقية للتعامل مع السلوك الإجرامي، وعليه فإن الفرضية يمكن اعتبارها أنها تحققت بنسبة ودرجة عاليتين.

5.8. الدراسة التحليلية السوسولوجية للفرضية الثالثة:

تتركز هذه الدراسة على الجانب الأخلاقي، للشخصية الجماعة للمجتمع والتي رسمت معالمها، البنية الثقافية، حين تعد الأمثال الشعبية المحور الأساسي الذي تركز عليه المعارف الثقافية العلمية الشاملة مجالات الحياة الاجتماعية منها السلوك الإجرامي وارتكاب الأنماط المختلفة للجريمة، وذلك انطلاقاً من عوامل واعتبارات بارزة وهامة ميزت حياة المجتمع الجزائري في مسيرته الاجتماعية الثقافية وأثرت على التزود بالمعارف الاجتماعية الثقافية من مصادر عديدة ومتنوعة، منها المعرفة العلمية للسلوك، نتيجة، الوجود ظواهر سلبية، أهمها الفقر والامية اللذات يعتبران المتغيرين (العاملين) الرئيسيين في أدى إلى ظهور عوائق حالت دون الوصول إلى اكتساب الخبرات والمعارف القيمة والسلوكية، على أسس تعليمية رسمية نظامية التي تخص في التراث الثقافي الاجتماعي والذي يجد التراث العربي والإسلامي الغني بالمعارف الأخلاقية الثقافية، الاجتماعية والتي ماله علاقة بالتعامل مع السلوك الإجرامي، والنمطية الإجرامية للشخص المجرم، مع العلم لوجود صلة في كثير من المعاني والقيم والمعايير السلوكية الاجتماعية والأخلاقية، ترتبط جذورها بالثقافة الإسلامية، سواء ما تعلق بالإننتاج الثقافي المعرفي للبشري أو المتعلق بالجانب الديني، وقد حملت لنا الأمثال الكثير في مضامينها حضور الوعي الأخلاقي الديني، وأقرت بالقيم الدينية وأثرها على التعامل مع السلوك الإجرامي.

ورغم السلبيات والعوائق التي تكون أثرت على البنية الثقافية الاجتماعية الأخلاقية للجماعة، إلا وجود ملكة العقل الذي يميز الإنسان دون غير من العجائم يعد العامل الأساسي والهام بأعلى الدرجات وذلك في قدرته الكبيرة في التمييز بين قيم الخير والشر والحق والباطل... وعن ذلك عن طريق مختلف العمليات العقلية المتمكنة في إيجاد الحلول، وصياغة الأفكار والتصورات، والمعاني والقيم الروحية العاطفية والأخلاقية للكثير من مشكلات السلوك الاجتماعي غير السوي، والقدرة بناء أعلى ذلك، الحفاظ على حياة الفرد والمجتمع وضمان لعزة وكرامة الفرد والجماعة دون نسيان إلى حاجة العقل بالرجوع والاستناد إلى التوجه الديني الإسلامي للسلوك.

ملخص الفصل

عرضنا محتويات هذا الفصل تحليل الأمثال المتضمنة لموضوع الفرضية الثالثة وهو: تحمل الأمثال الشعبية توجيهات أخلاقية للتعامل مع السلوك الإجرامي وقد تناولنا عملية التحليل للأمثال في ثلاثة مواضيع المتفرغة عن الموضوع الرئيسي للفرضية، حيث أظهرت النتائج المتوصل إليها من خلال الانطباعات والأحكام والمعايير والقواعد السلوكية الأخلاقية، التي رأت الجماعة فيها الصواب، وذلك من خلال التمييز بين قيم الخير والشر والحق والباطل والتميزة بوجود الصراع الطبيعي بينها، وعليه، فقد أبرزت الأمثال في التوجه الدور الوظيفي العقلي والأخلاقي والثقافي قدرة ووعي الجماعة في التحكم وإدارة هذه الصراعات القائمة والتي هي متولدة من طبيعة الحياة الاجتماعية والاختلافات ولفروق الموجودة بين الأفراد والجماعات الاجتماعية.

وفي الأخير تطرقنا للدراسة السوسولوجية، التي حاولنا فيها كشف معالم ثقافة والشخصية الجماعية والمجمعية في طابعها الأخلاقي اتجاه السلوك الإجرامي والظاهرة الإجرامية.

الاستنتاج العام

يعد هذا النوع من الدراسات السوسيوثقافية في جانبها الأنثروبولوجي النفسي والتي كان محور موضوعها هو «الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائري» وبالتعرض لمجمل خطوات هذه الدراسة وباعتباره هذه الأمثال العنصر الأساسي الذي تركزت وتم التوصل من خلالها إلى وجود جوانب متنوعة ومتعددة تكشف عنها لنا الأمثال، وهي في مجملها لها علاقة وثيقة بالحياة الاجتماعية في صلتها بالمباشرة وغير مباشرة بالتفاعلات والعلاقات الاجتماعية من وقائع، أحداث، أنماط سلوكية، تصورات... عاكسة بذلك ثقافة وأخلاق وشخصية الفرد والجماعة والمجتمع وفي إطار بنيات مختلفة لها تأثيرها الناجم عن وجود عوامل (متغيرا) كانت المتسبب البارز في تعرض المجتمع الجزائري لأوضاعها وظروفها:

فقد أحاطت الأمثال الشعبية في هذا الإطار وتم التعرف عن هذه البنيات المتشكلة منها ما يتعلق بالظروف التاريخية السياسية وانعكاساتها الاجتماعية والتي كان أبرز عواملها وحسب تحليل محتوى الأمثال المحصورة لمحور موضوع الفرضية الأولى فقدتم التعرف نتيجة ذلك والتوصل إلى:

وتضمنت الصراعات الاجتماعية في جانبها السياسي التاريخي عن وجود البنية مجتمعية عايش حياتها الأفراد الجزائريون والمقصود بها الوجود العثماني الذي اثر على الحياة الاجتماعية الاقتصادية:

كما أشارت الأمثال البنيات الناتجة عن الآثار السلبية الإجرامية التي كان المتسبب فيها بشكل رئيسي وبارز جرائم الاستعمار الفرنسي منها أن:

عرف المجتمع حياة القبلية في إطار بنية مجتمعه يسودها الصراعات، والانعزال والإغلاق والانطواء على ذات القبلية، حيث يرجع لسياسة الاستعمار الفرنسي بشكل واضح، الذي عمد إلى تشريد وتشثيت شرائحه وفئاته الجماعية المجتمعية.

كما أدى هذا بدوره إلى تشكيل بنيات اجتماعية ثقافية نجم عنها ظواهر سلبية وفي إطار بيئات طبيعية (المادية) واجتماعية خضع المجتمع الجزائري لظروفها وحاول التكيف مع ضغوطها وانعكاساتها التي تظهر صورها في تلك الظواهر التي أشارت إليها، مضامين الأمثال التي تم تحليل محتواها والمتعلقة بمحور موضوعها وهو: «تعرض الأمثال الشعبية تحديداً نمطية للجريمة في

المجتمع الجزائري «وقد كان الإشارة لهذه الظواهر منها ما هو بشكل واضح كظاهرة العنف، حيث كشفت لنا الأمثال ممارسته في هذا الشكل الموجة ضد المرأة وكذلك باعتباره وسيلة تنشئية ذات فعالية في تقويم سلوك الفرد ويعتبر الطفل الأكثر تعرضا لمثل نمط هذه المعاملة التنشئية والذي يخفي وجود استغلال ضعف الفرد والسيطرة عليه كلما، صدر عنه انحراف أو سلوك إجرامي، أو قد يتعلق بمجرد أخطاء بسيطة وهذه الظاهرة السلبية في جانبها الغالب يمكن إخفائها عن تأثير ظواهر أخرى أدت إليها منها ما يتعلق وناجم عن آثار عوامل بيئية طبيعية مادية، أدت إلى تشكيل بنية ثقافية تفتقد لمقومات معرفية وعلمية عن طريق وسائل التعليم والتنقيف الكتابية، ناجمة عن آثار الاستعمار الفرنسي. في ظهور الاستعمار الفرنسي بصفة مميزة، وفي مجمل آثار هذه الظواهر السلبية التي كشفتها لنا محتويات الأمثال الشعبية، تركت آثارها على البنية العقلية والاعتقادية للذهنية الشعبية وفي ظروف حياتية اجتماعية، غير ذلك وحسب ما عبرت عنه الجماعة في هذه الأمثال، فقد تبين من محتواها وجود للوعي الجمعي الصائب والصادر من سلطة العقل من خلال عملياته المختلفة، كالتفكير والإدراك والفهم والذكاء، والتي ترجمتها مضامين الأمثال في مجموعة من الأحكام والقيم والمعايير، والتصورات والأفكار، تعكس صورة عن الوعي الديني والعلمي الأخلاقي حيث تبين تقاربه من التراث العلمي والديني يتجسد هذا في الدعوة الإيجابية في معانيها الروحية الإنسانية والاجتماعية في توجيه السلوك الإجرامي والتمسك بقيم الخير في المعاملة مع الظاهرة الإجرامية سعيا لإصلاح الفرد المجرم وإعادة إدماجه اجتماعيا .

بما أنّ الماضي مرتبط بالحاضر من خلال سلسلة انعكاسات نتائج الخبرات الحاصلة عن وقائع وحوادث الحياة الاجتماعية، حيث تعد علاقة رابطة ومتطابقة كذلك نتيجة للظواهر الاجتماعية التي ميزت المجتمع الجزائري، وهذا يجعلنا نربط الوقائع الإجرامية المرتكبة في المجتمع الجزائري على اختلاف أنماطها، ناجمة عن آثار تلك الظواهر كالوجود الاستعماري والأجنبي إلى جانب العوامل البيئية المختلفة المفترزة لمشكلات وظواهر متعددة الأشكال كالعنف والفقر والتخلف الاجتماعي الثقافي والجريمة حيث يمكن إدراج هذه الظواهر والمواقف اللاواعية إلى حد ما ضمن الصدمة الثقافية التي تعرض لها الشعب الجزائري بسبب مكائد ودسائس المستعمر الفرنسي وانعكاسها سلبا على نغمة الشعب الجزائري، وغيرت مسار الحياة الاجتماعية والثقافية وهذا زاد في معاناة وآلام وصعوبة في التكيف مع الأوضاع الطارئة، فظاهرة العنف والسلوك الإجرامي التي بينت وجودها الأمثال يمكن إرجاع أسبابها لتلك الضغوط المفروضة و الممارسات السلوكية

كالاستغلال والاضطهاد العملي البشري والنهب والسلب. الإجرامية من جانب المستعمر الفرنسي لممتلكات وأرزاق الجزائريين أهما الأراضي الخصبة والاحتقار والاهانة والتظلم على اختلاف كما تبين في نفس هذا السياق ارتباط وتجزر أساليب التعامل مع السلوك الإجرامي. أشكالها بمعطيات وإفرازات العوامل البيئية الطبيعية والمعيشية القاسية فكان من جملة مظاهرها الخشونة، القسوة، السيطرة، التعنيف والتسلط والاحتقار وعوامل اجتماعية ثقافية أدت إلى ظهور امتيازات واعتبارات خاضعة وتقوم على أساسها العلاقات الاجتماعية والحراك الاجتماعي، مثل المكانة الاجتماعية والمقصود بذلك التدرج الاجتماعي استغلال القوة الفيزيائية والمقصود بها سيطرة الشخص القوي على الشخص الضعيف إلى حد ما ويترجم هذا السلوك عملية تنشئة الطفل.

كما ساقط الأمثال في مضامينها ظاهرة الصراع القبلي وأثرها في تشكيل النسيج المجتمعي والعلاقات الاجتماعية من خلال مسارها المرتكز على روابط الدم والقرابة والمصاهرة، أظهرتها الأمثال في انحرافات سلبية وسلوكيات خطيرة إجرامية التناحر والتنافر والعداوات والخصومات، ميزها التباعد والانغلاق والعزلة الاجتماعية وهي ظاهرة وإن عمد إلى تفعيلها المستعمر الفرنسي فإن أسبابها الخفية وخلفيتها الصراعية يمكن إرجاعها إلى العناصر الداخلة في التركيبة البنوية أهما البربر (الأعراق) الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الجزائري المتعددة الأعراق وسلالاتها وبذلك يمكن ارتباط هذه الظاهرة بالامتداد (أوروبية أفريقية) وعناصر مختلفة... والعرب الأتراك ومن الآثار السلبية الواقعة في الزمن المعاصر لهذه. بالصراع العرقي و السلالي وأنها ناجمة عنه الظاهرة وتداعياتها نجدها في مجال المحيط الاجتماعي الخاص بالعمل والشغل التي تخضع لاعتبارات تقليدية قبلية قرابية أو عرقية وسلالية وهي ظاهرة تميز المجتمعات التقليدية ذات في حدود معينة وهو ما. القوميات المتعددة حيث تعطي الأولوية للإفراد وفقا لهذا المسار الاجتماعي قد ينعكس سلبا ويؤثر على النظم و المقاييس المتعامل بها و الخاصة بسير الأعمال والتنظيم الإداري المنطقية والمعقولة والتي تخضع المعايير مختلفة منها الذاتية والموضوعية.

اتجاه التعامل مع السلوك (الضبط الاجتماعي) تتميز عملية الجزاء العقابي المطبق الإجرامي بطابعها غير الرسمي في حالات كثيرة، حسب ما يظهر صريحا ومعلنا في تلك الجرائم السلوكيات الإجرامية الممارسة من جانب الأفراد وكذلك الجماعات، الذي يظهر في شكل ردود. كالاعتداء الجسدي والتشاجر والعنف اللفظي (اعتداءات) وانعكاسات أفعال مباشرة لأفراد

من بين القيم والمعاني والدلالات والرموز والمؤشرات التي شملت أنماطا عديدة ومتنوعة في شقها ومضمونها السلبي منها:

التعنيف، القسوة، والإيذاء والعدوان والخشونة والسيطرة والتسلط والاهانة والاحتقار والشجب - والتحريض تبين أنّ منها ما يستند ويقره العرف الاجتماعي التقليدي والعادات والتقاليد والمعتقدات الاجتماعية الثقافية وهذا عمل أدى إلى ظهور اتجاهات سلبية تجسدها ظواهر معينة مثل ظاهرة وإعلاء مكانة الرجل الاجتماعية دون مكانة (الرجل والمرأة) التمييز بين الجنسين الذكر والأنثى المرأة وهذا يحمل في دلالاته الخفية خضوع وطاعة وامتنال المرأة خصوصا وحسب الأمثال لأوامر ونواهي زوجها مهما كان ظروف وطبيعة الحياة الزوجية والاجتماعية التي تعيشها (الزوجة) كما أثرت سلبا في .وينطبق هذا إلى حد ما على العلاقة الاجتماعية العائلية بين الأخ والأخت التعامل والوعي بالأساليب السلمية والصحيحة الخاصة اتجاه السلوك الإجرامي وكذلك قصور الوعي ونقص الخبرات في مجال عملية تنشئة الطفل ويمكن أن تكون له علاقة كذلك بضعف الوازع المعياري والوازع القيمي والوازع الأخلاقي وهذا يندرج ضمن مجموعة المغالطات واختلاط منظومة المفاهيم والمعتقدات المعرفية المتصلة بجوانب الحياة الاجتماعية التي وقع ضحيتها الشعب الجزائري وكادت تمسخ بهوية الاجتماعية والثقافية وهي ناتجة وتابعة لسلسلة الجرائم والمكائد والدسائس للمستعمر الفرنسي الاجتماعية والثقافية خصوصا .

خاتمة

لقد كان التعمق في دراسة ظاهرة الجريمة من جانب ثقافي اجتماعية، يعد من العناصر المبارزة في ثقافة المجتمع والفرد والجماعة وهي الأمثال الشعبية، نظر لارتباطها المباشر بردود أفعال الفرد في حياته الاجتماعية اليومية، حيث يظهر دور المثل في توجيه السلوك والذي يعد صورة لتلك الردود، قد يكون شعوريا، بحضور هذا المثل مع الموقف مختلف الحوادث الوقائع، التي بإمكانها أن تؤدي إلى ارتكاب جريمة.

كما أن وجود فوارق مختلفة بين الأفراد والجماعات، منها الطبيعية الغريزية والوراثية عقليا روحيا وعاطفيا، كما أن وجود معطيات اجتماعية ثقافية، اقتصادية، تاريخية يتعرض لظروفها سواء بإيجابيتها أو سلبيتها تكون عاملا مؤثرا، أما بالتورط والوقوع في الجريمة، أو عكس ذلك فيؤدي إلى التوخي والحذر منها مما يعني أن التحكم في السلوك الإجرامي، يخضع إلى درجة التعامل والتوازن والانضباط مع مجمل هذه الجوانب الخاصة بكل من الفرد وشخصيته والحياة الاجتماعية السائدة في المجتمع وتطبعها ثقافة هذا المجتمع وهو ما ينطبق على المجتمع الجزائري.

والتعمق في دراسة النفس البشرية من هذا الجانب المتعلق بظاهرة الجريمة يصعب الحكم وإصدار انطباعات قيمية ومعيارية أخلاقية اتجاه الفرد أو الجماعة، بشكل وقد ومعبر بدقة وبصحة الصواب الحقيقية، نظرا للجوانب المتداخلة والمعقدة التي تتحكم ويظهر تأثيرها في نفسه من جميع تلك الجوانب الموضوعية منها والمادية والمعنوية رغم الطابع الخفي الذي قد يغلب عليها، وبالتالي يصعب التعرف عليها وكشف أسبابها الحقيقية.

لهذا ولأن الأمثال ترصد وتعلن إلى حد ما عن خفايا النفس من النواحي العديدة اجتماعيا ثقافيا، أخلاقيا، خصوصا ولارتباطها حسب موضوع الدراسة بالجريمة التي هي عبارة عن وقائع وحوادث مجسدة في أنماط سلوكية إجرامية، لدى الفرد والجماعة للمجتمع الجزائري وفي حالة المميزة لهذه الظاهرة وهي الصراع، وفي إطار بنية عقلية تضمنت مميزات <للعقل الجمعي > للجماعة الشعبية في تقرير وإصدار الأحكام، و تقديم تصورات وإنتاج أفكار وأحكام وانطباعات نقدية أخلاقية ممثلة ومخزنة في مضامين ما حملته لنا مجموعة الأمثال، الخاضعة للدراسة والتحليل فإنها قد وضعت معالم للشخصية وثقافة المجتمع الجزائري اتجاه ظاهرة الجريمة، كما صورتها هذه الأمثال الشعبية الجزائرية .

كما تبدى من خلال محتوى البنيات الفكرية التي حملتها هذه الأمثال بإعطائها تفسيراً للمميزات و رسم معالم الصورة الشخصية وثقافة المجتمع الشعبية من الجوانب المكتسبة والمكونة والتي يمكن اعتبارها نتاجات لعوامل بيئية متنوعة متداخلة فيما بينها وحسب مضارب ونشوء عدد معتبر من الأمثال المنتقاة، فقد تبين أنّ زمنيته تنحصر في فترة وجود الاستعمار الفرنسي التي، ميزتها مشكلة الأمية بنسب مرتفعة بين الأفراد كما أنها نسب متفاوتة بين الفئات المجتمعية والذي يمكن ربطه بالأصول الجغرافية الريفية منه والحضارية كذلك بالجنس بخصوص المجتمع التقليدي الجزائري. ورغم ذلك وحسب ما حملته مضامين الأمثال ، تدل في مجملها على أنها مؤشرات على عمومية مشكلة الأمية وعلى أنها تؤدي إلى إنتاج وانتشار الثقافة الشعبية، كما يمكن أن يكون مصدرها الأفراد الذين ينتجون الثقافة العالمية ويقومون بتدوينها من خلال مجالات الاتصال الثقافي ووسائل البحث والمعرفة وعليه يمكن اعتبارهما (الثقافة الشعبية والثقافة العالمية) يتوافقان في إلى حد ما في جوانب معرفية متعلقة بالسلوك الاجتماعي وظواهر المجتمع ومشكلاته الخاصة بحياة الفرد الاجتماعية ، وعليه يظهر وجود رابطة تفاعلية تبادلية، تتمثل في عمليتي الإفادة والاستفادة والنقد المفترض وكذلك النقد الحاصل في المواضيع التي يطبعها الاختلاف الفكري والنمط الثقافي و اتجاهات الأفراد والجماعات في هذا السياق. وفي جانب الاتصال الثقافي الذي وظهر من مضامين عدد من الأمثال تبين أنه امتداد مرتبط وحاصل من خلال امتزاج الثقافات العربية والإسلامية والأمازيغية وذلك أثناء تواجد المجتمعات والحضارات التي أقامت أو التي استقرت المجتمع الجزائري عبر العصور والأزمنة التاريخية .

إنّ النتائج المتوصل إليها من خلال التحقق من فرضيات الدراسة المتضمنة للمواضيع الرئيسية التي تم تحليلها ضمن الأمثال المنتقاة والتي حملت وشملت مختلف أنماط الجرائم المرتكبة التي ساققتها ورصدتها -الأمثال -فإنّها تدور في مجملها حول مواضيع تلك الفرضيات ، تبين وجود وفق ما صورت وعبرت به نتاجات معاني ومعايير وقيم وأحكام البنية الذهنية و الفكرية أثر عوامل الظاهرة الإجرامية جانب يتعلق بأثر عوامل البيئة المحيطة بالفرد المجرم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية والسياسية ، نجم عنها وقوع جرائم معينة بشكل لافت للانتباه دون غيرها من أنماط الجرائم المتضمنة والمصرح بها في الأمثال حيث يمكن إرجاع الأسباب إلى تأثير العوامل البيئية الرئيسية و البارزة التي غيرت أوضاع وظروف معيشية صعبة وقاسية منها عوامل الطبيعة والمناخ وتأثيرها على سلوك ونفسية واخلاق الفرد والجماعة و ومنها

الاقتصادية مثل تدني المستوى المعيشية والاقتصادية الاجتماعية وتضافر وتداخل مجمل هذه العوامل، أفرزت بدورها وظهرت معها ظواهر سلبية وخطيرة مثل الفقر والأمية والجهل التخلف الاجتماعي الحضاري و الصراع القبلي، نجمت عنها ووقائع تلك الجرائم. أما بخصوص العوامل المتعلقة بالفرد المجرم فقد دلت وأشارت عملية تحليل المحتوى الى الدوافع المؤدية بهذا الفرد الى ارتكاب جرائم معينة وتتعلق هذه الدوافع بنوازع وعوامل بيولوجية و غريزية وراثية كالعنوان ونزعة التعصب للعرق والدين والانتماء الاجتماعي والحضاري وظاهرة صراع القيم والتصادم الثقافي وتبين وجود نماذج للممارسة السلوكية الإجرامية مثل جريمة السرقة كظاهرة مرضية والمجرم بالعدة الجرائم النفسية الاجتماعية التي تمثلت في جرائم العنف الجسدي والعنف اللفظي والذي يحمل دلالات ومؤشرات عن الفرد المجرم وعلاقة الجريمة بالأمراض العصبية والنفسية والعقلية والفكرية..

توصيات البحث

لقد خلصت عمليات البحث والدراسة في موضوع الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية الى إكتشاف مكاسب ثقافية و مخزون ثري بأنواع الموروثات الثقافية الشعبية التي تعد ارثا اجتماعيا ساهمت في تكوينه وتشكيله الجماعات الاجتماعية للشرائح المجتمعية على إختلافات إنتماءاتها الثقافية الخاصة بها وبلهجاتها المحلية مثل اللهجة الأمازيغية والشاوية وهي بذلك تعكس الخطاب الثقافي الشعبي، بمكوناته المعرفية الأدبية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية الاجتماعية وفي هذا السياق فهي تعطي وتعكس الى حد ما صورة الشخصية والثقافة العامة للمجتمع الجزائري الى جانب الثقافة العالمية حيث يمكن إعتبار الثقافة الشعبية والثقافة العالمية عنصرين يساهم كل منها في الأخذ والعطاء والافادة والاستفادة من كليهما، فالثقافة الشعبية يمكن أن يكون مصدرها الأشخاص الباحثين والعالمين في مجال العلم والمعرفة وعليه فإنه يتطلب ويتوجب الاهتمام والحفاظ عليه والمقصود بذلك الأمثال خاصة بإعتبارها تؤدي وظائف تربوية أخلاقية وتحمل معاني ورموز وتصورات وأفكار الجماعة يمكن الاستفادة منها في مجالات الدراسات التي تهتم بظواهر ومشكلات الفرد والمجتمع وللتنبأ والتعرف على طبيعة وحقائق تتعلق بالقضايا والمسائل الواقعة والمطروحة والمثيرة البحث والدراسة في مجال البحث العلمي التي تعد بمثابة معوقات تنمية اجتماعيا وثقافيا ومن منطلق أنها ترتبط بعوامل تشكل البنيات المختلفة التي ميزت الحياة الاجتماعية والثقافية وفي جوانبها

الفكرية و الروحية والانسانية والدينية والأخلاقية وعلى سبيل ذلك في هذا المضمرة، ظاهرة الجريمة و مسألة الحرية ومن عناصرها الحرية الفردية والشخصية التي تعد قضية المرأة جزءا منها، حيث يمكن الرجوع والاستناد بالمعرفة والاعتقادات الشعبية التي يكتنزها الإرث الاجتماعي في الذاكرة الجماعية الشعبية بناء على قواعد معرفية يمكن أن تؤدي الى فهم الظواهر المعاصرة الواقعة في الوقت الحاضر على أنها نتائج ظاهرية مرتبطة بحوادث والوقائع المتنوعة التي أثرت على حياة الفرد والمجتمع وبالنظر الى المجتمع الجزائري وخصوصياته الثقافية المتسمة والثرية بالأشكال التعبيرية الشفاهية والوظائف التي تؤدي من خلال محتوياتها في التأثير في عمليات النمو النفسي والعقلي والتفاعلي وتعلم السلوك وإكتساب القيم والأفكار في جانبها الايجابي و السلبي وإنعكاساتها على البنية الشخصية والثقافية أثناء مراحل عملية التنشئة الاجتماعية للفرد .

أظهرت عمليتي البحث والدراسة في هذ الحقل السوسيوثقافي الخاص بظاهرة بالجريمة الى إعتداد أساليب وممارسات تحمل دلالات < للعقل الجمعي > للجماعات الشعبية و الذي نستشف وجوده من خلال تلك الأمثال التي تحمل معاني و معايير وقيما ورموزا ومبادئ و سنن العرف المجتمعي ومثلا اتفقت عليها الجماعة بناء على فعاليتها ودورها الوظيفي الايجابي في الديناميكية التفاعلية وسير وتمتين وتقوية العلاقات الاجتماعية فحافظت عليها وتناقلتها الأجيال المتلاحقة وعلى هذا الأساس ينبغي تفعيل الخطاب الثقافي الشعبي باستخدام هذه الأمثال الشعبية.

الملحق رقم: 01
المقابلة رقم:
مقابلة مع الأستاذ:

تاريخ المقابلة:
مكان المقابلة:
مدة المقابلة:

موضوع المقابلة: الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية.

المحور الأول: البيانات العامة.

السن:
الأصل الجغرافي:
الشهادات المتحصل عليها:
التخصص:
المهنة:
مكان العمل:
الأقدمية في العمل:
اللغة المستعملة:

المحور الثاني: أسئلة خاصة بالموضوع

الأمثال الشعبية خلاصة تجربة حياتية، وخبرة جاءت نتيجة الممارسة في الحياة اليومية، وذات مضمون قد يكون تاريخي واجتماعي أو ثقافي أو سياسي كما أنها قد تحمل أفكار أو تعبير عن نفسية لشخص ما أو جماعة ومن خلال هذه الجوانب المتعلقة بهذا النوع من الأمثال تتجلى قيم الجماعة وتحدد سمات الشخصية للقومية للمجتمع من خلال بنية الثقافة الشعبية، بما تتضمنه من عادات وتقاليد وأعراف.

-كيف يمكن لعلم الاجتماع دراسة هذه الجوانب للمثال الشعبية كظواهر اجتماعية منها ظاهرة الجريمة؟

.....
.....
هناك في الأمثال ما يدعو إلى سلوكيات ومواقف معينة للتعامل مع الوقائع والظواهر الاجتماعية، وعلى عكس ذلك نجد أمثالا تتناقض مع هذا التوجه والدعوة إلى أخذ الحذر والابتعاد على مثل هذا التوجه باعتبارها بأنها مجموعة سلوكيات.
ما هي خليفة هذه الميزة (التناقض) للأمثال الشعبية، بالنظر إلى سيرورة البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع؟

.....
.....
على اعتبار القيم المتضمنة في هذه الأمثال وحكمها على سلوك الفرد والجماعة يعني أن لها دور وظيفي في التوجيه هذا السلوك في إطار شبكة العلاقات.
كيف تظهر ايجابيات وسلبيات آلية هذه الوظيفة الاجتماعية للأمثال في تأثيرها على السلوك الإجرامي المنحرف؟

يرى عالم الاجتماع أميل دوركايم Emile Durkheim انه إذا أراد شخص معرفة أخلاق
مجتمع ما فعليه بمعرفة الأمثال الشعبية.
ما هو تقييمكم بوجهة النظر الخاصة بهذا العالم؟

وفي الأخير نرجوا منكم تقديم مثلين أو ثلاثة من الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بالجريمة،
لأنها تدرج ضمن عينة البحث.

-1

-2

-3

تاريخ المقابلة:
مكان المقابلة:
مدة المقابلة:

الملحق رقم: 02

المقابلة رقم:

مقابلة مع الأستاذ:

موضوع المقابلة: الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية.

المحور الأول: البيانات العامة.

-السن

-الأصل الجغرافي:

-الشهادات المتحصل عليها:

-التخصص:

-المهنة:

-مكان العمل:

-الأقدمية في العمل

-اللغة المستعملة:

المحور الثاني: أسئلة خاصة بالموضوع.

-كيف ينظر علم النفس إلى السلوك العدواني والذي قد يكون من ورائه ارتكاب جريمة معينة؟

.....

-ما طبيعة العلاقة بين إخفاق الفرد في توافقه النفسي وارتكابه الجريمة؟

.....

-كيف يمكن رد الدوافع الخاصة بالفرد أو الجماعة ووقوعهم في الجريمة بالنظر إلى التكوين النفسي للفرد؟

.....

-ما هي أهم الجوانب التي تدخل في تكوين الفرد وتؤثر على تكوينه النفسي وبالتالي تؤدي إلى الوقوع في الجريمة؟

.....
.....
-يرى سيجموند فرويد Sigmund Freud أن الصراع النفسي بين القوى الثلاث المكوّنة للفرد، تكون مصدرا في حدوث العدوان العنيف، قد يكون لفظي أو جسدي، يتعارض مع قيم ومعايير الجماعة ويعاقب عليه المجتمع.

-هل يعني هذا انه السلوك العدواني العنيف يتعارض دائما وفي كل الحالات مع قيم الجماعة وتأثيرها؟
.....

.....
-ما هي علاقة وتأثير العقد النفسية في قوة وازدياد عدوانه وانحرافه؟
.....

.....
-هل للخصائص النفسية والشخصية أثر في حدوث أنواع معينة من الجرائم والانحرافات؟
.....

.....
-يجمع ويتفق باحثون ومختصون على أن للعامل النفسي أثر قوي في ارتكاب السلوك الإجرامي، إذا كان الفرد يعيش ويعاني ظروفًا صعبة في مختلف المجالات سواء اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديا.
.....
.....

.....
-وفي الأخير نرجو منكم تقديم مثلين أو ثلاث على الأكثر من الأمثال الشعبية الجزائرية الخاصة بالجريمة، لأنها تدخل ضمن العينة.

تاريخ المقابلة:
مكان المقابلة:
مدة المقابلة:

الملحق رقم 03:
المقابلة رقم:
مقابلة مع الأستاذ:

موضوع المقابلة: الجريمة في الأمثال الشعبية الجزائرية.

المحور الأول: البيانات العامة.

السن:

الأصل الجغرافي:

الشهادات المتحصل عليها:

التخصص:

المهنة:

مكان العمل:

الأقدمية في العمل:

اللغة المستعملة:

المحور الثاني: أسئلة خاصة بالموضوع.

-ما هو الجانب الأساسي للأمثال الشعبية الذي يهتم بدراسته والبحث باعتباره عنصر هاماً من عناصر
الدب الشعبي؟

.....

-وما علاقة هذا الجانب بالحياة الاجتماعية وظواهر المجتمع؟

.....

-لهذه المثل مميزات متعددة، ما هي أنواعها في مجال الأدب الشعبي؟

.....

-كيف يمكن أن يكون لهذه المميزات دور وظيفي في توجيه سلوك الفرد والجماعة ومنه سلوك
الإجرامي والمنحرف؟

.....

-تحمل بعض الأمثال الشعبية في مضامينها التناقض، فعلى ماذا يدل ذلك؟

هل لهذا التناقض علاقة بالأبعاد المختلفة لظاهرة الجريمة كالبعد التاريخي؟

-قد تحمل الأمثال الشعبية الخاصة بالجريمة على وجود أنماط عديدة للجريمة.
- ما تفسير ذلك بالنظر إلى قيم ومعايير المجتمع؟

-وفي الأخير نرجو منكم تقديم مثلين أو ثلاثة على الأكثر من الأمثال الشعبية الجزائرية لأنه يندرج ضمن عينة البحث.

قائمة المراجع

1. ثريا تيجاني. القصة الشعبية في منطقة واد سوف ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، 1995/1994.
2. المؤلف مجهول . ، ندوة التراث الشعبي. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية دمشق. 2005.
3. أحمد بن نعمان. نفسية الشعب الجزائري ، دراسة علمية في الأنثولوجية النفسية، الجزائر، دار الأمة، ط1997، 2.
4. لويس معلوف. المنجد، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط12، 1954.
5. أبو الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني. مجمع الأمثال، بيروت، دار الجيل ج1، ط2، 1987.
6. شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي المحلي. المستطرف من كل فن مستظرف، بيروت، ج1، ط1، 1995.
7. Dictionnaire Le robert. Le Robert Quotidien, 1996..
8. Dictionnaire Encyclopédique Illustrée. La Rouse, Paris, 1997.
9. عبد القادر القصير. الطبقة، البناء الطبقي في الريف والحضر، مثال المجتمع المغربي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1997.
10. محمد نجيب أبو طالب. الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية ، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة سوسة، دار المعارف، 1990.
11. علي الحوات. النظرية الاجتماعية، اتجاهات أساسية ، فاليتا ، (مالطا)، منشورات شركة الجا.
12. <http://www.psychoweb.fr/articles/psychologie-sociale/123-défnition> .
13. <http://www.lintermante.com/dictionnaire:fr/défnition/streotype>.
14. يوسف ميخائيل أسعد. سيكولوجية النمطية الإبداعية. القاهرة، 1991.
15. سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر. معجم الأساطير اليونانية والرومانية. أعلام مفهومات، انعكاسات فنية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982.
16. خليل أحمد خليل. مضمون الأسطورة في الفكر العربي، بيروت، دار الطليعة، ط3، 1986.
17. جمال معتوق. وجوه العنف ضد النساء خارج بيوتهم، دراسة ميدانية لممارسة العنف، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، تخصص علم الاجتماع الثقافي ، الجزائر، 1992.
18. فتيحة بن فرحات. صورة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية ، تحليل محتوى الأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة ، لنيل شهادة الماجستير ، تخصص علم الاجتماع الثقافي ، رسالة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2004/2003.

- 19 زاهية شاشوة. الأغنية الشعبية القبائلية ل: سليمان عزام، نموذجاً لتحليل محتوى 25 أغنية، رسالة لنيل الماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، تخصص علم الاجتماع الثقافي، 1992.
20. فضيل ديليو. قضايا منهجية في العلوم الاجتماعية، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، 2001.
23. ر. بودون. وف. بوركو. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995.
24. عمر مهيبيل. النبوية في الفكر الفلسفي المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1993.
25. دان سيبربر. النبوية في الأنثروبولوجية، بيروت، دار التنوير، 2006.
26. معن خليل عمر. معجم علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، ط1، 2000.
27. محمد إسماعيل قبارة. علم الاجتماع الثقافي ومشكلات شخصية في البناء الاجتماعي القاهرة، 1982.
28. عبد الله محمد عبد الرحمن. علم الاجتماع الثقافي، النشأة والتطور، بيروت، دار المعرفة الجامعية. 1999.
29. Denys CUCHE. la notion de culture dans les sciences sociales, paris, Ed, Découverte, 1996
30. جاك شربنتر رونييه كايس. الثقافة الشعبية في فرنسا، ترجمة (بهيج شعبان)، بيروت منشورات عويدات، 1969.
31. محمد سويدي. مفاهيم في علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، تونس، الدار التونسية، ط1، 1991.
32. عبد الغني عماد. سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات.... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006.
33. G. POU JOL et R. LABOURIE. les cultures populaires, permanenses Toulouse, l'institut national d'éducation populaire, 1979.
34. عبد الحميد حواس. أوراق في الثقافة الشعبية، القاهرة، دار الأمين، ط1، 2003.
35. تومي إسماعيل. العمارة والعمران في ظلال القرآن، الجزائر، دار الهدى، 2004.
36. حلقة العناصر المشتركة في المآثورات الشعبية في الوطن العربي، القاهرة، إدارة الثقافة 1971.
37. احمد كامش. (الامثال العربية القديمة اهميتها وانواعها)، منتدى الأستاذ، العدد الرابع، 2008.
38. محمد محمد طاهر آل شبير الخاقاني. علم الاجتماع الثقافي ومشكلات شخصية، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987.
39. سيّار الجميل. المجالية التاريخية، فلسفة تكوين التاريخ، نظرية رؤية في المعرفة الإسلامية، عمان، دار الأهلية، ط1، 1999.

40. فوزي العنتيل. الفلكلور ما هو؟ ، بيروت، دار المسيرة، ط2، 1987.
41. حسين عبد الحميد احمد رشوان. الفلكلور والفنون الشعبية، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث 1993.
42. عبد الرحمن بن خلدون. تاريخ العلامة ابن خلدون الجزائر، سلسلة الأنيس، ج2007، 1.
43. شوقي ضيف. الشعر وطابعه الشعبية على مر العصور، القاهرة، دار المعرفة، ط2، 1984.
44. تأليف جماعي. مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية_2005.
45. فردينان ديه سوسر. محاضرات في الألسنية ، ترجمة يوسف غازي، مجيد نصر، الجزائر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة، بدون تاريخ.
46. عبد الجليل مرتاض. مقاربات أولية في علم اللهجات ، وهران، دار الغرب، ط1، 2002.
47. عبد الله شريط. من واقع الثقافة الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981.
48. سورة الرعد ، الآية رقم 16- 17.
49. حسين سالم باصديق. في التراث الشعبي اليميني، مركز الدراسات والبحوث اليميني، ط1، صنعاء، 1993.
50. نبيلة إبراهيم. أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة.
51. نبيلة إبراهيم. قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1974.
52. عبد القادر جغلول. الصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة (سليم قسطون)، بيروت، دار الحداثة، 1984.
53. حامد عمار. دراسات في التربية والثقافة، من همونا الثقافية، القاهرة، دار العربية للكتاب، ط1، 1995.
54. عبد الملك مرتاض. الميثولوجيا عند العرب والفرس ، دراسة علمية لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، الجزائر الدار التونسية بدون تاريخ.
55. حسين مجيد المصري. الأسطورة عند العرب والفرس دراسة مقارنة المكتبة الأنجلو المصرية، 1991.
56. رنا أحمد عيناني. ثقافة الخرافات على مستوى الأفراد ومنظمات الأعمال، الإسكندرية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 1999.

56. عبد الرحمن محمد العيسوي. سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، دار النهضة العربية، بدون تاريخ (سنة).
57. حسين مجيب المصري. في الأدب الشعبي الإسلامي المقارن. القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1980.
58. 1.Martine DAVIDE,Anne-Marie DELRIEU. Aux sources des chansons populaires, de préface, paris,1984.
59. محمد عبد محمد سويدي. محاضرات في الثقافة والمجتمع، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.
60. سهيل زكار. المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والفرق والوظائف والنحل، دمشق-القاهرة، دار الفكر العربي، ج 2 ، ط 1 ، 1997.
61. محمد الجوهري وآخرون. دراسات في علم الفلكلور، الإسكندرية، دار المعرفة، 1992.
62. فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية، 1980.
63. مصلح الصالح. الضبط الاجتماعي، عمان، مؤسسة الوراق، ط1. 2004.
64. ميشيل أرجيل. دراسات في علم الاجتماع الثقافي والتغير والحضارة ترجمة عبد الستار إبراهيم. الكويت، دارل القلم ط1، 1985.
65. عبد الحميد حواس. مضامين التربية الشعبية في مجلة الأستاذ لعبد الله النديم القاهرة، دار الأمين، 2003.
66. روزلين ليلي قريش. القصة الشعبية ذات الأصل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
67. مصلح الصالح. التغير الاجتماعي وظاهرة الجريمة، عمان، مؤسسة الوراق 2003.
68. عبد العظيم المشيخ. الانحرافات الاجتماعية، مشكلات وحلول، بيروت، دار الهدى، ط1، 2005.
69. جلال الدين عبد الخالق، السيد رمضان. الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث، 2001.
70. محمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995.
71. موقع إلكتروني.
72. سامية حسن ساعاتي. الجريمة والمجتمع، بيروت، دار النهضة العربية، ط2 1983.
73. محمد ناجح . دور مؤسسات التربية في الوقاية من الجريمة، من منظور إسلامي، القاهرة، المكتب المصري، 1999.

74. المؤلف مجهول منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، الرياض، دار النشر الرياض، 1992.
75. جابر عوض السيد، أبو الحسن عبد الموجود ، الانحراف والجريمة في عالم متغير. أسوان، المكتب الجامعي الحديث، 2004.
76. جلال الدين عبد الخالق. الجريمة والانحراف، الحدود والمعالجة، الاسكندرية ،دار المعرفة الجامعية،1999.
77. محمد عبد الرحمن العيسوي. الجريمة بين البيئة والوراثة من منظور إسلامي، القاهرة، المكتب المصري، 1999.
78. محمد عبد الرحمن العيسوي. مبحث في الجريمة، عمان، دار الفكر الجامعي ط1، 2005.
79. باربارا ويتمر .(الانماط الثقافية للعنف) ،مجلة عالم المعرفة ،العدد 337 ،2007.
80. كينيث يتل. السلالة والمجتمع. ترجمة محمد جلال عباس، القاهرة، دار الفكر العربي، دار النصر العربي، 1967.
81. محمود سلامة زناتي. الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا. بيروت، دار النهضة العربية، 1969.
82. مضر خليل عمر. التركيب الاجتماعي للمدينة والجريمة ، عمان، دار الكندي 2000.
83. جليل وديع شاكور. أمراض المجتمع، دمشق، الدار العربية للعلوم، 1998.
84. محمد سلامة قبارة. دور الأخصائي الاجتماعي في مجال الجريمة، الإسكندرية، دار الجامعة المعرفية، 2004.
85. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. علم الاجتماع النفسي، المجتمع والثقافة والشخصية شباب الجامعة الإسكندرية، مؤسسة 2005.
86. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. الفقر والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع، الإسكندرية، مؤسسة الشباب، 2007.
87. مصلح الصالح. النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية، عمان، مؤسسة الوراق. 2000.
88. سامية محمد جابر. سوسيولوجيا الانحراف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.
89. Albert OGIEN, Sociologie de la déviance, paris, Ed,
90. NATHAN, 1999. Ouvrage collectif. La violence chez les jeunes, montreal, Ed, sciences et culture, 1995.
91. محمد محمد نعيمة. التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية، دار الثقافة العلمية، ط1، 2005.
92. عبد العزيز خوجة. مبادئ في التنشئة الاجتماعية ، وهران ،دار الغرب، ط2005، 1.
93. معن خليل عمر. التنشئة الاجتماعية، عمان، دار الشروق، ط1، 2004.

94. [http://fr.wikipedia.org/wiki Socialisation](http://fr.wikipedia.org/wiki/Socialisation).

95. صلاح الدين شروخ. علم الاجتماع التربوي، عناية، دار العلوم، بدون سنة.
96. سعد إبراهيم طایل الديهي. موقف الإسلام من تنشئة الطفل، نفسياً، اجتماعياً، تربوياً مقارنة عميقة بين النظريات الغربية والإسلامية، بيروت، دار الجيل، ط1، 2003.
97. محمد فرحان. الخطاب التربوي الإسلامي، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1999.
99. محمد السيد أبو النيل. علم الاجتماع النفسي، دراسات عربية وعالمية، بيروت، ج1، ط1، 1985.
100. سناء الخولي. الأسرة والحياة العائلية، الإسكندرية، دار المعارف، ط3، 1981.
101. أحمد الأنصاري. الأخلاق عند بيتر أندر رسل، مركز الكتاب، 2003.
102. محمد عبد العليم المرسي. المنظور الإسلامي للثقافة والتربية، دراسات في علم الاجتماع التربوية، الرياض، ط1، 1996.
103. عدنان أمين. التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.
104. محمد عبده وآخرون. التنشئة الاجتماعية، دراسات أنثروبولوجية في الثقافة والشخصية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2005.
105. محمد عبد الرحمن العيسوي. تفاعل الجماعات الاجتماعية عمان، دار الجمعية، 2006.
106. محمد الشيبني. أصول التربية الاجتماعية والثقافية والفلسفية، رؤية حديثة للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1994.
107. سعدي ضاوي. مدخل إلى علم الاجتماع الأدب، بيروت، دار الفكر العربي ط1، 1994.
108. روبرت ميكلفين، ريتشارد غروس. مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، ترجمة (موفق الحمداني)، فترس حلمي، عمان، دار وائل، ط1، 2002.
109. محمد عبد الرحمن العيسوي. دراسات في علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، 1997.
110. عبد العظيم المشيخص. الانحرافات الاجتماعية، مشكلات وحلول، بيروت، دار الهدى، ط1، 2005.
111. إبراهيم ناصر. التربية الأخلاقية، عمان، دار وائل، ط1، 2004.
112. [http://www.Daralam.org/Moin90 Makalat.www.vieu-e. asp?id=67](http://www.Daralam.org/Moin90Makalat.www.vieu-e.asp?id=67).
113. أبو خلدون ساطع الحصري. آراء في العلم والأخلاق والثقافة، سلسلة التراث القومي، بيروت، طبعة خاصة، 1985.
114. أحمد عبد الحليم عطية. الأخلاق في الفكر العربي المعاصر، القاهرة، 1998.
115. سورة القلم، الآية رقم 4.

.Emile DURKHIEM. L'éducation morale ,paris, Bibliothèque de

philosophie contemporaine, 1974.

116. شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهشي المحلي. المستظرف من كل فن مستظرف، بيروت ج1، ط1، 1995.

117. قدور إبراهيم، عمار المهاجي. معاني الجوانب الإسلامية في الإسلام، دار الأديب، بيروت ج1، ط1، 1995.

118. أحمد دكار. الإنسان والقيم الأخلاقية عند راغب الأصفهاني، القاهرة، دار غريب 2000.

119. Chronologi Universelle. La Rousse ;Paris;2002.

119. صلاح مصطفى الفوال. مدخل إلى علم الاجتماع الإسلامي، القاهرة، دار غريب، 2000.

120. أبي حامد محمد بن الغزالي: إحياء علوم الدين، دار اللبنانية، ج3، 1982.

121. عبد العزيز بن عبد الله. الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.

122. أبو بكر إبراهيم التلوع. الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، بن غازي، دار الأضواء 1995.

123. عبد الله شريط. الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

124. عبد الرحمن بن خلدون. المقدمة، المركز الوطني في ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزء الثاني، الجزائر، 2006.

125. مجموعة من المؤلفين. قراءات في الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993.

126. Infekten der harniwege. Traité de morale, mandelfate « ASTRA »

sans date.

127. مركز دراسات الوحدة العربية. الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، بيروت، ط1، 2004.

128. مورييس أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة (كمال شرفاوي، بوزيد صحراوي) الجزائر، دار القصبه 2004

137. Joel.GUIBERT ,Guy... JUMEL. Methodologie des pratiues de terrain en sciences humaines et sociales, paris, Masone et colin editeurs, 1997.

129. طعمة رشدي. تحليل المحتوى أسسه، استخداماته، القاهرة، دار الفكر، العربي، 1987.

130. عبد الله عامر الهيمالي. أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، بنغازي، جامعة قار يونس، 1988.

131. صالح مصطفى الفوال. مناهج البحث في العلوم الإنسانية، وهران مكتب غريب، 1974.

132. عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي. مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

133. عبد الملك مرتاض. الأمثال الشعبية الجزائرية، تحليل لمجموعة الأمثال الزراعية والاقتصادية، ديوان المطبوعات في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007
134. محمد بن صالح. 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، وادي سوف، ط1، 1998.
135. عثمان فكار (العائلة الجزائرية بين التغير والثبات) ، مجلة النبأ ، العدد 85 . بيروت
136. Mohamed BEN CHNEB, proverbes de l'Algérie et du maghreb , Paris, maison Neuve et la Rouse, 2003.
137. عبد القادر جفلول. المرأة الجزائرية ، الجزائر، دار الحداثة، ط1، 1983.
138. عبد الحميد بن هدوقة. أمثال جزائرية ، الجزائر ، 199.
139. سلوى الخماش. المرأة العربية و المجتمع التقليدي المتخلف ، بيروت ، ط3 ، دار الحقيقة ، 1981.
140. عمر رضا كحالة. المرأة في القديم والحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج1، ط1، 1979.
141. قادة بوتارد. الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة (عبد الرحمن حاج صالح)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987.
142. عبد الملك مرتاض. عناصر التراث الشعبي ، اللاز،
143. سورة النساء ، الآية رقم 34.
144. مبارك بلحاج. صور وخصائل من أولاد نايل. الجلفة، مديرية الثقافة، بدون تاريخ.
145. هاني العمدي. الأمثال الشعبية الأردنية ، عمان ، منشورات وزارة الثقافة، ط3، 1996.
146. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلي، بيروت، دار النهضة العربية، 1985.
147. فوزية لراي. صور من القصة، الجزائر، منشورات جمعية المرأة في اتصال، ط1، 2002.
148. عمر عسوس. (دور الأسرة و المدرسة في الوقاية من الجريمة) ، مجلة التواصل العدد 1، عنابة 1996.
149. رابح خيدوسي. موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، بئر توتة، دار الحضارة، 1997.
162. Mohamed SALAH. Inzed timséareo, proverbes et devinettes chaouis, Alger, ENAG, Ed, 2002
150. أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، 1998.
151. عشراي سليمان. من محددات الشخصية الجزائرية ، الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003.
152. عماريزلي. (سلوك العنف من عنف السلوك ، الخشونة الثقافية/نموذج، الجزائر) المجلة الإبداع و العلوم الانسانية ، العدد 53 ، بيروت ، 2004.

154. دموند ديستان، بن حاج سراج. بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين، تقديم وتعريب (محمد حمداوي)، 2002. محمد حمداوي، وهران، دار الغرب. 2002.
155. علي الكبريت. موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت، الجزائر، الجزء الأول.
156. عبد العالي رزاق. (عقيلات الحكام)، جريدة الشروق العدد 2483. ديسمبر 2008.
157. إسماعيل علي سعد. في السياسة والمجتمع، في الرأي العام بين القوة والإيديولوجية، بيروت، دار النهضة العربية، 1988.
158. محمد أرزقي فراد. الأمازيغية آراء... وأمثال (تبيارة نموذجاً)، الجزائر، دار هومة 2004
159. حلمي بكر. أثر الأدب في الأدب الحديث القاهرة، دار المعارف ط1 1986.
160. أبو جرة سلطاني. جذور الصراع في الجزائر، برج الكيفان، دار الأمم، ط2، 1999.
161. مركز دراسات الوحدة العربية. دولة الرفاهية الاجتماعية، بحوث ومناقشات، بيروت، ط2006، 1